feqh al-loghah

# فِقهُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّة

الأستاذ الدكتور
كاصد ياسر الزيدي
أستاذ الدراسات اللغوية في جامعة الموصل (سابقا)
أستاذ الدراسات اللغوية في كلية التربية للبنات في جامعة بغداد

# فقه اللغة العربيَّة

تأليف

الدكتور

كاصد ياسر الزيدي

أستاذ الدراسات السـ[illegible] في جامعة الموصل (سابقاً)

أستاذ الدراسات اللغوية في كلية التربية للبنات بجامعة بغداد

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ٢٠٠٥

المملكة الاردنية الهاشمية
رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٤/٥/١٢٤٩)

٤١٠
الزيدي ، كاصد
فقه اللغة العربية / كاصد الزيدي . - عمان: دار الفرقان للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤.
( ٥٣٤ )ص.

ر.إ. : ٢٠٠٤/٥/١٢٤٩.
المواصفات : / اللغة العربية /

❖ تم اعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة

دار الفرقان للنشر والتوزيع

العبدلي – عمارة جوهرة القدس
هاتف : ٤٦٤٠٩٣٧ ، ٤٦٤٥٩٣٧
فاكس: ٤٦٢٨٣٦٢
ص ب: ٩٢١٥٢٦ عمان ١١١٩٢
المملكة الأردنية الهاشمية
E-mail: dar_forqan@yahoo.com

# فهرس الموضوعات

مقدمة (١) .......................................... ٧
مقدمة (٢) .......................................... ١٠

( الفصل الأول )

في فقه اللغة ومبحثه وأهميته في دراسة اللغة

(١٣)

المبحث الأول : الفرق بين علم اللغة وفقه اللغة .............. ١٥
المبحث الثاني : أشهر مصنفات القدامى والمحدثين في
فقه اللغة العربية .......................... ٢٢
(القدامى)................................................ ٢٢
(٢) المحدثون.............................................. ٣٠
المبحث الثالث : آراء في نشأة اللغة........................ ٣٥
(١) محاولات قديمة........................................ ٣٥
(٢) في الأديان السابقة..................................... ٣٧
(٣) لدى اللغويين والمفكرين المسلمين.................... ٣٨
(٤) رأي المحدثين من اللغويين............................ ٥١

( الفصل الثاني )

نبذة من فصائل اللغات

٦١

المبحث الأول : في تقسيم اللغات وأقسامها..................... ٦٣
(١) تقسيم اللغات........................................... ٦٣
(٢) أقسام اللغات .......................................... ٦٧

أ ـ اللغات الهندية ـ الأوروبية.......... ٦٧
ب ـ اللغات الجزرية ـ الأفريقية.......... ٦٩
المبحث الثاني : اللغات الجزرية وأقسامها.......... ٧٢
(١) اللغات الجزرية .......... ٧٢
(٢) أقسام اللغات الجزرية .......... ٧٨
أ ـ الجزرية الشرقية .......... ٧٨
ب ـ الجزرية الغربية الشمالية .......... ٨١
ج ـ الجزرية الغربية الجنوبية .......... ٩٨

( الفصل الثالث )

اللغة العربية...١٠٣

المبحث الأول : العربية الجنوبية .......... ١٠٥
المبحث الثاني : العربية الشمالية.......... ١١٠
(١) العربية البائدة .......... ١١٠
(٢) العربية الباقية (الفصحى).......... ١٢٣

( الفصل الرابع )

خصائص العربية الفصحى...١٣٧

المبحث الأول : ظاهرة الإعراب .......... ١٣٧
المبحث الثاني : الجرس والايقاع والدلالة على المعنى .......... ١٤٣
المبحث الثالث : الاشتراك .......... ١٥٠
المبحث الرابع : التضاد .......... ١٥٩
المبحث الخامس : الترادف .......... ١٧٨

## ( الفصل الخامس )

## اللهجات العربية...٢١٥

المبحث الأول : ما اللهجات ؟........................ ٢١٧

المبحث الثاني : ما يتعلق بالأصوات ....................... ٢٢٢

المبحث الثالث : البنى والتراكيب ......................... ٢٦٢

المبحث الرابع : في دلالة الألفاظ ومادتها .................. ٢٨١

## ( الفصل السادس )

## نمو العربية وقدرتها على مواكبة العصر ...٢٨٥

تمهيد ................................................ ٢٨٧

المبحث الأول : القياس ...................................... ٢٨٩

المبحث الثاني : الاشتقاق .................................... ٣١٣

المبحث الثالث : التعريب (الاقتراض) ........................ ٣٣٠

المبحث الرابع : النحت ...................................... ٣٤٦

المبحث الخامس : الارتجال ................................... ٣٦٢

## الفصل السابع

## الدعوة إلى العامية ونبذ الفصحى...٣٧١

المبحث الأول : العامية والدعوة إليها........................ ٣٧٣

المبحث الثاني : بواعثها ومخاطرها ........................... ٣٨٥

المبحث الثالث : موقفنا منها.................................. ٣٩١

المبحث الرابع : الفرق بين اصطناع العامية ودراستها....... ٤٠٤

المبحث الخامس : الدعوة إلى الكتابة باللاتينية............... ٤١١

## ( الفصل الثامن )

الأصوات اللغوية في العربية...٤١٧
تمهيد : نبذة من الصوت وإدراكه وأعضاء النطق به.......... ٤١٩
المبحث الأول : جهود العرب القدامى في علم الأصوات....... ٤٢٧
المبحث الثاني : الأصوات حسب صفاتها ...................... ٤٥٤
المبحث الثالث : الأصوات حسب مخارجها ..................... ٤٤٧
المبحث الرابع : الاختلاف بين الخليل وعلماء الصوت المحدثين في تعيين عدد من صفات الأصوات ومخارجها ..................... ٥١٥

( المصادر والمراجع )........................................ ٥٢١

## (فهرس الأشكال والصور )

١ـ نقش تدمري ...........................................(٩٤)
٢ـ نقش مرانا ملك النبط .....................................(٩٦)
٣ـ اللغات الجزرية ......................................... (١٠٢)
٤ـ خط ثمودي ..............................................(١١٣)
٥ـ نقش ثمودي ........................................ (١١٢ ـ ١١٣)
٦ـ نقش صفوي ............................................. (١١٥)
٧ـ القلم الثمودي واللحياني والصفوي ........................ (١١٦)
٨ـ نقش النمارة ............................................ (١١٨)
٩ـ القلم العربي القديم ، والقلم النبطي المتأخر............ (١٢٢)
١٠ـ أعضاء جهاز النطق ...................................... (٤٢٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة (١)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

لقد قرأت كتاب فقه اللغة العربية من أجل كتابة تقرير موجز عن قيمة الكتاب وأهميته في مجاله ، ككتاب جامع يستوعب مفردات منهج مادة فقه اللغة العربية ويضمها كلها لقصور الكتب المؤلفة حديثاً عن الإيفاء بهذه المفردات تماماً ، وجدوى طباعته ، وفي هذه المسائل أقول :

١- إن موضوع هذا الكتاب موضوع لغوي مهم ، يعدّ عنصراً أساسياً في مناهج اللغة العربية في المستوى الجامعي . وما من قسم من أقسام اللغة العربية في أي جامعة من جامعات الوطن العربي لا يمثل مادة ( فقه اللغة ) مادة أساسيّة في خطة تخصص اللغة العربيّة .

ولذا فإن هذا الكتاب ، وأمثاله ، تعد مراجع أساسيّة في هذه المادة .

٢- نظرت في مفردات خطة مادة فقه اللغة في بعض الجامعات ، وفي مفردات محتوى هذا الكتاب ، فوجدت توافقاً كبيراً ، مما يجعل هذا الكتاب مرجعاً أساسيّاً للطالب عند دراسة هذه المادة .

٣- أما في مضمون الكتاب نفسه ، فهو موضوع متكامل عُرض في ثمانية فصول، عالج فيها المؤلف موضوعات كثيرة جزئية . بدأها بالدراسة التاريخية في نشأة هذا العلم ، وبداية دراسة اللغة ، موضوعاً للبحث والتحليل في أصل نشأتها ، ومكانتها

في فصائل اللغات الأخرى ، وخصائص اللغة العربية ، وتشكل اللغة العربية الفصيحة من خلال تجاور اللهجات المتعددة .

وتحدث عن وسائل التنمية اللغوية ، وعن قضية الازدواجية بين اللغة الفصحى والعامية . وتحدث عن علم الأصوات ، ووصف مخارج الحروف .

٤ ــ وفي أثناء الفصول والمباحث المتعددة التي تشكلها كان المؤلف مستقصياً للموضوع ، يعرض الفكرة بالتفصيل والتمثيل ، ويجيب عن التساؤلات التي قد تخطر في بال الدارس ، شأن المدرّس الجامعي ، الذي يؤلف وهو يتمثل أمامه الطلاب ، يحاورونه، ويبحثون عن الإجابات الشافية للأسئلة التي تواجههم .

٥ ــ وكانت لغة المؤلف في هذا الكتاب فصيحة جيدة تلائم الموضوع الذي كتب فيه وقد عهدت هذا المؤلف جاداً في بحوثه ، إذ نشر له عدة بحوث في مجلات ثقافية فصلية تصدرها بعض الجامعات ، منها جامعة الزرقاء الأهلية .

٦ ــ وكان المؤلف يعرض أحياناً بعض الدراسات الغربية في مجال فقه اللغة ويجري مناقشات في بعض الأفكار المتشابهة . ويمثل لما يقوله بعرض بعض المصطلحات الأجنبية التي تختص بموضوع الكتاب .

٧ ــ عرض المؤلف في كتابه ثبتا باثني عشر كتاباً تعد مصادر لدراسة فقه اللغة وهي كلها من المصادر الأصول . وعرض أيضاً ثبتاً بسبعة وخمسين مرجعاً حديثاً في هذه المادة . وهي مراجع جيدة تبحث في مختلف قضايا فقه اللغة التي عالجها في الكتاب . وعرض أيضاً ثبتاً بستة عشر مرجعاً من المراجع الأجنبية المعاصرة .

٨ ــ هذا إضافة إلى مئة وتسعة وأربعين مصدراً ومرجعاً عاد إليها المؤلف في أثناء كتابه جعلها ضمن قائمة ( المصادر والمراجع ) وذكر عناوين عشر دوريات مهمة في دراسة هذه المادة .

هذا تقرير موجز عن هذا الكتاب الجيد ، الذي أوصي بالاهتمام به وتوفيره في مكتبات الآداب في الجامعات العربية لأنه يعدّ مرجعاً أساسياً في دراسة فقه اللغة العربيّة، مع أطيب التحيات .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

د. عودة خليل أبو عودة
رئيس قسم اللغة العربيّة
بكلية الآداب في جامعة الزرقاء
٢٠/ ١٢/ ٢٠٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة

توثقت صلتي بمادة فقه اللغة العربية بعد حصولي على درجة الماجستير سنة ١٩٦٧ ، وإيفادي للتدريس في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة ، إذ اسند إليّ تدريس هذه المادة لطلبة السنة الرابعة فيها خلال السنتين اللتين قضيتهما هنالك .

وتوثقت صلتي بفقه اللغة أكثر فأكثر حين أعددت رسالتي للدكتوراه عن منهج الطوسي (ت ٤٦٠) في التفسير ؛ إذ كانت مباحث اللغة قد حازت نصيباً أوفر فيها . وكانت بحوثي بعد ذلك تتسم بهذا الطابع المعني باللغة وفقهها ، وما يتصل بها من لهجات ودراسات قديمة وحديثة .

وازدادت هذه الوشيجة توثيقاً حين عهد إليّ قبل ثلاث سنوات بتدريس فقه اللغة لطلبة السنة الرابعة بقسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة الموصل ؛ إذ صارت الفرصة أكثر سنوحاً لي في أن أواصل الاتصال بالمادة التي هي القربى من تخصصي — الدراسات اللغوية القرآنية ..

ولما لم يكن ثَمّ كتاب جامع يستوعب مفردات منهج هذه المادة ويضمها كلها ، ولقصور الكتب المؤلفة حديثاً عن الإيفاء بهذه المفردات تماماً ، كخلوّ بعضها عن دراسة الأصوات اللغوية في العربية ، بعد البحث

في جهود علمائنا القدامى فيها ، وخلو البعض الآخر من موضوع الدعوة إلى العامية ونبذ الفصحى ، وإهمال كثير منها لجانب اللهجات القديمة والحديثة ، أو التقصير في إيفائها حقها من البحث كربط القديمة بلهجاتنا العراقية المعاصرة ، وأخص منها لهجة الموصل التي ألف هذا الكتاب في ديارها . إلى أسباب أخرى ستتجلى عند قراءة الكتاب، وأهمها بيان آراء القدامى من لغويينا والأوهام التي دارت حول آرائهم وأقوالهم ،

ومناقشة عدد من المعاصرين في أشياء مما ذهبوا إليها ، في موضوعات متنوعة ، كاللهجات وعوامل نمو اللغة ، ومشكلة العامية والفصحى ، وما إليها . فهذا وغيره حملني على المبادرة إلى تأليف الكتاب . وقد رأيت إلا أتعجل إخراجه إلى الطلبة بصورته النهائية ، إلا بعد أن أضعه سنتين في تجربة الدرس والتدريس ، لينطاع إلى ما هو أتمّ وأشمل في التفكير اللغوي الفقهي القديم والحديث ، وما هو أكثر فائدة للطلبة .

وقد تحقق لي ذلك بعد تلك التجربة والمراجعة ، وزدت فيه ما ينبغي أن يشتمل عليه كتاب منهجي مقرر ، وجعلته بعنوان : "فقه اللغة العربية"، إذ لا أشك في أنه استوعب موضوعات هذه المادة كلها أو جلها . وجاء أوفى في مادته مما عرفناه من كتب فقه اللغة المتداولة اليوم .

وليس هذا الكتاب جمعاً لمادة قديمة وحديثة ، ولكنه مزج واع بين دراسة القديم والحديث ، وقد اعتمدت مادته على أصول لغوية قديمة لم تتناولها كثير من كتب فقه اللغة الحديثة بكفاية ، كما أنه شديد العناية بآراء المحدثين من اللغويين ، ومنهم لغويونا العراقيون في عصر النهضة ، كالآلوسي والكرملي والحصري والراوي ومصطفى جواد.. فوق عنايته بما انتهى إليه الدرس اللغوي الحديث من نتائج يُطمأن إليها .

ولم يقنع الكتاب بالتعويل على ما ورد في كتب القدامى والمحدثين ، بل تناوله بالنقد والاستدراك ، وناقش طائفة من الأقوال والآراء ، ملفتاً الطالب معه إلى محاكمات علمية هنا وهناك ، تفتح أمامه سبل النقد اللغوي والتفكير الحر . ولم تكن مناقشة الكتاب للمحدثين قليلة ، بل تناولت مسائل في غير مبحث من مباحثه كنشأة اللغات،وفصائل اللغات، وخصائص العربية ، واللهجات، وعوامل نمو العربية وقدرتها على مواكبة العصر ، والدعوة إلى العامية .. بل لا يعدم الدارس والقارئ مصافحة هذه المناقشات في كل فصل من فصول الكتاب .

ولهذا الكتاب ميزة أخرى ، وهي خصوصية كون كتاباً عراقيا يؤلف في فقه اللغة، يُلحظ ذلك في غير موضوع فيه ، كاللهجات العراقية القديمة والحديثة ، وبيان ظواهر لغوية لطائفة منها ، وتعليلها في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، فوق ما أسلفناه من عنايته بآراء اللغويين العراقيين المحدثين ، الذين حملوا مشعل النهضة

اللغوية الحديثة . بل إن الكتاب أخذ بعين الاعتبار كذلك خصوص البيئة التي ألف فيها ، فعُني باللهجات الموصلية ، وربطها بأصولها العربية القديمة . وهو أول كتاب حديث يكشف عن ظاهرتي ( ألوكم ) و ( الوهم ) اللهجيتين ، ووشيجتهما بلهجات الموصل الحديثة ، فوق ما بيّنه من ظواهر لهجية أخرى في هذه البيئة : كالإبدال ، والقلب المكاني ، والإمالة ، وما إليها .

وقد تطلب سدّ الخلل في مفردات المنهج إضافة موضوعي : الاشتراك، والجرس، والإيقاع ، إلى الفصل الخاص بخصائص العربية الفصحى . وإضافة القياس إلى الفصل الخاص بقدرة العربية على مواكبة العصر والنمو ، وإضافة فصل اللهجات – التي هي شطر العربية الفُصحى الثاني بعد شطرها الأول : العربية المشتركة ، أو كما تسمى أيضاً : الموحّدة – لتكون فصلاً مستقلاً بذاته ، قائماً على أعمدتها الثلاثة : الأصوات ، والبنى والتراكيب ، والدلالات ، التي لم تبحث بهذا الشمول والتناول في كتاب جامع لموضوعات في فقه اللغة .

وكان اختيار مصطلح ( اللغات الجزرية ) بدلاً من (اللغات السامية )، مما امتاز به هذا الكتاب من غيره ، ورأى إذاعته بين الناس ونشره ، ليسود بديلاً من ذلك المصطلح الذي شاع مشوباً بلبس وتضليل ، مما جعل غير واحد من مؤرخي العراق القديم المعاصرين يدعو إلى نبذه وإبدال هذا المصطلح – الذي اخترنا – به . وإني لأرجو أن ينتفع بها طلبتنا الأعزاء ، الذين " أسهرت الناظر وأتعبت الخاطر " – كما قال الطبرسي حين صنف تفسيره – من أجلهم ، ليكون هذا الكتاب إسهاماً في التأليف اللغوي الجاد ، في مسيرة نهضتنا اللغوية اليوم . والله أسأل سبحانه أن ينفعهم به ، وأن يكتب لي ما هو أهل له من الرضى والمغفرة . وهو حسبي ونعم الوكيل .

المؤلف

بغداد / ٢٥/١٠/ ٢٠٠٣

# الفصل الأول

## في فقه اللغة ومبحثهِ وأهميتِه
## في دراسة اللغة

مكتبة
لسان العرب
أ. علاء الدين شوقي
رابط بديل
lisanerab.com
www.lisanarb.com

## المبحث الأول :

### الفرق بين علم اللغة وفقه اللغة

ليس من اليسير تحديد الفروق الدقيقة بين علم اللغة وفقه اللغة ، لأن أغلب مباحثهما متداخل لدى كثير من علماء الشرق والغرب . وقد أدى هذا التداخل إلى إطلاق إحدى التسميتين على الأخرى ، حتى إن من الباحثين الذين يكتبون في علم اللغة يذكرون البحوث اللغوية المتعلقة بهذا العلم ويتحدثون عنها ، ثم يقولون: وفقه اللغة يشمل معظم البحوث السابقة ، ولا سيما إذا ووزنت هذه البحوث بين لغتين أو لغات متعددة . على نحو ما نجد مثلاً في كتاب ( علم اللغة ) للدكتور علي عبد الواحد وافي[1] .

وعند الموازنة نلحظ أن هذه الفروق طفيفة ، فاسم علم اللغة عند الغربيين "Lingulstics" ، أي العلم المختص بالكلام أو اللغة . واسم فقه اللغة عندهم هو "Philology" ، وهي كلمة مركبة من لفظين إغريقيين : هما "Philos" بمعنى الصديق ، و " Logos " بمعنى الخطبة أو الكلام " فكأن واضع التسمية لاحظ أن فقه اللغة يقوم على حب الكلام للتعمق في دراسته من حيث قواعده وأصوله وتاريخه "[2]. فلم يكن فقه اللغة بمنأى عن علم اللغة بل كان وثيق الصلة به ، فمباحثه المتنوعة كما يقول فردينان دي سوسور[3] " مهدت السبيل لعلم اللغة التاريخي "[4]. بل إن لومل LOMMEL يذكر في رسالته التي بعنوان " كيف يدرس علم اللغة " ؟ " إن علم اللغة من أهم الوسائل المساعدة للدراسات

---

[1] - ص١٢ وانظر الصالح: دراسات في فقه اللغة ص١٩ .

[2] - دراسات في فقه اللغة ص٢٠ .

[3] - أشهر لغوي في العصر الحديث ( ١٨٥٧-١٩١٣ ) صاحب مدرسة لغوية متميزة عرفت من بعد بالمدرسة التركيبية أو ( البنيوية ) وكتابه ( علم اللغة العام ) فريد في مادته .

[4] - علم اللغة العام ص١٩ . ترجمة الدكتور يوئيل يوسف عزيز .

الفيلولوجية من جانب ، ومن جانب آخر فإنه علم قائم بذاته ، له وظيفة معينة وطرق وميادين معروفة . ولا يستغني علم اللغة عن الفيلولوجيا ، لأن أهم مصادره هي النصوص اللغوية . والعلاقة وثيقة بين العلمين إلى درجة أن الاستعمال الشائع للكلمتين لا يكاد يفرق بينهما " [1].

ومع أن مصطلح " فقه اللغة " عربي قديم – كما سيتضح لنا – إلا أن عدداً من الباحثين يروق لهم أن يستعملوا مكانه أحياناً مصطلح "فيلولوجيا " أو " فيلولوجي " ، وهو المصطلح الغربي ، بعد تعريبه كما ترى في الكلمة الأولى أو نقله دخيلاً كما في الثانية . ولا نرى ضرورة لذلك ، إذ أن المصطلح العربي الذي ذكرنا منضبط ودال على هذا العلم.

على أن كلمة ( الفيلولوجي ) قد تحددت عند الألمان بدراسة النصوص دراسة تأريخية لمحاولة فهمها ، مع الاستعانة بدراسة الفروع اللغوية الأخرى التي يبحث فيها علم آخر عندهم هو ( علم اللغة ) [2].

غير أن هذا لا يعني أن مباحث فقه اللغة الحديث بعامة وقفت عند هذا اللون من البحث ، بل إنها في الواقع تجاوزته إلى مباحث أخرى ، عبر تأريخ هذا العلم وتطوراته فيذكر فردينان دي سوسور أن فقه اللغة إنما يطلق غالباً على الحركة العلمية التي بدأها فردريك أوكست ولف **Friedrich August wolf** في عام ١٧٧٧م ، والتي استمرت حتى يومنا هذا . كما يذكر أن اللغة ليست الهدف الوحيد لهذه الحركة ، بل إن علماء فقه اللغة اهتموا كذلك بإصلاح النصوص المكتوبة وشرحها والتعليق عليها . وإن هذه الدراسة قد شجعت أصحابها على الاهتمام بالتأريخ الأدبي والعادات والتقاليد والنظم الاجتماعية وغيرها ، كما استخدم هؤلاء العلماء أساليب النقد في دراستهم . وكان هدفهم من هذه الدراسة اللغوية الموازنة بين النصوص التي كتبت في فترات مختلفة ، أن يتبينوا اللغة التي يختص بها كل مؤلف من مؤلفي هذه النصوص ، ولحل رموز عدد من اللغات القديمة الغامضة وتفسيرها [3].

---

١ - رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية ص١٠ .

٢ - فصول في فقه العربية ص٩ .

٣ -فردينان دي سوسور: علم اللغة العام ص١٩ .

## المبحث الأول :

## الفرق بين علم اللغة وفقه اللغة

ليس من اليسير تحديد الفروق الدقيقة بين علم اللغة وفقه اللغة ، لأن أغلب مباحثهما متداخل لدى كثير من علماء الشرق والغرب . وقد أدى هذا التداخل إلى إطلاق إحدى التسميتين على الأخرى ، حتى إن من الباحثين الذين يكتبون في علم اللغة يذكرون البحوث اللغوية المتعلقة بهذا العلم ويتحدثون عنها ، ثم يقولون : وفقه اللغة يشمل معظم البحوث السابقة ، ولا سيما إذا ووزنت هذه البحوث بين لغتين أو لغات متعددة . على نحو ما نجد مثلاً في كتاب ( علم اللغة ) للدكتور علي عبد الواحد وافي[1].

وعند الموازنة نلحظ أن هذه الفروق طفيفة ، فاسم علم اللغة عند الغربيين "Lingulstics" ، أي العلم المختص بالكلام أو اللغة . واسم فقه اللغة عندهم هو "Philology" ، وهي كلمة مركبة من لفظين إغريقيين : هما "Philos" بمعنى الصديق ، و " Logos " بمعنى الخطبة أو الكلام " فكأن واضع التسمية لاحظ أن فقه اللغة يقوم على حب الكلام للتعمق في دراسته من حيث قواعده وأصوله وتاريخه "[2]. فلم يكن فقه اللغة بمنأى عن علم اللغة بل كان وثيق الصلة به ، فمباحثه المتنوعة كما يقول فردينان دي سوسور[3] "

مهدت السبيل لعلم اللغة التاريخي "[4]. بل إن لومل **LOMMEL** يذكر في رسالته التي بعنوان " كيف يدرس علم اللغة " ؟ " إن علم اللغة من أهم الوسائل المساعدة للدراسات

---

[1] – ص١٢ وانظر الصالح: دراسات في فقه اللغة ص١٩ .

[2] – دراسات في فقه اللغة ص٢٠ .

[3] – أشهر لغوي في العصر الحديث ( ١٨٥٧-١٩١٣ ) صاحب مدرسة لغوية متميزة عرفت من بعد بالمدرسة التركيبية أو ( البنيوية ) وكتابه ( علم اللغة العام ) فريد في مادته .

[4] – [illegible]

الفيلولوجية من جانب ، ومن جانب آخر فإنه علم قائم بذاته ، له وظيفة معينة وطرق وميادين معروفة . ولا يستغني علم اللغة عن الفيلولوجيا ، لأن أهم مصادره هي النصوص اللغوية . والعلاقة وثيقة بين العلمين إلى درجة أن الاستعمال الشائع للكلمتين لا يكاد يفرق بينهما " [١].

ومع أن مصطلح " فقه اللغة " عربي قديم ـ كما سيتضح لنا ـ إلا أن عدداً من الباحثين يروق لهم أن يستعملوا مكانه أحياناً مصطلح "فيلولوجيا " أو " فيلولوجي " ، وهو المصطلح الغربي ، بعد تعريبه كما ترى في الكلمة الأولى أو نقله دخيلاً كما في الثانية . ولا نرى ضرورة لذلك ؛ إذ أن المصطلح العربي الذي ذكرنا منضبط ودال على هذا المعنى.

على أن كلمة ( الفيلولوجي ) قد تحددت عند الألمان بدراسة النصوص دراسة تاريخية لمحاولة فهمها ، مع الاستعانة بدراسة الفروع اللغوية الأخرى التي يبحث فيها علم آخر عندهم هو ( علم اللغة ) [٢].

غير أن هذا لا يعني أن مباحث فقه اللغة الحديث بعامة وقفت عند هذا اللون من البحث ، بل إنها في الواقع تجاوزته إلى مباحث أخرى ، عبر تاريخ هذا العلم وتطورته فيذكر فردينان دي سوسور أن فقه اللغة إنما يطلق غالباً على الحركة العلمية التي بدأها فردريك أوكست ولف **Friedrich August wolf** في عام ١٧٧٧م ، والتي استمرت حتى يومنا هذا . كما يذكر أن اللغة ليست الهدف الوحيد لهذه الحركة ، بل إن علماء فقه اللغة اهتموا كذلك بإصلاح النصوص المكتوبة وشرحها و التعليق عليها . وإن هذه الدراسة قد شجعت أصحابها على الاهتمام بالتاريخ الأدبي و العادات و التقاليد و النظم الاجتماعية وغيرها . كما استخدم هؤلاء العلماء أساليب النقد في دراستهم . وكان هدفهم من هذه الدراسة اللغوية الموازنة بين النصوص التي كتبت في فترات مختلفة ، أن يتبينوا اللغة التي يختص بها كل مؤلف من مؤلفي هذه النصوص ، ولحل رموز عدد من اللغات القديمة الغامضة وتفسيرها [٣].

ولا شك أن مثل هذه الدراسات قد مهدت لعلم اللغة التأريخي . وكان عيب فقه اللغة الغربي في هذه الفترة انحصار جل عنايته بدراسة اللغة الإغريقية واللاتينية القديمة[1]. وهو ما أطلق عليه المحدثون اسم ( فقه اللغة الإتباعي ) أو كما يسمى أيضاً ( الكلاسيكي ) ، الذي عني بهاتين اللغتين "من حيث قواعدهما وتأريخ أدبها ونقد نصوصها " . ولا يبتعد مفهوم علمائنا القدامى لفقه اللغة عما نسميه اليوم : فقه اللغة الاتباعي ، إذ أن معظم بحوث هذا العلم عندهم تتعلق باللغة العربية الفصحى من حيث تأريخها وقواعدها ونقد نصوصها ، فقابلت الفصحى عندهم الإغريقية واللاتينية عند الغربيين[2] .

ثم بدأت مرحلة أخرى من مراحل فقه اللغة الحديث ، عندما اكتشف العلماء أن اللغات يمكن الموازنة بينها . وكان هذا الاكتشاف بداية ( فقه اللغة المقارن ) " Comparative philology " ، وقد انصب أكثر هذه الدراسات المقارنة أولاً على الهندية ـ الأوربية ، إلا أن هناك دراسات تتعلق باللغات الرومانسية ، وهي اللغات التي انبثقت عن اللاتينية كالفرنسية والإيطالية والأسبانية والبرتغالية والرومانية[3] وقد بدأ بالدراسات المتعلقة بهذه اللغات الرومانسية (دياز) **Diez** ما بين الأعوام (١٨٣٦ -١٨٣٨) "وساعدت هذه الدراسات من اقتراب علم اللغة من هدفه المنشود " ؛ إذ تميز علماء اللغات الرومانسية من علماء اللغات الهندو ـ أوربية وتفوقوا عليهم في أنهم كانوا يحسنون اللغة اللاتينية ـ اللغة الأم لهذه اللغات ـ من ناحية، وتتوفر لديهم مجموعة كبيرة من النصوص من ناحية أخرى . الأمر الذي أعانهم على "أن يكتشفوا تطور اللهجات الرومانسية المختلفة بصورة تفصيلية " [4] .

وبذلك نستطيع القول أننا عندما نأخذ بهذا الاصطلاح : ( فقه اللغة )، فإننا نتناول في الدراسة المباحث القديمة ، ولكن بأسلوب حديث ، كما نتناول قوانين علم اللغة المعاصر في هذه الدراسة . بل أننا لنلمح في فقه اللغة أحياناً عنصراً مستقبلياً هو ما يصح أن يطلق عليه ( إثراء اللغة ) عن طرائق إنمائها ، وهو مجال نشاط المجامع اللغوية [5] .

---

[1] -المصدر نفسه : المكان نفسه .

[2] -الصالح : دراسات في فقه اللغة ٢٠ .

[3] - علم اللغة العام ص١٩ و٢٢ .

[4] - علم اللغة العام ص٢٢ .

[5] - تمام حسان : الأصول ص ٢٨٩ .

واختص فقه اللغة في الجامعات العربية بدراسة فقه اللغة العربية ، وإن تباينت مناهجه بين الدراسة (الاتباعية) والقديمة ، ومحاولات لتطبيق المناهج الحديثة في الدرس اللغوي . واتسم كذلك بمنهج خاص به مستقل تماماً عن المناهج الأخرى للعلوم المختلفة ، كالتفكير الفلسفي أو الغيبي (الميتافزيقي) أو المنطق الصوري .

وفي ضوء هذا المنهج عُرّف فقه اللغة بأنه " منهج للبحث استقرائي وصفي يعرف به موطن اللغة الأول ، وفصيلتها ، وعلاقتها باللغات المجاورة أو البعيدة ، الشقيقة أو الأجنبية ، وخصائص أصواتها ، وأبنية مفرداتها وتراكيبها ، وعناصر لهجاتها ، وتطور دلالتها ، ومدى نمائها قراءة وكتابة"[1].

كما عُرِّف بأنه : " العلم الذي يحاول الكشف عن القوانين التي تسير عليها — اللغة — في حياتها وسير تطوّرها ، ودراسة ظواهرها المختلفة دراسة تاريخية من جانب ووصفية من جانب "[2].

وفي ضوء هذين التعريفين يتبين لنا أن فقه اللغة تتعلق به ثلاثة علوم هي :

١- التاريخ : وذلك لمعرفة موطن اللغة الأول ، والوشائج التي بينها وبين لغات إنسانية أخرى ، وتنوع لهجاتها ، وتطور خطها وكتابتها .

٢- علم الصوت : ويتعلق بصفات أصوات اللغة ومخارجها ، واختلاف هذه الأصوات بحسب اللهجات المختلفة ، وما يطرأ عليها من تطور نتيجة الظواهر اللغوية المتباينة .

٣- علم الدلالة : ويبحث في معاني ألفاظ اللغة وتطور هذه المعاني بحسب العصور المتعددة ، والظروف المتنوعة : من فكرية وثقافة وسياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية.

أما مجال علم اللغة ، فهو كما يذكر فردينان دي سو سور[3] يجب أن يشتمل على ما يأتي :

---

١ - دراسات في فقه اللغة ص٢١- ٢٢ .

٢ - فصول في فقه العربية ص٩ .

٣ - علم اللغة العام ص ٢٤ .

١- وصف تاريخ اللغات المعروفة كافة ، وذلك بتتبع تاريخ الأُسَر اللغوية وإعادة بناء اللغة الأم لكل أسرة على قدر المستطاع كلغات الجزريّين واللغات الحامية ، واللغات الهندو – أوربية .

٢- تحديد القوى والقوانين التي تعمل بصورة مستمرة في اللغات كلها ، واستنتاج القواعد العامة من جميع الظواهر التاريخية الخاصة .

٣- تحديد معالم علم اللغة وطبيعته .

وبهذا يتبيّن لنا الفارق بين فقه اللغة وعلم اللغة ، من حيث إن الأول يُعنى بلغة من اللغات ، فيدرس تاريخها وأصواتها ودلالة ألفاظها ، على حين يُعنى علم اللغة باللغات كافة ؛ لا بلغة معينة واحدة ، فيتناولها بالدرس من حيث تاريخها وقوانينها وظواهرها العامة المشتركة دون الوقوف عند خاصيّة كل واحدة منها على انفراد ، وفي هذا يقول الدكتور محمود السعران[1] :

" فمع أن اللغة العربية تختلف عن الإنجليزية ، وهذه تفترق عن الفرنسية إلا أن ثمة أصولاً وخصائص جوهرية تجمع ما بين هذه اللغات ، وتجمع ما بينها وما بين سائر اللغات وصنوف الكلام الإنساني ، وهو أن كلاً منها لغة ، أن كلاً منها نظام اجتماعي معين، يتكلمه جماعة معينة ، بعد أن تتلقاه عن المجتمع..." . وعلم اللغة " يستقي مادته من النظر في اللغات على اختلافها . وهو يحاول أن يصل إلى فهم الحقائق والخصائص التي تسلك اللغات جميعاً في عقد واحد " .

ومع هذا الفارق بين فقه اللغة وعلم اللغة من بعض الجوانب ، هناك نقاط اتصال واضحة بينهما ، فكل منهما يقدم للآخر ما يتوصل إليه من بحث، فالبحوث التاريخية المتعلقة باللغات ، وهي مما يعنى به فقه اللغة ، مادة جيدة لعلم اللغة ، ويقابل ذلك أن القوانين العامة التي تتحكم في اللغات بعامة ، وهي التي اكتشفها علم اللغة ، ذات قيمة علمية لمباحث فقه اللغة ، كالبحث في الأصوات ، وتطور الدلالات ، والأثر الاجتماعي والديني والنفسي في اللغة ، وما إلى ذلك . وفي هذا يقول دي سوسور[2] :

---

[1] - علم اللغة ص ٥١ –٥٢ .

" أما علم الفيلولوجيا ( فقه اللغة ) .. فهو يتميز من علم اللغة مع وجود نقاط الاتصال بين العلمين ، والخدمات المتبادلة التي يقدمها كل منهما للآخر ".

ولقد كان منهج البحث في اللغة في القرن التاسع عشر تاريخياً ، مع عناية بالتطور الذي طرأ على اللغات ، ثم صار في القرن العشرين ذا طابع وصفي ؛ فدرس العلماء الخصائص الصوتية للغات ، وكذلك التعبيرية . فتناولت تلك الدراسة عدة مواد لغوية كالأصوات والدلالات والمعجمات ، وهو ما يصح تسميته : " علم الاجتماع اللغوي " .

وقد انطلقوا في ضوء هذه الدراسة الوصفية يعالجون الأصوات الإنسانية بالبحث العميق الجاد ، فقابلوا بين الأصوات اللغوية ، ودرسوا أعضاء النطق . وكان العرب المسلمون قد سبقوهم إلى ذلك في علمين مهمين هما :

علم التجويد وعلم الصرف[1] . فالذي يقرأ كتب التجويد يتبين له قيمة المباحث التي انبثقت من هذا العلم من علوم القرآن ، كالقلب الصوتي المسمى (الإقلاب) ، وهو قلب النون الساكنة والتنوين ميماً – في النطق – إذا جاء بعدهما باء[2] والإدغام ، والغنّة ، والإشمام ، والإمالة ، وتسهيل الهمز ، والتفخيم والترقيق ، كتفخيم الراء واللام أو ترقيقهما في مواضع دون أخرى من القرآن الكريم ، وما إلى ذلك من ظواهر صوتية عرضت لها كتب القراءات القرآنية وكتب التجويد . وبالمثل نجد مثل هذه الدراسات وغيرها في كثير من كتب الصرف ، على نحو ما هو مسطور في كتاب (التصريف الملوكي) لأبي الفتح عثمان بن جنّي (ت ٣٩٢ هـ) ، فهذا الكتاب – على صغره – يعرض لعدة ظواهر صوتية ، كالإدغام والقلب والإبدال والإمالة التي عللها بعلة صوتية دقيقة سماها : تقريب الصوت من الصوت ، ومنها أصوات اللّين التي يحل بعضها محل بعض في كلمات من كلام العرب ، كحلول الكسرة مكان الفتحة في قول بعضهم – وهم بنو أسد – : شِعير ، وزئير الأسد . قال[3] : " فمن ذلك الإمالة ، وإنما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت " . وقال[4] : " ومن ذلك تقريب الصوت مع حروف الحلق ، نحو : شِعير

---

1 الصالح : دراسات في فقه اللغة ص٢٢ .

2 أمثال ( يعني ) و ( من بعدهم ) و ( هشام بن ... ) . ينظر : عبد البديع صقر : التجويد وعلوم القرآن ص٤٧ .

3 التصريف الملوكي ص ٩٨

4 نفسه ص ١٠١ – ١٠٢

ورغيف وبعير وسمعت الشجريّ غير مرة يقول : زئير الأسد ، يريد : الزَّئير " . ومنا إلى ذلك مما أورد في هذا الكتاب .

وأما كتابه القيم (الخصائص) ، فهو مليء بالدراسات والمباحث الصوتية كمدّ الصوت الليِّن القصير ليكون صوتاً طويلاً وهو ما سماه ( مطل الحركات)[2] ، فإذا مدّت الفتحة والضمة والكسرة ، صارت ألفاً وواواً وياء على الترتيب .

وإذا كان فقه اللغة قديماً في تراثنا اللغوي ، كما بيّناه آنفاً ، فقد سبق علم اللغة في دخول جامعاتنا الحديثة . إذ أن هذا العلم الأخير ، الذي يطلق عليه أحياناً اسم ( علم اللغة العام ) " **General linguistics** " ، لم يدخل هذه الجامعات إلا حديثاً ، وبنطاق محدود في أكثر الأقسام التي تعنى بتدريس اللغة العربية ، وقد سبقت مصر غيرها من الأقطار العربية في ذلك ، واستحدثت لدراسته في بعض جامعاتها الأجهزة الصوتية على نحو ما نجد مثلاً في جامعة الإسكندرية .

ويتصل علم اللغة اتصالاً وثيقاً بالعلوم الأخرى من اجل مهماته اللغوية، وهي علوم إنسانية ، وعلوم صِرْفٌ ، فأهم العلوم الإنسانية : علم الأجناس البشرية ( الاثنوكرافي ) ، وعلم ما قبل التاريخ ، وعلم المجتمعات البشرية (الأنثروبولوجي ) ، وعلم الاجتماع ، وعلم النفس الاجتماعي ، والتاريخ والجغرافية . ومن العلوم الصرف : علم فسلجة الأصوات (وظائف الأصوات) وعلم التشريح ، وعلم الوراثة ، وعلم وظائف الأعضاء[3].

على أن القوانين والنتائج التي يأتي بها (علم اللغة) ، ليست لها صفة الحتمية كالقوانين الطبيعية ، مثل الكيمياء ، والهندسة ، وعلوم الحياة ، والرياضيات[4] .

---

[1] - حروف الحلق ستة : هي الهمزة والهاء والعين والغين والحاء الخاء . وحروف الحلق في هذه الكلمات التي مثّل بها ابن جني هي العين والغين والهمزة .

م/ ٢ فقه اللغة العربية

[2] - الخصائص ٣/ ١٤١ .

[3] - فردينان دي سرسور : علم اللغة العام ص٢٤ — ٢٥ والسعران : علم اللغة ص٧٣ .

[4] - السعران : علم اللغة ص ٨ .

## المبحث الثاني :

## أشهر مصنفات القدامى والمحدثين في فقه اللغة العربية

صنف غير واحد من اللغويين القدامى في فقه اللغة العربية . وقد اتّسمت مصنفاتهم بالدقة والاستيعاب لخصائص العربية وموادها وموضوعاتها والإخلاص في كشفها وبيان أسرارها . وقد كان لهم في ذلك فضل كبير على دارسي هذه اللغة الكريمة والباحثين فيها جيلاً بعد جيل إلى يومنا هذا ؛ إذ كانت تلك المباحث النور الذي استضاء به المعاصرون في ما كتبوه في هذا العلم ، وسطّروه من إضافات هنا وهناك ، في موضوعاته المتنوعة ، وذلك بعد التطور الذي حدث في العصر الحديث نتيجة للبحوث اللغوية التي انتهى إليها علم اللغة وفقه اللغة في الغرب والشرق .

وقد انقسمت مصنفات القدامى في فقه العربية على قسمين : قسم يضم مجموعة من مباحث فقه اللغة في كتاب ، والآخر يتناول مبحثاً واحداً فحسب، في كتاب أو رسالة .

وكذلك صنع المحدثون من العرب والمستشرقين ؛ إذ صنفوا كتباً في فقه العربية ، متناولين مباحثه المتنوعة ، محاولين استقصاءها ، ليلم بها الدارسون والمثقفون كما أن عدداً غير قليل منهم صنف في واحد أو أكثر من مباحث هذه المادة .

(١)

### القدامى:

فأما القدامى فإن مصنفاتهم تناولت فقه اللغة ومباحثه المختلفة ، إما بهذا الاسم أو باسم آخر هو : فقه العربية ، أو خصائص العربية أو علوم اللغة ، أو نحو ذلك . وهؤلاء هم الذين صنفوا كتبا . ونذكر من مصنفاتهم:

١ـ الصاحبي في فقه العربية وسنن العرب في كلامها : لأبي الحسين احمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ، أهداه إلى تلميذه اللغوي الأديب الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ) ، ولذلك سماه : الصاحبي [١]. وقد ضمّنه كثيراً من موضوعات فقه اللغة ، مثل : نشأة اللغة العربية ، ولهجات العرب ، وخصائص العربية ، والقياس ، والاشتقاق ، وأثر الإسلام في اللغة ، مشيراً إلى المعنى اللغوي والشرعي ، وماسمّاه : الصناعي . وكذلك المترادف ، وحروف الهجاء ، وحروف المعاني ، واشتقاق أسماء الأشخاص ، وما إلى ذلك .

وكان أبو بكر بن دريد الازدي (ت ٣٢١ هـ) صاحب معجم (جمهرة اللغة) ، قد صنف كتاباً في هذا النوع الأخير من مباحث الصاحبي ، سماه (الاشتقاق)[٢] حاول فيه أن يعثر على أصل اشتقاق كل اسم من أسماء القبائل العربية وأفخاذها وبطونها ، ثم أسماء الأشخاص المرموقين فيها ، من السادات والرؤساء والشعراء والفرسان والحكماء [٣].

وقد عرض ابن دريد في أثناء ذلك لعدة مباحث تتعلق بفقه اللغة ، مثل الاشتراك ، والأضداد ، واحتج في كتابه هذا بشواهد متنوعة ، وخاصة القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، إلى جانب احتجاجه بالشعر والنثر من كلام العرب .

وقد ضمّن ابن فارس كتابه (الصاحبي) نظريته التي ابتدعها في النحت ، وهي التي شاعت بعد ذلك ، واخذ بها غير واحد من القدامى ، كما سنرى إن شاء الله في حديثنا عن النحت في عوامل نمو اللغة العربية ومفاد هذه النظرية أن الألفاظ التي تزيد حروفها على ثلاثة ، أكثرها منحوت من لفظين ، مثل قول العرب (صهصلق) للصوت الشديد ، فهو عنده من (صهل) و (صلق)[٤] ، و (الصلدم) ، أي : الشديد الحافر من الحيوان ، مأخوذ في رأيه من (الصلد) و(الصدم) [٥].

---

١ - طبع في بيروت سنة ١٩٦٣ م طبعة جيدة بتحقيق مصطفى الشويمي .

٢ - طبع هذا الكتاب في القاهرة سنة ١٩٥٨ ، بتحقيق عبد السلام محمد هارون — وهو في مجلد واحد .

٣ - ابن دريد : الاشتقاق ص٣ .

٤ - صَلَقَ : أي صات صوتاً شديداً ( القاموس المحيط ) ٣ / ٢٥٤ .

٥ - ابن فارس : الصاحبي في فقه العربية ص ٢٧١ .

ثم وسّع نظريته هذه في كتابه الآخر (مقاييس اللغة) ـــ وهو معجم مرتب وفق حروف الهجاء ـــ إذ بنى هذا المعجم على هذا الأساس من التصور والفرض في كل مادة رباعية أو خماسية استطاع أن يلحظ فيها ظاهرة النحت . وقد انتهى به هذا الصنيع إلى التكلف في طائفة مما أورد ، وإن دلّ على ضرب من الحيل اللغوية . وسنورد منه أمثلة:

## ٢ـ معجم ( مقاييس اللغة ) لابن فارس :

وهو في ستة أجزاء[١]، اعتمد فيه مصنفه ـــ كما أوضح ذلك في مقدمته ـــ على عدد من المعجمات و كتب اللغة التي سبقته ، كالعين للخليل ، وجمهرة اللغة لابن دريد ، وغريب الحديث ، والغريب المصنف ، لأبي عبيد، إلا أن فيه فكرتين جديدتين ، أشرنا إلى إحداهما آنفاً ، هما : (الأصول) و ( النحت) . فهو في موضوع الأصول يحاول أن يدرج مفردات المادة اللغوية الواحدة تحت أصل أو أكثر [٢].

وقد أوضح هذا في أول معجمه[٣] قائلاً : " إن للغة العرب مقاييس صحيحة وأصولاً تتفرع منها فروع . وقد ألف الناس في جوامع اللغة ما ألفوا ، ولم يُعربوا في شيء من ذلك عن مقياس من تلك المقاييس ، ولا أصل من الأصول " .

وانبرى بعد ذلك يرد كلمات معجمه إلى أصل معنوي أو أصليين أو أكثر من ذلك . ففي (اش) مثلاً أصل واحد ، أوضحه بقوله : " الهمزة والشين يدل على الحركة للّقاء . قال ابن دريد : أشّ القوم يؤشون أشّاً إذا قام بعضهم للشر لا للخير "[٤] . وفي (أص) أصلان ، أي معنيان ، قال : "وأما الهمزة والصاد فله معنيان : أحدهما أصل الشيء ومجتمعه ، والأصل الآخر: الرِّعْدَة " [٥].

وقد تتفرع من أصل واحد عدة فروع مثل ( أم ) الذي " يتفرع منه أربعة أبواب ، وهي : الأصل ، والمرجع ، والجماعة ، والدين " . وهذه الأربعة متقاربة ، فيما يذكر

---

١ - طبع في القاهرة سنة ١٩٦٣ بتحقيق عبد السلام محمد هارون، ثم سنة ١٩٦٩ .

٢ - رمضان عبد التواب : فصول في فقه العربية ص ١٣ .

٣ - ابن فارس : مقاييس اللغة ١/ ٣ .

٤ - مقاييس اللغة ١/ ١ .

٥ - مقاييس اللغة ١ / ١٥ .

ابن فارس . " وبعد ذلك أصول ثلاثة هي : القامة والحين والقصد " [1] . ومعنى ذلك أن لـ ( أم ) أربعة أصول .

كما أشار إلى ما لا يعد أصلاً في العربية لسبب من الأسباب ، من مثل وقوعه ( إتباعاً ) نحو : ( بَيْصَ ) التي هي اتباع لـ ( حَيْصَ ) [2] ، في قول العرب : وقعتُ في حَيْصَ بَيْصَ ، إذ أن معنى الكلمة الأولى : (حيص) ، ما لا خلاص منه ، وليس للثانية (بيص) من معنى ، فقد جيء بها لمجرد الاتباع وإحداث التناسق الموسيقي في العبارة باتفاق إيقاع الثانية والأولى .

وقد يكون السبب في عدم الأصلية تضمن اللفظة لحروف لا يمكن أن تعد أصلاً كالحرف المعتل المهموز . ففي ( خجا ) يقول ابن فارس [3] : "الخاء والجيم والحرف المعتل والمهموز ليس أصلاً ، تقولون : رجل خجأة ، أي : أحمق " . وهناك كلمات ترد مفردة لا يقاس عليها مثل ( ختل ) [4] ؛ قال :
" الخاء والتاء واللام كلمة واحدة لا يقاس عليها " .

فهذه أمثلة للفكرة الأولى الجديدة التي تضمنها معجم مقاييس اللغة . أما الفكرة الثانية ، وهي النحت بالصورة التي رآها وبيناها سالفاً ، فقد كانت هنا أوسع مما هي في الصاحبي ، على ما بيّنا ، فمن ذلك قوله في (البحتُر)، إنه منحوت من ( بَتَر) و (حَتَرَ) ، أي ضيق على غيره . فهذا الذي وصف بهذا الوصف ، لم يُعْطَ ما أعطيه الطويل [5] .

**٣ـ فقه اللغة وسرّ العربية : لأبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ)** . وهو كتاب صغير الحجم إلى حد ما [6] ، إلا انه جمّ الفائدة . وليس الكتاب كله في فقه اللغة ، وإنما القسم الثاني منه حسبُ ، وهو الذي سماه "سرّ العربية". أما القسم الأول منه فهو معجم للمعاني ، وهو أكثر الكتاب . وهو عادة يبدأ في هذا القسم ببيان معنى عام ، ثم يذكر تحته

---

[1] - مقاييس اللغة ١ / ٢١ .

[2] - مقاييس اللغة ١ / ٣٢٦ .

[3] - مقاييس اللغة ٢/ ٣٢٧ .

[4] - مقاييس اللغة ٢ / ٢٤٦ ..

٤ ـ مقاييس اللغة ١ / ٣٢٩، وانظر : في فقه العربية ص ١٣ .

[6] - طبع في القاهرة سنة ١٩٥٩م ، وطبع بعد ذلك طبعة ناقصة حذف منها ما يتعلق بمادة فقه اللغة وهو لقسم الثاني من الكتاب .

ما يتعلق به من مفردات اللغة، مرويّ أغلبها عن أئمة اللغة الكبار ومعزوة اليهم، كأبي عمرو بن العلاء وأبي عبيدة وأبي عبيد .

أما القسم الثاني المتعلق بفقه اللغة، فقد تضمّن مباحث في العربية متنوعة : بلاغية ولغوية ونحوية، بل صرفيه أحياناً .

فمن مباحثه اللغوية المتعلقة بفقه اللغة بمعناه الدقيق بحثه في (المشترك اللفظي)، وقد سماه (وقوع اسم واحد على أشياء مختلفة)[1]، والابدال[2]، والقلب اللفظي والصوتي، والأضداد، والنحت، والاتباع . ويلحظ أن المادة في هذا القسم الثاني غير مرتبة بحسب المواد التي ذكرنا من نحو وبلاغة وصرف وفقه لغة، وإنما يختلط بعضها ببعض .

( الخصائص ) : لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي البغدادي (ت ٣٩٢ هـ)، وهو من كتب اللغة القيمة، وقد ضم طائفة من مباحث اللغة والنحو والصرف . وقد هيأت لذلك ثقافة المصنف الممتازة وعلميته الواسعة، وتذوقه للغة، وغوصه في أعماقها، مستمداً من مشاهير اللغويين وخاصة شيخه أبا علي النحوي (ت ٣٧٧ هـ)، الذي يذكره في هذا الكتاب مراراً، راوياً عنه، أو مناقشاً آراءه .

وكانت مباحث فقه اللغة في هذا الكتاب وفيرة ودقيقة، فمنها : القول على اللغة وما هي، والقول على أصل اللغة إلهام هي أم اصطلاح ! وسنعرض لذلك عند الكلام على نشأة اللغة في المبحث القادم، ومنها ما قيس على كلام العرب، والفصيح يجتمع في كلامه لغتان فصاعداً، وما يرد عن العربي مخالفاً لما عليه الجمهور، وتركب اللغات وهو الذي يسمى أيضاً : تداخل اللغات، فهذا ما يلقانا به ابن جني في الجزء الأول من الخصائص، وإذا تابعناه في الجزأين الآخرين ألفيناه يعرض لجملة مباحث تتعلق بفقه اللغة أيضاً، نذكر منها على سبيل المثال ونختار : اختلاف اللغات وكلها حجة، والاشتقاق الأكبر، في الجزء الثاني، وكمية الحركات ومطل الحركات، ومطل الحروف، وفي حذف الهمز وإبداله، في الجزء الثالث ولسنا هنا في مجال تفصيل القيمة اللغوية لهذا الكتاب، وما حواه من بحوث قيمة متنوعة في فقه العربية، وإنما غرضنا التنويه به بما يدل على قيمته .

[1] الثعالبي : فقه اللغة ص ٥٦٢ .

[2] فقه اللغة ص ٥٦٤ وما بعدها .

٥- (المخصَّص) : لابن سيدة الأندلسي (ت ٤٥٨ هـ) ، وهو معجم في المعاني[1] وقد تضمن عدة بحوث في فقه اللغة ، كالاشتراك ، والترادف ، والاشتقاق ، والتعريب ، والقصر والمد...

٦- (المزهر في علوم اللغة وأنواعها ) ؛ لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) وهو كتاب جليل[2] ، تناولت مباحث كثيرة في فقه اللغة ، مثل : نشأة اللغات ، والغريب والحوشي ، ولغات العرب ، والمستعمل والمهمل من كلامهم ، وتداخل اللغات وتوافقها ، والمعرّب والدخيل ، والألفاظ الإسلامية ، والمولَّد والإبدال لدى العامة ، كإبدال الأصوات الصامتة بأخرى مثلها ، وإبدال حروف اللين القصيرة بأخرى ، من مثل إبدال الضمة بالفتحة والكسرة بالضمة ، ومعرفة خصائص اللغة ، وإن العربية أوسع اللغات وأفضلها ، والاشتقاق والمشترك ، والمترادف ، والاتباع ، والأضداد ، والقلب[3] وما إلى ذلك . وقد استقاها السيوطي من عدد كبير من المصادر اللغوية التي سبقته تشعرنا بذلك النقول الكثيرة التي أوردها . وأول ما يطالعنا نص من كتاب (الصاحبي) لابن فارس ، وهو شيء من مقدمة ذلك الكتاب الذي بيّن فيه ابن فارس محتويات كتابه ومنهجه بعامة في تأليفه[4].

فهذه من اشهر الكتب التي ألفت متضمنة عدة مباحث في فقه اللغة العربية، اوردنا منها أمثلة لما هو أظهر وأشهر ، دون أن نتوخى إحصاءها .

وأما الكتب القديمة التي اختصت ببحث من مباحث فقه اللغة ، فهي كثيرة، نورد أشهرها بإيجاز :

١- (الأضداد) لأبي حاتم السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) نشره المستشرق هفنر في بيروت سنة ١٩١٣ م ، ضمن ثلاثة كتب في الأضداد .

٢- (الأضداد) ليعقوب بن السكيت (ت٢٤٤ هـ) ضمن ثلاثة كتب في الأضداد.

---

[1] - طبع في بولاق سنة ١٣١٦ - ١٣٢١ هـ .

[2] - طبع في القاهرة بتحقيق محمد احمد جاد المولى ورفيقيه بجزأين ضخمين سنة ١٩٥٢ .

[3] - ينظر على سبيل المثال الجزء الأول من المزهر .

[4] - المزهر ١/ ٤ وما بعدها .

٣ـ (الأضداد) : لأبي بكر بن ألا نباري (ت ٣٢٨ هـ) طبع في الكويت سنة ١٩٦٠ بتحقيق أبي الفضل .

٤ـ (الأضداد) : للصاغاني (ت٦٥٠ هـ) نشره هفنر ، ضمن ثلاثة كتب في الأضداد .

٥ـ (الأضداد من كلام العرب) ، لأبي الطيب اللغوي (ت ٣٥١ هـ) ، حققه الدكتور عزة حسن ، وطبع سنة ١٩٦٣م ، ضمن مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق .

٦ـ (الأضداد) : لابن الدهان (ت ٥٦٩ هـ) حققه الدكتور عزة حسن ، وطبع سنة ١٩٦٣م ضمن مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق .

فهذه من الكتب التي ألفت في الأضداد .

٧ـ (ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد) ، لمحمد بن يزيد المبرد ، وهو مطبوع في المطبعة السلفية في القاهرة سنة ١٣٥٠هـ ، وبتحقيق عبد العزيز الميمني .

٨ ـ (الإبدال) ، لابن السكيت ، طبع في القاهرة سنة ١٩٧٨، بتحقيق الدكتور حسن محمد شرف ، بعد طبعة هفنر سنة ١٩٠٣ .

٩ـ (الإبدال) ، لأبي الطيب اللغوي ، نشر في دمشق سنة ١٩٦٠، بتحقيق عز الدين التنوخي .

فأنت ترى أن كتاب المبرد في المشترك اللفظي ، والكتابين الآخرين في الإبدال اللغوي .

١٠ـ (المعربَ من الكلام الأعجمي) ، لأبي منصور الجواليقي (ت ٥٣٩ هـ) طبع في مطبعة دار الكتب في القاهرة بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر سنة ١٣٦١هـ ، وهو كما ترى يتناول المعرّب من الألفاظ التي في العربيّة.

١١ـ الفروق في اللغة ، لأبي هلال العسكري (٣٩٥ هـ) ، طبع في بيروت سنة ١٩٧٣.

وهذا الكتاب معجم في بيان الفروق المعنوية بين طائفة كبيرة من الألفاظ التي تبـدو أنها متفقة الدلالة تماماً . وقد أوردها المصنف من دون ترتيب ، بل كيف ما اتفق لـــه . وهو من الكتب النادرة في موضوعه .

١٢ـ **(لغات العرب)** ، رواية ابن حسنون المقرئ عن ابن عباس ، طبع الكتاب بتحقيــق الدكتور صلاح الدين المنجّد طبعتين الثانية منهما في بيروت سنة ١٩٧٢ .

هذه طائفة من أشهر الكتب التي تناولت بالدرس موضوعاً من موضوعات فقه اللغة، لدى القدامى من اللغويين .

## المُحْدَثون:

أما المُحْدثون فلهم مصنفات في فقه اللغة أيضاً ، وقد أفادوا من الدراسات القديمة ، والدراسات الحديثة معاً . ودرس عدد منهم علم اللغة الحديث في بلاد الغرب ، واستعان غير واحد منهم بالأجهزة الصوتية الحديثة في دراسة علم الأصوات اللغوية . وقد انقسمت مصنفاتهم أيضاً على قسمين: قسم يتناول مجموعة من مباحث فقه اللغة في كتاب ، وآخر يتناول موضوعاً منه .

وقد توفرت في المكتبة العربية اليوم عدة كتب تبحث في موضوعات فقه اللغة العربية المتنوعة ، كالأصوات ، واللهجات ، والدلالات ، وللدراسات الجامعية مكان فسيح في هذا النوع من الدراسات ، تجلّى في رسائل للماجستير والدكتوراه في الأقطار العربية والأوربية . وأشهر الكتب المؤلفة في فقه اللغة في العصر الحديث ، وما يتعلق بالدرس اللغوي[1] بعامة :

١ـ الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية ، لجرجي زيدان . وقد طبع أربع طبعات ، آخرها في بيروت سنة ١٩٨٢، بمراجعة وتعليق الدكتور مراد كامل.

٢- اللغة العربية لحفني ناصف .

٣- اللغة العربية كائن حي ، لجرجي زيدان .

٤ ـ علم اللغة ، للدكتور علي عبد الواحد وافي .

٥ ـ فقه اللغة ، للدكتور علي عبد الواحد وافي .

٦ ـ من أسرار اللغة ، للدكتور إبراهيم أنيس .

٧ ـ في اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس .

---

[1] - أورد الدكتور رمضان عبد التواب طائفة كبيرة من هذا النوع من الكتب ، ينظر كتابه : فصول في فقه العربية ص١٥ وما بعدها .

٨ ــ دلالة الألفاظ ، للدكتور إبراهيم أنيس .

٩ ــ الأصوات اللغوية ، للدكتور إبراهيم أنيس .

١٠ ــ المباحث اللغوية في العراق ، للدكتور مصطفى جواد .

١١ ــ نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها ، للأب أنستاس الكرملي .

١٢ ــ الاشتقاق ، لعبد الله أمين .

١٣ ــ الاشتقاق والتعريب ، لعبد القادر المغربي .

١٤ ــ فقه اللغة ، لمحمد المبارك .

١٥- دراسات في فقه اللغة ، للدكتور صبحي الصالح .

١٦- فصول في فقه اللغة العربية ، للدكتور رمضان عبد التواب .

١٧- علم اللغة ، للدكتور محمود السعران .

١٨- محاضرات في اللغة ، للدكتور عبد الرحمن أيوب .

١٩ــ فقه اللغة المقارن ، للدكتور إبراهيم السامرائي .

٢٠ــ التطور اللغوي التاريخي ، للدكتور إبراهيم السامرائي .

٢١ــ دراسات في علم اللغة ، للدكتور كمال بشر .

٢٢ــ علم اللغة العام (الأصوات) الدكتور كمال بشر .

٢٣ــ الساميّون ولغاتهم ، للدكتور حسن ظاظا .

٢٤ــ اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، للدكتور عبده الراجحي .

٢٥ــ القراءات واللهجات ، لعبد الوهاب حمودة .

٢٦ــ من تراثنا اللغوي القديم : ما يسمى في العربية بالدخيل ، لطه باقر .

٢٧ــ التفكير اللساني في الحضارة العربية، للدكتور عبد السلام المسدّي .

٢٨ـ اللغة والحضارة ، للدكتور مصطفى مندور .

٢٩ـ محاضرات في علم النفس اللغوي ، للدكتور حنفي بن عيسى .

٣٠ـ في فلسفة اللغة، كمال يوسف الحاج .

٣١ـ في علم اللغة العام، للدكتور عبد الصبور شاهين .

٣٢ـ القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، للدكتور عبد الصبور شاهين .

٣٣ـ نظريات في اللغة، أنيس فريحة .

٣٤ـ نظرات في اللغة والنحو ، لطه الراوي .

٣٥ـ الكتابة العربية السامية، للدكتور رمزي بعلبكي .

٣٦ـ فقه اللغة ، للدكتور محمد خضر .

٣٧ـ مدخل إلى علم اللغة، للدكتور محمود فهمي حجازي .

٣٨ـ فقه اللغة العربية وخصائصها، للدكتور إميل بديع يعقوب .

٣٩ـ دراسات الكلمات غير العربية، حمزة فتح الله .

٤٠ـ تأثر العربية باللغات اليمنية القديمة ، هاشم الطعّان .

٤١ـ الأضداد في اللغة ، للدكتور محمد حسين آل ياسين .

٤٢ـ الوجيز في فقه اللغة ، لمحمد الأنطاكي .

٤٣ـ دراسات في فقه اللغة العربية ، للدكتور السيد يعقوب بكر .

٤٤ـ علم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة ، للدكتور محمود فهمي حجازي .

٤٥ـ علم اللغة العربية ، للدكتور محمود فهمي حجازي .

٤٦ـ فقه اللغة في الكتب العربية ، للدكتور عبده الراجحي .

٤٧- سرّ الليالي في القلب والإبدال ، لأحمد فارس الشدياق .

٤٨- دراسة الصوت اللغوي ، للدكتور أحمد مختار عمر .

٤٩ ــ محاضرات في علم اللغة ، للدكتور أحمد مختار عمر .

٥٠ ــ مقدمة لدراسة فقه اللغة ، محمد أحمد أبو الفرج .

٥١ ــ دلالة الألفاظ العربية وتطورها، للدكتور مراد كامل .

٥٢ ــ اللهجات العربية الحديثة في اليمن ، للدكتور مراد كامل .

٥٣ ــ لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، للدكتور عبد العزيز مطر .

٥٤ ــ آراء في اللغة ، لأحمد عبد الغفور عطار .

٥٥ ــ خصائص العربية ومنهجها الأصيل في التجديد والتوليد ، لمحمد المبارك .

٥٦ ــ عبقرية اللغة العربية، لمحمد المبارك .

فهذه نخبة من الكتب التي بحثت في فقه اللغة وعلم اللغة والدراسات اللغوية بعامة.

ويضاف إلى ذلك مئات البحوث والمقالات المتعلقة بهذه الدراسات منشورة في الدوريات العربية والأجنبية ، وخاصة مجلات المجامع اللغوية العربية ، والمؤسسات اللغوية العربية مثل المنظمة العربية للثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية ، التي تصدر مجلة (اللسان العربي) متضمنة معاجم لغوية متنوعة في أجزاء منها ، وبحوثاً لغوية متباينة في أجزاء أخرى . وهي تصدر الآن في المغرب . فضلاً عن البحوث اللغوية في المجلات الجامعية التي تصدر في عدة أقطار عربية .

أما المستشرقون أو كما يطلق عليهم أيضا : المستعربون ، فلديهم أبحاث متنوعة في فقه العربية نذكر منها على سبيل المثال :

١ــ العربية ــ ليوهان فك .

٢ــ تاريخ اللغات السامية لولفنسون .

٣ــ دروس في علم الأصوات العربي، لجان كانتينو .

٤ــ اللغات السامية ، لنولدكة .

٥ــ في سبيل دراسة فقه اللغة العربية ، لبولد برونلة .

٦ـ اللغة العربية واللغات السامية ، لنتيل.

٧ـ العربية فقهاً وأدباً، لشبولير .

٨ ـ مخارج الأصوات في اللغة العربية ، لفيشر .

٩ ـ اللهجات العربية ، لأنوليتمان .

١٠ـ فقه اللغات السامية ، لهومل .

١١ـ مقام العربية من اللغات السامية ، فرانز روزنتال .

١٢ـ فقه اللغة العربية، لميكلا نجلو جويدي .

١٣ـ فقه اللغة العربية، لبرتلس .

١٤ـ دراسات في الصوتيات العربية ، للأب فليش [١].

١٥ـ علم الأصوات ، لمالمبرك

١٦ـ علم اللغة العام ، فردينان دي سوسور .

[١] - لزيادة الاطلاع على مؤلفات المستشرقين، راجع : الجهود اللغوية خلال القرن الرابع عشر الهجري، تنظيم الدكتور عفيف عبد الرحمن ص ٤٢١ – ٤٦١ ، ففيه كثير مما لم نذكره .



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

# آراء في نشأة اللغة

## (١)

**محاولات قديمة :**

لم ينل بحث لغوي قدراً من النظر والتأمل والتفكير، مثل الذي ناله نشأة اللغة . ومع كل ذلك لم يجمع الباحثون والعلماء قديما وحديثاً على رأي في هذا الموضوع ، على الرغم من كل ما بذلوه من جهود لأجل ذلك ، وكان اللغويون القدامى في العربية — على دأبهم في البحث وجلدهم عليه — لم ينتهوا إلى قول قاطع فيه . وكانوا يشعرون بدقة البحث فيه ، حتى إن أبا الفتح بن جني[1] قال في مستهل كلامه عليه : " هذا موضوع مُحْوِجٌ إلى فضل تأمل ".

فالبحث في نشأة اللغة قديم ، وهو في تراثنا له حديث ، لعله فاق عناية المعاصرين، وذلك لاتصاله في تصور القدامى بالعقيدة الدينية . ولكننا إذا سبرنا غور البحث في هذا الموضوع ، ألفيناه يمتد في أعماق التاريخ القديم ، وينال من المفكرين القدامى عناية واضحة .

فقد حاول أحد الفراعنة المسمى (أيسمتيك) أن يثبت أن اللغة المصرية القديمة أقدم لغات العالم ، فعزل طفلين عزلاً تاماً عن الناس ، وانتظر شهوراً أن ينطقا بكلام ، ولكن ظنه خاب حين سمعهما ينطقان بكلمة من لغة أخرى هي (الفريجية) ، إحدى لغات العالم القديمة — وهذه الكلمة هي "BECOS" ،
ومعناها: الخبز [2].

وكانت عناية الإغريق باللغة دافعاً لهم للتأمل في أصلها وتاريخها ونظامها[3]. وقد حاول أفلاطون الفيلسوف اليوناني الشهير أن يبحث في نشأة اللغة ، وكيف اهتدى الإنسان

---

[1] - الخصائص ١ / ٤٠ .

[2] - إبراهيم أنيس : دلالة الألفاظ ص ١٣-١٤ .

[3] - السامرائي ، التطور اللغوي التاريخي ص ١٤ .

في عصوره السحيقة إليها . فكان من القائلين بأن اللغة (إلهام)[1] ومقدرة فطرية يكتسبها الفرد منذ الخلق . على حين كان أرسطو يذهب إلى العكس ، فيرى أن اللغة (اصطلاح) ، وذلك بأن تتواضع مجموعة من البشر في مكان ما على الاتفاق بينها على طائفة من الألفاظ التي ينظمها نظام خاص . فهو على هذا بخلاف رأي أستاذه .

وارتبط هذا الخلاف بين الفيلسوفين الكبيرين بخضوع اللغة للقواعد أو عدم خضوعها في نظر تلامذة كل منهما ، ونشأ عن ذلك وجود مدرستين لغويتين متضادتين ، أحدهما مدرسة القياسيين أو النظريين "Amologistes" والأخرى مدرسة الوضعيين أو الشذوذيين "Amomalistes" فكان أولئك يرون اللغة قياسية ومنطقية في أصل تكوينها ، وزعيمهم أرسترلخوس من سكنة الإسكندرية في القرن الثاني أو الثالث قبل الميلاد ، على حين ترى المدرسة الثانية التي يتزعمها كراتيس أن اللغة فطرة إنسانية ، وأنها لا يمكن أن تنظمها قواعد أو قوانين ثابتة ، ويتبع هؤلاء آراء أفلاطون ، ومن آرائه يستمدون مادة نظريتهم .

وكان اعتقاد القياسيين بأن اللغة اصطلاح ، ونظام وضعته الجماعة البشرية السبب في ذهابهم إلى القول بأنه لا بد من قواعد مطردة [2].

وبذلك يتبين لنا أن للنظر في نشأة اللغة علاقة للقول بمنطقيتها وخضوعها للقياس والتقعيد ، وهو ما عرف لدى الإغريق في جهودهم اللغوية.

وذهب الفيلسوف هيراقليط (٥٨٠ ق.م ــ ٥٤٠ ق.م) إلى أن اللغة إلهام هبط على الإنسان فعلّمه النطق وأسماء الأشياء ، وذهب ديمقراط ــ من القرن الخامس قبل الميلاد ــ إلى أن نشأة اللغة كانت بالاصطلاح [3].

فمما مر يبدو لنا أن هذا الموضوع كان في الفكر الفلسفي القديم يتنازعه طرفان : أحدهما يذهب إلى الإلهام ، والآخر إلى الاصطلاح . وفي نهاية القرن الثاني عشر للميلاد

---

١- السامرائي ، التطور اللغوي التاريخي ص ١٤ .

٢- التطور اللغوي التاريخي ص١٤ - ١٥ .

٣- تنظر حاشية مراد كامل على كتاب : الفلسفة اللغوية لجرجي زيدان ص ١٣١ - ١٣٢ .

حاول فردريك ملك صقلية مثل تلك المحاولة التي بدأها (أيسمتيك) في مصر من قبل . وتبعه في القرن الخامس عشر جيمس الرابع ملك اسكتلندا [1].

## (٢)

## في الأديان السابقة :

تفرد كتاب (العهد القديم) ــ أو كما يسمى : التوراة ــ من بين الكتب الدينية السابقة للقرآن ، بأن فيه إشارة إلى نشأة اللغات . ففي الإصحاح الحادي عشر من سفر التكوين[2]، نقرأ في قصة بابل أن الأرض كانت قبل طوفان نوح عليه السلام : " كلها لساناً واحداً ولغة واحدة " ، وأنهم في ارتحالهم شرقاً وجدوا بقعة في أرض (شنعار) ، وسكنوا هناك وبنوا مع أبنيتهم برجاً عالياً ، وقالوا نصنع لأنفسنا اسماً " لئلا نتبدد على وجه الأرض".

وزعم العبرانيون أن لغتهم أقدم اللغات ، وإن الله سبحانه علمها آدم بعد خلقه إياه . وبنوا ذلك على ما جاء في الإصحاح الثاني من سفر التكوين[3]، مع أن هذا السفر لا يدل على ذلك مطلقاً ؛ لأن الذي فيه : أن الله علم آدم أسماء الأحياء من عناصر الطبيعة ، دون أن ينص على ماهية اللغة التي علمه إياها . فقد جاء فيه : " وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرّية ، وكل طيور السماء ، فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها . وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها . فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية " .

فتعلّق العبرانيون إذاً بهذا النص في إثبات دعواهم ، كمن تعلق بسراب ، ولا نجد لذلك تعليلاً إلا روح التعصب الذي عرف لديهم حتى زعموا انهم شعب الله المختار ، ولا دليل من عقل أو علم على ما زعموا ويزعمون . ومهما يكن من أمر ، فإن بعض باحثي القرن الثامن عشر أبطل هذا الزعم ، منطلقا في ذلك من دافع علمي صرف ، غير مشوب

---

[1] - إبراهيم أنيس : دلالة الألفاظ ص ١٣ .

[2] - الآيات من ١ – ٩ .

[3] - الآيتان : ١٩و ٢٠ .

بأية نزعة تعصبية عمياء . ففي سنة ١٧١٠ نشر (ليبنز) في مجلة أكاديمية برلين مقالا قرر فيه أن اللغات لم تؤخذ من العبرانية " وأن لا بد من تقسيم هذه المجموعة اللغوية الكبيرة إلى مجموعات لكل مجموعة منها صفاتها الخاصة التي تتميز بها " ، وقد أشار إلى مجموعتين هما : الهندية الأوربية ، والأورالية الألتية[1]. وسيرد الكلام عليها في الفصل الخاص باللغات إن شاء الله .

(٣)

## لدى اللغويين والمفكرين المسلمين :

للغويين والمفكرين المسلمين نظرات وآراء في نشأة اللغات . ولم تكن تلك الآراء والنظرات متأثرة بعوامل خارجة عن دائرة التصور الإسلامي له، بل كانت تتبع دائماً من الآثار الإسلامية الواردة في هذا الموضوع ، ومن تفكيرهم الذاتي الذي أداهم إلى تكوين وجهة عقلية خاصة بهذا الموضوع .

وقد دارت بحوثهم في نشأة اللغة على ثلاثة محاور ، واتخذت ثلاث وجهات :

**الأولى : التوقيف**

وهي محافظة ، وربما هي أكثرها شيوعاً وشهرة في الأوساط اللغوية ، وهي أن اللغة (توقيف) ، أو كما يعبر عنه أيضاً : (وحي)[2]. ومعنى ذلك أنها من عند الله تعالى ، وليست من وضع البشر . وأكثر الذين ذهبوا إلى هذا الرأي كانوا من أهل السنة، وقدامى متكلمي المعتزلة . فمن السنة أبو الحسن الأشعري (ت ٣٣٠ هـ) وأبو الحسين أحمد بن فارس ، ومن المعتزلة أبو علي الجُبّائي (ت ٣٠٣ هـ) وعلي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤ هـ) . وتجلى رأي ابن فارس في كتابه اللغوي الشهير (الصاحبي في فقه اللغة

---

[1] - التطور اللغوي التاريخي ص ١٨ .

[2] - ينظر هذا المصطلحان في : الخصائص ١/ ٤٧ .

العربية) ، الذي ألمحنا إليه سالفاً . وكانت حججه وحجج القائلين بهذا الرأي نقليه وعقلية معاً.

((وعلم آدم الأسماء كلها))

## الأدلة النقلية

احتج القائلون بالتوقيف بأدلة نقليه عمادها النصوص الإسلامية من القرآن والحديث . فإذا قرأنا كلام ابن فارس في ذلك ألفيناه يحتج بقوله تعالى: { **وعلّم آدم الأسماء كلّها** } (البقرة :٣١) : وقد وجد في بعض الآثار الإسلامية سنداً لذلك ، وهو ما روي عن عبد الله بن عباس ، من أنه كان يقول في تفسير هذه الآية الكريمة : علّمه الأسماء كلها ، وهي هذه الأسماء التي يتعارفها الناس : من دابة ، وأرض ، وسهل ، وجبل ، وجمل، وحمار ، وأشباه ذلك . كما وجد فيما روي عن مجاهد بين جبر المكي (ت ١٠٣ هـ) ـ وهو من اكبر تلاميذ ابن عباس ـ سنداً لما ذهب إليه ، وهو أن مجاهداً قال : علّمه اسم كل شيء.

وأشار ابن فارس كذلك إلى ما روي عن غيرهما ، من أنهم قالوا : علّمه أسماء ذريته أجمعين . وهذا وجهان ـ كما ترى ـ في تأويل لفظة (الأسماء) الواردة في الآية. وقد رجّح قول ابن عباس [1]. وهو بلا شك أعمّ من الوجه الثاني الذي خص الأسماء بالذرية .

ولاحظ ابن فارس كما لاحظ غيره أيضاً ، إن التعبير عن الأسماء ، وهي أسماء الأشياء ، قد جرى بالضمير (هم) ، وهو ضمير يعبر به في العربية عن العقلاء دون غير العقلاء . فبيّن أن ذلك لا يعارض ما ذهب إليه بحال ، وهو قوله تعالى بعد ذلك : { **ثم عرضهم على الملائكة** } ، بدلاً من قوله :{**ثم عرضهن...**} ، إذ أن ذلك ، يقول ـ والله اعلم ـ جار على أسلوب من أساليب العرب معروف ، وهو (التغليب) ، وذلك نظير قوله تعالى في آية أخرى : {**والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع**[2]} ( النور : ٤٥ ) .

---

[1] -- الصاحبي ص ٣١ -- ٣٢ .

[2] -الصاحبي ص ٣٢ .

والذي قصده ابن فارس أن الله سبحانه غلّب في الآيتين كلتيهما العاقل على غير العاقل ، عندما اجتمعا معاً في صفة واحدة وسياق واحد . فقال في الآية الأولى {عرضهم}، وقال في الثانية {منهم} ، بدلاً من قوله : {عرضهن} و {منهنّ} . وهذا هو التغليب البلاغي اللغوي ، وهو هنا في الآيتين تغليب الأفضل على ما هو دونه في الخلق والتكوين . وهو تخريج ذهب إليه غير واحد من اللغويين والمفسرين ، ومنهم معاصر ابن فارس ، الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) في أماليه [1]، وأبو جعفر الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) في تفسيره [2]، وكأنهم استمدوا ن الزجّاج [3]، (ت ٣١١ هـ) . وهذا التأويل للفظة (الأسماء) في الآية الكريمة هو السائد في الأوساط الإسلامية ، وهو أشهرها ، وقد روي أيضاً عن الإمام جعفر الصادق ( ت ١٤٠ هـ) . وفي ذلك يقول الراوي : " سألته عن قول الله : وعلّم آدم الأسماء كلها ، ماذا علّمه ؟ قال : الأرضين والجبال والشعاب والأودية . ثم نظر إلى بساط تحته فقال : وهذا البساط مما علّمه [4] ".

وليس في الإشارة إلى البساط ، بعد ذكر هذه الأشياء ، إلا التنبيه على أن الله تعالى علّم آدم أسماء كل ما كان حوله من الأشياء التي يحتاجها أو يراها .

على أن هنالك خلافاً في ماهية هذه الأسماء — وإن كان الأشهر ما ذكرنا سالفاً في تفسيرها — بين القائلين بالتوقيف أنفسهم ، فمنهم من قال: علّمه أسماء جميع الأشياء على ما ذكرنا آنفاً ، وهو رأي ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبر وجعفر الصادق . وذهب من المعتزلة أبو علي الجُبّائي وعلي بن عيسى الرماني وغيرهما ، إلى أنه تعالى علم آدم أسماء الأشياء كلها ما خلق وما لم يخلق ، بجميع اللغات التي يتكلم بها أولاده بعده .

قالوا : فأخذ عنه أولاده اللغات ، فلما تفرّقوا تكلم كل قوم بلسان ألفوه واعتادوه ، وتطاول الزمان على ما خالف ذلك فنسوه ، وقيل : علّمه أسماء الملائكة وأسماء ذريته . وقد روي ذلك عن التابعين : الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد [5]. وهذا الرأي يراه الدكتور إبراهيم أنيس [6] ملائماً ومسايراً لأحدث ما ينادي به اللغويون في عصرنا الحاضر،

---

[1] - أمالي المرتضى ١/ ٧٥ .

[2] - التبيان في تفسير القرآن ١/ ١٣٨ .

[3] -معاني القرآن وإعرابه ١/٧٨ .

[4] - تفسير العياشي ١/ ٣٢-٣٣ .

[5] - الطوسي : التبيان ١/ ١٣٨ .والطبرسي : مجمع البيان في تفسير القرآن ١ /١٦٨ .

[6] - دلالة الألفاظ ص ٣٧ .

وهو الرأي الذي يفسّر الأسماء في الآية بمعنى الأعلام ، على الوجه الذي ذهب إليه هذا التابعيان . وقيل : علّمه فوائد الأشياء التي حوله وخواصها ، وهي أن الفرس يصلح لأي شيء ، والحمار يصلح لأي شيء؟[1] ..

واحتج آخرون غير ابن فارس على التوقيف في نشأة اللغات بنص قرآني آخر غير الذي أوردنا . فقالوا : إن الله تعالى ذم قوماً في إطلاقهم أسماء من عندهم فقال تعالى : **{ إنْ هي إلا أسماءٌ سمَيتموها انتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان }** ( النجم:٢٣) ، فقال هؤلاء ، وذلك يقتضي كون بقية الأسماء توقيفية ، وهي تلك الأسماء التي لم يُسمّوها[2]. واحتجوا أيضاً بقوله تعالى : **{ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم}** (الروم :٢٢) ، فقالوا : إن الألسنة بمعنى الأعضاء ليست هي المراده في الآية ؛ لأنها لا تختلف ، ولأنّ بدائع صنع الله في غيرها أكثر، وإذاً فالمراد بها (اللغات) من حيث إن اللفظ مشترك بين اللسان العضو واللسان اللغة [3]. ورأوا أن اختلاف اللغات من فعل الله ووحيه ، وليس من وضع البشر واصطلاحهم . وكأنهم لحظوا في هذا أن اختلاف الألسنة قد ورد في سياق واحد مع آيات الله وعلامات وجوده المتمثلة في خلق السموات والأرض ، وتباين الألوان في البشر ، فجعلوا لاختلاف الألسنة هذا الحكم نفسه، وجعلوها من خلقه وتوقيفه ووحيه .

**مناقشة هذه الوجهة :**

ناقش عدد من اللغويين وغير اللغويين حجج القائلين بالتوقيف ، ونعني بهم أولئك الذين يذهبون إلى القول بـ (الاصطلاح) في نشأة اللغة ، وهو الاتجاه الثاني الذي سيرد الحديث عنه فيما هو آت .

ولعل السيوطي خير من أوضح ذلك ، فقد أجاب عن الحجة الأولى من حجج أصحاب التوقيف ، وهي الآية الكريمة : **{ وعلّم آدم الأسماء كلها }** بقوله : " لِمَ لا يجوز أن يكون المراد من تعليم الأسماء الإلهام إلى وضعها ؟ ولِمَ لا يجوز أن تكون هذه الألفاظ

---

[1] - الطبرسي : مجمع البيان ١/ ١٦٨ .

[2] - السيوطي: المزهر ١ / ١٧ .

[3] - المزهر ١/ ١٨ .

الرازي[2] (ت ٦٠٦ هـ) وكأنه يذهب في هذا إلى مذهب من يقول : يجوز أن يكون قد خلق قبل آدم خلقاً آخرين ، أو قل : آدم وحواء آخرين غير أبينا اللذين نعرف . وهو ما عبر عنه أبو العلاء المعري بقوله :

جائزٌ أن يكون آدمُ هذا    قبله آدمٌ على إثْرِ آدمْ

فإذا كان الأمر كذلك ـ بحسب هذا الفرض ـ جاز أن يكون أولئك الآدميون السابقون قد تواضعوا على لغة ـ على هذا الرأي ـ علَّمها الله سبحانه آدم .

وأجاب السيوطي كذلك عن الاحتجاج بالنص القرآني الآخر : { **إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم** } ، فقال : إن الله " ذمّهم لأنهم سمّوا الأصنام آلهة ، واعتقدوها آلهة[3] " ومعنى ذلك : أنه ليس المراد بـ (سمّى) في الآية وضع الأسماء للآلهة بتسميتها أصناماً ، وإنما المراد تسميتها آله تُعبد ، والاعتقاد بأنها آلهة . وهذه فيما نرى حجة قوية، وهي التوجه الذي تفسّر به هذه الآية .

وإذا أردنا التأمل في النص الثالث الذي احتجوا به على التوقيف ، فليس فيه دليل عليها في رأينا ، لأن هذا الاختلاف الذي في ألسن الأمم والشعوب ، قد يكون نتيجة التواضع والاصطلاح . وليس في الآية ما يدل على أنه توقيف ، وإنما بينت الآية أن الاختلاف بين البشر ـ شعوباً وأمماً ـ في الألسن ، التي هي اللغات ، آية من آيات الله ، إذ أن الله تعالى هو الذي منح الإنسان القدرة الخاصة التي جعلها فيه ، بحيث ينطق بلغة هو وقومه غير التي ينطق بها قوم آخرون وشعب آخر .

والوحدة الموضوعية التي تربط اختلاف الألسن في الآية بخلق السموات والأرض وتباين الألوان ، إنما هي (الآية) الدالة على قدرة الخالق . والتي تتجلى في ألوان من التباين الدالة على الغائية والقصد ونفي الصدفة . وهذه الألوان المتباينة تلحظ في هذا التقابل الذي بين السموات وبين الأرض، وبين الألسنة وبين الألوان . فالمشهد سماوي ارضي ، وطبيعي بشري ، وبصري سمعي . وكل ذلك واقع في نطاق هذه الآية ، بل

---

[1] - المزهر ١/ ١٩ .

[2] - المزهر ١/ ٢٥ وقد ذكر أنه قول الرازي .

[3] - المصدر نفسه : المكان نفسه .

الآيات الربانية التي تجلت في الأنفس والطبيعة . وإذاً لا ضرورة للقول بأن ذكر الألسنة في الآية الكريمة دليل على أنها بالهام وتوقيف ووحي من الله ، وليس من قرينة دالة على ذلك ، بل القول بذلك يحتاج إلى دليل آخر غير هذا ، أو قرينة خارجية من نص آخر تدل على ذلك .

هذه أدلة القائلين بالتوقيف في نشأة اللغة ، وأظهر ما ورد حولها من ردود ومناقشات، مع بيان رأينا في طرف منها .

## الأدلة العقلية :

واستند القائلون بالتوقيف إلى أدلة عقلية أيضاً ، فضلاً عن الأدلة النقلية التي أوردنا آنفاً . وقد انفرد ابن فارس بالأدلة الثلاثة الأوائل مما سنورده ، وذلك :

١ـ إجماع العلماء على الاحتجاج بلغة العرب ، ما يختلفون فيه أو يتفقون، واحتجاجهم كذلك بأشعارهم . ولو كانت اللغة مواضعة واصطلاحا، لم يكن أولئك في الاحتجاج بهم بأولى من في الاحتجاج بنا لو اصطلحنا واتفقنا اليومَ على لغة معينة نُحدثها ونتواضع عليها .

فهذا الرأي لابن فارس ، ثم بيّن أن التوقيف في اللغة لم يكن قد حدث دُفعة واحدة وفي زمان واحد ، بل حدث في أزمان متعددة وعلى مراحل ، حتى انتهت إلى النبي محمد (ﷺ) ، فلم يكن بعده لغة جديدة حادثة . يقول ابن فارس : " ... الله ـ جلّ وعزّ ـ وقف آدم على ما شاء أن يُعلمهُ إياه، مما احتاج إلى علمه في زمانه ، وانتشر من ذلك ما شاء الله أن يعلّمه ، ثم علم بعد آدم ـ عليه السلام ـ الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ نبياً نبياً ما شاء الله أن يُعلّمه ، حتى انتهى الأمر إلى نبينا محمد (ﷺ) فآتاه الله ـ عزّ وجلّ ـ من ذلك ما لم يؤت أحداً قبله ، تماماً على ما أحسنه من اللغة المتقدمة ، ثم قرّ الأمر قراره، فلا نعلم لغة من بعده حدثت . فإن تعمّل اليوم لذلك متعمل ، وجد من نقّاد العلم من ينفيه ويرده[1] " .

---

[1] - الصاحبي ص ٣١ – ٣٢ .

٢ـ واحتج ابن فارس أيضاً بما روي عن أبي الأسود الدؤلي (ت ٦٩ هـ)، من أن رجلاً كلمه بكلام أنكره أبو الأسود واستغرب ، فقال له الرجل : يا أبا الأسود : إن هذه لغة لم تبلغك! ، فقال أبو الأسود : يا ابن أخي ، إنه لا خير لك فيما لم يبلغني ، فعلق ابن فارس على هذه الرواية بقوله : " فعرَّفه بلطفٍ أنّ الذي تكلم به مختلق " [1].

وقد أثارت هذه الرواية تعليق الدكتور إبراهيم أنيس[2]، فوصف ما ورد فيها بأنه يتسم بسذاجة التفكير ، ولم يرَ فيها دليلاً قوياً على التوقيف .

٣ـ واحتج ابن فارس بدليل عقلي آخر على التوقيف أيضاً ، بأنه لم يبلغ أهل عصره أن قوماً من العرب في زمان يقارب زمانهم ذاك ـ أي زمان ابن فارس ـ قد اجتمعوا على تسمية شيء من الأشياء مصطلحين عليه ، بحيث يمكن الاستدلال بذلك على اصطلاح كان قبلهم . وقد كان الصحابة (ﷺ) ـ وهم الفصحاء ـ من النظر في العلوم المتنوعة مالا خفاء به ، ومع ذلك لم نسمع أنهم قد اصطلحوا على اختراع لغة أو إحداث لفظة لم تتقدمهم ... وفي كل ذلك دليل على صحة القول بأنه اللغة ليست اصطلاحاً ـ يقول ابن فارس ـ بل توقيف "[3].

٤ـ وذكر السيوطي[4] دليلاً عقلياً آخر على القول بالتوقيف ، وهو من قبيل الأدلة الفلسفية، ومفاده : إن اللغة لو كانت اصطلاحاً لاحتيج للتخاطب بها إلى اصطلاح آخر ، لغوي أو خطي ، يعود إليه الكلام . ويلزم على هذا إما الدور أو التسلسل ، وهذا محال . فلا بد إذاً من الانتهاء إلى التوقيف .

**والثانية : الاصطلاح :**

من نظريات نشأة اللغة ، إن اللغة اصطلاح وتواضع، أو كما يسمى أيضاً : مواضعة[5]. وقد ذهب إلى هذا الرأي غير واحد من أهل العلم ، ولقي في المدارس

---

[1] - الصاحبي ص ٣٣ .
[2] - دلالة الألفاظ ص ١٧ .
[3] - الصاحبي ص ٣٣ ـ ٣٤ .
[4] - المزهر ١ / ١٨.
[5] - الخصائص ١ / ٤٤ .

الإسلامية التي تعنى بالعقل قبولاً ورواجاً . وبخاصة مدرسة المعتزلة ، ومن هو قريب من آرائهم كالشيعة الإمامية ، وإن كان الذين ذهبوا إليه منهم قليل .

وقد استمد الذين ذهبوا إلى هذه الوجهه ـــ كما يقول الدكتور إبراهيم أنيس ـــ من المنطق العقلي ، وفسّروا ما ورد من نصوص بما يلائم اتجاههم، إلا أنه لا يُعلم لهذه الفئة من القائلين زعيم استمسك بهذا الرأي جهاراً ، ودافع عنه في ثبات وإصرار ، بل إن هذا الرأي ينسب إلى ابن جني وأستاذه أبي علي وغيرهما ممن جاءوا بعد ذلك [1].

وسنرى أن أبا علي والأخفش الأوسط جمعا في الواقع بين الرأيين ، في محاولة منهما للتوفيق بين النقل و العقل فيما يبدو .

أما ابن جني ، فقد تأرجح بين المذهبين حتى إنه ليبدو كالحائر بينهما، لا يدري إلى أي منهما يميل ، وذلك لقوة دليل كل منهما إذ الأول ـــ وهو التوقيف ـــ محفوف بالنصوص التي يصعب دفعها ، والثاني الاصطلاح ـــ يعضده الفكر والتأمل ، وهو ما ذهب إليه جماعة من أصحابه المعتزلة وقد عبّر عن حيرته هذه في (الخصائص [2]) بوضوح .

أما أدلة القائلين بالاصطلاح فقد تلخصت بما يأتي :

١- إن أصل اللغة لا بد فيه من المواضعة ، وذلك بأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فأكثر ، فيحتاجون إلى الإبانة عن الأشياء التي في الكون ، فيضعون لكل شيء سِمَة تسمية وتبيّنه ، ولتغني تلك السمة عند ذكرها عن إحضاره أمام العين لرؤيته ، فكأنهم جاءوا إلى واحد من بني آدم فقالوا : إنسان، إنسان، إنسان ... فإذا سُمِع هذا اللفظ في أي وقتٍ عُلِمَ أن المراد به هذا المخلوق [3].

٢- وقالوا : إن المواضعة لا تكون من الباري عزّ وجلّ ؛ لأنها في رأيهم تقتضي الإيماء والإشارة ، وذلك لا يجوز أن ينسب إليه تعالى ، فبطل على هذا ـــ فيما يرون ـــ التوقيف [4].

---

[1] - دلالة الألفاظ ص ١٧-١٨ .

[2] - ١ / ٤٧ .

[3] - الخصائص ١ / ٤٤ .

[4] - الخصائص ١ / ٤٥ .

وينسب هذا الرأي إلى المتكلم المعتزلي ابي هاشم الجُبّائي (ت٣٢١ هـ)، عبد السلام بن ابي عليّ الجبائي ، الذي كان هو وأبوه من كبار المعتزلة[1].

٣- وقالوا أيضاً لو كانت اللغات توقيفية لتقدمت بعثة الأنبياء على اللغة، ولكن هذا لم يحدث ، بل الذي حدث العكس ، وهو تقدم اللغة على بعثة الأنبياء ، بدليل قوله تعالى : {وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم}[2] (إبراهيم :٤) . وقد أجاب السيوطي عن هذه الحجة بقوله : "لا نسلّم توقّف التوقيف على البعثة ؛ لجواز أن يَخلق الله فيهم العلم الضروري ، بأنّ الألفاظ وضعت لكذا وكذا[3] " . أو بعبارة أخرى . من الجائز أن يلهم الله الأنبياء أسماء تلك المسميات بحيث يعرفونها بعد بعثتهم من دون أن تتقدم عليهم من الناحية الزمنية ، كما يفترض ذلك أصحاب الاصطلاح .

**الجمع بين الوجهتين :**

يبدو أن هناك من حاول الجمع بين الوجهتين والتوفيق بين الرأيين ، فقال بالتوقيف ولم ينكر الاصطلاح ، فكأنه بذلك قد جمع بين ما دل عليه النقل وما دل عليه العقل — أو بعبارة أخرى : بين ما ورد في آثارٍ لها كيانها العلمي والديني ، وبين ما يذهب إليه العقل ويستنبطه الفكر .

وقد عزى هذا الاتجاه إلى أثنين من كبار اللغويين هما سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (ت ٢١٠ هـ) وأبو علي الحسن بن احمد بن عبد الغفار المعروف بالفارسي (ت ٣٧٤ هـ) ، وذلك بأن قالا : إن اللغة من عند الله ، بدليل قوله تعالى : { **وعلّم آدم الأسماء كلها** } ، ويجوز أيضاً أن يكون تعالى قد مكن آدم من أن يواضع على اللغة[4] . أي : مكّنه من أن يضع لغة بإلهام من الله . وقد حكى عن أبي علي هذا الرأي تلميذه ابن جني[5] .

---

[1] - القاضي عبد الجبار : فرق وطبقات المعتزلة ص ١٠٠-١٠٣

[2] - المزهر ١ /١٨، وانظر : دلالة الألفاظ ص ١٩.

[3] - المزهر ١ /١٩ .

[4] - الخصائص ١/ ٤٠ -٤١ .

[5] - الخصائص ١ / ٤١ .

وذهب أبو إسحق الاسفراييني[1] (ت ٤١٨ هـ) إلى أن ابتداء اللغة من الله . والتتمة من الناس[2] .

وقد تابع الأخفشَ وأبا علي الراغبُ الأصفهاني (ت ٤٢٥هـ) ؛ إذ قال في تفسير الآية الكريمة : { **وعلّم آدم الأسماء كلها** } : " فتعليمه الأسماء هو أن جعل له قوة بها نَطَقَ ووَضَعَ أسماء الأشياء ، وذلك بإلقائه في رُوعه . ونظّر لذلك بما يُلحظ من إلهام الله الحيوان النطق بأصوات متعددة ذات دلالات خاصة بكل جنس من الحيوان ، وتعليمه تعالى إياها كيفية النطق بها وفهمها . قال : " وكتعليمه الحيوانات كل واحد منها فعلاً يتعاطاه وصوتاً يتحرّاه " ؛ كما احتج بعدد من الآي التي تدل على علم خاص علمه الله بعض أصفيائه من عباده ، كقوله : " وعلّمناه من لدنّا علماً "[3] .

**والثالثة : المناسبة الطبيعية :** [redacted]

والوجهة الثالثة في نشأة اللغة هي (المناسبة الطبيعية) وهي تلك المناسبة التي تلحظ بين الأصوات اللغوية ، وبين معانيها . وقد نسب هذا الرأي إلى عبّاد بن سليمان الصيمري [4](ت ٢٥٠هـ) من معتزلة البصرة ، إذ يُعد أقدم القائلين بالمناسبة الطبيعية ، أو كما عبّر عنها السيوطي :

" أن تدل الألفاظ على المعاني بذواتها " .

وقد لخص ابن جنّي[5] هذه النظرية بقوله : " وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيح الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبي وغير ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد " .

---

[1] - أحد كبار المجتهدين من أهل السنة بالفقه وأصوله، تولى التدريس بنيسابور وتخرج عليه علماء كثيرون.

[2] - المزهر ١ / ١٦ .

[3] - مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٥٦ (علم) .

[4] - المزهر : المكان نفسه .

[5] - الخصائص ١ / ٤٦ — ٤٧ .

فيتضح من كلام ابن جني هذا ، أن عبّاداً كان يرى أن بداية اللغات التعبير بألفاظ ملائمة لظواهر طبيعية مختلفة ، ثم نشأت اللغات بعد ذلك من هذه البداية . ولم يستبعد ابن جني هذه النظرية الطبيعية ، بل رآها قريبة مقبولة ، فقال بعد تلخيصها الذي ذكرنا : " وهذا عندي وجه صالح ووجه متقبّل[1] " . وهذا يعني أن لطائفة من ألفاظ اللغة دلالة ذاتية .

واحتج عبّاد لنظريته هذه " بأنه لولا الدلالة الذاتية لكان وضع لفظ من بين الألفاظ بازاء معنى من بين المعاني ترجيحاً بلا مرجح ، وهو محال[2] " .

أي : إن لفظة (حَفَّ) مثلاً معبرة بجرس حروفها عن الحفيف نفسه ، أي عن هذا الحدث الذي نسمعه ونرى آثاره في الطبيعة ، عند هبوب الريح وتحرك الأشجار . وكذلك (صهيل) الفرس مثلاً ، إذ هو معبّر بجرسه ، ومنه المدّ الذي فيه المتمثل بحرف اللين الياء ، عن صوت الفرس ، وما فيه من استطالة تتبينها الأذن .

ويبدو أن هذه النظرية لم تلق رواجاً وقبولاً كافياً في الدوائر الدينية السنّية ، بل كان هناك شك فيها وتوقف في الأخذ عما قال ، حتى إن السيوطي قال في شأن نظريات نشأة اللغة بعد عرضها : " والمحققون متوقفون في الكل ، إلا مذهب عبّاد ودليل فساده أن اللفظ لو دلّ بالذات لفهم كل واحد منهم كل اللغات ، لعدم اختلاف الدلالات الذاتية ، واللازم باطل ، فالملزوم كذلك[3] " . أو قل : ــ على وفق هذا الرأي الرافض للنظرية الطبيعية ــ إن الفهم الذاتي لدلالات هذه الألفاظ غير ممكن ، وهو اللازم ، ولذلك بطل وضعها على هذا الأساس ، وهو الملزوم .

وقد ناقش السيوطي هذه النظرية بإيجاز ، واحتمل لها أحد مصدرين ، على سبيل الفرض ، فقال : " وجوابه : أن الواضع إن كان هو الله ، فتخصيصه الألفاظ بالمعاني كتخصيص العالم بالإيجاد في وقت من بين سائر الأوقات . وإن كان هو الناس ، فلعلّه لتعيّن الخطران بالبال " . فكأنه يجيز أن تكون المناسبة الطبيعية توقيفية من عند الله ، أو يجيز أن تكون اصطلاحية من عند الناس ، من دون أن يرجح أياً منهما على الآخر .

[1] الخصائص ١ / ٤٧ .
[2] المزهر ١ / ١٢ .
[3] المزهر ١ / ١٦ .

## ابن جني والنظرية الطبيعية :

وإذا كان أبو الفتح عثمان بن جني قد لخص هذه النظرية واستحسنها ، في الكلام الذي نقلناه سالفاً ، وكان ذلك عند كلامه على نشأة اللغة في بدايات كتابه ( الخصائص ) ، فإننا لا نعدم بعد هذا الكلام ما يدل على أخذه بهذه النظرية التي تبنّاها من قبلُ عالم معتزلي هو عبّاد الصيمري . إذ نجد ابن جني يتحدث عن المناسبة بين جرس الألفاظ ومعانيها ، وهي ما يسمى حديثاً باسم (الدلالة الصوتية للألفاظ) التي تقابل (الدلالة الوضعية ) لها .

يقول ابن جني :

" فإن كثيراً من هذه اللغة وجدته مضاهياً بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عُبِّر بها عنها ، ألا تراهم قالوا : قضِم في اليابس وخضِم في الرَّطْب ، وذلك لقوة القاف وضعف الخاء ، فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى ، والصوت الأضعف للفعل الأضعف . وكذلك قالوا : صرَّ الجُنْدُب[1] ، فكرروا الراء ؛ لما هناك من استطالة صوته ، وقالوا: صَرْصَرَ البازي ، فقطّعوه . لما هناك من تقطيع صوته . وسمّوا الغراب غاقِ حكاية لصوته . والبطَّ بَطّاً حكاية لأصواتها . وقالوا : (قطَّ) الشيء ، إذا قطعه عَرْضاً ، و(قَدَّه) إذا قطعه طولاً ؛ وذلك لأن منقطع الطاء أقصر مدة من منقطع الدال. وكذلك قالوا: (مَدّ) الحبلَ ، (ومَتَّ) إليه بقرابة ، فجعلوا الدال ــ لأنها مجهورة ــ لما فيه علاج[2] ، وجعلوا التاء ــ لأنها مهموسة ــ لما لا علاج فيه . وقالوا : (الخَذَأ) ــ بالهمزة ــ في ضعف النفس ، (والخذا) ــ غير مهموزة ــ في استرخاء الأُذُن . يقال : أُذن خذواء ، وآذان خُذْوٌ . ومعلوم أن الواو لا تبلغ قوة الهمزة ، فجعلوا الواو لضعفها للعيب في الأذن، والهمزة لقوّتها للعيب في النفس ؛ من حيث كان عيب النفس أفحش من عيب الأذن " .

ثم بيّن أنه سيستقصي هذا الموضوع في باب يفرده به[3] .

وواضح أن ابن جني يربط هنا بين أصوات الألفاظ وجرسها ، وبين دلالاتها . وقد توسع في هذه النظرة ، فلم يقصرها على التناسب الطبيعي الذي قال به عبّاد من قبل ،

---

[1] - الجُنْدب : نوع من الجراد (مختار الصحاح ج د ب )، وهو أنزل من الجرادة المعروفة .

[2] - أي : جهد ومزاولة .

[3] - الخصائص ١ / ٦٥ .

وهو التناسب بين الأصوات الطبيعية – في الطبيعة الحية والصامتة – وبين صورة اللفظة الصوتية . وإنما تعداه – بتخريج وتحليل صوتي ذكي دقيق – إلى غيرها من الألفاظ . وستبقى مادته هذه من كلام العرب ، وما زخر به من موسيقى وجرس ملائم لمعناه ودلالته.

وقد تأثر في هذا الاتجاه تلميذه الشريف الرضي (٤٠٦ هـ) في بعض ما أورده من دراسات ، على نحو ما نجد مثلاً في كتابه (المجازات النبوية) إذ نبّه على ما بين الطائر المعروف بالصُرَد ، وبين تسميته (واقِ) ، قال : "والواقِ : بكسر القاف ، الصُرَد ، كأنهم سمّوه بحكاية صوته " . واحتج له بقول الشاعر :

ولستُ بهيّابٍ إذا شدَّ رحلَهُ يقولُ عداتي اليومَ واقِ وحاتِمُ

وفسر الحاتم بالغراب[1] .

والحق أن من قدامى اللغويين الذين سبقوا عبّاداً وابن جني وغيرهما ، من التفت إلى موضوع المناسبة الطبيعية بين الدلالة والصوت ، وإن لم يربطها بموضوع نشأة اللغة . ولكنها على أية حال لفتات لها قيمتها اللغوية ، لأنها اللبنات الأولى التي بني عليها من تلاهم تلك النظرية الصوتية التي غدت بعد ذلك حقائق لا يشك فيها . ويمكن أن نتبين ذلك في قول الخليل بن أحمد الفراهيدي[2] (ت ١٧٠ هـ) : " الصَوْقَرِيْر : حكاية صوت طائر يُصَوْقِرُ في صيحه ، تسمع نحو هذه النغمة في صوته " والمعروف أن الخليل كان ذا حس موسيقي مرهف ، يدل على ذلك وضعه لعلم العروض الذي يتعلق بأوزان الشعر وقوافيه . بل عنايته بالموسيقى ، وتصنيفه فيها كتاباً أو أكثر مثل كتاب (النغم)[3] .

ويلحظ أن ابن جنّي قد استمد من الخليل في بعض ما أورده من أمثلة التناسب بين الأصوات والدلالات . مما ذكرناه سالفاً ، فقد سبقه الخليل في التفريق الصوتي بين صَرّ وصرصر . قال[4] : " صرَّ الجندبُ صريراً ، وصرْصرَ الأخطب صرْصرةً . وصرَّ الباب يصرُّ . وكل صوت شبه ذلك فهو صرير ، اذا امتدَّ ، فإذا كان فيه تخفيف وترجيع في

---

[1] - الرضي : المجازات النبوية ص ٣٤٢ – ٣٤٣ .

[2] - العين : ٥ / ٦٠ (صقر) .

[3] - ابن النديم : الفهرس ص ٦٥ .

[4] - العين ٧ / ٨١ – ٨٢ (صر)

إعادة ضوعف ، كقولك : صَرْصَرَ الأخطبُ صَرصَرةً " ، وحكاه ابن جني[1] عن الخليل بما يقرب من عبارته .

## رأي المُحْدَثين من اللغويين :

أما المحدثون من علماء اللغات ، فقد وجدوا في موضوع نشأة اللغة متعة خلال القرن التاسع عشر في أوروبا . وقد انتهى بهم ذلك إلى فروض ونظريات لا تستند إلى أدلة نقلية ، كنصوص التوراة مثلاً ، وإنما تستند إلى ضروب من الحدس والفرض . فكانوا يدورون في حلقة مفرغة . وكثر قولهم فيها إلى الحد الذي حمل الجمعية اللغوية الفرنسية على أن تمنع – بقانون – إلقاء المحاضرات في هذا الموضوع ، لأن النظريات التي كانت تقال لا تفسر أصل اللغة في رأي هذه الجمعية[2] وأهم هذه الآراء والفروض[3] :

### ١- نظرية محاكاة أصوات الطبيعة ، أو : البووو BOW- WaW

● يرجح الذين نادوا بهذه النظرية أن النشأة الأولى للألفاظ ، لا تعدو تقليد الأصوات التي في الطبيعة ، والتي سمعها الإنسان من عناصر حية كالحيوان والطير والحشرات ، أو عناصر وظواهر صامته كالريح والرعد والبرق وخرير الماء ، وما إليها . فوضع ألفاظاً للدلالة عليها والتعبير عنها .

فمواء القط وعواء الذئب وزئير الأسد مثلاً ، اتخذت رموزاً معبرة عن هذه الحيوانات على صورة كلمات . وكذلك حفيف الشجر وقصف الرعد . فبهذه الصورة تكونت لدى الإنسان في عهوده الأولى مجموعة من الألفاظ التي هي محاكاة للطبيعة وظواهرها المختلفة ●

---

[1] - الخصائص ٢ / ١٥٢ .

[2] - أنيس فريحة : نظريات في اللغة ص ١٦ .

[3] - ينظر في هذا الموضوع :
Jesperson language its nature. Development and origin pp. 413-442 . Chapter xxi. The origin of speech.

ويرى أصحاب هذه النظرية أن اللغة لما كانت ظاهرة اجتماعية ، فإن الألفاظ تتطور في دلالتها إلى معان أخرى جديدة غير المعاني الأولى لها ، حتى إنه لا يكاد معنى أحدها يرتبط بمعناه الأول بأية وشيجة . ولذلك ينبغي ألا نستغرب حين نرى معجماتنا تعطينا دلالة جديدة للكلب مثلاً وصورته ، كقول الخليل : " والنَّبّاح : مناقف صغار بيض تُحمل من مكة وتجعل في القلائد والوُشُح . فأنت ترى أن لفظة النَّبّاح التي تطلق في الأصل على الكلب الضخم الصوت..[1] ، قد اتخذت دلالة أخرى مغايرة لهذه الدلالة .

وقد لا تبتعد الدلالة الجديدة المتطورة عن الدلالة الأصلية كثيراً ، بل قد تكون بينهما وشيجة واضحة . فالنَّحيم صوت شديد للفهد وغيره من السباع ، والنحّام : البخيل ، سمّي بذلك لكثرة سُعاله إذا طلب منه شيء من المال[2] . وإنما سمّي بهذا الاسم لارتفاع صوته وشدته في السعال ، كارتفاع صوت الفهد وشدته .

فمن الواضح أن هذه النظرية تعنى بالمناسبة الطبيعية بين الأصوات والدلالات وهي النظرية التي تحدّث بها المفكرون المسلمون في منتصف القرن الثالث للهجرة ، إذ وجدنا عبّاداً الصيمري ــ كما مرّ سالفاً ــ ينادي بها ، ويتابعه غير واحد من اللغويين ، وفي مقدمتهم ابن جني .

ولذلك لا ينبغي أن ننساق مع من يحاول أن يقلل من هذه النظرية التي يشهد لها الواقع اللغوي بما لا يقبل الشك . ولا ينبغي أن ننساق مع بعض المعترضين على هذه النظرية في سخريتهم منها بأنها تقف بالفكر الإنساني عند حدود حظائر الحيوانات ، وتجعل اللغة الإنسانية الراقية مقصورة النشأة على تلك الأصوات الصادرة عن الطبيعة ، وهي الأصوات الفطرية الغريزية.

والسبب في ذلك " أن وراء هذه الأصوات سُوْراً حصيناً عنده ــ في الحقيقة ــ تبدأ لغة الإنسان ذات الدلالات المتميزة المتباينة . فالمعترضون يفترضون في هذا النوع من الأصوات عقماً ، ولا تصلح أن ينحدر منها تلك الدلالات الإنسانية السامية . ولكن الواقع يبرهن على أن كثيراً من كلمات اللغات الإنسانية قد انحدرت عن تلك الأصوات

---

[1] - العين ٣ / ٢٥٢ (نبح) . وهو في اللسان ٣/ ٤٥٠ ، والقاموس ٢٥١/١ ، في المادة نفسها . وينظر : دلالة الألفاظ ص ٢١ .

[2] - العين ٣/ ٢٥٢ (نحم) .

الغريزية المبهمة . ثم سمت في تطورها ودلالتها وأصبحت تعبر عن الفكر الإنساني[1] " . وإلا فكيف يمكن أن نتصور أن الدلالة المعنوية مشتقة من الدلالة الحسية أو كما يقول الدكتور مصطفى جواد[2] : " من التجسيد إلى التجريد " ، كيف نستطيع أن نتصور مثلاً أن الخُيَلاء مشتق من الخيل ، والشجار مشتق من الشجر ، والسمو مشتق من السماء ، كيف نتصور ذلك إذا لم نأخذ بهذه النظرية ، بل الحقيقة اللغوية ؟!

وعلى هذا " يمكننا إذاً أن ندرك أن الكلمات المستقاة من الأصوات الطبيعية قد تتطور في دلالتها حتى تصبح معبّرة عن الدلالات الراقية المجردة في الذهن الإنساني[3] ". وممن عارض هذه النظرية من اللغويين المعاصرين في أوروبا : (ماكس ميلر) و (رينان) .

وذهب بعض الباحثين[4] في اللغة من العرب إلى التقليل من شان هذه النظرية ، على أساس أن " الكلمات التي يمكن أن تُفسَّر على مبدأ نظرية البووو قليلة جداً " ، وذهب فضلا عن ذلك إلى القول بان هذه " النظرية تعجز عن أن تفسّر لنا كيف استغل مبدأ (حكاية الصوت) في آلاف الكلمات التي لا نرى الآن أية علاقة بين معناها وصوتها. ما العلاقة بين لفظة ابريق ومعناها ؟ ... ليس هناك من علاقة ظاهرة ، إنما العلاقة بسكيولوجية أي من نوع قرن الأصوات بصور قائمة في العقل " .

ويمكن أن يجاب عن هذا الاعتراض ، بما قدمناه سالفاً ، من أن النشأة كانت محاكاة لأصوات الطبيعية ، ثم تغيرّت الدلالات بعد ذلك بحكم التطور اللغوي عبر عصور الأجيال ، حتى انتهت إلى دلالات أخرى حسية ومعنوية ذات وشيجة بالدلالة الأولى أو مبتعدة عنها على انه يمكن أن يقال أن هذه النظرية تفسّر لنا النشأة فحسب ، أما بعد ذلك فمرده إلى الاصطلاح. فهذا جواب ثان عن الاعتراض .

ورفضت أدلة هذه النظرية لدى الغربيين الذين اعترضوا عليها ، لأن الطفل لا يعيد تاريخ نشأة اللغة لأن اللغة مكتسبة لا وراثية ولأن الدراسات (الفيلولوجية) للغات الشعوب

[1] دلالة الألفاظ ص ٢١ .
[2] الدراسات اللغوية في العراق ص ١٣ - ١٤ .
[3] دلالة الألفاظ : نفس المكان .
[4] منهم أنيس فريحة في كتابه : نظريات في اللغة ص ١٨ .

البدائية ــ كلغات الهنود الحمر ، والزنوج ، والأستراليين الأصليين ــ أثبتت أن هذه اللغات ليست بدائية ولا قديمة بالقياس إلى عمر اللغة إذ أن وراء كل منها تاريخاً مديداً لا يعلم له بدء ، تطوّر خلاله صرفها ونحوها وأساليبها [1].

(٢) نظرية الأصوات التعجبية أو العاطفية ، أو نظرية pooh -pooh :

وتذهب هذه النظرية إلى أن الأصوات الأولى التي نطق بها الإنسان كانت أصواتاً تعجبية عاطفية ، صدرت عنه بشكل فطري غريزي ، نتيجة لفرح أو دهشة أو غضب أو ألم أو حزن أو تقزّز أو تأفف أو نحو ذلك من الانفعالات الشديدة [2].

ويدين أصحاب هذا الرأي بنظرية دارون ، إذ هم يربطون النشأة اللغوية للإنسان بتلك الأصوات الغريزية والانفعالية التي تصدر عنه ، من آهات وأصوات دهشة وتعجب. ويجعلونها جميعاً الأساس الأول الذي منه استمدت اللغة الإنسانية نشأتها [3].

وتختلف هذه الأصوات في الواقع من شعب لآخر، فهي إذاً أصوات عُرفيّة يتحكم فيها العرق ، وتتأثر وتتباين بأحوال الأمم . فصوت الدهشة عندنا ــ نحن العرب ــ هو (آه) ، وعند الانجليز (اوه) oh، ونستعمل في العراق ألفاظاً أخرى عند الدهشة أو عدم الرضى مثل لفظة (أو) و (ها) وعند الفرح والرضى : (أي) . ونحو ذلك .

ووجه لهذه النظرية ما وجه لسابقتها من نقد ، على نحو ما نجد في قول أنيس[4] فريحة : " إن ما قلناه عن النظرية الأولى ينطبق على هذه النظرية " .

(٣) نظرية محاكاة الأصوات معانيها، أو نظرية **Ding dong** :

واضع هذه النظرية اللغوي المشهور ماكس ميلر F.Max Mveller ومفادها أن جرس الكلمة يدل على معناها ، اي أن هناك صلة وثيقة بين أفكار الإنسان التي تدور في ذهنه وبين الأصوات التي ينطق بها ، فالألفاظ بحسب هذه النظرية إن هي إلا صدى

---

[1] - نفس ص ٢٢ - ٢٥ .

[2] - ينظر : دلالة الألفاظ ص٢١ . ونظريات في اللغة ص ١٧ . وفقه اللغة العربية لاميل ص ١٨ .

[3] - دلالة الألفاظ ص ٢٣ .

[4] -نظريات في اللغة ص ١٩ .

للمؤثرات الخارجية التي تحيط الإنسان، والتي يتأثر بها ، وينفعل عند شعوره بها ، انفعالاً يؤدي به إلى أن ينطق بألفاظ معينة ذات أصوات معينة ويرون أن ذلك سر غامض لا يعرف كنهه وحقيقته [1].

ويذكر الدكتور إبراهيم أنيس[2] أن أكبر ما يوجه إلى هذه النظرية من نقد هي أنها بنيت على أساس غامض وأحاطها أصحابها أنفسهم بالألغاز والسحر مما جعل أكثر اللغويين يمرون بها مراً سريعاً .

ويذكر أنيس فريحة [3]: إن الذي لا شك فيه هو أننا إذا نظرنا في كلمات عديدة يشترك فيها صوت واحد ، وجدنا معانيها متقاربة ، ولكن إذا حاولنا رد معاني ألوف الألفاظ إلى العدد المعروف من أصوات اللغة العربية الثمانية والعشرين ، فإننا في الواقع لا نفسر أصل اللغة ، بل نزيد هذه المشكلة غموضاً ؛ إذ لك أن تسأل : كيف تطورت هذه المعاني القليلة التي تمثلها الأصوات القليلة والتي تشكل النظام الصوتي للغة ، إلى معان لا حصر لها ؟ وهل المفردات العربية المدونة في (لسان العرب) مشتقة من ٢٨ صوتاً ، أو كما يسميها أنيس فريحة (فونيماً)[4] ؟!

## ٤ــ نظرية الاستجابة الصوتية للحركات العضلية ، أو نظرية yo- he- ho

وملخصها أن النطق والكلام البشري نشأ في البدء بصورة جماعية ، وذلك حين كان الإنسان يؤدي عملاً من الأعمال بصورة جماعية ، فإذا زاول عملاً ما وأجهده ذلك العمل ، صدرت منه أصوات عفوية ذات طابع نفسي ؛ من حيث إنها تخفف عنه حدة ذلك العمل ومشقته ، ومنها أصوات تعينه على الاستمرار في ذلك العمل الشاق واستدامته . وهذا من قبيل أغاني البنّائين وعباراتهم التي يرددونها ــ جماعة ــ عند البناء ، ومنه ما يردده الملاحون حين يرفعون الأشرعة كي تمخر سفنهم اليمّ، من ألفاظ وأصوات أو عبارات ، قد تكون لها دلالة واضحة ، وقد تكون مجرد أصوات ينطق بها ، ويجدون راحة وتنفيساً عند إطلاقها من صدورهم . ويرى أصحاب هذه النظرية أن تلك الألفاظ

---

[1] -ينظر في هذا : دلالة الألفاظ ص ٢٥ . ونظريات في اللغة ص ١٩ .

[2] -دلالة الألفاظ ص ٢٥ –٢٦ .

[3] -نظريات في اللغة ص ١٩- ٢٠ .

[4] - وهي نقل للمصطلح الأجنبي للصوت : "phoneme"

والأصوات التي تصدر عن جماعة من الناس ، لا تلبث أن ترتبط من حيث الدلالة بالعمل نفسه ، فتدل عليه ومثل هذه الألفاظ – في رأيهم – هي النواة الأولى للغات البشرية . والنقد الذي يوجه إلى هذه النظرية هو أنها لم تفسر لنا إلا جزءاً يسيراً من اللغة ، ويبقى بعد ذلك "السر العميق : كيف نشأت اللغة من هذه الأصوات العضوية التعبيرية التي ترافق حركات الأجسام ؟ ما علاقة لفظ الأب والأم والحنان والجمل والجمال، وهذه الأصوات التي هي استجابة للحركات الجسمية ؟ ويجيء الجواب بعد هذا " ليس هناك من علاقة ظاهرة[1] " . ومع أن هذه النظرية تبدو اضعف هذه النظريات الأربع الحديثة ، إلا أنه يمكن أيضاً أن يجاب عن هذا التساؤل والاعتراض بأن ما جاءت به هذه النظرية من فرض ، إنما يمثل النشأة والبداية فحسب ، وتأتي بعد ذلك خطوات أخرى في النمو اللغوي ، عن طريق الوضع والاصطلاح ، أو محاكاة الطبيعة ، أو نحو ذلك مما قالوه . فهي إذا وإن فسّرت جزءاً من اللغة ، إلا أنها ليست النهائية .

هذه أهم النظريات التي ظهرت في القرن التاسع عشر .

أما في القرن العشرين : فقد اتخذ البحث في نشأة اللغة مساراً أقلّ اختلافاً مما كان عليه في القرن التاسع عشر . فهناك من يدرك الصلة بين الأصوات والمدلولات ، وهناك من ينكرها ، وهناك من يذهب إلى الاصطلاح . وحين نتخذ طريقاً وسطاً بين هؤلاء وهؤلاء ، ندرك تماماً أن في اللغة معاني تتطلب أصواتاً خاصة ، وأن هناك من المدلولات ما هو وثيق الصلة بالأصوات ، وذلك :

١ – حين تكون أصوات الكلمة تقليداً مباشراً لأصوات طبيعية صادرة عن حيوان أو جماد . وهذا النوع من الكلمات يطلق عليه اللغويون المحدثون اسم محاكاة الأصوات **Onomatopoeia**[2] ، ويسميه بعضهم التوليد الصوتي[3] . ولم ينكره أحد من اللغويين . كما أن علم اللغة القديم يعرفه " وإن كانت هذه الصلة فيما بين الطرفين – الصوت والدلالة – ليست

١ – إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة ص ١٤٥ .

٢ ستيفن أولمان : دور الكلمة في اللغة ص ٧٤، ترجمة كمال بشر .

٣ – ستيفن أولمان : دور الكلمة في اللغة ص ٧٤، ترجمة كمال بشر .

عقلية منطقية في الذهن الإنساني العام ، بحيث توحي لجميع الشعوب إيحاء واحداً ، بل هي تختلف من شعب إلى آخر ، ومن أمة إلى أمة " [1].

ولقد تنبّه علماء العربية القدامى لهذا النوع من الألفاظ والدلالات ، فذكروا في معجماتهم كثيراً من تلك الكلمات وسموها (أسماء الأصوات) ، فللإنسان القهقهة ، والغمغمة ، والكَركرة ، والتَحنحة ، والتأوّه ، والغَطيط ، والشَخير ... وللحيوان : الرُغاء ، والبُغام ، والعُواء ، والخُوار ، والجؤار ، والمواء ، والنعيب ، والنعيق ، والنقيق ... ولعناصر الطبيعة الصامتة : الحفيف ، والخرير ، والصرير ، والقصف ، والدويّ ...

ومما يعد من كلمات (الأنوماتوبيا) : الفَرَح والمَرَح ، والكَمد ، والسدم (للحزين) ، والرنين ، والهنين ، والحنين ، والأنين (للمكرُوب من الناس) . ورفّ ، وزفّ ، وأسفّ ، وصفّ ، (لطيران الطيور) . وزلزل ، وقلقل ، وبلبل ، ولولول وحثحث (للاثارة والاضطراب) .

٢- حركات الإنسان وما ينشأ عنها من أصوات ، قد توحي بصلة بين الصوت الذي ينبعث من تلك الحركات وبين الدلالة ، أي بين ماهية تلك الحركات . مثال ذلك في العربية : القَطْف ، والقَطْم ، والقَطْع ، والقطّ . وكذلك : القَضْم ، والخَضْم ، والجذ ، والصَرْم . ومثل هذين أيضاً : حسّ ، ومَسّ ، وجَسّ ، وبَسّ .

٣- وهناك ألفاظ هي في حساب البحث النفسي ذات صلة بين أصواتها ودلالاتها ، تعبر عن ظواهر نفسية مختلفة كالفظاظة والغلظة في الأخلاق ، والسخرية ، والنفور ونستطيع أن نتبينّ ذلك في طائفة من الكلمات ، مثل الجعْظ ، للذي يبالغ في قدر نفسه المذموم الخلق ، والجُعمظ للرجل المُسن البخيل الشَرِه ، والمحبنطئ للمتلىء غضباً [2].

٤- ولاحظ اللغويون المعاصرون أن طول الكلمة وقصرها كثيراً ما يكون ذا وشيجة بدلالتها ، وهو ما التفت إليه اللغويون العرب القدامى ، إذ رأوا أن "زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى " ، وبرهنوا في كتبهم على ذلك بظواهر لغوية متعددة ، منها : أن تضعيف عين الفعل كثيراً ما يدل على التكثير ، مثل : قطّع وغلّق ، فهما يدلان على تعدد فعل

---

[1] - من أسرار اللغة ص ١٤٦ . وينظر بحثنا : الجرس والإيقاع في تعبير القرآن . ص ٣٤٣ من مجلة آداب الرافدين . العدد التاسع لسنة ١٩٧٨ .

[2] - الفيروز آبادي : القاموس المحيط ٢ / ٤٩٣ فصل الجيم والحاء باب الظاء .

القطع والغلق وتكراره . ومنه قوله تعالى : { وغَلَّقتِ الأبواب وقالت هيت لك } (يوسف :٢٣) ، على حين يدل الفعل مجرداً من غير تضعيف على حدوثه من دون تكرار، وذلك حين يقال : قَطَعَ وغَلَقَ . ويمكن أن نبين هذه الزيادة التي تحدث في المعنى لزيادة المبنى ؛ في مثل فعْلَلَ ، كقولنا : زلزلَ ، وحثحثَ ، وجرجرَ ، ولا نجد ذلك المعنى في أفعالها المجردة ، وهي : زلّ ، وحثّ ، وجرّ .

ومن ذلك ما يقع بين الأسماء ، مثل : خرْج وخراج ، فالثانية أبلغ من الأولى ، والزيادة البنيوية الصوتية فيها ، أدّت إلى هذه الزيادة المعنوية ، وهي الأبلغية . ومن الواضح أن ذلك يعود إلى الألف التي زيدت في اللفظة الثانية . وقد جمعتها الآية ٧٢ من سورة (المؤمنون) ، وهي قوله تعالى : {أم تسألهمْ خَرْجاً فخَراجُ ربِّكَ خيرٌ وهوَ خيرُ الرازقينَ } .

فأنت ترى هنا أن العطاء حين أُسند إلى الناس الذين يدعوهم النبي (ﷺ) إلى الإيمان ، جاء باللفظ الأقل صوتاً . وحين أُسند إلى الرّب الذي له ملك السموات والأرض، جاء باللفظ الأكثر صوتاً الأطول صيغة ، وهو الخراج . وهذا من روعة تعبير القرآن ودلالته الصوتية المتميزة ؛ إذ أن ما يعطي الله خير مما يعطي الإنسان ويمنح .

فالعلاقة التي تربط أصوات الألفاظ بدلالاتها قوية في العربية ، تتجلى في طائفة كبيرة من الألفاظ كالتي مثلنا لها سالفاً . وهي تبلغ في القرآن — المثل الأعلى للبيان العربي — الذروة ، وتتساوق مع عنايته الكبيرة بالجرس والإيقاع في الأصوات والألفاظ المقاطع والعبارات [1].

وقد أكد هذه العلاقة بعض الباحثين العرب في العصر الحديث أيضاً ، متابعين في ذلك قدامى اللغويين كابن جني وغيره . ويمكن أن نتبيَّن ذلك فيما كتبه جرجي زيدان مثلاً في كتابه : الفلسفة اللغوية ، إذ ذهب إلى أن "الألفاظ المانعة الدالة على معنى في نفسها ، يُردُّ معظمها بالاستقراء إلى أصول ثنائية ، أحادية المقطع ، تحاكي أصواتاً طبيعية [2] " ، " ينطق بها الإنسان غريزياً [3] " .

[1] - نظر في هذا بحثنا : الجرس والإيقاع في تعبير القرآن، في مجلة آداب الرافدين سنة ١٩٧٨ .

[2] - الفلسفة اللغوية ص ٩٨ .

[3] - الفلسفة اللغوية ص ١٣٠ .

وضرب لذلك مثلاً : جلب ، وبلل ، وقصّ ، وقطّ ، وطقّ . فأكثرها فـي رأيـه ثنائي الأصل محاكٍ لأصوات طبيعية . أو بعبارة أخرى إن أصل قصّ مثـلاً : قَـصْ ، فصارت بالتضعيف : قَصّ ، ثم ضوعف من هذه الكلمات حرف أو أكثر مـن الأحـرف الأصلية فصارت بعد ذلك : جَلْبَب ، وبَلْبَل ، وقصقص ، وقَطْقَط ، وطَقْطَق[1] . فدلت على زيادة في المعنى لزيادة في اللفظ ، مع احتفاظها كذلك بصفة المحاكاة التي تحدثنا عنها .

ونجد في عاميتنا اليوم ألفاظا قد اتسمت بهذه السمة التي بيّنا ، فقد جعلها العوام ، بعد تغيير صيغها ، وتطويرها ، ملائمة بأصواتها لما يذهبون إليه من معانٍ نفسية ، عـبّروا عنها بتلك الصيغ الجديدة . فهم يقولون مثلاً : جمّع، كما يقولون في القدر إذا ابتدأ يغلي : نَشْنَشَ ، والأصل : نَشَّ ، العربية الفصيحة . ويقولون : فَتْفَت ، والأصل : فَتَّ ، وذلـك إذا جعل الشيء أجزاء صغاراً . فهذا من إطالة الصيغ لزيادة المعنى ، وهو المبالغة فـي حدوث الفعل وتكراره . ومثل ذلك كثير في كلامهم .

والذي نريد أن نقرره في خاتمة هذا الكلام : هو أن العلاقة بين الأصوات والدلالات قائمة في كل لغة من اللغات ، وهي في العربية واضحة جداً في طائفة مـن الكلمـات . وهذا ما يطلق عليه المعاصرون ــ كما قدمنا ــ اسم نظرية ( الأنوماتوبويـا ) : "The Onomatopoeia theory"[2].

وهناك من ذهب من المعاصرين إلى الاصطلاح في نشأة اللغة ، وبه قال غير واحـد من الغربيين مثل : آدم سميث ، ورايد ، ودوكلد ستيوارت[3]. هذه دراسة مبسوطة نوعـاً ما في نشأة اللغة والآراء التي قيلت فيها ، صحبناها منذ بدايتها وظهورها ، وانتهينا بـها إلى أهل عصرنا . ومع كل ما قيل ويمكن أن يقال ، سيبقى البحث في هـذا الموضـوع الدقيق الغامض مجرد نظريات لا قطع فيها لباحث ، لأنها غدت مـن المسـائل التـي لا تخضع للبحث العلمي الدقيق ، بل تخضع غالباً لفروض وتخمينات . وهذا ما حمل بعض الباحثين إلى القول إنها " ليست لغوية بحتـه ، ولا تدخـل فـي نطـاق علـم اللغـة "Linguistics" ، بل في نطاق السيكولوجيا والإنثروبولوجيا والفلسفة "[4]. وإذا سـلّمنا

---

[1] - الفلسفة اللغوية ص ٩٩ .

[2] - jesperson , language , its , nature , Development , and , origin , p 414.

[3] - مراد كامل : حاشية الفلسفة اللغوية لجرجي زيدان ص ١٣٢ .

[4] - أنيس فريحه : نظريات في اللغة ص ١٥ .

أنها ليست من مباحث علم اللغة ، فإنها لا شك مما عُني به فقه اللغة ، لأنها تتعلق بناحية تاريخية من اللغة لم يشأ إهمالها .

وكان أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) من أقدم من نص على غموض هذه المسألة واستعصائها على القطع فيها بقول نهائي ، متجاوزاً الحس الغامض إلى وعي حقيقي لها ، مدركاً إدراكاً سليماً لماهية البحث فيها ، وكونها مما يقع تحت الحدس والتخمين ، أكثر مما يقع تحت الإدراك العقلي والبحث والاستنباط ، فضلاً عن أن المسألة في رأيه ليست محوطة بسمع متواتر أو قاطع . وانتهى إلى أنه : " لا يبقى إلا رجمُ الظنّ في أمر لا يرتبط به تعبّد عملي ، ولا ترهَقُ إلى اعتقاده حاجة ، فالخوض فيه إذا ـ كما يقول ـ لا أصل له" [1]. أو بعبارة أخرى : لا موجب له ، ولا ضرورة . ومع كل هذا ، فإن الكلام في نشأة اللغة من مباحث فقه اللغة ودراساته .

[1] - الغزالي : المستصفى ١/١٤٥ ، وينظر : المسدّي : التفكير اللساني عند العرب ص ٦٤ .

# الفصل الثاني

# نبذة من فصَائل اللغات

فقه اللغة العربية

## المبحث الأول :

### في تقسيم اللغات وأقسامها :

### (١)

**تقسم اللغات :**

اختلف علماء اللغات في تقسيمها ، بحسب الأساس الذي اعتمدوه في هذا التقسيم . فمنهم من نظر إليها من ناحية التطور والارتقاء ، فقسمها على ثلاثة أقسام ومجموعات – على نحو ما فعل شليكيل Slhlegel – تختلف درجة كل مجموعة منها ، وتمثل كل منها مرحلة من المراحل التي مرّت بها اللغة في سير تطورها . وهي : اللغات غير المتصرّفة أو العازلة ، واللغات اللصقيّة أو الوصلية ، واللغات المتصرفة أو التحليلية .

**١- فأما غير المتصرفة أو العازلة[1] : Isolating**

فتتصف من ناحية علم البنية بأن كلماتها غير قابلة للتصرف ، لا عن طريق تغيير البنية ، ولا عن طرق لصق حروف بالأصل ، كما أن معانيها ثابتة لا تتغير . وتتصف من ناحية أخرى بتكون كلماتها من مقطع واحد ، وبخلوها من الروابط بين أجزاء جملها . ولذلك سميت بالعازلة ؛ لأنها تعزل أجزاء الجملة بعضها عن بعض .

**١-وأما اللصقيّة أو الوصليّة[2] : agglutinative**

فتتسم بأن بنية الأصل فيها تتغير بحروف تلصق بذلك الأصل ، فتوضع هذه الحروف تارة قبل الأصل فتسمّى (سابقة) أو (سوابق) ، وتارة في آخره فتسمى (لاحقة) أو (لواحق) . وليس لهذه الحروف دلالات ذاتية مستقلة ، وإنما هي تعمل على تغيير المعنى الأصلي الذي تدخل عليه ، أو تشير إلى علاقة أجزاء الجملة بعضها ببعض . فهي إذاً حروف زائدة على الأصل اجتلبت لهذه الغاية .

---

[1] - وترجمها بعضهم : (الفاصلة)، ينظر نظريات في اللغة ص ٢٨، والصالح ٤٥ .

[2] - وترجمت أيضاً : (اللاصقة) ينظر المصدر نفسه ، والمكان نفسه . والصالح ص٤٥ .

## ٢- وأما المتصرفة[1]

فتمتاز من ناحية علم البنية بأن معاني كلماتها تتغير بتغير البنية ، وتمتاز من ناحية النظم بأن أجزاء الجملة تصل بينها روابط قائمة بذواتها ، تدل على مختلف العلاقات التي تربط بين تلك الأجزاء ويعبر عنها بالإنجليزية بـ **Flexional** وسميت متصرفة لتغير أبنيتها بتغير المعاني ، كما سميت تحليلية لتحليلها أجزاء الجملة وربطها بروابط تدل على العلاقات.

ويرى أصحاب هذه النظرية أن اللغة الإنسانية ، كانت في نشأتها غير متصرفة ، ثم ارتقت إلى لصقية ، ولم تبلغ حالة المتصرفة إلا في آخر مرحلة قطعتها في هذه السبيل . إلا أن طائفة من اللغات استعصت على التطور والارتقاء ، فوقفت عند المرحلة الأولى . وطائفة لم تتجاوز المرحلة الثانية .

ويستدل أصحاب هذه النظرية على ما يذهبون إليه بلغة الطفل ولغات أخرى[2].

ولم تلق هذه النظرية[3] قبولاً لدى علماء اللغة المحدثين ، بل ذهبوا إلى تخطئتها ، مستندين في ذلك إلى عدة أدلة منها :--

١- إن هذا التقسيم لا يدل على مراحل تطور اللغة على النحو الذي وصفوه إذ أن المقطع الواحد في اللغة لا يدل على المرحلة الأولى فيها ، كما هو واضح في اللغة الصينية مثلاً . فضلاً عن وجود استعمالات وصلية في لغات متصرفة ، كما هي الحال مثلاً ، في العربية والإنجليزية والفرنسية وغيرها من اللغات الحية ، ووجود استعمالات لصقية لدى عدد من الشعوب البدائية كسكان الأندمان في المحيط الهندي .

٢- أن هناك لغات لا تدخل تحت قسم من هذه الأقسام الثلاثة وقد تدخل تحت قسمين منها ، أو تحت الثلاثة كلها .

[1] وسماها بعضهم التحليلية Analytiques ينظر الصالح ص ٤٥ .

[2] مراد كامل : حاشية الفلسفة اللغوي لجرجي زيدان ص ٢٢ .

[3] ينظر في هذه النظرية : جرجي زيدان : الفلسفة اللغوية ص ٢١-٢٣، ودي سوسور : علم اللغة العام، الفصل الخامس ص ١٩١ وما بعدها ، والسابع ص ١٩٩ وما بعدها ، وأنيس فريحه : نظريات في اللغة ص ٢٨ وما بعدها ، ومراد كامل : في حاشية الفلسفة اللغوية ص ٢١ وما بعدها...

٣ ونظر علماء اللغات المحدثون إلى هذه الأقسام على أنها أساليب مستعملة في جميع اللغات ، وليست مجموعات لغوية متميز بعضها من بعض . وقد استعمل اللغويون مصطلحات هذه النظرية المرفوضة ، كالتصدير أو التتويج (Prefixe) لزيادة الأحرف في أول الكلمة ، وكذلك استعملوا التذييل أو الكسع (Suffixe) لزيادة الأحرف في أخر الكلمة . وكلاهما كما هو واضح من الإلصاق الذي أشرنا إليه سالفاً . وقد أفرد له دي سوسور فصلين في كتابه [1]. واستعمل الباحثون في اللغة ، من العرب، هذه المصطلحات في مصنفاتهم اللغوية الحديثة [2]، عند كلامهم على إطالة الصيغ في الاشتقاق ، وما شابه ذلك . وإن لم يأخذوا بهذه النظرية .

وبذلك عُدِلَ عن هذا التقسيم إلى آخر ، رآه المحدثون من علماء اللغات أكثر انطباقاً على واقع اللغات وأنوعها ، وهو تقسيمها بحسب صلات القرابة التي تجمع كل فصيلة منها . فأخذوا يدرسون كل لغة على حدتها . وراعوا في القرابة بين اللغات المختلفة قواعد اللغة . التي هي العامل الأول في إثبات القرابة والصلة بين اللغات في الفصيلة الواحدة ، وكذلك نظروا إلى المفردات [3] فيها .

وقد قسم مكس مولر لغات العالم على ثلاث فصائل رئيسة هي :

١- اللغات الهندية الاوروبية .
٢- اللغات الجزرية الإفريقية ، أو كما سماها : السامية الحامية .
٣- اللغات الطورانية .

وكانت الأسس التي اعتمدها في هذا التقسيم وبناه عليها ، صلات القرابة بين اللغات، وذلك بأن يجمع اللغات على شكل فصائل تربطها وشائج القربى في أصول الكلمات وقواعد البنية وتركيب الجمل وما إليها . وأن تتكون من كل فصيلة منها مجموعة إنسانية متميزة ، ذات أصول شعبية واحدة أو متقاربة ، وتضمها روابط جغرافية وتاريخية واجتماعية .

[1] [illegible] ١٩١ [illegible] بعدها ، ١٩٩ [illegible] وما بعدها .
[2] [illegible] في اللغة المكان نفسه . والتوزيع اللغوي الجغرافي للسامرائي ص ١٨٦ . أصول اللغة العربية [illegible] ص ٣٥ .
[3] [illegible] : المصدر نفسه ص ٢٢ .

وقد اشتمل القسم الثالث من هذا التقسيم ، وهو اللغات الطورانية ، على طائفة من اللغات الآسيوية والأوربية التي لا تنضوي تحت القسمين الأولين .

وعلى هذا فإن الفصيلة الطورانية لم تكن فصيلة بالمعنى الاصطلاحي المعروف ، وإنما كانت مجموعة من اللغات المختلفة التي لا تجمعها صلة أو قرابة ولا ترجع إلى أصول واحدة . فضلاً عن أن هذا المصطلح – أي الطورانية – لم يضم اللغات التي لا تندرج في القسمين الأولين كلها ، بل يقتصر على طائفة منها ، وهي عدد من اللغات الآسيوية والأوروبية كما بيّنا.

ولما كان هذا التقسيم غير شامل ولا دقيق ، فقد عدل علماء اللغة المحدثون في بداية القرن العشرين إلى تقسيم أدق فيما يتعلق بالقسم الثالث ، وهو اللغات الطورانية ، إذ عمدوا إلى ما بقي خارج القسمين الأولين من اللغات الإنسانية ، فقسموه على فصائل تجمع بين كل منها وشائج القرابة اللغوية والتشابه ، على نحو ما نهجه مكس مولر في القسمين الأولين .

وقامت جماعة علم اللغة بباريس بتقسيم لغات العالم وفق هذا المنهج على إحدى وعشرين فصيلة ، وذلك في كتابها ، بل موسوعتها : ( لغات العالم ) [1].

وبذلك غدا هذا التقسيم أكثر موافاة للمنهج السليم في تقسيم اللغات ، وأكثر انطباقاً على الواقع في الصلة بين اللغات .

ولا بد لنا من كلمة وجيزة في هذه الفصائل الثلاث قبل أن نقف وقفتنا المطمئنة المفصلة نوعاً ما على اللغات الجزريّة .

---

[1] ينظر في هذا : مراد كامل : حاشية ص ٢١–٢٤ من الفلسفة اللغوية لجرجي زيدان . وانيس فريحه : نظريات في ... دراسات في فقه اللغة ص ٤٥–٤٦ .

## أقسام اللغات :

### أ) اللغات الهندية الأوروبية :

وهي أكثر اللغات انتشاراً في العالم، وتشتمل على ثماني طوائف هي :

**١- اللغات الهندية الإيرانية ، أو اللغات الآرية وتضم شعبتين هما :**

**اللغات الهندية**: السنسكريتية، أي الهندية القديمة ، والبراكيتية واللغات الهندية الحديثة التي تدخل في إطار اللغات الهندية الأوربية ، مثل الأردية والهندية والبنغالية والبنجابية والبهارية والسندية . واللغة الأردية إحدى اللغات الإسلامية ويطلق عليها المسلمون لغة الأردو ، أي لغة الجيش . ويسميها الهندوس : الهندوستاني ، وخطها الذي يكتبها به الهنود المسلمون هو الخط العربي ، وفيها من الألفاظ العربية الشيء الكثير . على حين يكتبها الهندوس بالخط الديفانجاري القديم ، وهو أحد خطوط الهند ، ويحاولون التخلص قدر إمكانهم من الألفاظ العربية وإحلال سنسكريتية مكانها[1] . وقد اقترضت الأردية طائفة كبيرة من الألفاظ العربية ، نتيجة لدخول الناطقين بها في الإسلام[2] أما اللغة البنغالية فلها أهميتها الكبرى في بنكلادش ، من حيث أن عدداً كبيراً من البنغاليين يقطنون فيها . وهي مع ذلك متغلغلة في الهند ، إذ يعيش هناك ملايين ممن ينطق بهذه اللغة .

وينطق بالبنجابية في إقليم البنجاب من الهند والسندية في إقليم السند (كراجي) ، وهي العاصمة الباكستانية[3].

**والشعبة الثانية هي اللغات (الإيرانية)** وتضم الفارسية القديمة التي كانت في عهد الأخمينيين (٥٥٩-٣٣٣ ق.م) ، والفارسية الوسيطة وهي البهلوية التي دونت بالخط الآرامي ، والصغدية التي ترجع نصوصها إلى القرن الرابع للميلاد ، والتي سميت باسم

---

[1] - محمود فهمي حجازي : **مدخل إلى علم اللغة** ص ١٠٢- ١٠٣ .

[2] - ينظر بحث الدكتور حسين علي محفوظ : **أثر اللغة العربية في اللغة الأردية** . في مجلة كلية الآداب الجامعة بغداد / العدد ٢١ لسنة ١٩٧٧ . ص ١٣٩-١٦٦ .

[3] - **مدخل إلى علم اللغة** ص ١٠٣ .

منطقة (صغد) في سمرقند . ومنها اللغة الخوارزمية ، وينطق بها أهل إقليم خـــوارزم ، وقد دونت بالحروف العربية . كما تضم هذه الشعبة اللغة الإيرانية الحديثة : وهي اللغـة الفارسية التي عرفت في العهد الإسلامي وفي العصر الحديث ، وكانت الفارسية الوسـيطة لغة البلاط الساساني قبل الإسلام ، ثم حدث تحول منها إلى الفارسة الحديثة فـي أواخـر العهد الساساني . وتكتب هذه اللغة بالخط العربي ، ثم حدث بعد ذلك تطوير لنظام الكتابـة العربية لديهم بإضافة النقط الإضافية لتكوين حروف مثلثة[1] ، مثـل الـــ ( پ) و (ڤ) . وهو مالا ضرورة له بالعربية لأنه لا ينطق بها فيها . وقد تأثرت الفارسية بالعربية تأثراً كبيراً .

ومن اللغات الآرية : اللغة التاجيكية ، وهي لغة التاجيك في الاتحاد السوفيتي، وهي أيضـاً إحدى لغات جمهورية أزبكستان فيه ، وتكتب بالخط الكيريلي الروسي .

ومن الآرية ، اللغة الأفغانية ، وهي لغة بلاد الأفغان ، وتكتب بحروف عربية أيضاً.

ومنها أيضاً : اللغة الكردية ، وينطق به الأكراد في قطرنا العراقي وأقطار أخرى مجاورة كتركيا .

ومنها اللغة البلوشية التي ينطق بها البلوش في إقليم بلوجستان في باكســتان ، كمـا ينطق بها البلوش في إيران .

٢- اللغات الأرمنية ، ومنها الأرمنية التي ينطق بها الأرمن في قطرنا .

٣- اللغات اليونانية ، وتشتمل على اليونانية القديمة ، واليونانية الحديثة .

٤- الألبانية .

٥- الايطالية ، وتشتمل على عدة لغات أهمها اللاتينية والرومانيـة ، وهــي فـرع مـن اللاتينية ، وقد انشعبت إلى عدة لغات حديثة منـــها : الفرنسـية والإسـبانية والإيطاليـة والبرتغالية ولغة رومانية .

٦- الجرمانية ، وهي ثلاث شعب : الجرمانية الشـرقية وهــي القوطيـة ، والجرمانيـة الشمالية وهي الايسلندية ، والدنيماركية ، والســويدية ، والغربيـة ، وهــي الإنجليزيـة السكسونية ، والإنجليزية الحديثة ، والهولندية ، واللغات الألمانية .

---

[1] - مدخل إلى علم اللغة ص ١٠٣ – ١٠٩ .

٧- الكلتية ، وهي التي ينطق بها شعوب الكلت ، وقد انحسرت الآن بعد أن تغلبت عليها اللغات الحديثة هي الإنجليزية والفرنسية والإسبانية نتيجة الصراع بينها وبين هذه اللغات، بعد أن صارت بلادها تحت سيطرة الشعوب التي تتكلم بهذه اللغات .

٨- السلافية ، وهي شعبتان : صقلبيّة وبلطيقية ، فمن الأولى : الروسية ، والجيكوسلوفاكية ، والبولونية ، والبلغارية الحديثة ، ومن الثانية : البلطيقية، والليتوانية، والبروسية القديمة [1].

## ب) اللغات الجَزَرِيَّة – الأفريقيَّة :

ويطلق عليها اسم ( السامية – الحامية ) أو ( الآسيو – أفروية ) ، أو (الأفرو – آسيوية) . وقد اخترنا التسمية الأولى التي في العنوان ، دون التسميات الأخرى . وسنتبين بعد قليل أن مصطلح ( الجزرية ) هو الذي ينبغي أن يصار إليه دون غيره .

وليست المناطق التي تشملها هذه اللغات بمثل سعة المناطق التي تشغلها لغات الفصيلة الهندية – الأوربية ؛ إذ أنها لا تتجاوز بلاد العرب وشمال أفريقية ، وجزءاً من شرق أفريقية . إلا " أن مناطقها تكاد تشكل منطقة واحدة متماسكة الأجزاء " [2].

وتنتظم هذه اللغات في مجموعتين :

مجموعة اللغات ( الجَزَرِيَّة) ، وسنتناولها بتفصيل في كلامنا القادم ، مبيِّنين تسميتها وشعوبها وأماكنها وخصائصها ...

والأخرى : مجموعة اللغات ( الأفريقية) ، وتضم اللغة المصرية القديمة التي تعد من أقدم لغات العالم ؛ إذ ترجع نقوشها إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد تقريباً [3]. وهي بهذا موازية زمنياً للغتين السومرية والأكدية . وهناك تشابه بين اللغة المصرية القديمة واللغات الجزرية ، من مثل : استخدام التاء للدلالة على التأنيث ، والكاف للخطاب ، والنون للجمع

---

[1] - المصدر نفسه ص ١١٠ وما بعدها . والصالح : دراسات في فقه اللغة ص ٤٢-٤٣ . ومراد كامل : حاشية الفلسفة اللغوية ص ٢٤ وما بعدها .

[2] - الصالح : دراسات في فقه اللغة ص ٤٣ .

[3] - محمود فهمي حجازي : مدخل إلى علم اللغة ص ٩٤ .

... وقد مرّت هذه اللغة بثلاث مراحل تغيرت فيها خصائصها ، فيمكن تقسيمها إلى : مصرية قديمة ، ومصرية متوسطة ، ومصرية متأخرة .

وتعد اللغة ( القبطية ) آخر مرحلة من مراحل اللغة المصرية القديمة . وأقدم خطوط كتبت بها المصرية القديمة هي ( الهيروغليفية ) ، ثُم بُسّطت كتابتها بعد ذلك في عدة نظم أهمها : الخط الهيراطيقي و الخط الديموطيقي .

ودونت اللغة (القبطية) بخط أبجدي أساسه الأبجدية اليونانية ، مضافاً إليها سبعة أحرف خلت منها اليونانية ، وارتبطت القبطية في مصر بالديانة المسيحية ، وعاشت في ازدواج مع اليونانية ، ومن هنا دخلتها طائفة من هذه اللغة [1].

ومن اللغات الأفريقية : (البربريّة) ، وهي لغة السكان الأصليين لشمال أفريقية : (تونس ومراكش والجزائر وطرابلس والصحراء والجزر المتاخمة لها)[2] . وأهمها : اللغة القبلية ، والتماشكية وهي لغة قبائل الطوارق . وأما الكوشيتيّة فهي لغة السكان الأصليين للقسم الشرقي من أفريقية ، ويتكلم بها نحو ثلث سكان الحبشة [3]. وهناك مناطق حبشية تتكلم بلغة جزرية هي الجعزية ، على ما سنوضحه في كلام قادم . وتضم الكوشيتية عدة لغات أهمها الصومالية ، التي يتحدث بها شعب الصومال .

ومن اللغات الأفريقية اللغات التشادية ، وتضم حوالي ثمانين لغة ، أكثرها أهمية وانتشاراً لغة الهوسا ، التي تشيع في أفريقيا جنوب الصحراء، وهي اللغة السائدة في نيجريا الشمالية . وأكثر المتحدثين بهذه اللغة من المسلمين ، وقد ارتبطت لذلك بالثقافة العربية الإسلامية عدة قرون ، فكتبت بالخط العربي[4] ، ودخلتها ألفاظ عربية كثيرة [5] ، كما دخلت اللغات الأخرى التي نطق بها مسلمون ، كالأردية والأفغانية والفارسية والتركية وغيرها.

1 نفسه ص ١٤ ، ١٥
2 دراسات في فقه اللغة ص ٤٣ ، ٤٤
3 نفسه ص ٤٤
4 مدخل إلى علم اللغة ص ٩٧
5 بحث د/ ... : الألفاظ العربية المستعارة في لغة الهوسا . بمجلة كلية الأداب الجامعة ... العدد ٢١ سنة ١٩٧٧ ص ٥٧ - ١٠٤ .

م/ ٥ فقه اللغة العربية

إلا أن خط لغة الهوسا عدل به عن صورته العربية في عهد الاستعمار ، وغدت المدارس الحكومية تصطنع الخط اللاتيني بدل الخط العربي[1] .

ولا بد من الإشارة إلى أن اللغة العربية . قد أثرت في اللغات الإفريقية[2] بعامة ، نتيجة لاعتناق شعوب منها في الإسلام ، أو نتيجة للتبادل التجاري بينها وبين العرب ، أو نتيجة لهجرات عربية إلى تلك الديار ، أو غير ذلك من أسباب وعوامل .

[1] مدخل إلى علم اللغة ص ٦١

[2] [illegible] تأثير اللغة العربية في إفريقيا . في مجلة اللسان العربي في الرباط . العدد ١٣ [illegible] سنة ١٩٧٦ ، ص ٧٢ - ٧٦

## اللغات الجزريّة وأقسامها

## (١)

### اللغات الجزريّة :

يراد باللغات الجزرية مجموعة من اللغات التي نطقت بها شعوب كانت تسكن الجزيرة العربية . وهي اللغة البابلية والآشورية والعربية والآرامية والعبرية والفينيقية والحبشية وهي التي يطلق عليها الغربيون وغيرهم اسم (اللغات السامية)[١] وهذا الاصطلاح الأخير غير دقيق ولا صحيح من الناحية العلمية .

وأول من أطلقه الألماني شلوتسر **Shlolzer** في أبحاثه عن التاريخ القديم سنة ١٧٨١م ، مستمداً ذلك من جدول تقسيم الشعوب الوارد في سفر (التكوين)[٢] من كتاب (العهد القديم)[٣]، ذلك الجدول الذي يرجع كل الشعوب التي عمرت الأرض بعد الطوفان إلى أولاد نوح عليه السلام الثلاثة : سام، وحام ، ويافث . وهو أقدم ما وصل إلينا من أنساب هذه الشعوب [٤].

ومع أن هذه التسمية اصطلاحية ، من حيث إنه ليس هناك شعوب تسمّى (السامية)[٥]، إلا أنها صارت محل نظر كثير من الباحثين المعاصرين ، بل رفض لدى عدد غير قليل من العرب منهم ؛ إذ يلاحظ على سفر التكوين أنه اعتمد في تقسيمه هذا على الروابط السياسية والثقافية والجغرافية ، أكثر من اعتماده على صلات القرابة والروابط الشعبية . وذلك انه عدّ الليديين : **"Lydiens"**، والعيلاميين : **"Elymeens"** من الساميين ؛ وذلك لشدة امتزاجهم بالآشوريين وخضوعهم لسلطانهم السياسي ، مع أنهما في واقع الأمر ليسا

---

[١] المسول : تاريخ اللغات السامية ص ٢ . وعلي عبد الواحد وافي : **فقه اللغة** ص٢ .

[٢] الإصحاح العاشر: ٢١ - ٣١ . والحادي عشر : ١٠ - ٢٦ .

[٣] وهو الذي يسمى أحيانا (التوراة) . وإنما التوراة أسفاره الخمسة الأولى . وهي بطبيعة الحال ليست الأسفار الأصلية التي نزلت على موسى (عليه السلام) لما دخلها من التحريف .

[٤] - **تاريخ اللغات السامية** ص ٢.

[٥] - مراد كامل : **اللهجات العربية الحديثة في اليمن** ص ٧ .

من الساميين ، بل هما من الفصيلة الهندية الأوربية [1]. كما أن أحدهما غريب عن الآخر ، وليس بينهما أية وشيجة من القرابة ؛ إذ يغلب على الظن أن العيلاميين سكنوا إيران ، وأما الليديون فغير معروفي الأصل.

وعلى هذا أيضاً عدّ هذا السفر الفينيقيين من الشعوب الذين سماهم (حاميين) ، وذلك للصلات التي كانت تربطهم بالشعوب الأفريقية : المصرية والبربرية ، وللحروب التي كانت بينهم وبين العبريين ، مع أنهم من الشعوب التي تسمى سامية ، وأكثرهم قربى من العبريين أنفسهم [2].

ولا شك في أن أسفار (العهد القديم) بما فيها (سفر التكوين ) قد أصابها التغيير والتحريف والزيادة والنقصان ، بحيث أدخل فيها ما ليس منها ، وطرح ما كان جزءاً من نصوصها ، بفعل عوامل كثيرة وفي أزمان متفاوتة متطاولة ؛ إذ لم تكتب في فترة قصيرة نسبياً ، بل امتد وضعها إلى نحو ألف سنة ، وتطلب جمعها عدة قرون ، مما جعلها عرضة للتشويه والتحريف [3]. ومادة هذه الأسفار تدل عليها بجلاء ، وخاصة تلك الافتراءات التي ينسبها كاتبه إلى الأنبياء الذين هم معلمو البشرية وهادوها إلى طرق الحق والخير . وقد عرض الكُتّاب والمفكرون الغربيون لبيان ذلك في القديم والحديث ، فكان من المحدثين : هـ ، ج ويلز في كتابه "موجز تاريخ العالم"، وغوستاف لوبون في كتابه : " اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ". كما عرض له العلماء العرب القدامى ، كالقرافي المالكي (ت ٦٨٢ هـ) ، وابن القيّم (ت ٧٥١ هـ) ، ومن المحدثين : رحمه الله الهندي ، ومحمد عبده ، والدكتور محمد توفيق صدقي ، والدكتور فؤاد حسنين علي [4] وطه باقر [5] وغيرهم .

وقد تسرّب الشك إلى نفوس عدد من الباحثين الغربيين أنفسهم في صحة ما جاء بهذا الجدول ، إذ لم يذكر الكنعانيين بين أبناء سام ، مع أن لهم صلة دموية ولغوية بالعبرانيين،

---

[1] - فقه اللغة ص٢ ، ورمضان عبد التواب . **فصول في فقه اللغة العربية** ص ٢١ .

[2] - علي عبد الواحد : فقه اللغة ص٢ ، وفصول في فقه العربية ص ٢١ .

[3] - فؤاد حسنين : التوراة ، **عرض وتحليل** ص ١٦ . وينظر كتابنا : **الطبيعة في القرآن الكريم** ص ١٠٩ — ١١٢ .

[4] - ينظر : **الطبيعة في القرآن الكريم** ص١١٠ وما بعدها .

[5] - من **تراثنا اللغوي القديم** ص ١٧ .

ويرى المستشرق بروكلمان أن ثمة أسبابا سياسية حملت كاتبي العهد القديم على إقصاء الكنعانيين من جدول بني سام .

ومع أنه قيل : إن هذه التسمية (الساميين) لا يفهم منها العلم الحديث الآن ما كان قد ذهب إليه مؤلف جدول الشعوب في (العهد القديم)[1] .

وقيل أيضاً : إن العلماء لم يجاروه حين اقتبسوا منه هذا المصطلح ، لأنهم أقصوا عنه جميع الشعوب التي تبيّن لهم منها أنها أجنبية عن الساميين، وضموا إليه الشعوب التي سكت عنها أو عدها من شعوب أخرى ، مع أنها من الساميين[2] . مع كل هذا الذي قيل في هذه التسمية ، فإنها في الواقع تبقى مضلّلة ومؤدية إلى فهم خاطئ ، فضلاً عن بنائها على غير أساس علمي ، وارتباطها بصورة واضحة بمصطلح لم ينبع من تفكير أو حقيقة تخدم الأمة المصطلح الصحيح المناسب الذي يخلو من كل تلك العيوب والمؤاخذات . وهو: " اللغات الجزرية " بدلاً من " اللغات السامية ". وهي تسمية دعا إليها المرحوم طه باقر[3]، بانياً إياها على الرأي الذي يقول عنه إنه " أصبح حقيقة مجمعاً عليها من الباحثين الآن ، وهي أن الجزيرة العربية كانت مهد أولئك الأقوام الذين شملتهم تسمية الساميين[4] ". والذين 'هاجروا من الجزيرة بموجات مختلفة منذ أبعد العصور التاريخية إلى الأجزاء المختلفة من الوطن العربي ، بحيث يصح القول إن الأصول العربية فيها تطغى على تركيب سكانها وعلى لغاتها[5] ". ومن هنا اقترح هذا المؤرخ العراقي المعاصر تسمية أخرى أيضاً وهي " الأقوام العربية القديمة " و " وأقوام الجزيرة " إلى جانب مقترحه : الجزيريين " أو " الجزريين "[6]. وقد آثرنا " الجزريين " لأنه أدل على هذه الشعوب ، إذ لم يثبت أن هذه الشعوب التي كانت تستوطن الجزيرة العربية كلها عربية ، بل لا

---

[1] الفصول في فقه العربية : ص ٢١ .
[2] ـ فقه اللغة لعلي عبد الواحد وافي : ص ٣ .
[3] مؤرخ عراقي معاصر ، عني بالتاريخ القديم ، وخاصة تاريخ العراق وكان مدير للآثار العراقية لفترة وأستاذا محاضراً في كلية الآداب توفي سنة ١٩٨٥ .
[4] من تراثنا اللغوي القديم : ص ١٧ .
[5] من تراثنا اللغوي القديم : ص ١٧ .
[6] نفسه : ص ١٧ .

يختلف اثنان في أن العبريين ليسوا عرباً، وكذلك الفينيقيون . وممن دعا إلى تسميتهم الجزريين الدكتور سامي سعيد الأحمد [1]، الأستاذ في جامعة بغداد .

وإذا فهناك إجماع من الباحثين على أن جزيرة العرب إنما هي التي كانت موطن هذه الشعوب . وإن كنا نجد في كتابات بعض المعاصرين ما يدل على اراء نافرة عن هذا الإجماع الذي انعقد لدى المحدثين . ويذكر الدكتور مراد كامل[2] أن الخلاف في الموطن الأصلي للجزريين إنما يتعلق بما قبل التأريخ، إذ لا يعرف ذلك الموطن في تلك الفترة من حياتهم . وأما في العصر التاريخي فيذكر أن العلماء المعاصرين متفقون على أنه شبه جزيرة العرب[3] .

ويبدو أن هناك محاولات لدى عدد من الغربيين لطمس هذه الحقيقة التي أثبتها المنصفون منهم ، وهي كون الهجرة كانت من شبه الجزيرة العربية ، فقد ذهب المستشرق جويدي T. GUIDI إلى أن مواطنهم بابل[4] استناداً إلى رواية العهد القديم . ولا داعي هنا إلى التعليق عليها ؛ إذ بينا سالفاً الرأي فيها . وقريب منه ما ذهب إليه جرجي زيدان ، إذ كان يرى أن مهد هذه الأقوام ما بين النهرين ، وأنهم الآشوريون أو أجدادهم ، وأن لغتهم كانت واحدة هي الآشورية ، ثم هاجروا بعد ذلك التماساً للرزق أو فراراً من الحرب إلى جزيرة العرب ، وبتوالي الأزمان تنوّعت لغتهم الأصلية (وتفرّعت تبعاً لقانون الارتقاء) ، فتولدت اللغة العربية والأمة العربية !. وهاجرت أخرى وأقامت في شمالي الجزيرة العربية فكانت العبرية ، وقس على ذلك ــ كما يقول ــ بقية فروع هذه اللغات كالآرامية والحبشية وغيرها[5].

ومن الواضح أن جرجي زيدان متأثر هنا بما ورد في رواية سفر التكوين التي ذكرنا. ويعزز ذلك ما أورده بعد ذلك في الموضوع الذي عقده بعنوان : " ما هي اللغة العربية " ؟ ، إذ قال فيه : " ... والظاهر أن سكان أرض شنعار لما قضت الأحوال

---

[1] - ينظر كتابه : المدخل إلى دراسة اللغات الجزرية .

[2] اللهجات العربية الحديثة في اليمن ص ٥ ــ ٦ .

[3] - اللهجات العربية الحديثة في اليمن ص ٥ ٦ .

[4] - تاريخ اللهجات السامية ص ٤-٥ .

[5] - جرجي زيدان : الفلسفة اللغوية ص ٣٩، وينظر كذلك ص ٥٠ .

تشتيت شملهم وتبعثرهم في جهات آسيا ، جعلت لغاتهم تتنوّع شيئاً فشيئاً بعد تشتتهم إلى قوم حسب بيئاتهم وطـرق معائشهم ...".

وهذا الذي ذهب إليه ضعيف ؛ إذ الصحيح العكس مما ذكر ؛ ذلك أن المتعارف عليه أن الهجرات تكون من الأماكن القاحلة الجدبة إلى الأماكن المُمرعـة الخصبـة . لكن الأولى أن تكون الهجرة من جزيرة العرب إلـى وادي الرافديـن لا العكـس ؛ إذ كـان العراق ــ وما زال ــ ينعم بخيرات رافديه العظيمين وأرضه الخصبة المعطاء . على أن جرجي زيدان يعد العربية أقدم الجزريات بعد اللغة الأم ، ويراها أرقى اللغات كلها[1].

وقـد عارض رأي جويـدي ومن هـو علـى رأيـه ، المستشـرق نولدكـه " Noldeke " ، إذ رأى أن ليس هناك ما يدل على ما قاله جويدي وأن الكلمات التي ظن أن الجزريين أخذوها من أهل العراق مما يتعلق بالعمران والحيوان والنبات ، إنمـا هـي ألفاظ مشتركة بين الجزريات (الساميات) منذ أقدم الأزمنة مثل : جبل ، وصبيّ ، وخيمة وشيخ ، وأسود، وضَرَبَ . فهذه المسميات تختلف تسميتها من لغة الى أخرى "مع أنـه أجدر المعاني بأن يكون لها لفظ مشترك في كل اللغات السامية ؛ لأنها كانت موجودة عند الجميع حين كانوا أمة واحدة ، وحين تفرّقوا أمماً شتّى "[2]. وذهب كارل بتراتشكيك ــ وهو جيكوسلوفاكي[3] ــ إلى أن المَوطن الأصلي لهذه الشعوب هو أفريقيا ، ولا سيما المنطقة الشمالية . وهو رأي شارد ليس بقوي .

ويذكر المستشرق ولفنسون أن الذي يمكن الجزم فيه هو أن أكثر الهجرات لدى أغلب الأمم السامية ، التي علمنا أسماءها وأخبارها ، إنما كان من أرض الجزيـرة العربية حيث كانت جموع من هذه الأمم تنزح إلى الأقطار المعمورة البعيدة والقريبة في عصور مختلفة . فأقدم هجرة جزرية ، أو كما يسميها ــ سامية ــ من جزيرة العـرب ، يقول إنما كانت نحو بابل ، حيث " أسست تلك الجموع ملكاً عظيماً في بقعة الفرات كان لـه من الحول الطول حظ وافر في عصور شتى[4]...".

[1] الفلسفة اللغوية ص ٤٨ .
[2] تاريخ اللغات السامية ص ٥ .
[3] ينظر مقال : ( لغات شبه جزيرة العرب ما قبل التاريخ ) في مجلة الاستشراق ) .
[4] تاريخ اللغات السامية ص ٥ .

ويذكر أيضاً أن البطون الكنعانية والآرامية هاجرت كذلك من بلاد العرب ، وكان لهجرتها أثر عظيم في العالم القديم . فكانت الهجرة من جزيرة العرب إلى العراق وسورية وفلسطين ومصر وغيرها [1].

وإذاً فالموطن الأصلي لهذه الشعوب إنما هو جزيرة العرب ، فمنها انطلقوا مهاجرين إلى بقاع أخرى مختلفة ليؤسسوا حضارات مزدهرة .

واختلف الباحثون في : أي اللغات الجزرية هي الأقرب صلة والأقوى شبهاً باللغة الجزرية الأم ؟ فمنهم من رأى أنها العبريّة مدفوعاً بدافع تعصّبي محض دون التدليل على ما يذهب إليه بدليل يُعتدّ به ويعول عليه . وهذا ما كان يدّعيه أحبار اليهود في العصور القديمة . وسرت هذه الدعوى إلى بعض المنتمين إلى اللغات الجزرية ، فرددوا ما قاله اليهود في تلك الفترة [2].

ثم جاء المستشرقون ، فتباينت وجهات نظرهم . فذهب أولسهوزن "Olshouson" في مقدمة كتابه عن اللغة العبرية إلى أن أقرب اللغات الجزرية إلى اللغة الأصل هي العربية. وأيد رأيه هذا بطائفة من الأدلة التي ارتاح لها كثير من علماء الغرب . على حين رأى فريق من المستشرقين أن من العبث البحث عن أيها أقرب ؛ لأنه قد طرأ على هذه اللغات ما لا يحصى من التغيرات والتطورات . ولكن يمكن القول إن القرابة التي يبحث عنها إنما هي قرابة نسبية فقط [3].

وانتهى ولفنسون بعد عرض هذه الآراء إلى نقل رأي فريق آخر من المستشرقين ، وهم طائفة من الباحثين في الجزريات ، ذهبوا إلى أن اللغة الأكدية (الآشورية – البابلية) هي أقرب اللغات الجزرية إلى اللغة الأم الأصل .

إلا أن هذه النظرية لم تلق القبول الحسن من لدن كبار المستشرقين ، لأن الأكدية وصلت إلينا بألفاظ قليلة لا تمكّن الباحث من أن يقف على كنهها الصحيح . وهي مع ذلك خليط من ألفاظ جزرية وسومرية . وليس في المستطاع تمييز الجزري من السومري ، بعد أن اندمجا وصارا لغة واحدة . في حين أن العربية خاصة تمثل العقلية الجزرية

---

[1] – تاريخ اللغات السامية ص ٥ –٦ .

[2] – تاريخ اللغات السامية ص ٥ – ٦ .

[3] – نفسه ص ٦ .

بأكمل وجه وأصح صورة " لأننا معها " بازاء مادة غزيرة تمكننا من البحث الدقيق والتأمل العميق في آثارها المختلفة "[1].

ومهما يكن من أمر ، فإن الباحثين الموضوعيين في تأريخ اللغات لا يختلفون في أن العربية أقرب الجزريات إلى اللغة الجزرية الأم ، لاحتفاظها بأكثر خصائص هذه اللغة، وخاصة ظاهرة الإعراب ، ولوجود عناصر سامية قوية فيها ما زالت تحتفظ بها إلى اليوم. وهي أتم الجزريات حروفاً ؛ إذ خلت العبرية من ( ذ ، غ ، ظ ، ض ) ، كما أن البابلية فقدت عدداً من حروف الحلق كالعين والقاف [2]، وذلك لتأثرها بالسومرية .

(٢)

أقسام اللغات الجزريّة :

تنقسم اللغات الجزرية من الناحية الجغرافية على قسمين : شرقية ، وغربية . وتنقسم الغربية إلى شمالية وجنوبية .

(أ) الجزرية الشرقية :

هي اللغة الأكدية بفرعيها : البابلية والآشورية . وقد وصلت إلينا في صورة نقوش متنوعة ، مكتوبة بالخط الذي يعرف بالعربية بالخط المسماري، ولدى الغربيين بالخط ذي الشكل المثلث أو الاسفيني ، ويسمى بالعبرية خط الأوتاد[3]. والتسمية العربية هي الشائعة في الكتابات العربية .

والخط المسماري أصيل غير مقتبس من خط آخر ، فهو يختلف عن نظام الخط الهيروغليفي الذي يعتمد على الصور ، وعن الخط الكنعاني الذي يعتمد على الحروف . وقد طرأ عليه شيء من التطور خلال استعماله آلاف السنين، إلا أنه بقي محتفظاً بكيانه وشكله الأصلي في كل تلك الأزمان .

---

[1] - نفسه ص ٨ .

[2] - نفسه ص ١٩-٢٠ .

[3] - تاريخ اللغات السامية ص ٣٤ .

وقد انتهت الدراسات التحليلية للخط المسماري إلى معرفة أبجديته ، بعد حل رموزه. فتبين للعلماء أنه لم يكن يشتمل على عدد من الحروف الجزرية. إذ ليس فيه حروف الإطباق والتفخيم في العربية ، مثل الطاء والظاء والضاد ، ولا حروف الحلق كالحاء والعين والغين والهاء . ويرجح بعض المستشرقين أن فقدان هذه الأصوات إنما كان نتيجة لاستعمال الاكديين للخط السومري ، أو كما يسمونه : الشومري ، إذ كان من العسير على السومريين أن ينطقوا باللغة البابلية كما ينطق بها الجزريون [1]. وكان البابليون قد غلبوا السومريين ، بعد أن دخلوا العراق مهاجرين من جزيرة العرب على أرجح الأقوال . فشأنهم في ذلك شأن بقية الجزريين ، إذ بينا سالفاً أن أقوى الآراء هو أن هذه الجموع الغفيرة من الأقوام الجزرية ، انما هاجرت من جزيرة العرب إلى الأماكن الخصبة التي حولها . فكان استقرار البابليين في وسط العراق ، على حين حلّ الآشوريون في شماله . وما تزال آثار الحضارتين البابلية والأشورية ماثلة للعين حتى اليوم في كل من محافظة بابل ونينوى .

وكان البابليون قد اقتبسوا خطهم من السومريين ، الذين أسسوا في جنوب العراق ، حضارة مرموقة ، قبل دخول الساميين إليه بعدة قرون . وظلوا يكتبون بذلك الخط حتى بعد استيلائهم على السومريين ، بعد حين . وبقيت اللغة البابلية تكتب بالخط السومري إلى ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة في الأقل . أي إلى نحو قرن واحد قبل الميلاد . ثم أخذ هذا الخط يتوارى بعد ذلك عن العيون [2].

وقد ماتت اللغة الاكدية : الآشورية ــ البابلية ، ولم يبق منها إلا النقوش. وقد كتب القوم بلغتهم أدبهم وحضارتهم على ألواح من الطين . ودلت تلك النقوش المدونة على أنهم كانوا على جانب كبير من الحضارة. ومن أشهر النقوش التي وصلت إلينا شريعة الملك البابلي حمورابي ، التي تعد من أقدم الشرائع البشرية ، والتي دونت على مسلّة هذا الملك الشهير . وهي تدل على سعة التفكير في المعضلات الاجتماعية .

ووصلت إلينا أيضاً نقوش كثيرة جداً عن عهد الملك البابلي نبوخذ نصر ، الذي بلغت بابل في عهده مكاناً مرموقاً .

---

[1] - نفسه ص ٣٤ وما بعدها .

[2] - تاريخ اللغات السامية ص ٣٣-٣٤ .

وانتشر هذا الخط في العالم القديم انتشاراً كبيراً بعد امتداد دولة بابل وآشور ، فكانت القبائل العيلامية والفرس وارمينيا وفلسطين تستعمله ، بل أن الملــك المصــري أمون حوطف الرابع يراسل امراء فلسطين بهذا الخط [1]؛ إذ كانت الآشورية " لغة ثقافة ولغة دبلوماسية " [2].

وتعتمد الكتابة المسمارية ــ بصفة عامة ــ على نظام المقاطع . ولذلك "فــهي لغة مقطعية من ناحية الأساس العلمي ، ومسمارية من ناحية الشكل " . وتمتاز أيضاً بأنها خط محرك ، إلا أنه يدوّن الحركات ضمن المقطع . فالمقطع الواحد يتكون من صوت صامت وحركة في أقل تقدير فلو كتبت مثلاً كلمة (كتاب) بالأكدية ، فإن المقطع الأخير يضم الباء والضمة ، ويدوّن برمز مسماري مخالف للرمز الدال على الباء والفتحة ، وبرمز مخالف للذي يدل على الباء والكسرة . وهكذا تتعدد الرموز وتكثر ، ممــا يجعــل الكتابــة ذات صعوبة ، إلا أنها مفيدة للباحث في التحليل اللغوي [3].

احتفظت اللغة الأكدية بعدد من الخصائص السامية المغرقة في القدم منــها ظــاهرة الإعراب ، على نحو ما هو معروف في العربية من تحريك أواخر الأسماء بحركة مــا : فتحة أو ضمة أو كسرة . على حين حدثت فيها تغيرات جعلتــها تختلــف عــن اللغات السامية، وهو ما ذكرناه سابقاً من اختفاء أصوات الحلق فيها وعدد من أصوات الإطبــاق والتفخيم.

ويمكننا أن نتبين هذا النظام الصوتي المقطعي المتكون من صوت صامت وحركــة مصوت قصير ــ من هذا السطر الذي ورد في صلاة نبوخذ نصّر إلى الإلــه مــردوخ [4] بمناسبة ارتقائه عرش أسلافه :

**ha-ra-na- I-sir-tu- ta-pa kid-su**

وترجمته ما يأتي :

[1] نفسه ص ٤٠ .

[2] اللهجات العربية الحديثة في اليمن ص ٩ .

[3] مدخل إلى علم اللغة ص ٨٦ .

[4] هو الإله للرابح عندهم ، وهو النجم المعروف ، وكانوا يعبدونه .

وهذه إلى سواء التمييز

فالمقطع الثالث الأول مثلاً مكون من أصوات صامتة هي الهاء التي تحـل محـل الحاء في العربية ولغات سامية أخرى ، على ما بيّناه من عدم نطق البـابليين بحـروف الحلق . وهي مكونة أيضاً من صوت صائت قصير ، وهو الذي نسـميه فـي النحـو : حركة، والذي يدل عليه الحرف (a) في هذا النص . على حين انتهت السين في المقطع الأخير بضمة وهي التي عبّر عنها بالحرف (u) .

وتتقارب الأكدية والعربية في كثير من الألفاظ فالأب في البابلية ( ابو ) Abu ، وشهر نيسان في هذه اللغة ( نيسانو ) Nissana [٢].

(ب) أما الجزرية الغربية الشمالية :

فهي قسمان : الكنعانية والآرامية .

وتنقسم الكنعانية إلى شمالية وجنوبية ، وتمثل الشمالية اللغة : (الاوكاريتية) : وهـي لهجة كنعانية قديمة كانت تتحدث بها (أوكاريت) ، المدينة القريبة من اللاذقية على الساحل السوري وهي اللغة الجزرية الثانية من حيث تاريخ تدوين النقوش ، إذ دونت نقوشها فـي حوالي سنة ١٤٠٠ ق.م ، وتم اكتشافها صدفة في سنة ١٩٢٩ م . وهي أقدم لغة جزريـة عرفتها بلاد الشام [٣]

وتميز الاوكاريتية بين أصوات تداخلت في العبرية بعد ذلك ، فإذا كانت العربية تميز الحاء من الخاء ، فإن الأوكاريتية تميز أحدهما من الآخر أيضاً، على حين فقـدت هـذا التميز العبرية ، إذ صار الخاء ينطق حاء [٤].

كتبت الاوكاريتية بالخط المسماري الذي كتبت به النقوش الأكديـة ، والـذي شـاع وانتشر في العالم القديم ، كما ذكرنا سالفاً . مما يسّر على العلماء قراءة نقوشـه . إلا أن

---

١- تاريخ اللغات السامية ص ٤٧.

٢- نفسه ص ٤١.

٣- فصول فقه العربية ص ٢٢، ومدخل إلى علم اللغة ص ٨٧ .

٤- مدخل إلى علم اللغة ص ٨٧ .

هذا الخط يختلف عن الخط الأكدي في أنه يسير وفق النظام الأبجدي[1] ، على حين يسير الأكدي وفق النظام المقطعي كما رأينا . وبذلك يعد عمل الاوگاريتيين في الخط عملاً يتسم بالتطوير ، إذ النظام الأبجدي أيسر من النظام المقطعي الذي لا يخلو من تعقيد ، على أساس أن الحرف الواحد في الأبجدي يعبر عن صوت واحد من أصوات اللغة ، فلا يحتاج تدوين اللغة إلا إلى عدد محدود من الأصوات والرموز . وبذلك بسط الاوكاريتيون نظام الكتابة ، وعنهم أخذت بقية الشعوب فكرة الكتابة الأبجدية[2].

وتمثل الكنعانية الجنوبية ، مجموعة من اللغات منها :

١- العبرية : وأهم النصوص التي كتبت بها هو (العهد القديم) كتاب اليهود المقدس ، ويشتمل على التوراة ، وهي الأسفار الخمسة الأولى لموسى عليه السلام ، وكتب الأنبياء ، والمكتوبات كمزامير داود وأمثال سليمان وغيرها ، وهي الأسفار الأدبية . وهذه هي العبرية القديمة ، ويكاد أن يكون العهد القديم المصدر الوحيد للتعرف عليها؛ إذ لم يصل من هذه اللغة عن طريق النقوش إلا النزر اليسير .

ومن العبرية : عبرية المنشأ ، وهو الكتاب المقدس الثاني عند اليهود ، وقد دون بعد اكتمال تدوين العهد القديم . ومعلوم أن هذا الكتاب ـ العهد القديم ـ دخله التحريف والتغيير .

ومنها العبرية الوسيطة ، التي ألفت بها الكتب الدينية وغير الدينية في العصور الوسطى . وقد تأثرت العبرية في هذه الفترة بالأدب العربي فحاكته في جوانب من ألوانه كالمقامات ، وترجمت إلى العبرية كتب عربية كثيرة ، وكتبت بها مؤلفات دينية وفلسفية[3].

وهناك العبرية الحديثة ، وهي تختلف في جوانب من بنيتها عن اللغة القديمة ، إذ حدث عليها تغيير عبر مراحلها المختلفة .

والعبرية قاصرة عن العربية في كثير من الخصائص ، ومنها الخصائص العالية التي احتفظت بها العربية لغة جزرية ، فالعربية معربة بالحركات والحروف . فظاهرة

[1] فصول في فقه العربية ص ٢٤ . ومدخل إلى علم اللغة ص ٨٧ .

[2] مدخل إلى علم اللغة ص ٨٨ .

[3] مدخل إلى علم اللغة ص ٨٨ ـ ٨٩ .

الإعراب متمثلة فيها أصدق تمثيل ، وهي من أهم خصائص المجموعة الجزرية ، كما أن العربية تحتفظ بحروف لم يعد لها في العبرية وجود ، ويتجلى ذلك في حرف الخاء ، الذي اندمج في العبرية بالحاء ، كما أوضحنا آنفاً . فلم يعد له وجود في الخط .

٢- **الفينيقية** : وهي من الكنعانية الجنوبية وهي من اللغات الميتة الآن ، وقد وصلت إلينا في عدة نقوش . وكان الفينيقيون قد نشروا لغتهم عن طريق مستعمراتهم في أهم بلدان البحر الأبيض المتوسط .

اليونان هم الذين أطلقوا هذا الاسم على الكنعانيين الذين كانوا يسكنون سواحل البحر[١] . وأقدم مناطق الفينيقيين صور وصيدا وجبيل ، ولقد رحلت لغتهم معهم إلى خارج موطنهم الأصلي حتى استقرت في حوض البحر الأبيض المتوسط ، وخاصة في مدينة قرطاجنة . وكانت اللهجة الشائعة في هذه المدينة هي البونية ، التي تفرعت عن الفينيقية ، وكتب لها البقاء إلى القرن الخامس للميلاد ، فعاشت عمراً أطول من عمر أمها اللغة الأصل[٢] . وهي فرعان : البونية الأصل والبونية المحدثة **N eo - ponic** ، التي تطورت فيها الأصوات وأشكالها في الكتابة[٣] وقد كتبت اللغة الفينيقية بخط أبجدي متطور عن الخط الاوكاريتي ، فلكل صوت فيه رمز يكتب به ، إلا أنه يختلف عن الأوكاريتي من ناحية الشكل من حيث أن هذا الخط مسماري ، على حين يتخذ الفينيقي أشكالاً هندسية مختلفة ويشبه إلى حد ما الخط العبري[٤] .

٣-**المؤابية** : وهي منسوبة إلى مؤاب ، وهي لهجة قبائل استقرت في حوالي سنة ألف قبل الميلاد في شرقي الأردن ، وليس لدينا معلومات كثيرة عنها ، إلا أنها ذكرت في أسفار (العهد القديم ) ، إذ كان هذا الكتاب يتحدث عن مؤاب والمؤابيين في بعض المواضع . وقد كشف في نهاية القرن التاسع عشر نقش كبير كتب بحروف كنعانية ولهجة مؤابية ، دونت فيه الحروب التي دارت بين ملكهم ميشع وبين بني اسرائيل ، وقد وصف العهد القديم تلك الحروب ، إلا أن سفر الملوك يذكر أن العبريين انتصروا على المؤابيين،

[١] تاريخ اللغات السامية ص ٦د . ومراد كامل : اللهجات العربية في اليمن ص ١١ .

[٢] دراسات في فقه اللغة ص ٥٠-٥١ .

[٣] الطبلجي : الكتابة العربية والسامية ص ٢٧٠ .

[٤] مدخل إلى علم اللغة ص ٨٨ .

على حين يذكر هذا النقش العكس[1] . ويذكر العهد القديم أن المؤابيين من نسل النبي لوط عليه السلام.

ويرى المستشرق ولفنسون أن القول بأن العبرية والآرامية فرع من الكنعانية خطأ وقع فيه عدد من قدامى المستشرقين ، وتابعهم عليه الذين جاءوا من بعدهم دون بحث أو تمحيص ، حتى صار ذلك كالحقيقة الثابتة ، مع أنه ليس كذلك . ويبيّن أن ذلك حديث خرافة ، لأن الكنعانيين والعبريين والآراميين فروع لأصل واحد مشترك ، في رأيه ، وليس قوة الشبه – يقول – دليلاً على الأخذ ، إلا إذا ثبت ذلك ، وهو أن يكون العبريون قد اقتبسوا لغتهم من الكنعانيين .

وعلل قوة الشبه بينهما بأنهما في الواقع كانتا لغة واحدة[2]، وهي اللغة الجزرية الأصل ، التي تفرّعت منها سائر اللغات الجزرية .

ولكن الذي عليه الباحثون والذين كتبوا في الكنعانية هو أن العبرية فرع منها كما قدّمنا ، وهو الرأي السائد لدى جمهور المستشرقين ، ومن كتب أيضاً في هذا الموضوع من العرب . كما يتضح من الكتب المؤلفة في فقه اللغة وعلم اللغة ، مما ورد في هذا البحث .

أما القسم الثاني من اللغات الجزرية الغربية الشمالية ، فهي :

**الآرامية :**

وصلت إلينا الآرامية في عدد من المستويات اللغوية المتطورة عبر العصور منذ القرن العاشر قبل الميلاد إلى اليوم ، فليس هناك لغة آرامية موحدة ، بل تنوعت مستوياتها وخصائصها بحسب العصور المختلفة التي مرت بها[3]. ومن أقدم نقوشها نقش " تل حلف " على نهر الخابور الذي كتب في حوالي ٩٠٠-٨٥٠ ق.م ، وكتبت بالآرامية

---

[1] - مراد كامل : حاشية الفلسفة اللغوية ص ٣٤ . وأدور ألنوف : علم اللغات السامية المقارن ص ١٧٤ .

[2] - تاريخ اللغات السامية ص ٥٤-٥٥ .

[3] - مدخل إلى علم اللغة ص ٩٠ .

نقوش النبطية و التدمرية ونقوش صحراء سيناء التي يرجع تاريخها إلى الفترة التي تبدأ بالقرن الأول قبل الميلاد إلى القرن الرابع [1].

وقد انقسمت مواطن الآراميين على قسمين : أحدهما في الشمال الغربي على تخوم البلاد الكنعانية ، وقسم في الشرق على حدود بابل واشور . وامتد نفوذهم إلى وادي الرافدين وانتهى إلى الخليج العربي ، وصارت لغتهم تقتحم على الأكدية معاقلها وتنتزعها منها ، حتى أنها سادت في المنطقة ، وصارت لغة لها صفة العموم ويتحدث بها . على حين انحصر التحدث بالأكدية إلى حد كبير ، ولكنها بقيت لغة الكتابة والأدب والدين [2] على نحو ما نجد مثلاً في الملحمة البابلية الشهيرة ، وهي "ملحمة كلكامش" . التي تعد من روائع الأدب العالمي القديم ، والتي نالت صيتاً بعيداً ، وعناية لدى الباحثين اليوم [3]. واشتبكت اللغة الآرامية في صراع مع لغات الكنعانيين جيران الآراميين في الشمال الغربي ، وكتب لها السيادة في هذا الصراع ، فقضت على العبرية في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد ، وعلى الفينيقية في القرن الأول قبل الميلاد . وكان من مظاهر انتصارها على العبرية أن صار العبريون لا يستطيعون فهم لغتهم الأصلية ، العبرية ، ولا التحدث بها إلا بعد ترجمتها إلى الآرامية ، على نحو ما كان يفعله رجال الدين لهم من أجل أن يفهموهم نصوص التوراة .

وبذلك ورثت الآرامية أخواتها الجزريات : الشرقية والشمالية معاً ، وأصبحت لغة سائدة في التخاطب في العراق وسوريا وفلسطين وما إليها من جهات ، وكان لها فوق ذلك منزلة اللغة الدولية في كثير من المناطق المجاورة لها [4].

وكان الآراميون قد نزحوا إلى سورية من جزيرة العرب [5]، ثم امتد نفوذهم بعد ذلك إلى مناطق متعددة على نحو ما بيناه آنفاً .

---

[1] - فصول في فقه العربية ص ٢٢ وما بعدها .

[2] -علي عبد الواحد : فقه اللغة ص ٢٩ و ٥٤ .

[3] - وقد ترجمها المرحوم الأستاذ طه باقر إلى العربية . ونشرت في بغداد سنة ١٩٧١

[4] - فقه اللغة ص ٥٣ - ٥٤ .

[5] -تاريخ اللغات السامية ١١٤ .

وقد انشعبت الآرامية ، نتيجة لاتساعها ، إلى عدة لهجات ، وتعددت طوائف الناطقين بها . وترجع هذه اللهجات إلى مجموعتين : اللـــهجات الآراميـــة الشـــرقية ، واللـــهجات الآرامية الغربية . وتشمل الشرقية : اللهجات الآرامية في سوريا وفلسطين وشبه جزيـــرة سيناء [1].

ويرجع الفرق بين الكتلتين : الشرقية والغربية إلى كيفية النطق بها وإلى نوع الدخيل من الألفاظ الأعجمية ، كما أن هناك فرقاً من حيث العقلية واتجاه الأفكار وما إلى ذلك مما يكون للبيئة والطبيعة تأثير فيه ، وله تأثيره في الجماعات اكثر من تأثير اللغات [2].

تختلف هاتان المجموعتان في كثير من مظاهر الصوت والدلالة ، والقواعد أيضـــاً . فمن ذلك أن اللهجات الغربية تستعمل الياء في أول الفعل المضارع عنـــد إسـناده إلـــى الغائب، كما هو الشأن في معظم اللغات الجزرية ، ومنها ــ كما هـــو معلـــوم ــ اللغـــة العربية . على حين تستبدل اللهجات الشرقية النون بهذه الياء . ومن الفروق في القواعـــد أن أداة التعريف في الآرامية تلحق بآخر الاسم ، وهي في اللهجات الشرقية فقدت وظيفتها اللغوية ؛ إذ صارت مجرد حرف ملحق بآخر الكلمة وجزء منـــها ، دون أن تـــدل علـــى التعريف الذي دلت عليه في اللهجات الغربية [3].

**وقد انقسمت المجموعة الشرقية إلى عدة لهجات ، اشتهر منها :**

**( أ ) آرامية الدولة** : وهي اللغة التي أعلنت لغة رسمية للأخمينية ولذلك أطلق عليها هـذا الاسم . وهناك نقوش من هذه الفترة وجدت في منطقة واسعة من العالم القديم ، تقـــع مـــا بين باكستان ــ اليوم ــ إلى أسوان في مصر [4].

**(ب) آرامية التلمود البابلي** : وهو شرح لكتاب (المشنا) ، أحد الكتب المقدسة لدى اليهود، الذي كتب بالعبرية ، على حين أن الشرح بالآرامية البابلية . ويكوّن الشرح مع المشـــنا

---

[1] -نفســه ١١٧ .

[2] - تاريخ اللغات السامية ص ١١٧، وفقه اللغة ص ٥٥

[3] - فقه اللغة لعلي عبد الواحد ص ٥٥ . وحسن ظاظا : الساميون ولغاتهم ص ١١٦ وما بعدها .

[4] - مدخل إلى علم اللغة ص ٩٠ .

اسم التلمود البابلي [1]، وقد تعاقبت عليه أجيال من الرواة اليهود في مدارسهم في العراق منذ سنة ٢١٩ للميلاد إلى سنة ٥٠٠ [2].

( ج ) **المندعية أو المندائية** : وهي تلفظ بالعين في كتابات كثير من الباحثين وبالهمزة في تلفظ أهلها الذين تأثروا بالنطق الآشوري ، فلم يعودوا يحسنون أداء الحروف الحلقية ، وخاصة الحاء والعين [3] وهي لهجة الصابئة المندائيين الذين يسكنون جنوب العراق [4]، اشتقت [5] من ( م د ع ا ) أي : المعرفة .

وقد انحسر الحديث بهذه اللهجة واقتصرت معرفتها على الرؤساء الروحانيين لهذه الطائفة . ويذهب الصابئة إلى أنهم يتبعون في عقيدتهم الدينية يحيى بن زكريا عليه السلام، وهو المسمى عند النصارى يوحنا المعمدان [6].

ووهم ولفنسون حين ظن أن هذه اللهجة ينطق بها النصارى الذين يسكنون جنوب العراق ، وتابعه في هذا الوهم الدكتور رمضان عبد التواب [7] مع أن ولفنسون نفسه قد صرح [8] بعد ذلك ، أن ديانة هذه الطائفة ، في رأي المستشرقين ، ليست مسيحية ، بل هي مزيج من عدة تعاليم قديمة مشوبة بآراء يهودية ومسيحية . ومما يدل على عدم نصرانيتهم ، أن الكنيسة حاربتهم ، كما حاربت اليهود ، لاعتراضهم على الديانتين النصرانية واليهودية [9].

ويذكر لفنسون أن آثار المندعية قليلة ، لا تفيد علم اللغة كثيراً . وقد لوحظ خلوصها من شوائب العبرية واليونانية . وهي في جملتها أقرب إلى اللغة الآرامية القديمة الأصلية

---

[1] - مدخل إلى علم اللغة ص ٩١ .

[2] - الساميون ولغاتهم ص ١١٦-١١٧ .

[3] - نفسه ص ١١٧ .

[4] - بالقرب من ضفاف دجلة والفرات، في ذي قار وميسان وغيرهما .

[5] - مراد كامل : اللهجات العربية في اليمن ص ١٩ .

[6] - الساميون ولغاتهم ص ١١٧ . والحسني : الصابئون في حاضر هم وماضيهم ص ٤٩ .

[7] - تاريخ اللغات السامية ص ١٤٥ .

[8] - فصول في فقه العربية ص ٢٦ .

[9] - اللهجات العربية الحديثة في اليمن ص ٢٠ .

من جميع اللهجات الآرامية المتأخرة [1]. وبها كتب كتابهم الديني Qinza Rabba أي الكتاب العظيم ، ويسمى (سدرا آدم) ، أي صحف آدم ، ظانين أنه صحف آدم أنفسها [2].

( د ) اللهجة الحرانية :

وتنسب إلى حرّان في شمال العراق . وكانت هذه المدينة مركزاً مهماً من مراكز الثقافة الآرامية . وزاد من أهميتها احتكاكها بالفلسفة اليونانية القديمة .

وقد انتفع العرب المسلمون من الثقافة الحرانية ، واستفادوا من عدد من النابهين من علماء حرّان ، إذ استخدمهم الخلفاء العباسيون في ترجمة كتب فلسفية من السريانية واليونانية إلى العربية . واشتهر من علمائها ثابت بن قرّة الحرّاني . ثم أخذت هذه اللهجة تتضاءل وتنهزم أمام اللغة العربية ، حتى انقرضت في القرن التاسع للميلاد [3].

( هـ ) اللهجة السريانية :

وهي لهجة مدينة أوديسا Edessa ولفظها بالسريانية أورهي Urhai أو Urha وتعرف بالعربية باسم (الرها) ، والأول أطلقه عليها اليونان ، ثم حرّف في القرن الخامس عشر للميلاد إلى أورفا ، وهو اسمها إلى هذا اليوم [4].

وقد حلت لفظة سرياني محل لفظة آرامي ، بعد أن دخلت في الديانة المسيحية عناصر آرامية ، رأت أن هذا اللفظ أليق بعقيدتها ، إذ كان المسيحيون يرون الآرامية لغة وثنية ، كما أنهم أرادوا بهذه اللفظة تميزها من الآرامية اليهودية [5].

---

[1] - تاريخ اللغات السامية ص ١٤٥ .

[2] - الصابئون في حاضرهم وماضيهم ص ٨٤ .

[3] - الصابئون في ماضيهم وحاضرهم ص ٨٤ .

[4] - نفسه ص ١٤٥ - ١٤٦ .

[5] - الساميون ولغاتهم ص ١١٩ . ومدخل إلى علم اللغة ص ٩١ .

وكانت السريانية في البدء لهجة لمنطقة محدودة في الشام ، ثم انتشرت شيئاً فشيئاً مع ظهور المسيحية وانتشارها ، حتى إنها صارت لغة منطقة كبيرة في الشام والعراق إذ ذاك، وعدت لغة ثقافية معروفة . وترجع أهميتها إلى أنها أسهمت في نقل جوانب من تراث اليونان إلى العربية ، عن طريق الترجمة . وذلك بعد أن دخلت العراق والشام بعد الفتح الإسلامي ، وفي إطار الحضارة الإسلامية [1]، المنفتحة على التراث الإنساني الحضاري القديم. ولذلك فإن السريانية تعد أهم لهجات الآرامية كلها ، وأغناها في النتاج الأدبي والعلمي والفلسفي .

وتنقسم من الوجهة التاريخية على قسمين ، أو قل : طورين : الأول يشمل آداب السريان منذ انتشار المسيحية في أماكنها إلى الفتح الإسلامي للعراق . والثاني : ينتهي بتوغل جيوش المغول والتتار في سورية والعراق [2].

وانقسم السريان على قسمين : النساطرة واليعاقبة ؛ وذلك بعد خلافهم العقيدي في طبيعة السيد المسيح عليه السلام . ونشأ عن ذلك لهجتان ، هما : اللهجة اليعقوبية ، واللهجة النسطورية . وقد أخذ البون يتسع بين اللهجتين ، إلى الحد الذي انمازت فيه إحداهما من الأخرى في كثير من الأصوات والدلالات والقواعد [3].

وفي السريانية ألفاظ يونانية وعبرية ، نتيجة لاقتراضها من هاتين اللغتين . وقد كتب الكتاب المقدس بالسريانية [4]. وكما تأثرت أثرت أيضاً ، فكان من نتيجة احتكاكها بالعربية أن اقترضت العربية منها ألفاظاً . والاقتراض وسيلة لنمو اللغات في العالم قديماً وحديثاً ، يعمل على اتساعها وتطورها ، شأنه في ذلك شأن وسائل النمو الأخرى من قياس واشتقاق ونحت وارتجال . وسيأتي الحديث عنها مفصلة إن شاء الله عند الكلام على نمو اللغة العربية.

وكانت العلاقات الاقتصادية والسياسية قد توثقت منذ أقدم العصور بين العرب وجيرانهم الآراميين عن طريق التجارة والرحلات وامتزاج عدد من القبائل الآرامية

---

[1] مدخل إلى علم اللغة ص ٩١ .
[2] تاريخ اللغات السامية ص ١٤٧ .
[3] علي عبد الواحد : فقه اللغة ص ٥٧ .
[4] تاريخ اللغات السامية ص ١٤٨ .

بالحجاز أو على تخومه . فانتقلت على إثر ذلك إلى العربية ، طائفة من الألفاظ الآرامية . وبخاصة تلك التي تتعلق بالحياة الحضرية ، ومنتجات الصناعة ، والتفكير في ما وراء الطبيعة [1].

وعندما حمل المسلمون نور الإسلام وفتحوا به البلدان ، وامتزجوا بشعوبها ، التقطوا شيئاً من ألفاظها المعبرة عن ألوان من الحياة المادية والفكرية . وكان من جملتها اللغة السريانية . ولم يفت هذا التأثر علماء اللغة الأوائل ، بل أشاروا إليه ونبهوا عليه في مصنفاتهم . ويمكن أن نجد ذلك مثلاً في كتاب (غريب الحديث) لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤ هـ)، إذ يذكر (الفالج) في وقوفه عند تفسير حديث ، مبيناً أنه المكيال، ثم يبين أن أصله سرياني ، وأنه يقال له بالسريانية (فالغا) فعرّب ، فقيل : فالج [2]. كما نجد مثل ذلك في كتاب (المعرّب) لأبي منصور الجواليقي (ت٥٣٩هـ) ، وغير هذين من كتب التراث . غير أن أولئك الأفذاذ ــ على سعة علمهم وإخلاصهم ــ لم يكونوا على علم كاف باللغات الجزرية ، وبالوشائج التي تربط بينها . فكان منهم من يخلط بين لغة وأخرى كالسريانية والعبرانية [3] والنبطية ، مع ما بين هذه اللغات من فروق معروفة اليوم للباحثين وعلماء اللغات . وظهر في العصر الحديث عدة مؤلفات في المعرّبات ، تتعلق بما أصله سرياني ، منها :

١- الآثار الآرامية في لغة الموصل العامية ، للدكتور داود الجلبي الموصلي أورد فيه ألفاظاً عامية موصلية حديثة ذات أصل آرامي . وهو مطبوع .

٢- كتاب الدوائر السريانية في لبنان وسورية ، للقس يوسف حبيقة البكسنتاوي . وقد طبع في جزأين صغيرين . وقد نقده المؤرخ المعروف فيليب حتّي في كتابه : اللغات الجزرية المحكية في سوريا ولبنان .

٣- الألفاظ السريانية في المعاجم العربية ، لمار أغناطيوس الأول بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للسريان الارثذوكس . وقد نشره المجمع العلمي بدمشق سنة ١٩٥١ .

---

[1] - علي عبد الواحد : فقه اللغة ص ١٩٤ .

[2] - أبو عبيد : غريب الحديث ٣ / ٢٣٨ .

[3] - السامرائي : العربية تواجه العصر ص ٩٤ — ٩٥ .

ويلحظ من دراسة هذه الكتب أن هناك مبالغة في بيان اثر اللغة السريانية في العربية، مرده عدم الدقة العلمية في بيان العلاقة بين اللغتين ، من حيث إنهما من أرومة واحدة هي ما يسمى باللغات الجزرية ، على ما بيناه في هذا الفصل .

ولذلك أثار الكتابان الأخيران تعليق الدكتور إبراهيم السامرائي ونقده على مؤلفيهما ما ذهبا إليه . فقد قال في الثاني منهما : " غير أني وجدت مؤلفه قد جار عن السنن الواضح ، فخبط خبط عشواء ، فكان كحاطب ليل . وعجبت أن تكون مجلة المجمع الدمشقي قد نشرت مقالاته دون أن تعلق عليها . وسأبيّن ذلك بأمثلة كثيرة " .

ثم بيّن الدكتور السامرائي أن هذا المؤلف قد عزا طائفة من الألفاظ العربية إلى السريانية ، وأنه فاته ، كما فات القس يوسف حبيقة صاحب كتاب الدوائر السوبانية " أن بين مجموعة اللغات السامية أصولاً مشتركة . وهذا يعني أن الكلمة عربية وعبرانية وسريانية وبابلية وحبشية ، وفي لغات أخرى. ويتأتى من ذلك أن الكلمة لا يمكن أن تكون دخيلاً سريانياً معرّبا ، وهي من أصل ساميّ " .

ثم بيّن أن الألفاظ المتصلة بمعنى خاص قد تستعار من لغة إلى أخرى ، كطائفة من الألفاظ النصرانية التي اختصت بها السريانية ، إذ يمكن أن يقال عنها إنها دخيلة في العربية ، وإن كانت من أصل قديم . إي أن السريانية ، وهي لغة جزرية ، اختصت بتلك الألفاظ دون غيرها من اللغات الجزرية الأخرى ، يقول : وعلى هذا تكون الألفاظ العامة التي لا تتصل بمعنى خاص من الجزري المشترك بين هذه اللغات جميعاً . فالأب والابن والأخ والعم والعين والرأس والسن ، وسائر أعضاء الجسم ، مما أدخله الأقدمون في باب (خلق الإنسان) من هذا الباب ، أي من الجزري المشترك . ولا يصح أن يقال أن العين في العربية مثلاً جاءت من السريانية ، كما هي الحال في منهج هؤلاء المؤلفين الذين أشرنا إليهم ، كما لا يصح أن يقال : إن العين في العبرانية والاكدية والحبشية قد جاءت من السريانية .

وانتهى إلى أن في منهج هؤلاء المؤلفين ابتعادا عن المنهج العلمي السليم، ونكرانا للحدود التاريخية . وأورد بعد ذلك طائفة من الألفاظ التي عدها القس يوسف حبيقة سريانية ، مع أنها مشتركة بين اللغات الجزرية ، مثل : "كبع ، زعق ، حتم ، شحط ،

نمص " . كما أورد طائفة من الألفاظ التي عدّها مارأغناطوس سريانية ، مثـــل : " أب ، إيل ، أثفية ، أجم ، أسل ، أمن ، جم ، جمل " [1].

ومهما يكن من أمر ، فإن أحداً لا ينكر الاقتراض ، إلا أن ذلك مشروط بكون اللفظة التي تعد مقترضة من فصيلة أخرى ، كالحامية أو الآرية مثلاً ، أو بكونها ــ كمـــا رأى الدكتور السامرائي ــ لفظة خاصة ، كالألفاظ المستعملة في النصرانية ؛ مما اختصت بـــه السريانية . وهذا الوهم الذي وقع فيه هذان المؤلفان ، وقع فيه القدامى أيضاً ، علـــى مـــا أشرنا إليه سالفاً .

فهذا ما يتعلق بالمجموعة الشرقية من اللغة الآرامية ، التي تعد السريانية أهم وأشـهر لهجاتها . ولذلك بسطنا الكلام عليها نوعاً ما .

أما المجموعة العربية من اللغة الآرامية ، فتتكون من :

( أ ) اللهجة التدمرية : وهي لهجة كتبت بها عدة نقوش عثر عليها في مدينة (تدمـــر)[2] التي كانت مملكة عربية شهيرة ، وهي المعروفة لدى الغربيين باسم " **Palmyra** " . وقـــد ورثوا هذه التسمية عن الرومان واليونان. ويرى عدد من الباحثين أن هذه التسمية مأخوذة من " Palma " اللاتينية ، ومعناها :نخل أو نخلة [3]. وهناك من يرى أن تسميتها (تدمـــر) نطق آرامي لكلمة (تمر العربية) ، لكثرة التمر فيها[4] إلا أن من الباحثين من يذهب إلى أنه ليس هناك دليل قاطع على ذلك ، وألا دليل على وجود التمر فيها [5]. ورأينا هو أن ذلـــك ليس ببعيد لمثل هذه المملكة التي نبتت في قلب الصحراء، والتي كانت محطـــة للقوافـــل الذاهبة من العراق إلى الشام أو العكس[6]؛ إذ أن وجود مصادر طبيعية للمياه فيـــها يؤكـــد وجود هذه المادة الغذائية (التمر) التي تعتمد في مثل هذه البيئة التي هي أشبه بالواحـــات ، على الآبار وينبت فيها النخل .

---

[1] العربية تواجه العصر ص ٦٩ وما بعدها .

[2] - تبعد عن دمشق بنحو ١٦٠ كيلو متراً إلى الشمال الشرقي .

[3] - جواد علي : المفصل في تاريخ العرب ٣/ ٧٦ .

[4] - حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم ص ١١٥ .

[5] - المفصل في تاريخ العرب ٣/ ٧٦ .

[6] - المفصل ٣/ ٨٣ .

وأغلب التدمريين عرب ، على رأي أكثر الباحثين ، على الرغم من كتابة ما يتعلق بحياتهم بالآرامية وبالقلم الآرامي ، شأنهم في ذلك شأن (النبط) . وسبب ذلك عند هؤلاء الباحثين ، أن القبائل العربية التي استولت على المناطق الخصبة الواقعة في شرق الكنعانيين ، بعد سقوط الدولة البابلية، كتبت بالآرامية ؛ " لأنها كانت لغة الكتابة والثقافة في المنطقة الواقعة غربي الفرات" [1]. فليست كتاباتهم بالآرامية ترجع إذا إلى أنهم ليسوا بعرب ، بل لأن تلك اللغة كانت لغة الثقافة والتمدن في ذلك العصر .

ومما يدل على عروبة التدمريين ظهور ألفاظ ومصطلحات عربية أصلية في كتاباتهم ، منها أسماء أعلام عربية . ولوحظ أن لهجة تدمر كانت مشوبة بألفاظ رومانية ويونانية . ويميل بعض المستشرقين إلى أن التدمريين آراميون من حيث الأصل ، ثم امتزج فريق منهم بالعرب [2] وإلى هذا الرأي بعض الباحثين مثل علي عبد الواحد وافي [3]؛ إذ يرجح أنهم آراميون ، وإن كانوا خاضعين في السلطان السياسي لعدد من الأسر العربية. وهذا الرأي مرجوح بما قدمناه من أن كتابة نقوش اللهجة التدمرية بالآرامية لا يعد دليلاً على آرامية الناطقين بها ؛ إذ أنها لغة الثقافة إذ ذاك . فضلاً عن أن عروبة هذه المملكة قد بلغت من الشهرة لدى الإخباريين العرب المسلمين حداً لا يشوبها معها ريب .

فقد رووا مثلاً عن ملكتها الشهيرة (الزباء)، أو كما تسمى أيضاً (زنوبيا) شعراً ونثراً عربيين نقله الرواة وحفظة اللغة . وجعلوه من شواهد النحو التي يعتد بها [4].

وقد وجدت الكتابات التدمرية منقوشة على الصخور ، وفي المغاور والكهوف ، وعلى أساطين الهياكل القديمة ، إلا أنها لا تتجاوز القرن الأول قبل الميلاد ، ووجدت نقوش أخرى ، تعود إلى القرنين الثاني والثالث بعد الميلاد [5]، وتدل تلك النقوش على حضارة التدمريين .

---

[1] - المفصل في تاريخ العرب ٣/ ٨١ .

[2] - تاريخ اللغات السامية ١٢٨، أسفل .

[3] -علي عبد الواحد : فقه اللغة ص ٦٠ .

[4] - وهو قولها : ما للجمال مشيها وئيدا أجندلا يحملن أم حديداً (مغني اللبيب) ٥٨٢/٢ ، وقولها المثل السائر الذي اشتهر عنها : " عسى الغويرُ أبؤسا " . ابن هشام أوضح المسالك ١/ ٣٠ .

[5] - فقه اللغة ص ٦٠ .

(ب) اللهجة النبطيّة : النبط مملكة عربية ، وأهلها عرب ، يدل على ذلك نشـــأتهم في المنطقة الشمالية الغربية من جزيرة ، في المكان الذي يعرف باسم (العربية الحجريـــة "Arabia petraea" وانتشارهم في أرض عربية هي (بطرا)، أو كما تنطـــق أيضـــاً (بترا) ، التي يسميها العرب : (سلع) . وعرف تأريخ النبط مما كتبه يوسفوس فلافيـــوس (٣٧ــ ١٠٠ بعد الميلاد) ، ومن كتابات عثر عليها في مناطق مختلفة منها (بطرا) والعلا بالحجاز في واحتي تيماء والحجر "Aegra" وخيبر ، وفي صيـــدا "Sidon"، ودمشـــق ، ومواضع متعددة من حوران وطور سيناء ، والجوف ، واليمن ، ومصـــر ، وإيطاليـــا[1]، متمثلا أكثر هذه النقوش على القبور . ويتراوح تأريخها ما بين أوائل القـــرن الأول قبـــل الميلاد ، وأوائل القرن الرابع بعد الميلاد . وقد دونت بخط نبطي يتصل بعـــض حروفـــه ببعض وهي أقدم ما وصل إلينا من خط جزري منقوش على الحجر برسم متصل الحروف [2]، وعنهم أخذ بقية العرب الكتابة التي ما نزال نستعملها إلى اليوم [3].

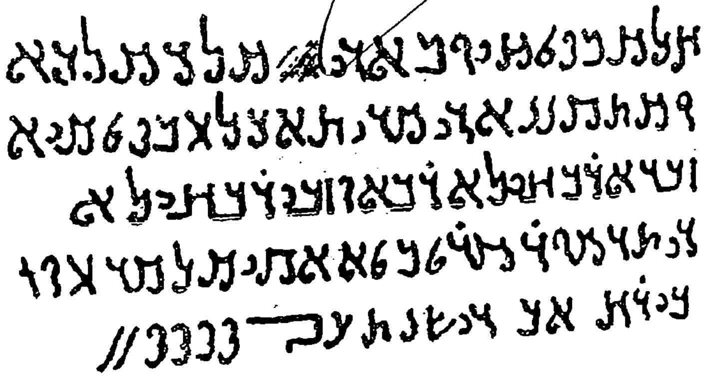

**[ نقش تدمري ]**

**نقش شـــبتميوس أدينت ملك الملوك**

**حل رموز نقش شـــبتميوس أدينت ملك الملوك.**

١) صلم سبتميوس أدينت ملك ملكاً.

٢) ومتقننا دي مدينا كله سبتميا.

١ - المفصل في تاريخ العرب ٣/ ٦ ــ ٧ ، وفقه اللغة الوافي ص ٦٠ ــ ٦١ .

٢ - الساميون ولغاتهم ص ١١٤ .

٣ -فقه اللغة ص ٦٠ ــ ٦١ .

٣) زبيدا رب حيلا رباوزبي حيلا.

٤) دي تدمور قرطسطا أقيم لمرهون.

٥) بيرح أب دي شنة.

ترجمة نقش شـيتميوس أدينت ملك الملوك

١ ــ هذا تمثال **شـيتميوس** أدينت ملك الملوك .

٢ ــ مصلح المدينة كلها أقامه أبناء **شـيتميوس** .

٣ ــ زبداً قائد الخيالة الأكبر ، وزبى قائد خيالة .

٤ ــ تدمر القائدان اللذان أقاماه لسيدهما .

٥ ــ في شهر آب سنة ٥٨٢ .

( الشكل ١ )

**عن ( تاريخ اللغات السامية ) لولفنسون ص ١٣١ .**

وكانت كتابات النبط آرامية ، فلغة[١] النصوص آرامية . وقلمها آرامي وهو مـأخوذ من الخط الآرامي القديم . وقد عرف لدى المستشرقين باسم القلم النبطي ، تمييزاً له من بقية الأقلام[٢] . وتختلف الكتابات النبطية القديمة من حيث رسم الحروف بعض الاختلاف عن الكتابات المتأخرة المدونة بعد الميلاد . أي أن ثم تطوراً طرأ على هذا الخط[٣] .

وقد انقسم المستشرقون في حقيقة النبط على عدة فرق :

١- فمنهم من يرى أنهم عرب خلّص ، وقبائل بدوية عربية كانت تستعمل الخط الآرامي في كتاباتها ، سواء أكان ذلك في النقوش المدونة أم في شؤون الحياة الحضارية المختلفة[٤]. ومن هؤلاء المستشرقان الألمانيان بروكلمان

Brochelman[٥] ، و النديوف[٦] .

---

[١] -تاريخ اللغات السامية ص ١٣٧ - ١٣٨ .

[٢] - المفصّل في تاريخ العرب ٣/ ٧ .

[٣] - المصدر نفسه ٣/ ٨ .

[٤] -تاريخ اللغات السامية ص ١٢٥ .

[٥] - فقه اللغة لعلي عبد الواحد ، حاشية ص ٦١ .

٢- وهناك من يرى أنهم آراميون احتكوا بالعرب فأخذوا منهم العربيـــة[٢]، فـــاختلطت لغتهم بلغتهم .

٣-وذهب آخرون إلى أنهم آراميون في الأصل ، ثم استعربوا من بعد[٣].

٤- وذهب المستشرق ولفنسون إلى أنهم في الأصل آراميـــون ، ثـــم حيـــن اختلطـــوا بالعرب ظهرت طبقتان : إحداهما آرامية ، والأخرى عربية . ثم كثرت عناصر العربيـــة حتى تغلبت على الآرامية ، ومحتها محواً تاماً ، ولكن بقيت الآرامية لغة الحضارة ؛ لأنها كانت في تلك العصور هي السائدة ، وأنها " لغة العمران عند جميع أمم الشرق الأدنى"[٤].

والرأي الأول هو الصحيح ، وبقية الآراء مجرد فروض . وقـــد ردّ علـــى الثـــاني والثالث منها الدكتور جواد علي[٥]، بعدة أدلة قوية ومقنعة .

ومثل ذلك يمكن أن يقال عن الرأي الأخير الذي ذهب إليه ولفنسون ، فهو لا يعـــدو أن يكون فرضاً لا يعضده دليل ، ولم يَقُم الدليل هو عليه أيضاً .

**نقش مرانا ملك النبط**

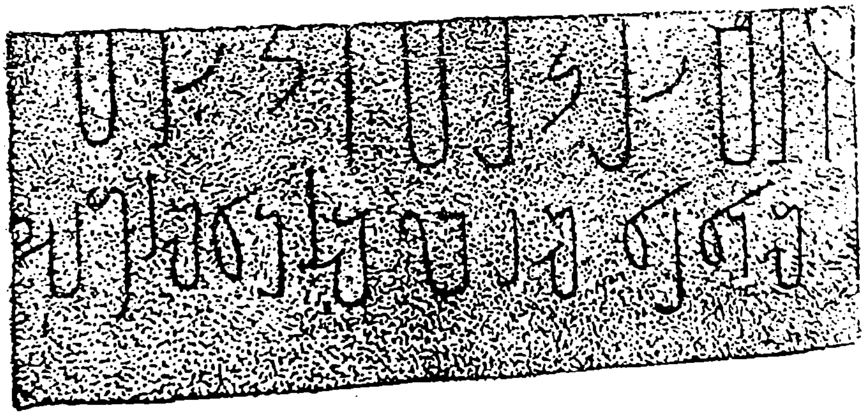

١ علم اللغات السامية المقارن ص ١٧٥ من مجلة ( بين النهرين ) .

٢ - المفصل في تاريخ العرب ٣/ ١٠ .

٣ المفصل في تاريخ العرب ٣/ ١٠ .

٤ - تاريخ اللغات السامية ص ١٣ .

٥ - المفصل في تاريخ العرب ٣/ ١٠ وما بعدها

**حل رموز نقش مرانا ملك النبط**

(١) دنه بنينا دي بنا.

(٢) مرانا ملكو ملكا ملك نبط .

**- ترجمة نقش مرانا ملك النبط**

(١) هذا هو البناء الذي بناه.

(٢) الملك مرانا ملك ملوك النبط.

**ملاحظة: هذا النقش نموذج متقن من القلم النبطي ويدل على اهتمامهم العظيم بفن الكتابة والرسم.**

(الشكل ٢) عن ولفنسون: تاريخ اللغات السامية ص ١٤٣.

والذي يتضح من لغة النبط وحياتهم وتاريخهم أنهم عرب . وتدل اسماء ملوكهم التي وردت في النقوش النبطية على ذلك ؛ إذ يتردد فيها اسم (الحارث) المعروف بـ (حرثت) و(حارثة) " **Harithat** " . وورد أول اسم لملوكهم في حوالي سنة ١٦٩ ق . م . وقد اطلق عليه الباحثون (الحارث الأول) ، وتلاه في الحكم الملك (زيد إل)، (زيد إيل) . وذلك بعد حوالي سنة ١٤٦ ق . م . ثم وردت عدة أسماء لملوك آخرين ، منهم (الحارث الثاني) و (عبادة الاول) ، و (الحارث الثالث) .

ويدل على عروبة النبط أيضاً أسماء آلهتهم ، مثل (ذو الشرى) " **Duschara** " إله النبط الكبير . ووردت أسماء أخرى لأعلام مثل (صالح) و (هاجر) و (جميلة) و(شقلية) التي هي من ملكات النبط وأم الملك (ربّ إيل) . ويلحظ ذلك في عبارة : " شقيلت امه ملكة نبطو " ، أي : " شقلية أمه ، ملكة ، النبط " [١].

**(جـ) اللهجة السامرية** : وهي لغة ، كان السامريون[٢] يتكلمون بها . وهم طائفة من اليهود لا يؤمنون إلا بالتوراة ؛ وهي أسفار موسى عليه السلام الخمسة التي يبدأ بها كتاب (المقرا) ، أو كما يسمى : (العهد القديم) . وقد ترجموها إلى لغتهم ، إلا أن ترجمتهم كانت

---

١- **المفصل في تاريخ العرب ٣/ ٢٣ - ٥٢ .**

٢- نسبة إلى السامرة، مدينة في فلسطين . ومنهم السامريّ الذي جعل بني إسرائيل يعبدون العجل، والذي ورد الحديث عنه في القرآن الكريم في عدة مواضع من سورة طه منها : ٨٥، ٨٧، ٩٥ .

ركيكة تتمسك بحرفية النص العبري ، ولا تجد حرجاً من أن تحشو النصَّ المترجم بكلمات عبريّة[1] ! . فهذه لهجات الآرامية الغربية .

وقد استأصلت اللغة العربية الآرامية من الأقطار التي كانت تتحدث بها بعد الفتح الإسلامي ؛ إذ كان للغة القرآن وتأثيرها في الحياة الفكرية العقيدية والاجتماعية والتربوية أهمية كبرى في انتشارها الواسع في الأقطار التي دخلها الإسلام ، واكتساحها اللغات المحلية التي يتحدث بها في الأقطار المختلفة التي دانت بالدين الجديد ، كالعراق والشام وغيرهما . مما جعل مدّ السريانية ينحسر كثيراً . بل والآرامية بعامة في المناطق التي تتحدث بها ، وإنما بقيت آثار منها في بعض الجهات الجبلية النائية في سورية والعراق ، وبعض مدن الشمال فيه كالموصل مثلاً . وقد أورد الدكتور داود الجلبي طائفة من الألفاظ الآرامية في عامية هذه المدينة ، مما كان شائعاً فيها في الثلاثينات من هذا القرن ، ثم انقرض كثير منها الآن ، فلم يعد أحد يتحدث به ، وذلك في كتابه الذي أشرنا إليه سالفاً [2].

على أن الآرامية الحديثة التي ذكرناها إنما تمتزج بكثير من التعبيرات العربية والتركية والكردية ، نتيجة لاقتراضها من هذه اللغات التي صارت على تماس مباشر بها ، نتيجة لاختلاط أهلها بالقوميات التي تتحدث بهذه اللغات ، ولما حدث من علاقات سياسية واجتماعية بين الجميع معروفة وما تزال السريانية ، التي هي أهم لهجات الآرامية كما قدمنا ، معروفة في المنطقة الشمالية من العراق ، وبها يتحدث كثير من المسيحيين . وقد صار للسريان العراقيين في أيامنا هذه مجمع لغوي ، ثم اندمج كسائر المجامع القومية في المجمع الأب : المجمع العلمي العراقي ، ومثل المجمع العلمي الكردي .

### (ج) الجزرية الغربية الجنوبية :

أما الجزرية الغربية الجنوبية ، وهي القسم الثاني من اللغات الجزرية الغربية ، فيضم لغتين : أحدهما الحبشية ، والأخرى العربية .

---

[1] - فصول في فقه العربية ص ٢٦ .

[2] - وهو كتاب : الآثار الآرامية في لغة الموصل العامية .

فالحبشية : يراد بها اللغات الجزرية التي نشأت في الحبشة ، نتيجة لهجرة من جنوب الجزيرة العربية إلى تلك البلاد المقابلة لهم ، أي من اليمن لذلك نجد تشابهاً بين أقدم ما وصل إلينا مدوناً في الحبشة ، وبين ما عرف في النقوش العربية الجنوبية القديمة [1].

وقد اختلط أولئك المهاجرون بأهلها الحاميين اختلاطاً شديداً ، يرجح أنه حدث قبل ميلاد السيد المسيح بوقت طويل .

ويطلق على لغتهم اسم اللغة (الكعزية) Ge,izz ، نسبة إلى الشعب القديم ، كما تسمى باسم آخر أخذه الأحباش من اللغة الإغريقية ، وهو (الاثيوبية) . وواضح أن هذه التسمية هي التي جعلت الحبشة تسمى لدى الغربيين اليوم (أثيوبيا) .

انشعبت اللغة الكعزية بعد تفرق الشعب الكعزي ، إلى لهجات متعددة أشهرها : اللهجة الأمهرية ، وهي لهجة متأثرة باللغات الحامية كثيراً [2]، وما تزال حية إلى اليوم .

ويذهب عدد من المستشرقين والعرب إلى أن الشعب الكعزي عربي . يقول أدور أندوف[3] : " والحبشية الجعزية ، هي اللغة التي تطورت على أرض أثيوبيا ، نتيجة لدخول عرب الجنوب إلى قرى أفريقيا " .

ويقول الدكتور محمود فهمي حجازي[4] : " ... نتيجة لهجرة عربية جنوبية من جزيرة العرب إلى الشرق أفريقيا ... " . ويفهم مثل ذلك من كلام الدكتور الصالح[5] . إلا أن الرأي السائد لدى الأكثرين أن الكعزيين من شعوب الجزيرة التي هاجرت ، وليسوا بالضرورة على هذا أن يكونوا عرباً ؛ لأن كثيراً ممن هاجر من شبه جزيرة العرب لم يكونوا كذلك ، كالأكديين والكنعانيين والآراميين ، وغيرهم من الجزريين ممن ذكرناهم سالفاً ، وبيّنا الأرجح في موطنهم الأصلي .

---

[1] - مدخل إلى علم اللغة ص ٩٣ . ومراد كامل : اللهجات العربية الحديثة في اليمن ص ٢٨ ٢٩

[2] - دراسات في فقه اللغة ص ٥٣ .

[3] - علم اللغات السامية المقارن ص ١٧٧ .

[4] - مدخل إلى علم اللغة ٩٢-٩٣ .

[5] - دراسات في فقه اللغة ص ٥٢ - ٥٣ .

وإلى هذا الرأي يذهب الدكتور علي عبد الواحد[1] وافي ؛ إذ يذكر أن الحبشية الجزرية تؤلف مع العربية شعبة على حدة . فهي إذاً ليست من العربية. ولم يصل إلينا من أدوار الكعزية الأولى شيء وإنما وصل إلينا ما يرجع تأريخه إلى سنة ٣٥٠ بعد الميلاد . وأهم هذه الآثار نقوش عثر عليها في مدينة أكسوم ، عاصمة البلاد في تلك الفترة . كما وصل إلينا من هذه اللغة ترجمة الكتاب المقدس ومؤلفات دينية ترجم معظمها عن اليونانية.

ولم يطل عمر الكعزية في مجالات التحدث ؛ بل حلت محلها الأمهرية . بعد سقوط مملكة أكسوم ، وقيام مملكة كوا **Choa** على أنقاضها ، تحت حكم الأسرة الأمهرية . إلا أن الكعزية بعد انقراضها من لغة التخاطب ، صارت لغة الأدب والدين ، واستأثرت بذلك في أكثر المناطق الحبشية ، وما تزال كذلك حتى اليوم[2]، على حين صارت الأمهرية هي اللغة الرسمية في الدولة ، وبها مؤلفات حديثة ، وتصدر بها الصحف ، وتستخدم في التعليم العام[3]. وكان ظهورها في أواخر القرن الثالث عشر للميلاد ، ولم يدون أدبها إلا في القرن العشرين ، بالخط الحبشي القديم ، مضافاً إليه عدد من الأحرف[4] والكعزية قريبة من العربية الجنوبية والعربية الشمالية الفصحى . إلا أنها تختلف عنهما في عدة مظاهر رئيسة ، كالأصوات والدلالات والمفردات والقواعد . فالكعزية مثلاً لا تفرق بين المذكر والمؤنث من الأسماء بعلامة ، كما أنها تجرّدها من علامة التعريف . يضاف إلى ذلك اشتمالها على طائفة من المفردات الدخيلة عليها ، مما اقترضته من اللهجات الحامية واللغة اليونانية ، وعلى ألفاظ جزرية تتفق فيها مع العبرية [5].

ونبتت إلى جانب الأمهرية في الحبشة لهجات أخرى ، بعضها متفرع من الكعزية ، وهي : اللهجة التيجرينيّة ، واللهجة التيجريّة [6]. وهاتان اللهجتان أكثر اللغات انتشاراً في اريتيريا [7]. وبعضها متفرع من اللغة الأمهرية ، وهي: الجوراجية ، ولهجة مدينة هرر .

---

[1] - فقه اللغة ص ٨٤ .

[2] علي عبد الواحد : فقه اللغة ص ٨٧ ٨٨ . واللهجات العربية الحديثة في اليمن ص ٢٩ .

[3] - مدخل إلى علم اللغة ص ٩٣ .

[4] اللهجات العربية الحديثة في اليمن ص ٢٩ .

[5] فقه اللغة ص ٨٨ .

[6] - هي لهجة أخرى غير التجرينية . وربما وهم فريق من الناس فظنهما لغة واحدة .

[7] - مدخل إلى علم اللغة ص ٩٣ .

وقد أحاطت بهاتين اللغتين الأخيرتين ظروف معينة أبعدتهما عن الأصل الذي انحدرتا منه ، حتى غدت كل منهما لهجة متفردة ، بل غدت الأخيرة غير مفهومة للأمهريين [1] . وإلى هذا اليوم تكتب اللغات الجزرية المختلفة التي في الحبشة ، بخط معقد يقوم على نظام قديم في اللغات الجزرية ، هو نظام المقاطع . فالحرف الواحد يرمز إلى صوت صامت مع حركة ، والحركات كثيرة في اللغات الجزرية في الحبشة ، حتى أن عدد الرموز يصل إلى حوالي ١٨٠ رمزاً [2] ، أما الخط القديم الذي كتب به ملوك أكسوم فمشتق من الخط المسند [3] ، ولا بد من القول في خاتمة الحديث عن اللغات الجزرية في الحبشة ، أن فيها لغات كثيرة غير جزرية منتشرة في مناطقها المختلفة [4] . وإذ تحدثنا عن شطر الجزرية الغربية الجنوبية ، وهي الحبشية ، فقد بقي علينا أن نتحدث عن شطرها الآخر الكبير : وهو العربية . ولما كانت العربية أكبر اللغات الجزرية الحية وأكثرها انتشاراً ، وكانت لغة لهذه الأمة التي نحن من أبنائها ، فقد بات من الضروري أن نفردها بالحديث ، ونخصص لها جزءاً وافياً منه يتناسب وخصائصها المتعددة العالية ، ومكانتها المرموقة بين سائر لغات العالم القديم والحديث . وخاصة بعد أن صارت هذه اللغة الكريمة اليوم لغة دولية يعترف بها في الشؤون الدولية ، ويحسب للحديث بها حساب .

[1] فقه اللغة ص ٩٠ - ٩١ .

[2] مدخل إلى علم اللغة ص ٩٣ .

[3] مباحث العربية الحديثة في اليمن ٢٩

[4] مدخل إلى علم اللغة : المكان نفسه .

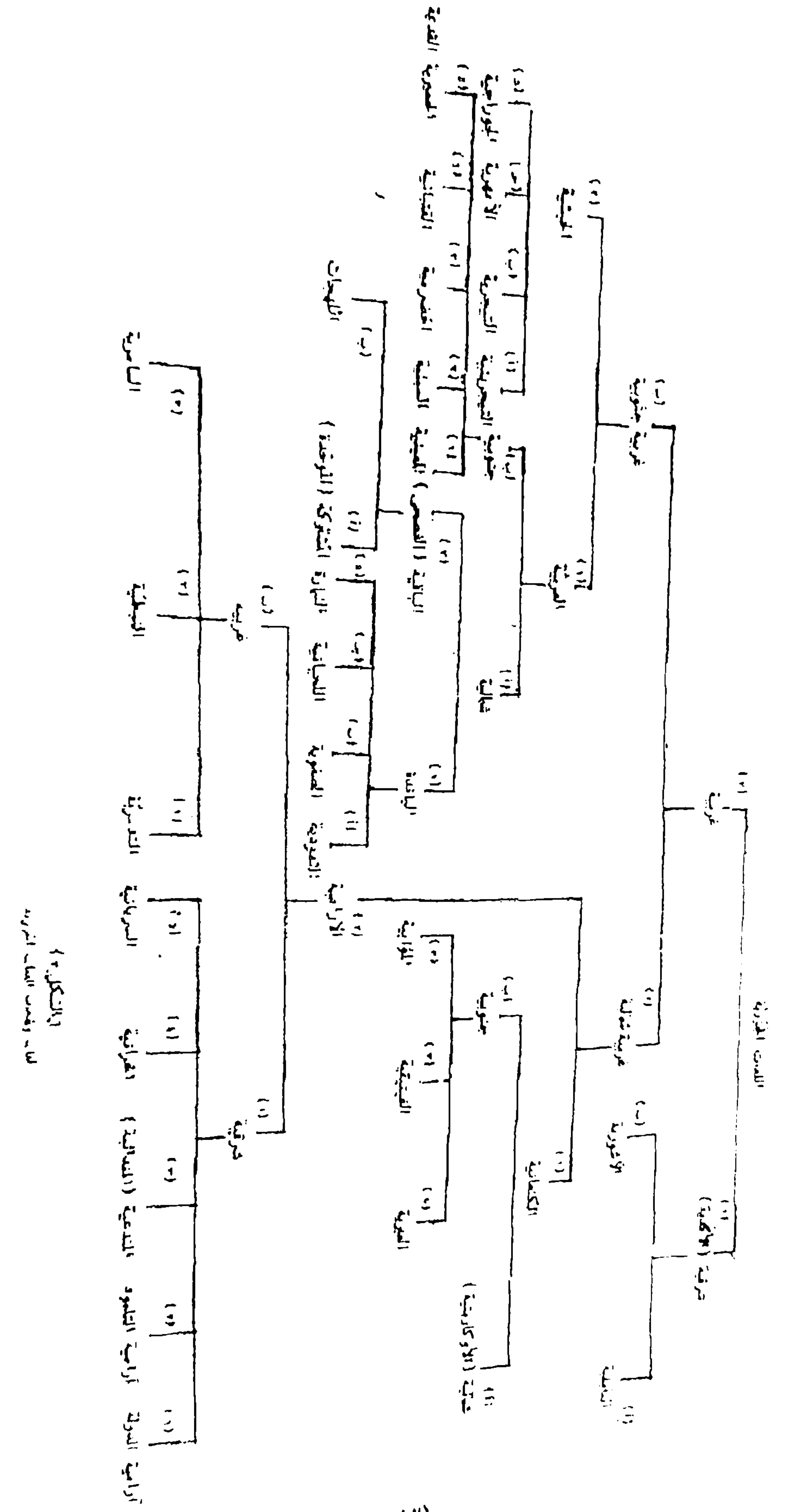

(الشكل ٣)
لغات ولهجات اللغات الجزرية

# الفَصــل الثــاِلــث

# اللغــة العــربية

## المبحث الأول :

### " العربية الجنوبيّة "

تنقسم اللغة العربية من الناحية الجغرافية على قسمين رئيسين ، هما : العربية الجنوبية والعربية الشمالية . وهذا التقسيم هو المشهور ، وهو تقسيم علماء اللغة من الغربيين والعرب [1].

إلا أن المستشرق ولفنسون يعترض على هذا التقسيم ، ويراه غير موافٍ لطبيعة أقسام العربية ، على أساس أنه " ليس تقسيماً جغرافيا صحيحاً ولا تاريخياً دقيقاً " من حيث أنه " ليست هناك حدود واضحة تفصل شمال الجزيرة عن الجنوب ، وتبين لنا من أين وإلى أين كانت منطقة انتشار القسم الجنوبي من اللغة العربية ..." [2]. وانتهى هذا المستشرق إلى أن الصواب هو أن تقسم العربية إلى بائدة وباقية [3].

ولا شك أن التقسيم الأول مع التقسيم العام للغات الذي تحدثنا عنه في الفصل السابق. كما أنه حدد ضربين من اللغات لكل منهما خصائصه وسماته التي تميزه من الآخر . ويبدو أنه أقرب إلى وضع هذه اللغات وتاريخها وخصائصها وهو على كل حال الأشهر المعتمد لدى الباحثين ، كما لاحظ ولفنسون نفسه .

ويطلق العلماء على العربية الجنوبية أسم " اليمنية القديمة " أو " القحطانية " ، ويلقبها فريق منهم بالحميرية أو بالسبئية ، والأخيرة من باب تسمية الكل باسم الجزء ، إذ أن السبئية إحدى لهجات هذه اللغة الجنوبية [4]، التي تغلبت على بقية لهجاتها في صراعها معها .

وقد هدانا إلى هذه اللغة العربية الجنوبية النقوش المدونة على التماثيل والقبور والأعمدة والصخور والمذابح وجدران الهياكل والنقود ، فتبين لعلماء اللغات أن هذه اللغة

---

[1] - تاريخ اللغات السامية ص ١٦٢ .

[2] - نفسه ص ١٦٣ .

[3] -نفسه ص ١٦٤

[4] - علي عبد الواحد : فقه اللغة العربية ص ٦٩ ودراسات في فقه اللغة العربية ص٥٢ .

التي هي المقصود بالعربية عند الإطلاق تختلف عن العربية الشمالية (الفصحى) ، التي هي المقصود بالعربية عند الإطلاق تختلف عن العربية في كثير من مظاهر الصوت والدلالة والقواعد والأساليب ، ويزداد هذا الخلاف سعة في المفردات[1] .

وأهم هذه اللهجات الجنوبية خمس ، هي : المعينية والسبئية والحضرمية والقتبانية والأوليان أشهرها .

*(أ) – ويراد **بالمعينية** : اللهجة المنسوبة إلى المعينيين الذين أسسوا في القسم الجنوبي من بلاد اليمن مملكة قديمة ، تشير بعض الدلائل إلى تكونها في القرن الثامن قبل الميلاد.

وقد وصلت إلينا اللهجة المعينية عن طريق نقوش عثر على بعضها في بلاد اليمن وعلى البعض الآخر في المستعمرات الشمالية التي امتد إليها نفوذ المعينيين فسكنتها جاليات منهم ، على تخوم البلاد الكنعانية – الآرامية .

ب – **وأما السبئية** : فتنسب إلى السبئيين ، الذين أقاموا مملكتهم على أنقاض مملكة المعينيين ، بعد أن قوضوا ملكهم . وقد ذكرها القرآن الكريم [2] مشيراً إلى السيل الذي اكتسحها فأزال ما بها من ازدهار وإيناع . وانتهى ملكها باستيلاء الأحباش عليها الذين غزوا بلاد اليمن لأول مرة سنة ٣٧٥م . وقد وصلت إلينا اللهجة السبئية عن طريق نقوش كثيرة عثر عليها حديثاً في مناطق متعددة من بلاد اليمن ، وخاصة في منطقة (مأرب)[3]، العاصمة المرموقة لهذه المملكة ، ذات السد الشهير المسمى باسمها .

جـ – **اللهجة الحضرمية** : وتنسب إلى قبائل حضرموت التي أنشأت في المنطقة الجنوبية المسماة بهذا الاسم مملكة زاهرة قوية . وبقيت تنازع سبأ السيادة والمنعة ، ثم آل أمرها إلى الزوال بعد انتصار السبئيين عليها .

وقد وصلت إلينا هذه اللهجة عن طريق نقوش عثر عليها في أماكن حضرموت القديمة [4] .

---

[1] - فقه اللغة ص ٦٩ . ودراسات في فقه اللغة ص ٥٢ .

[2] - سبأ : ١٥ – ٢١ .

[3] - فقه اللغة ص ٧٢ .

[4] - فقه اللغة ص ٧٣ .

د- **اللهجة القتبانية** : وتنسب إلى قبائل قتبان **Quatban** التي أنشأت مملكة في المنطقة المسماة بهذا الاسم ، وهي المنطقة الساحلية التي تقع شمل عدن .

وقد دال حكمهم بعد الحروب التي نشبت بينهم وبين مملكة سبأ القوية ، واندمجت قبائلهم بالسبئية في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد .

ووصلت إلينا هذه اللهجة عن طريق مجموعة من النقوش التي عثر عليها في بلاد اليمن .

هـ- **اللهجة الحميرية القديمة** : وتنسب إلى الحميريين الذين كانوا ينازعون سبأ السيادة والسلطان مدة طويلة بدون جدوى . واشتبكت لهجتهم في صراع مع اللهجة السبئية ، دون أن تتغلب عليها أو تنتقص منها ، وبقيت الحال هكذا ، حتى طرد الأحباش لأول مرة من بلاد اليمن ، وتولى الحكم فيها أسرة حميرية سنة ٤٠٠ للميلاد . وعندئذ بدأ نجم الحميرية في السطوع ، وازدهرت لغتهم ، واستأثرت بكثير من مظاهر التفوق في بلاد اليمن في الأدب، كما تدل على ذلك النقوش التي وصلت إلينا في هذه الفترة ، من عمر هذه اللغة الجنوبية العريقة [١]. والحميرية اثنتان : قديمة ، وهي التي وصفنا . وأخرى بهذا الاسم أيضاً سادت في ألسنة الحميريين ، والأخيرة هي التي يعنيها علماء العربية ومؤرخو العرب حين يتحدثون عن لهجة حمير ، ويستثنى من ذلك – فيما يذكر الدكتور علي عبد الواحد وافي [٢] – أبو عمرو ابن العلاء إذ يقول : " ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا " .

ولا بد من الإشارة إلى أن ما وصل إلينا من هذه اللهجات العربية الجنوبية، لا يعدو في الواقع النقوش ، فهو لا يمثل إلا لغة الكتابة أو لغة الآداب ، ولذلك لا يكاد يظهر بين نقوشها أي تطور يعتد به ، ولو تطاول الزمن ما بين أقدمها وأحدثها . وهذا أمر طبيعي ، فلغة الكتابة تتسم عادة بالمحافظة على سماتها ولا يتناولها التطور كثيراً ، بخلاف لغة المحادثة ، فإنها دائماً عرضة للتغير والتطور [٣] بتأثير الأوضاع الاجتماعية والسياسية والعقيدية والنفسية .. للشعوب .

---

[١] - فقه اللغة ص ٧٢ – ٧٣ .

[٢] - فقه اللغة : حاشية ص ٧٢ .

[٣] - فقه اللغة ص ٧٤ .

ولغة هذه النقوش عموماً وسط بين العربية الفصحى والحبشية القديمة (الكعزيــة)[1] إذا أردنا أن نقارن بين شيء من قواعد هذه اللهجات العربية الجنوبية ، وقواعد العربيـة الفصحى مثلاً ، وجدنا ضروباً من الاختلاف بينهما . فضمير الغائب في المعينية (سين) ، وهو بهذا يقرب من البابلية ، التي فيها هذا الضمير (شين) . وكذلــك وزن أفعل فـي المعينية (سَفعَل) وفي البابلية (شفعل) . على حين نجد ضمير الغائب في السبئية مثلاً (ها) ووزن أفعل : (هفعل) ، فكأن الهاء فيها تحل في جوانب من قواعدها محل الســين فـي أختها المعينية .

وتعد السبئية أكثر لهجات النقوش اليمانية تطوّراً[2]

طبيعة الخط اليمني وصورته :

ليس من شك في أن لأهل اليمن القدامى آداب شعرية ونثرية ، ولكن لم يصل إلينــا من آدابهم شيء حتى الآن . وقد كشف في العصر الأخير عن نقوش كثيرة في هذه البلاد، نشر منها حتى الآن ستة آلاف . هي تتعلق بالأدعية والإستغفارات ومراسيم تتعلق بـالري أو الضرائب ، ومنها ما يتعلق بالأمور المعمارية لتخليد ذكري من بنى معبداً . وهنــاك نقوش دونت عليها أخبار عدد من الملوك . وأخرى دينية حفرت على ألواح من البـرنز، وأقيمت في المعابد تقدمة للآلهة . وهناك نقوش عسكرية ونقوش بها نصوص قانونية .

كتبت هذه النقوش بالخط المسند الذي يحتوي على ٢٩ حرفاً ، وهــو خـط أبجـدي وليس على نظام المقاطع ، فهو إذاً يسير من نظام المقاطع الذي رأيناه في أكثر من لغـة جزرية ، على ما بيّناه في كلامنا السالف .

ويرى الباحثون أن هذا الخط مشتق من الخط الكنعاني ذي الاثنين والعشرين حرفاً : ( أبجد هوّز حطّي كلّمن سعفص قرشت ) ، ثم أضيف إليه بعد ذلك : (ثخذ ضظغ) ، وفي تلك الأبجدية علامتان للسين . وليس فيها حروف مد والغالب على الكتابة في الخط اليمني (المسند) الاتجاه من اليمين إلى اليسار . ولكننا نجد في الكتابات القديمة طريقــة الكتابـة المعروفة بطريق (سير المحراث) ، وهي البدء من اليمين إلى اليسار ، ثم من اليسار إلـى

---

[1] - اللهجات العربية الحديثة في اليمن ص ٣١ .
[2] - اللهجات العربية الحديثة في اليمن ص ٣٢ .

اليمين، ثم من اليمين إلى اليسار ، وهكذا[1] ويطلق على هذه الطريقة أيضاً اسم الطريقة الثعبانية[2] وحروف خط المسند تشبه الأعمدة ، وهو خط هندسي الشكل جميل منسّق[3].

ونورد على سبيل المثال سطراً من أحد النقوش السبئية ، مدونة بحروفنا العربية ، وننقله إلى لغتنا التي ننطق بها ، ليظهر الفرق الكبير بين العربية الجنوبية القديمة بلهجاتها المتعددة ، وبين العربية الشمالية الفصحى التي ما نزال نتحدث بها إلى اليوم :

**( بمقم مراهيمو عثتر شرقا إشممسهو والال تهمو بلخيل ومقيمت خمس )**

وهي بعربيتنا :

**( بمجد سيدهم عثتر المشرق والهتهم الشموس وسائر الآلهة وبحول وقوة الخميس " الجيش " )**[4].

[1] - ينظر : فقه اللغة لعلي عبد الواحد ص ٧٤ . واللهجات العربية الحديثة في اليمن ص ٣١ .

[2] - فقه اللغة : المكان نفسه .

[3] -المصدر نفسه ، ودراسات في فقه اللغة ص ٥٤ .

[4] - فقه اللغة ص ٦٩ - ٧٠ .

## العربية الشمالية :

يقسم علماء اللغة المحدثون اللغة العربية الشمالية على قسمين : العربية البائدة ، أو عربية النقوش ، والعربية الباقية ، أو العربية الفصحى . وإذا أطلق أسم اللغة العربية فلا يراد به عادة إلا هذه اللغة . وهو علمياً يقصد به اللغة العربية الفصحى أو كما تسمى : الباقية ؛ لأن البائدة قد انقرضت من لغة التخاطب بانقراض الأقوام الذين كانوا يتحدثون بها ، ولم يبق من آثارها إلا النقوش . ومن هنا كان لهذه النقوش أهمية كبرى ، لأنها هي التي هدت إليها ودلت عليها وأعطت التصور العلمي لها .

وعلى الرغم من أن اللغة العربية قد نشأت في أقدم موطن للجزريين ، (الحجاز ونجد وما إليها) ، فإن ما وصل إلينا من آثارها يعد من أحدث الآثار الجزرية . إذ إن أقدم ما وصل إلينا من العربية البائدة لا يكاد يتجاوز القرن الأول قبل الميلاد . وما وصل إلينا من العربية الباقية (الفصحى) لا يكاد يتجاوز القرن الخامس بعد الميلاد . ولذلك لا نعلم شيئاً عن طفولة اللغة العربية ، والمراحل التي مرت بها عبر مسيرتها [1].

### (١)
### العربية البائدة :

أو عربية النقوش ، فتطلق على لهجات لمجموعة من القبائل العربية التي كانت تسكن شمال الحجاز على مقربة من حدود الآراميين . وقد بادت هذه اللهجات قبل ظهور الإسلام [2].

وقد يسميها المستشرقون " العربية الأولى [3] " ، لأن نقوشها سبقت الآثار الرسمية التي وصلت إلينا من العربية الفصحى .

---

[1] - علي عبد الواحد : فقه اللغة ص ٩٣ . وفصول في فقه العربية ص ١٣٥ .

[2] - فقه اللغة ص ٩٣ - ٩٤ .

[3] - أدورد ألندرف : علم اللغات السامية المقارن ص ١٧٦ .

ولقرب الناطقين بهذه اللغة من الآراميين ، فقد ظهرت آثار الآرامية عليها . يضاف إلى ذلك السبب بعدها عن المراكز العربية الأصلية في نجد والحجاز ، وخاصة مكة المكرمة . إلا أن علماء الجزريات غالوا في القدر الذي بلغته هذه اللغة من التأثر بالآرامية ، مما حمل عدداً من المستشرقين على التنبيه على ذلك ، من مثل ولفنسون[1] ، وفرنكل **S . Fraenkal** في أبحاثه[2] .

وأقدم هذه النقوش هو ما اشتهر لدى العلماء باسم النقوش الثمودية واللحيانية والصفوية .

**( أ ) فالثمودية :**

لغة قبائل من عرب الشمال سكنوا المنطقة التي تمتد من شمَّر إلى ساحل البحر الأحمر ، ومن تبوك إلى العلا ، حيث وجدت لغتهم مدونة على الحجارة ، كما وجدت في شبه جزيرة سيناء ، وفي صحراء مصر الشرقية .

وقد ورد اسم الثموديين في نصوص آشورية ، منذ أواخر القرن الثامن قبل الميلاد ، وفي كتابات يونانية ورومانية . كما ورد ذكرهم بعد ذلك في القرآن الكريم . وهي تعد من القرى المعاقبة لكفر أهلها وطغيانهم وتكذيبهم نبيهم صالحاً عليه السلام ، قال تعالى : **{ كأن لم يغنوا فيها ألا إنَّ ثمود كفروا ربهم ألا بُعداً لثمود[3] }**. وقال تعالى : **{ وأنه أهلك عاداً الأولى * وثمودَ فما أبقى[4] }**. وذكرها في آيات أخرى[5] .

والنقوش الثمودية بصفة عامة موجزة جداً ، حتى إن معناها ليكاد أن يخفى على قارئها ، أو يصبح عرضة لتأويلات شتى . ومع ذلك فهي قريبة الأسلوب من العربية الباقية التي كانت مستعملة في عصر ظهور الإسلام ، أكثر من غيرها . ومنها يقف الباحث على طائفة من التقاليد الدينة والاجتماعية وأسماء الأصنام والأعلام[6] . ويرجع

---

[1] - تاريخ اللغات السامية ص ١٦٣ .

[2] - دراسات في فقه اللغة ص ٥٥ .

[3] - هود : ٦٨ .

[4] - النجم : ٥٠، ٥١ .

[5] - كالأعراف : ٧٣ ، التوبة : ٧٠ ، هود : ٦١ ، ٩٥ ، ابراهيم : ٩ ...

[6] - تاريخ اللغات السامية ص ١٨١

تاريخ معظم هذه النقوش إلى القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد . ولا يختلف الخط الذي دونت به كثيراً عن الخط المسند ، إلا أنه أقل من الخط اللحياني نظامـاً ورونقـاً . أما اتجاهاته فليست ثابتة على حال واحدة ، ولكنه يتجه من أعلى إلى أسفل غالباً[1].

ونورد هنا صورة لخط ثمودي :

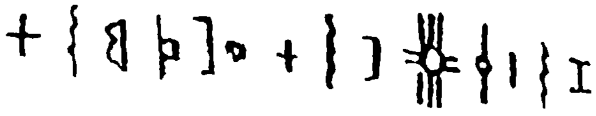

وهذا هو حل رموز حروفه الثمودية :

ذ ن ـ ل ق ض ـ ب ن ت ـ ع ب د ـ م ن ت

وإذا زدنا حروف المد إلى هذا الخط ، كان بهذه الصورة : ذين لقيض بنت عبـد منـاة وإذا نقلناه إلى عربيتنا وجدناه هكذا:

هذا قبرُ نقيض بنت عبد مناة.

ومن النقوش الثمودية التي حلها المستشرق ليتمان، هذا النقش:

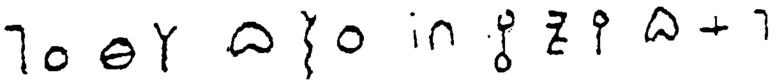

وهذا حل هذا النقش :

ل ت م ـ ي غ ث ـ ب ن ـ ج ش م ـ هـ ـ و ع ل

وبعد زيادة حروف المد يكون :

لتيم يغوث بن جشم هوعل .

ومعناه :

لتيم يغوث بن جشم الوعل [1].

[1] ... فقه اللغة ص ٩٦ – ٩٧ .
تاريخ اللغات السامية ص ١٠٠ .

ويلحظ هنا أن أداة التعريف في الثمودية ( الهاء ) وهو في العربية الباقية (أل) ، كما هو معروف .

واستعملت الهاء كذلك مكان حرف النداء (يا) وأمثاله ، في نقوش ثمودية اخرى . على نحو ما نجد في هذا النقش ، الذي يدعو فيه أحدهم صنماً اسمه (رضو) أو (رضى)،

وهو بعد حل رموزه :

هـ ر ض و ـ س ع د ـ ل هـ م .

وهو بعد ردّ حروف المد :

**هرضو ساعد لهم .**

وهو بعربيتنا الفصحى ( الباقية ) :

يارضو ساعد لهم ، ومعناه : ساعدهم ، أو : ساعد شخصاً اسمه لهم أو لهيم[1].

## (ب) الصفوية :

وجدت هذه النقوش في المنطقة الواقعة بين جبل الدروز في لبنان وتلال أرض الصفاة .

وقد اعتاد المستشرقون أن ينسبوها إلى الصفاة ، إختصاراً في التعبير ، مع أنها اكتشفت في منطقة الحرة القريبة منها . وكانت هذه النقوش منتشرة على أديم الأرض ، ويتضح منها أن أصحابها كان لهم اتصال بالمدنية ، إذ يربطون تواريخ هذه النقوش بحوادث من التاريخ كحروب النبط ، أو الفرس مع الروم وغيرها .

---

[1] - تاريخ اللغات السامية ص ١٨٢ .

ويعتقد ليتمان أن النقوش الصفوية تعود إلى القرون الثلاثة الأولى بعد الميلاد ، بدليل استعمال الصفويين اسم أذينة (أدينت) زوج الزباء ، الذي عاش في القرن الثالث للميلاد ولم يكونوا يسمّون بهذا الاسم ، ولا غيرهم من عرب الشمال[1] . وقد ساح في هذه المنطقة عدة مستشرقين ، وجلبوا منها كتابات وحاولوا حل نظامها الأبجدي ، فتوصلوا إلى شيء من ذلك ، إلا أنها بقيت مع ذلك غامضة ، إلى أن رحل المستشرق الكبير إنوليتمان ، وجمع منها أكثر من ١٤٠٠ كتابة ، وقد لاحظ ليتمان أن الخط الصفوي قريب من الثمودي ، فلا يبعد والحال هذه أن يكون مشتقاً منه . إلا أنه شديد التغير والاختلاف ، فتارة يقرأ من اليمين إلى الشمال ، وتارة العكس .

ويطلق اسم (الخط الثمودي الصفوي) لدى العلماء على الخط الذي يبدو فيه أثر النوعين .

ولاحظ ليتمان أن حروفها ثمانية وعشرون ، كما هي في العربية الباقية، فخلص من هذا إلى أن كاتبيها كانوا عرباً[2] .

وقد يوهم تقسيم هذه الخطوط إلى ثمودية وصفوية ولحيانية ، بوجود قبائل صفوية عربية . إلا أن الواقع هو أن ليس هناك قبائل بهذا الاسم ، وإنما هي تسمية للمكان الذي وجدت هذه النقوش بالقرب منه[3] ، وهو الصفاة، كما قدّمنا.

وفي هذه النقوش ألفاظ تدل على حياة أهلها الصحراوية ، ففيها ما يشير إلى الغنائم (غنم) والغزو (قتل) أو (خرص) . ومن الألفاظ المعبرّة عن بيئتهم الطبيعية الحافلة بأنواع الحيوان الوحشي والمستأنس : لث ، أي ، ليث، ولبأة ، أي : لبوة ، وغزالي ، أي : غزال ، وإبل وجمل وبكر ومهر ومهرة وحمار وضأن وماعز وبقر ووعل وضبع وضب ، قنفذ وورل .

[1] - نفسه ص ١٨٢ - ١٨٣ .

[2] -تاريخ اللغات السامية ص ١٨٣، فصول في فقه العربية ص ٣٧ .

[3] -تاريخ اللغات السامية ص ١٧٥ .

ومن أصنامهم : اللات ، وشيع القوم ، ورضو ، وجد ، وعوذ ، وألـــت[1] ديـــن .

وواضح أنهم عبدوا بعض الآلهة التي عبدتها قريش وكثير من العرب، وهي اللات التـــي ورد ذكرها في القرآن الكريم[2] . وهاهو نموذج من النقوش الصفوية :

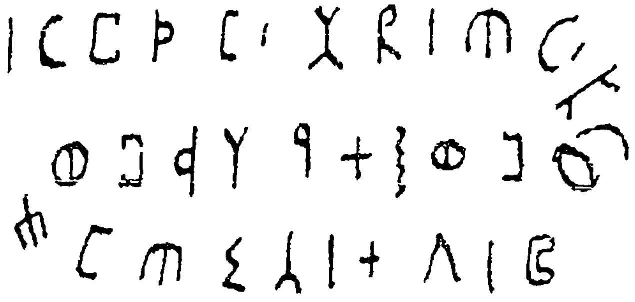

وحل هذا النقش هو :

ل ب ر د  ب ن  أ ص ل ح  ب ن  ا ب ج ر  و ش ت ى ه د ر  و ذ ب
ح ف ه ل ت  س ل م .

وهو بعربيتنا الفصحى :

لُبرد بن أصلح بن أبجر وشتّى في هذا المكان وذبح ذبيحة . يـــا الله أقـــدم لـــك السلام.

فمعنى ( شتّى ) : أقام في الشتاء ، وهو مستعمل في الفصحـــى أيضـــاً ، ومعنـــى ( هدر ) ، أي هذا المكان[3].

---

١ -نفسه ص ١٨٣ - ١٨٤

٢ - النجم : ١٩ .

٣ - تاريخ اللغات السامية ص ١٨٤ .

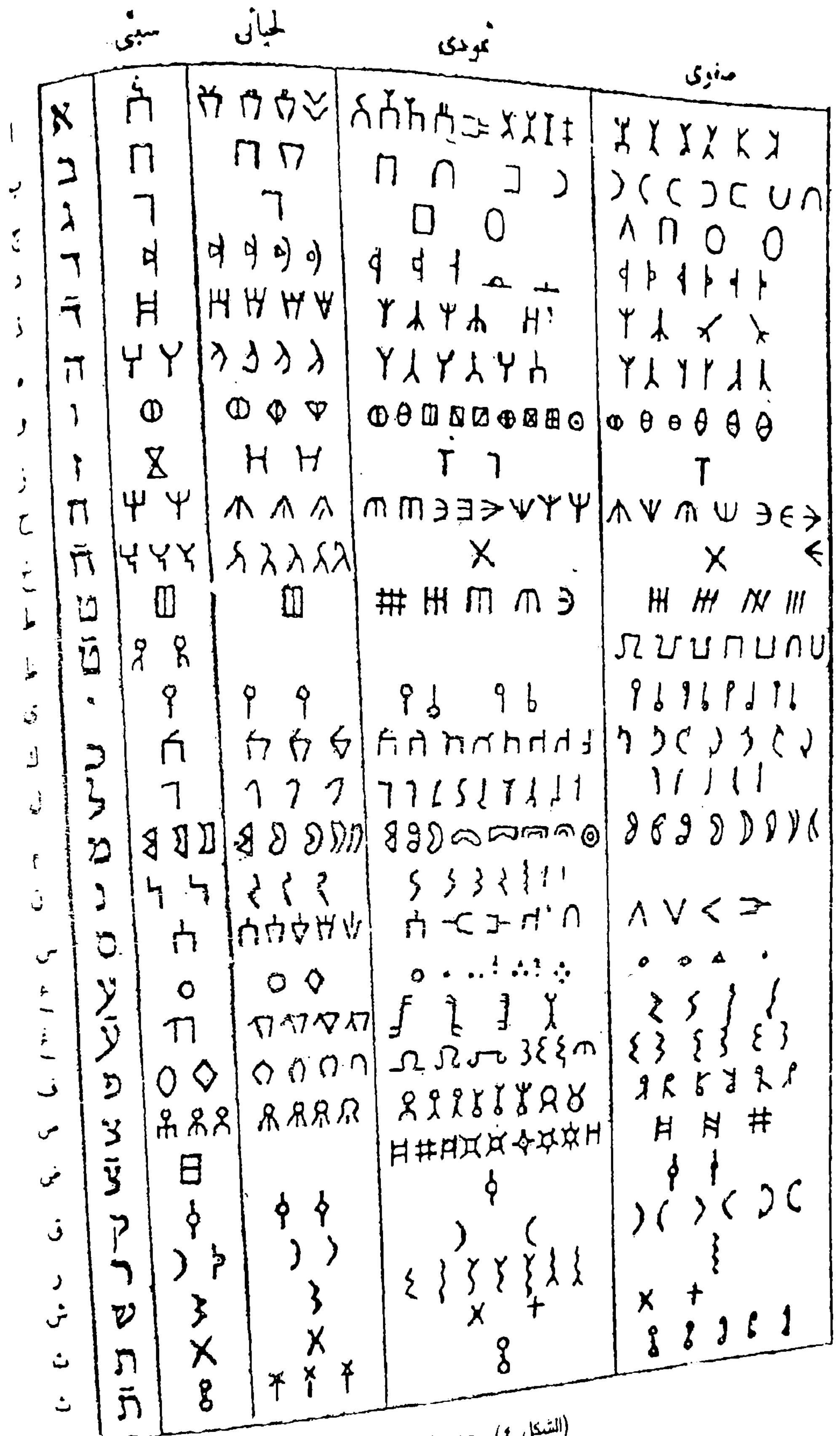


(الشكل ٤) عن ولفنسون ص١٧٩

## (جـ) اللحيانية :

وهي نقوش تنسب إلى قبائل لحيان ، ولم يثبت تاريخ هذه النقــوش حتـى الآن ، ولكن يبدو أن أقدمها يرجع إلى ما بين القرن الرابع والثاني قبـل الميـلاد ، وأحدثـها لا يتجاوز السادس بعد الميلاد . وقد اكتشفت ابتداء من سنة ١٨٨٩ في منطقة العـلا شـملا الحجاز [1]، في طريق الحج شمالي المدينة . واسمها القديم (ددن) . وكانت القبائل المعينيـة تسكنها قبل اللحيانيين [2] . ويعرض كثير من هذه النقوش لتعداد ملوك لحيان وألقابهم . وما إلى ذلك . والخط الذي دونت به مشتق من المسند ، ويتجه من اليمن إلى الشمال [3] . فـهو في هذا إذاً على وفق سير الخط العربي الذي كتبت به العربية الباقية (الفصحى) ، يتجلـى ذلك في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم وبقية الآثار الدالة على هذا الخط .

ويذكر ولفنسون أن الكتابات اللحيانية تتّسم بالغموض ، في كثــير مـن ألفاظـها واصطلاحاتها ، وأن علماء الغرب لم يفلحوا في حل كثير منها ، لأنها ليست نقوشاً تامة ، بل أجزاء من نقوش . إلا أن الذي لا شك فيه أن لغتها عربية ، ففيها الذال والثاء والغيـن والضاد ، كما أن فيها أفعل التفضيل، وعلامة التنبيه التي هي من الخصائص البارزة للغة العربية [4].

## (د) نقش النمارة :

ولعل من المفيد الإشارة إلى أن المستشرقين عثروا على أربعة [5] نقــوش جاهليـة قريبة إلى العربية من حيث مادتها وأسلوبها ، أكـثر مـن قـرب الثموديـة والصفويـة واللحيانية. وقد كشفت في منطقة ليست بعيدة عن منطقة الصفاة ، التـي سـبق الحديـث عنها، واعترف المستشرقون أن التأثير الآرامي فيها أقل من تلك النقوش . وأقدمها (نقش النمارة) الذي اكتشف في مدفن امرئ القيس بن عمرو ثاني ملوك الحيرة وجد المنـاذرة ،

---

[1] - بعلبكي : الكتابة العربية والسامية ص ١٠٩ .

[2] - اللهجات العربية الحديثة في اليمن ص ٢٧ ٢٨ .

[3] - علي عبد الواحد : فقه اللغة ص٩٦، والصالح : دراسات في فقه اللغة ص ٥٦ .

[4] - تاريخ اللغات السامية ص ١٧٧ .

[5] - وذكر بعضهم أنها خمسة، ينظر رمزي بعلبكي : الكتابة العربية والسامية ص١٢٣ .

ودُوِّن في سنة ٣٢٨ للميلاد . والنمارة قصر صغير للروم - وهي الحرَّة الشرقيَّة من جبل الدروز في لبنان. وكان امرؤ القيس من ملوك الحيرة ، وقد امتد نفوذه إلى بادية الشام، وهو غير امرئ القيس الشاعر الجاهلي الكبير ، إذ أن اسم أبي هذا الملك الشاعر : حُجْر، وليس عمراً ، على ما هو معروف[1] عنه . ولم تدون هذه النقوش بالخط المسند ، بل دونت ومنها نقش النمارة ، بالقلم النبطي المتأخر الشبيه جداً بالخطوط العربية الكوفية فهو إذاً خط متطور قريب من الخط الذي دونت به الآثار الأدبية قبل الإسلام وغداة ظهوره . فضلاً عن أن فيه ميزة أخرى مهمة ، وهي اتصال عدد من حروفه بعضها ببعض[2] . ولذا يعد أول أثر وصل إلينا بالفصحى[3] . وها هي صورة لنقش النمارة :

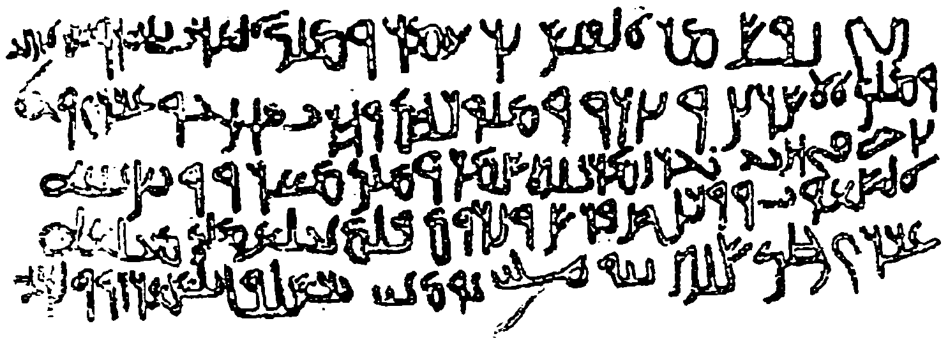

نقش النمارة

الشكل (٥) عن ولفنسون ص ١٩٠ .

وتبيّن من حل رموزه ما يأتي :

(١) تي نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو أسر التج
(٢) وملك الأسدين ونزرا ملوكهم وهرب مذحجو عكدي وجا
(٣) بزجي في حبج بخزن مدينة شمر وملك معدو ونزل بنية
(٤) الشعوب ووكلهن فرسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه .
(٥) عكدي ، هلك سنة ٢٢٣[4] يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولده .

---

[1] ينظر نسب امرئ القيس مثلاً في : القصائد التسع المشهورات للنحاس ص ٩٧ .
[2] تاريخ اللغات السامية ص ١٨٩ .
[3] اللهجات العربية الحديثة في اليمن ص ٢٧ .
[4] هذا تاريخ بصري . وهو في الميلادي ٣٢٨ ، ينظر بعلبكي . الكتابة العربية والسامية ص ١٢٤ .

**ومعنى هذا النقش بالعربية الفصحى :**

(١) هذا قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي حاز التاج

(٢) وملك الأسدين ونزاراً وملوكهم . وهزم مذحج بقوته .

(٣) وجاء إلى نزجي ( أو بزجي ) في حبج نجران مدينة شمّر وملّك معدًا وأنزل ( قسّم ) بين بنيه .

٤ ـ أرض الشعوب . ووكله الفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه .

٥ ـ في الحول ( عكدي ) هلك سنة ٢٢٣ في اليوم السابع من الول (كانون الأول) ، ليسعد الذي وله ( الذين خلفهم[١] ) ـ وهم نسله وذريته[٢] . ويلحظ أن فيه إشارة للمؤنث وهو ( تي ) ، وهي في عربيتنا ( تيكَ ) و ( تلكَ )[٣] .

## خصائص هذه اللغات :

إذا أردنا أن نلخص الخصائص العامة المشتركة لهذه اللهجات الثلاث الشمالية ، من اللغة العربية ، بعد بياننا لخصائص كل منها على حدة . أمكننا أن نقول:

١- إنها قليلة الأهمية ، نزرة المادة ، لا تعطينا فكرة عن الطفولة الأولى للعربية . ونظراً لامتزاجها بشيء من خصائص اللغات الأخرى الشائعة في العراق والشام كالآرامية ، فقد ذهب بعض الباحثين إلى عدها لغات ليست خالصة العربية ، على نحو ما ذهب إليه : عدد من الغربيين في نسبة طائفة من ألفاظها إلى الآرامية أو العبرية[٤] ، مع أن كثيراً من هذا الألفاظ جزرية ، أي مستعملة في هذه اللغات وأمثالها من الجزريات ومنها العربية قبل أن يحدث اتصال بين العربية ؟ وبينها ، أي إنها من النوع الذي يصطلح عليه الغربيون بعبارة : **Common stock** .

---

[١] - تاريخ اللغات السامية ص ١٩٠ .

[٢] - علي عبد الواحد : فقه اللغة ص ١٠٠ .

[٣] - رمزي بعلبكي : الكتابة العربية والسامية ص ١٢٦ . وقد حلل النص لغوياً .

[٤] - تاريخ اللغات السامية ص ١٦٣ .

[٥] - نفسه : والمكان نفسه، والكتابة العربية والسامية ص ١٥٨ .

٢ـ إن خطوط هذه اللهجات تشبه خطوط العربية الجنوبية : السبئية والمعينية . فالجامع بينها هو أنها جميعاً قريبة من خط المسند[1] .

٣ـ تكتب غالباً من الشمال إلى اليمين .

٤ـ خالية من رموز الحركات في فترة من الفترات ومن حروف المد واللين (وهي الألف والياء والواو) . فكلمة (مناة) مثلاً تكتب : (منت) و(ساعَد) ، تكتب (سعد) و(شامت) كتبت في الصفوية (شمت) ، و(أنينة) كتبت (أننه) وهكذا . فأنت ترى أن الألف أو الياء طرحت من هذه الكلمات في الخط . وقد اتضح ذلك أيضاً من النصوص السابقة. وكذا الحال في الخط السبئي والمعينيّ المسمى الخط المسند.

ولم يكن ذلك ليَعزُب عن العلماء القدامى من المسلمين ، بل إن أبا محمد الحسن ابن أحمد الهمداني (ت ٣٣٤ هـ) نصّ على ذلك ، وربطه بكتابة المصاحف ، وما كان فيه من حذف حروف المد في كلمات وذلك في حديثه عن لوحة كتبت بخط المسند ورد فيه كلمتا (علهان) و (نهفان) من أسماء الملوك[2].

٥ـ تتفق اللغة التي دونت بها هذه النقوش مع العربية الباقية في كثير من المقومات والخصائص ، في الأصوات والقواعد والمفردات . إذ هي تشتمل على معظم الأصوات التي تمتاز بها العربية الباقية من أخواتها الجزريات ، أو يكثر ورودها فيها دون غيرها كالذال والثاء والغين والضاد . وتشتمل كذلك على أهم خاصة للغة العربية وهي ظاهرة الإعراب بالحركات في أطوارها الأخيرة ، أي إلحاق صوت مدّ قصير (ضمة أو فتحة أو كسرة) في آخر الكلمة لبيان وظيفة تلك الكلمة في الكلام ، وعلاقتها ببقية عناصر الجملة كما تسير على وفق الأسلوب العربي في صوغ أفعل التفضيل وحذف علامة الإعراب ، أو شيء منها عند إضافة الاسم إلى غيره . وذلك كحذف التنوين من الاسم المفرد ، والنون من المثنى وجمع المذكر السالم . وتبدو وجوه الشبه بين هذه اللغات ، وبين العربية الفصحى ، أو كما تسمى : الباقية، في أسماء الأعلام[3].

[1] الكتابة العربية والسامية ص ١٠٩
[2] الهمداني . الإكليل ١٠/ ١٦ وينظر : فصول في فقه العربية ص ٣٦ ـ ٣٧ .
[3] علي عبد الواحد : فقه اللغة ص ٩٥ .

وتختلف هذه اللغات عن العربية الباقية بتأثرها بالآرامية ، واختلافها عنها في عدة مظاهر للصوت والمفردات والدلالة والقواعد ، على نحو ما بيناه سالفاً في حديثنا عن الثمودية ، وهو أن أداة التعريف فيها هي الهاء ، واستعمال الهاء ايضاً ، مكان أداة النداء (يا) وأمثاله في العربية .

٦- تتضمن هذه النقوش أشكالاً غير موجودة في الكتابة الجزرية الغربية الشمالية المتمثلة بالفينيقية والآرامية والعبرية ، وقد أحصى المستشرقون منها في الثمودية واللحيانية ستة أشكال ، وفي الصفوية سبعة بزيادة صوت (الظاء) Z [1] .

[1] الكتابة العربية والسامية ص ١٠٧ - ١٠٩ .

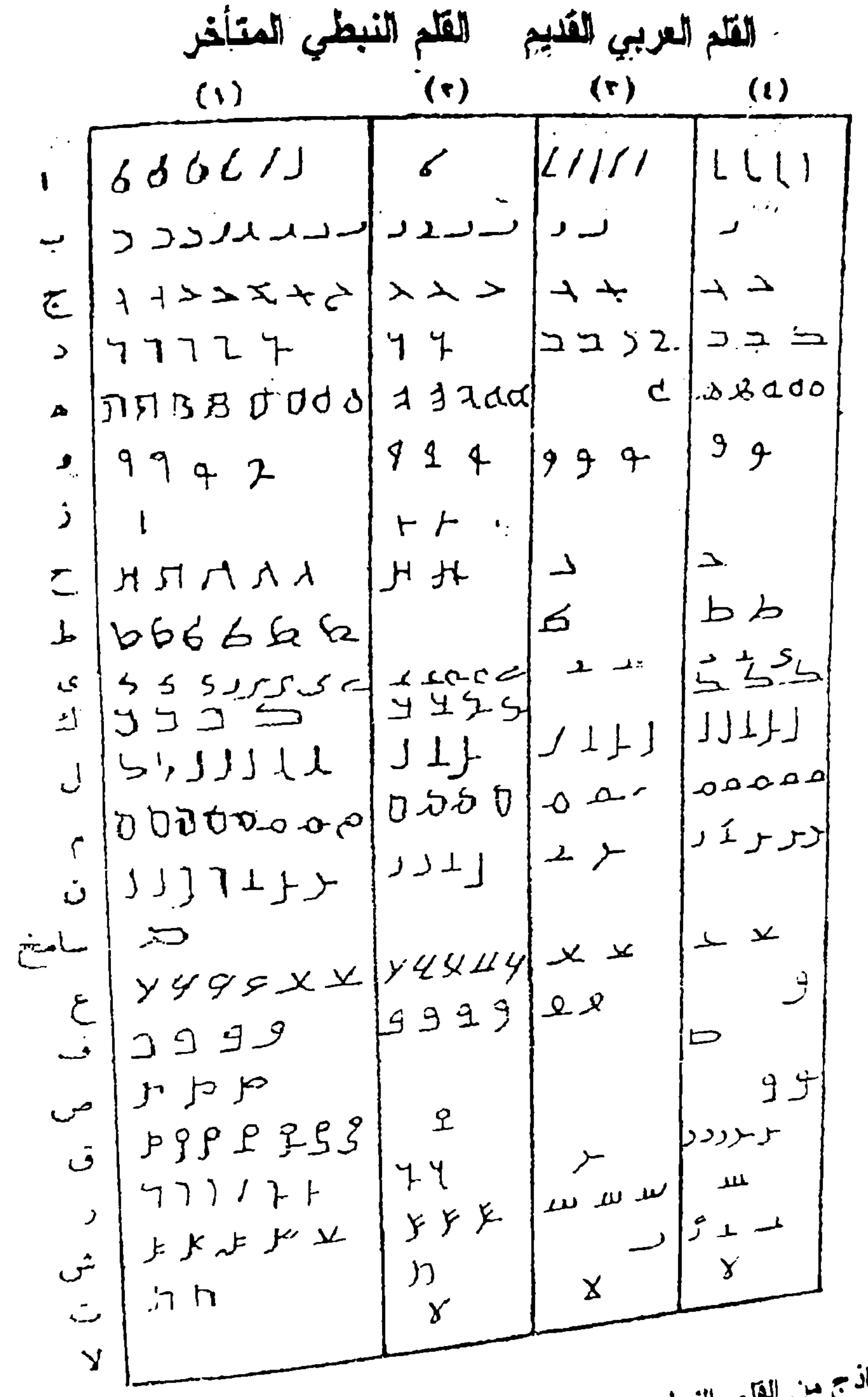


(١) نماذج من القلم النبطي المتأخر في القرن الأول والثاني والثالث ب . م مستخلصة من نقوش بطرا والحجز .

(٢) نماذج من حروف نقش نماره من القرن الرابع ب . م

(٣) نماذج من حروف نقشي زبد وحران من القرن السادس ب . م

(٤) نماذج من حروف عربية مستخلصة من نقوش عربية في القرن الأول للهجرة.

( الشكل ٦ ) عن ولفنسون ص ٢٠٠

## العربية الباقية ( الفصحى ) :

تحدثنا سالفاً عن أحد شطري اللغة العربية الشمالية ، وهي العربية البائدة، عربية النقوش . وننتقل الآن إلى الحديث عن العربية الباقية ، وهي العربية الفصحى ، التي تعد الشطر الآخر للعربية الشمالية .

والعربية الباقية ، هي التي نسميها اليوم (الفصحى) ، أي اللغة التي نستخدمها في كتاباتنا الأدبية واللغوية والعلمية ، ونتحدث بها في المنتديات الأدبية والعلمية والثقافية .

وقد وصلت إلينا هذه اللغة في صورتين :

أ ـ إحداهما أدبية ، تمثل في الأدب الجاهلي ، شعره ونثره (كالخطب والأمثال).

ب ـ والأخرى شعبية تتمثل بالكلام المعتاد في الحياة اليومية للعرب ، قبل الإسلام ، أي الحديث الدائر لدى القبائل العربية المختلفة . ولم يصل إلينا من هذه الصورة أعمال متكاملة ، وإنما وصل إلينا منها أخبار متناثرة هنا وهناك، في بطون كتب اللغة والنحو والأدب والقراءات القرآنية ، وما إليها ، تشير إلى لهجات القبائل المتعددة ، وصفات هذه اللهجات ، الصوتية أو اللفظية ، أو الدلالية . وأكثرها ذكر دون عزو إلى قبيلة معينة ، بل يقال مثلاً: " لغة " .

ومصطلح اللغة لدى القدامى يراد به اللهجة ، فإذا أرادوا التعبير عن لغة من اللغات كالسريانية والعبرية والقبطية والعربية ، قالوا " لسان " .

وسنبين في كلامنا القادم السبب الذي حمل اللغويين العرب القدامى على إهمال هذا الجانب من العربية الفصحى ، جانب اللهجات العربية ، أو كما سموها : اللغات.

وقد دعا اللغويون المعاصرون ، وبخاصة العرب منهم ، إلى العناية باللهجات العربية القديمة ، وذلك عن طريق دراستها " والكشف عن أسرارها ونسبتها إلى قبائلها"[١].

---

[١] إبراهيم أنيس : **اللهجات العربية** ص ٩ .

وكان العرب قبل الإسلام – كما كانوا بعده – يتحدثون بلهجات مختلفة ، وقد تكونت هذه اللهجات بحسب ما اهتدت إليه البحوث اللغوية – بسبب عاملين :

الأول : الإنعزال بين بيئات الشعب الواحد .

الثاني : الصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرات .

وقد شهد التاريخ نشوء عدة لهجات مستقلة للغة واحدة نتيجة أحد هذين العاملين أو كليهما [1] ، " فاللهجات العربية القديمة هي نتيجة انعزال القبائل أولاً ، ونتيجة التطور المستقل لكلام كل قبيلة ثانياً . ولا بد من مرور زمن طويل ، قد يبلغ قرنين أو ثلاثة ، قبل أن تتبلور تلك الصفة وتصبح من مميزات كل قبيلة من القبائل[2] " .

ونحن حين ندرس نصوص اللغة الفصحى الأدبية ، نجدها لغة موحدة منسجمة ، ولا تكاد تتضمن شيئاً من تلك المميزات اللهجية الخاصة التي تنطق بها القبائل . ولا بد لكل لغة مشتركة من منشأ تنشأ فيه ، وأسباب ذاتية وموضوعية تساعد على تكوينها وازدهارها [3] . وقد تهيأت جميع الظروف لتجعل مكة المكرمة التي يطلق عليها أسم أم (القرى)[4] ، مركز تلك الوحدة اللغوية في الجاهلية ، مثلما صارت في ظل الإسلام مركز الوحدة العقيدية . وكان هناك عوامل قد ساعدت على أن تكون تلك المكانة لقريش بحيث هيأت لظهور هذه (اللغة المشتركة) ، التي كانت نواتها وصلبها لهجة قريش . وهذه العوامل هي :

١- عامل ديني ؛ إذ كانت مكة تضم البيت الحرام ، الذي كانت العرب تعظمه وتحج إليه في جاهليتها ، وتزور أصنامها فيه وتقدم لها النذور والقرابين .

٢- وعامل اقتصادي ، من حيث إن مكة مركز تجاري مهم ممتاز ، إذ كان قدر كبير من التجارة بيد أهلها – قريش – ورحلتهم في الصيف والشتاء إلى الشام واليمن لغرض الاتجار معروفة ، وقد أشار إليها القرآن الكريم في سورة (قريش).

[1] اللهجات العربية ص ١٨

[2] اللهجات العربية ص ٢٦

[3] فصول في فقه العربية ص ٦٢ – ٦٣ .

[4] سورة : الأنعام ٩٢.

وهذا الازدهار التجاري جعل لمكة موقعاً ممتازاً بين قبائل العرب المختلفة ، فكانوا يفدون إليها للعبادة والاتجار ، وقوله تعالى : { **فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف** } في نهاية سورة قريش، يشعرنا بما كانت مكة تتسم به من أمن واستقرار نفسي ، وانتعاش مادي نتيجة التجارة التي كانت تنعم بها وتعيش في تداولها ، ولحرمة البيت الكريم الآمن الذي كانت تتفيأ ظلاله ، وتعيش في جواره .

٣- وترتب على النفوذ الديني والتجاري نفوذ آخر لا يقل أهمية عنها ألا وهو النفوذ السياسي . إذ كانت القبائل العربية تدين لمكة بالسيادة والمكانة الرفيعة ، ولأهلها بالإكرام والتبجيل ، وكان أهل مكة يعرفون ذلك لأنفسهم ، يدل عليه قول أبي بكر (ﷺ) للأنصار حين طمحوا إلى الخلافة بعد وفاة الرسول (ﷺ) عند اجتماعهم في سقيفة بني ساعدة : " لا يدين العرب إلا لهذا الحي من قريش ، فلا تنفسوا على إخوانكم ما منحهم الله من فضله " .

ومعنى لا تدين : لا تخضع وتعترف بالرياسة .

٤- غزارة لهجة قريش من حيث ثروتها اللغوية ومادتها وعذوبة جرسها ورقة أسلوبها وانتقادها الأفصح من الألفاظ . وزاد من ثروتها احتكاكها بالقبائل العربية المتعددة التي كانت تفد إلى مكة[1] ومن هنا كانت لهجة قريش اقوى اللهجات أثراً في تكوين اللغة العربية الفصحى، التي كانت يكتب بها الأدب ، وهي التي أطلقنا عليها اسم اللغة المشتركة ، أو الموحّدة . على ما مرّ سالفاً .

وكما كان لمكة أسواق تجارية[2] ، كان لها كذلك أسواق أدبية ، كسوق عكاظ الذي كانت شهرته بمكان ، وكانت تعقد فيه المناظرات الشعرية والمساجلات الخطابية . وقد روت لنا كتب الأدب ما كان يجري بين حسان والخنساء من ذلك ، وما كان من أمر النابغة الذبياني في التحكيم بينهما .

ولكي يؤثر الشاعر في سامعيه ، فيؤدي دوره الأدبي كاملاً ، ولكي يجعل الخطيب جمهوره يستمع إليه ، متجاوباً وإياه تجاوباً صادقاً وحقيقياً ، معجباً ببيانه ولباقته . كان

---

[1] - علي عبد الواحد : فقه اللغة ص ١٠٥ - ١٠٦ .

[2] - مثل سوق الحزورة ،وسوق الليل، ينظر : أخبار مكة للأزرقي ٢/ ٩٨ ، و ٢٩٤ .

عليه أن يتحاشى تلك الصفات اللهجية الخاصة ، ويتحدث إلى القوم بلغة عامة مشتركة بينهم جميعاً ، كانوا قد تواضعوا عليها وألفوها ، كان عليهم أن يبتعدوا عن تلك الصفات اللهجية الخاصة ، التي تنطق بها قبائل عربية في مناطق متعددة[1] من مثل العنعنة والعجعجة والكشكشة والتلتلة وما إليها من ظواهر لهجية حاد عنها الشعراء والخطباء ، وسما عنها كتاب الله المبين ، فلم يرد فيه مثل هذه اللهجات .

ومن هنا تبين لنا أن الأدب ، شعره ونثره قد صيغ بلغة واحدة مشتركة بين قبائل العرب كلها ، فكانت سمة من سمات وحدتها في جاهليتها ، قبل أن توحّد الوحدة الكبرى في فكرها وعقيدتها ، حين أظلها الإسلام بظله . فنشأت هذه الوحدة قبل الإسلام وترعرعت في ظله .

فكانت اللغة المشتركة بحق اللغة النموذجية التي يعمد إليها الأديب ، شاعراً أو خطيباً ، وهي لغة حرية بان تروى آثارها ويعتز بها زمناً طويلاً ، كاعتزازنا بها اليوم وغداً كذلك ؛ لأنها غدت جزءاً مهماً جداً من تراثنا الذي نعتز به ولا نفرط فيه . وخاصة أن الكتاب الأكبر للإسلام والعربية قد نزل بهذه اللغة ، ألا وهو القرآن الكريم فحين نزل القرآن ، كان قد مثّل هذه اللغة المشتركة خير تمثيل ، فقوى تلك الوحدة اللغوية بين القبائل العربية . وحين تحدى العرب في أن يأتوا بعشر سور من[2] مثله ، ثم بعد عجزهم بسورة من[3] مثله ، فإنما تحدى – قبل جميعهم – البلغاء منهم والفصحاء ، وهم الذين يصح أن نسميهم الخاصة . أما العامة ، وهم من لم يكونوا في طبقة أولئك ، فكان أسلوب القرآن فوق مستواهم وقدرتهم بكثير . وفي هذا يقول إبراهيم أنيس[4] .

" لم يكن الأسلوب القرآني في متناول جميع العرب ، بل كان أسمى من هذا المستوى[5] ، فقد جاء يتحدى الخاصة منهم ، وظل حتى الآن يتحدى الخاصة منا " .

[1] اللهجات العربية ص ٢٧
[2] هود : ١٣
[3] البقرة ٢٣ ، ويونس ٣٨
[4] اللهجات العربية ص ٢٩ .
[5] سيأتي الكلام عليها قريباً إن شاء الله ، عند بيان اللهجات العربية .

وهذا البيان العالي الذي تمثل بأسلوب القرآن وتعبيره ونظمه ، هو الذي حمل الجاهليين ، حين واجهوه أول مرة ، على أن يصفوه بأنه (سحر[1]) ؛ إذ أنه ملك عليهم عقولهم وقلوبهم ووجداناتهم ، وأثار دهشتهم وحيرتهم[2].

ولم يعرف عن أحد من القدامى أنه أنكر هذه الخصيصة السامقة لكتاب الله ، وإنما عرف ذلك عن رجل عاش في أواخر الدولة الأموية يقال له الجعد بن درهم ، كان متهما في دينه ، وقد تأثر بيهودي في آرائه : فقال في جملة ما قال : إن فصاحة القرآن غير معجزة ، وإن الناس قادرون على أن يأتوا بمثلها وأحسن منها فضحى به خالد بن عبد الله القسري ، والي العراق في ذلك الحين ، في عيد الأضحى في نحو سنة ١٢٤ هـ[3].

وهذا كلام يدل من قائله على جهل مطبق دون شك ، ويكذبه الواقع التاريخي ؛ إذ لو صح لجاءت العرب الفصحاء بمثل القرآن ، وبخاصة أنه تحداهم مراراً وتكراراً في أن يأتوا بشيء من مثله ، على ما قدمنا بيانه . ولا نحسب أن الجعد هذا كان يذهب إلى القول بـ (الصرفة) في تفسير إعجاز القرآن ، إذ لم يرو عنه ذلك . إذ أن القائلين بالصرفة يذهبون إلى أن العرب كانوا قادرين على أن يأتوا بمثل القرآن ولكن الله صرفهم عن ذلك[4]. وهو مذهب عاجز عن تفسير إعجاز القرآن ، ولذلك قال عنه السيد رشيد رضا في تفسير (المنار) بأنه قول "كسول أراد أن يريح صاحبه ".

ومهما يكن من أمر هذا القائل ـ الجعد ـ فإن ما جاء به باطل .

وأما ما روي عن أبي العلاء المعرّي ونسب إليه من محاولة لمعارضة القرآن بكلام نثري ألفه في كتاب سماه " الفصول والغايات في مجاراة السور والآيات " ، الذي نشر باسم " الفصول والغايات " ، فلا نحسب أن أبا العلاء صنفه لهذا الغرض ، إذ أن هذا الصنيع لا يصدر إلا من رجل جاهل لا يعرف منزلة القرآن البيانية المتناهية في

---

[1] - هود : ٧ ، سبأ : ٤٣ ، الصافات : ١٥ ، الزخرف : ٣٠ ، الأحقاف : ٧ ...

[2] - يدل على ذلك قول الوليد بن المغيرة المخزومي : " والله إن لقوله الذي يقوله لحلاوة ، وإنه ليحطم ما تحته وإنه ليعلو وما يعلى " تنظر سيرة ابن هشام ١/ ١٧٤ - ١٧٥ .

[3] - محمود محمد شاكر : مقدمة كتاب ( الظاهرة القرآنية ) لمالك بن نبي ص ٤ .

[4] - ينظر الخطابي في رسالته : بيان إعجاز القرآن ص ٢٢ — ٢٣ والباقلاني : إعجاز القرآن ص ٢٩ — ٣٠ .

العلو . وأبو العلاء أديب وعالم ، فلا نحسب أنه يهبط في التفكير والاستطالة إلى هذا الدرك الذي لا يليق به ولا بأمثاله ، ممن يدرك روعة القرآن في كل شيء : في نظمه وبيانه ، وموضوعاته ... إلى الحد الذي يبلغ فيها الإعجاز .

لقد كانت لغة القرآن قفزة نوعية في حياة الأمة العربية ؛ " إذ لم يحدث للغة العربية تطور تدريجي بل ــ حدث ــ ما يشبه الانفجار الثوري المباغت ، كما كانت الظاهرة القرآنية مباغته[1] " .

على أن القرآن لم يكن مع ذلك ظاهرة لغوية أو أدبية فحسب ، بل كان حدثاً فكرياً ونغوياً ، يمثل العربية في أسمى صورها وأروع سماتها . وقد أكسبها رونقاً وزخماً معنوياً ثرياً ، حتى إن المستشرق المعروف ريجيس بلاشير قال في ذلك : ومنذ ظهر الإسلام لم تعد اللغة العربية آلة عادية للكلام والتخاطب ، ولا لغة إنسانية محضة ، بل شيئاً آخر . نعم لن يفهم جوهر العربية وكيانها بل لن نستطيع لها فهماً إن نحن أهملنا هذا الحدث القرآني " ، هذا الحدث الذي بفضله تجاوزت العربية حدود الانسانية المحضة[2] .

**موقع لغة قريش من اللغة المشتركة :**

وإذا اتخذنا القرآن الكريم نموذجاً للغة المشتركة ، ولم نقصر هذه اللغة المشتركة على لغة قريش وحدها ، كما أوضحنا سالفاً ، وجدنا العرب خاصتهم وعامتهم ينظرون إلى هذا الكتاب المبين على أنه أروع بيان وأسماه.

وإذا قلنا إن القرآن لم ينزل بلغة قريش وحدها ، بل نزل باللغة المشتركة التي وصفنا ، كان علينا أن نقف عند بعض النصوص المأثورة ، وأن نفهم ما يراد بها ، في ضوء تأويلها . وذلك بأن نؤول الحديث المشهور عن النبي (ﷺ) : ( أنا أفصح العرب بيد أني من قريش )[3] . إذ أن في هذا الحديث تقويماً عالياً للغة قريش ، إذ أن في هذا

[1] مالك بن نبي : الظاهرة القرآنية ص ٢٢٢ وينظر بحثنا : الجرس والإيقاع في تعبير القرآن في مجلة آداب الرافدين العدد ٩ لسنة ١٩٧٨ ص ٣٢٩ .

[2] السامرائي : فقه اللغة المقارن ص ٢٤٥ . وقد نقل قول المستشرق المذكور من مجلة الفكر التونسية العدد ٥ لسنة ١٩٦٠ ص ١٦ .

[3] مجالس ثعلب ١/ ١١

الحديث تقويماً عالياً للغة قريش ، وليس حطاً منها ، كما قد يتبادر إلى الوهم . إذ هو جار وفق أسلوب بلاغي معروف لدى العرب ، وهو إيراد المدح بصيغة الذم للمبالغة في المدح.

وينبغي أيضاً أن نفسر ونوجه القول المشهور عن غير واحد من الصحابة والتابعين، وهو أن القرآن نزل بلغة قريش ، كالذي روي عن عمر بن الخطاب (ﷺ) من أنه نهى عبد الله بن مسعود عن أن يقرأ القرآن ويقرى الناس بلغة هذيل[1]، وقول عثمان (ﷺ) لكتبة القرآن بالقراءة الموحدة :

" إذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن ، فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم "[2].

فأما الحديث فهو كما أشرنا آنفاً ، تقويم عالٍ للغة قريش وثناء عليها والاستثناء فيه يراد به المبالغة ، وهو ضرب من المدح بأسلوب شبيه بالذم كما قدمنا . وهو عند البلاغيين من ضروب البديع . ومنه قول الشاعر القديم:

**ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم بهنَّ فلولٌ من قراعِ الكتائبِ**[3].

وأما ما روي عن عمر وعثمان (رضي الله عنهما) فمحمول على التغليب ، وهو أن تغلب في أسلوب القرآن ولغته ، نزوله بلغة قريش . والتغليب أسلوب بلاغي ولغوي معروف في العربية وله في القرآن صور كتغليب العاقل على ما سواه وهو من تغليب الأفضل على ما دونه . من مثل قوله تعالى: **{ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة }** (البقرة : ٣١) إذ أولت الأسماء هنا بأنها أسماء الأجناس المتنوعة ، من الأنس والجن والملائكة والطير والنبات والجماد وما إليها من المخلوقات العاقلة وغير العاقلة وإنما قال **{عَرَضَهُمْ}** بضمير العاقل (هم) ، ــ على رأي من ذهب إلى أن المراد بالأسماء في الآية أسماء الأجناس ــ تغليباً للعاقل من هذه الأجناس على ما دونه[4].

[1] - أبو شامة : المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ص ١٠١ .

[2] - أبو شامة : المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ص ١٠١ .

[3] - البيت للنابغة ، وهو في ديوانه ، وفي الكامل للمبرد ١/ ٥١ .

[4] - الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ١/ ٧٨ ، وابن فارس : الصاحبي ص ٣٢ .

وقد وصف الزجّاج[1] (ت ٣١١ هـ) هذا المذهب في تأويل الآية بأنه مذهب أهل اللغة . وبه قال غير واحد من أهل العلم من غير اللغويين كأبي عمر بن عبد البر القرطبيّ (ت ٤٦٣ هـ) ، وأبي شامة المقدسي (ت ٦٦٥ هـ) ذلك حين عرض لحديث عمر وعثمان (رضي الله عنهما) في هذا الموضوع، مما أشرنا إليه سالفاً ، فقال " وهذا أثبت عنه ، ومعناه عندي : في الأغلب ؛ لأن غير لغة قريش موجود في صحيح القراءات ، من تحقيق الهمزات ونحوها ، وقريش لا تهمز "[2].

وعلى هذا يكون وصف اللغة المشتركة التي وصفا بلغة قريش ، من باب تغليب لغة قريش على بقية اللغة المشتركة التي هي جزء منها ، أو قل : هو من باب تغليب الأفضل على ما هو دونه في الفضل ، وهي بقية اللغات ، ولغة قريش أفضل اللغات ؛ لأنها جمعت من مزايا اللغات الاخرى ما جمعت، وعليها بذلك قد تفوّقت . فاختارت من تلك اللغات ما جعلها تسير نحو النمو والتطور والاكتمال يوماً بعد آخر فصارت قريش كما يقول الفراء: " افصح العرب ، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ "[3]. ولسنا ممن يميل إلى القول بوجود صراع بين لغة قريش ولغات بقية القبائل وانتصار لغة قريش حسب قوانين الصراع اللغوي ـ بعد ذلك عليها ، أقول لسنا ممن يميل إلى هذه الوجهة ؛ لأن لهجة قريش لم تسقط بقية اللهجات أو تمحوها من الوجود ، كلا لم يحدث هذا مطلقاً ، وإنما أخذت منها واستفادت من مفرداتها . فكان أكثر ما نزل من القرآن بها، وهو أمر طبيعي ، لما ذكرنا آنفا من تفوقها في المفردات وفي الجرس والدلالات .

أما الدليل على أن القرآن لم ينزل بلغة قريش وحدها فهو هذه الروايات المتضافرة في نزونه بأكثر من ذلك . فقد روي عن الامام علي وابن عباس (رضي الله عنهما) أنهما قالا: " نزل القرآن بلغة كل حي من أحياء العرب "[4].

وروي عن عثمان أنه قال : " نزل القرآن بلسان مضر "[1]. ومضر عدة قبائل ؛ منها قريش وكنانة وأسد وهذيل وتميم وضبة وقيس[2] ، بل روي أن فيه من لغات العرب

---

1 معاني القرآن وإعرابه : نفس المكان .

2 أبو شامة : المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ص ١٠١ .

3 - السيوطي : الاقتراح في علم أصول النحو ص ١٩٨ .

4 - المرشد الوجيز ص ٩٦ .

ـ من غير هذه القبائل ـ ألفاظاً . من ذلك ما أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلاّم الـهَرَوي (ت ٢٢٤ هـ) ، عن طريق عكرمة عن ابن عباس ، أن قوله تعالى : { **وأنتم سامدون** } (النجم : ٦١) معناه : لاهون بالغناء ، وهي لغة يمانية . واخرج أبو بكر بن الانباري (ت ٣٢٨ هـ) عن أبي صالح في قوله تعالى : { **ألم ييأس الذين آمنوا** } (الرعد : ٣١) أنه قال ( أولم يعلموا) بلغة هوازن[3] . فضلاً عن روايات كثيرة أوردها الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) في البرهان ، والسيوطي في الإتقان .

أضف إلى ذلك روايات تشير إلى أن عددا من كبار الصحابة خفيت عليهم معاني كلمات غريبة من القرآن . من ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب (ﷺ) ، وهو من صميم قريش ، أنه قرأ قوله عزّ وجلّ : { **وفاكهةً وأبّاً** } (عبس :٣١) ، فلم يعرف معنى (أبّ) ، فراجع نفسه فيه قائلاً : " ما الأب؟ ... إن هذا تكلف منك يا ابن الخطاب "[4]، وأن مثله روي عن أبي بكر (ﷺ) كما روي عن عبد الله بن عباس (ﷺ) بسند ساقه أبو عبيد القاسم بن سلام عنه أنه قال في تأويل : { **وحناناً من لدنّا وزكوةً** } (مريم :١٣) : "لا أدري ما الحنان" ، وفي تأويل { **أم حسبت أنّ أصحاب الكهف والرقيم** } (الكهف :٩) قال: "ما أدري ما الرقيم ، أكتاب أم بنيان"[5] ؟!.

وهذا رواه الطبري[6] (ت ٣١٠ هـ) من بعد ذلك بسنده عن ابن عباس أيضاً ، وأورده الخطّابي[7] (ت ٣٨٨هـ) في رسالته التي تتعلق بإعجاز القرآن . وابن عباس " ترجمان القرآن " ، كما هو لقبه في علم التفسير ، لاحاطته به إحاطة عالية ، وكان النبي (ﷺ) قد دعا له بأن يفقّهه الله في الدين ويعلّمه التأويل [8] .

---

1 - المرشد الوجيز ص ٩٦ .

2 - المرشد الوجيز ص ٩٦ .

3 - الإتقان ١/ ١٣٣ .

4 - الخطابي : بيان إعجاز القرآن ص ٣٦، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن .

5 - أبو عبيد : غريب الحديث ٤/ ٤٠١ ـ ٤٠٢ .

6 - جامع البيان في تفسير أي القرآن ١٥/ ١٣٢

7 - بيان إعجاز القرآن : نفس المكان .

8 - في البخاري، كتاب الوضوء : ١٠ ، ٤٠ ، ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة : ص ١٣٨، وفي مسند احمد ١/ ٢٦٦ ، ٣١٤ ، ٣٢٨ ، ٣٣٥ والرواية في هذه الكتب إما (فقّه) أو (فقهُ في الدين) .

ستخدم لها الرها ت

وإذا أردنا أن نلخص صفات اللغة المشتركة، وجدناها ثلاثاً :

١- إنها لغة عالية الأسلوب ، فوق مستوى العامة من الناس . وقد بلغت غاية السمو والروعة في أسلوب القرآن المعجز المبين ، الذي " يمثل قمة اللغة العربية المشتركة " [1].

٢- إنّ هذه اللغة المشتركة لا تنتمي صفاتها وعناصرها إلى بيئة محلية معينة من البيئات ... المتباينة والمتعددة ، أي : إنها ليست لغة قبيلة بعينها ، وإنما هي " مزيج من كل هذا ، ... له شخصيته وكيانه ، وأصبح مستقلاً عن اللهجات ، وإن التمس هذا المزيج في نشأته بعض ... هذه اللهجات بعد هضمه" [2].

٣- إن هذه اللغة المشتركة لم تكن لغة قريش وحدها ، بدليل ... وجود ظاهرة الهمز فيها ، مع أن قريشاً لا تهمز ، بل تسهّل الهمز . فقد روي عن أبي زيد الأنصاري (ت ٢١٥ هـ) أنه قال : أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون [3] ، ثم روى عن عيسى بن عمر أنه قال : إن النبر لغة تميم ، وإن أهل الحجاز لا ينبرون إلا عند الاضطرار .

ولقد حافظ قراء القرآن على هذه الصفة ، فلم يدخلوا الصفات اللهجية التي اعتادوها ، في القراءات ، بل قرأوا كما رووا . وخير مثال على ذلك قارئ البصرة الكبير أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) الذي هو من القراء السبعة المشهورين ، إذ كان يميل إلى تسهيل الهمز في قراءاته [4] ، على الرغم من أنه ينتمي إلى بيئة تميل إلى تحقيق الهمزة .

وكذلك كان ابن كثير (ت ١٢٠ هـ) ، قارئ مكة ، وأحد القراء السبعة أيضاً ، إذ كان يميل إلى تحقيق الهمز [5] بعكس أبي عمرو ، مع أنه من بيئة حجازية تسهل الهمزة كما قدمنا .

[1] فصول في فقه العربية ص ٦٧ .

[2] نفسه ص ٦٨ .

[3] - فصول في فقه العربية ص ٦٨ .

[4] - النبر في مصطلح القدامى يعني : الهمز .

[5] - الداني : التيسير في القراءات السبع ص ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٧ ... الخ .

لكن اطلاق لغة قريش على اللغة الفصحى ، ليس أمراً غريباً منكراً ! وذلك للإسهام الكبير الذي أسهمته هذه اللغة في تكوين اللغة الأدبية ، العربية الفصحى المشتركة. وفي هذا يقول الدكتور رمضان عبد التواب[1] :

" حقاً يمكن القول بأن لهجة قريش أسهمت في تكوين العربية الفصحى بعناصر كثيرة ، فلا مبالغة إذاً في إطلاق عبارة (لغة قريش) على اللغة العربية الفصحى " .

ويبدو أن هذا هو المراد بقول فندريس[2] : " تقوم اللغات المشتركة دائماً على أساس لغة موجودة ، حيث تتخذ هذه اللغة الموجودة لغة مشتركة من جانب أفراد مختلفي التكلم".

ويجدر بنا أن نذكر هنا أيضاً ، انه ليس في القرآن لغة من لغات العرب، إلا وهي فصيحة . ومن ذلك لغة (يتعاقبون)[3] ، أو كما هو مشهور عنها : (لغة أكلوني البراغيث)[4]. فهذه اللغة وردت في نصوص من القرآن والحديث ، ومنه حديث لغير واحد من الصحابة ، كما وردت في طائفة من اشعار العرب . فهي إذاً لغة شائعة معروفة . ومن أمثلة مجيئها في القرآن قوله تعالى : { وأسرّوا النجوى الذين ظلموا } (الانبياء :٣)، وقوله تعالى : { ثم عَمُوا وصَمُّوا كثيرٌ منهم } (المائدة : ٧١) .

ومن أمثلة مجيئها في رواية الحديث، ما روي عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) أنه قال : ( يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار )[5] . ومنه الحديث الآخر : ( ما اغبرّتا قدما عبد في سبيل الله )، ومنه حيث السيدة عائشة (رضي الله عنها) : (كُنَّ نساءُ رسول الله يحضن) .

وأما الشعر ، فمنه قول الشاعر :

يلومونني في اشتراء النخيل (م) أهلي فكلُّهم يعذلُ[6]

---

١ فصول في فقه العربية ص ٦٩ .

٢ اللغة ص ٣٢٨ ، وينظر : فصول في فقه العربية ص٦٩ .

٣ هكذا أطلق عليها ابن هشام وغيره من المحققين بناء على الحديث المروي .

٤ قول بعض العرب : أكلوني البراغيث . بدلاً من أكلتني البراغيث . ينظر في هذه اللغة : سيبويه : الكتاب ٢/ ١٠.

٥ صحيح مسلم ٢/ ١١٣ .

٦ ابن هشام : أوضح المسالك على ألفية ابن مالك ١/ ١٣٤ .

وقول آخر :

رأين الغواني الشيب لاح بعارضي    فأعرضن عني بالخدود النواضر

وقول آخر :

تولى قتـال المـارقين بنفسه    وقـد أسلماه مبعـــد وحميم

١ - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ١/ ٣٩٧ - ٣٩٩ .



ale: @Rorsipna_Library    https://t.me/Rorsipn

# الفصل الرَّابع

# خَصَائِص العَربية الفصحى

اتسمت اللغة العربية الفصحى من بين اللغات الجزرية الأخرى بميزات، تجلت فيها منزلتها ومكانتها ، وصارت لها علَماً من بين سائر أخواتها . وكثير من هذه الصفات انفردت بها هذه اللغة الكريمة التي جعلها الله سبحانه لغة كتابة الكريم .

وتتجلى هذه الخصائص في ظاهرة الإعراب ، والجرس والإيقاع ودلالته على المعنى ، والاشتراك ، والترادف ، والتضاد . وسنتحدث عنها في ما هو آت واحدة واحدة.

## المبحث الأول :

### ظاهرة الإعراب :

تعد ظاهرة الإعراب أظهر وأقوى ميزات وخصائص العربية ، إذ أن هذه الظاهرة قد فُقدت في بقية اللغات الجزريات كلها تقريباً ، فتجردت منها الآرامية ولهجتها السريانية، وصارت ضئيلة في العبرية القديمة والبابلية القديمة . ذلك أن البابلية بدأت بثلاث حركات ، اختصرت بعد ذلك إلى اثنتين، هما الضمة في حالة الرفع والكسرة في حالتي النصب والجر . وأخيراً صارت حركة واحدة هي الكسرة الممالة . على حين احتفظت العربية بحركاتها المختلفة على أواخر كلماتها ، وهي الفتحة والضمة والكسرة والسكون . وهذا مما جعل كثيراً من علماء اللغات ، اليوم ، يرون العربية أقدم اللغات الجزرية ، وذلك لبقاء عنصر الإعراب فيها[1]، الذين يعبر في العربية عن مراد المتكلم الذي يدور في ذهنه : من فاعلية ومفعولية ونسبة بين شيئين (إضافة) وما إليها . ولذلك قال ابن فارس في الباب الذي عقده لخصائص العربية : متحدثاً عن خاصة الإعراب بأنه: " من العلوم الجليلة التي خُصّت بها العرب " ، وأنه " هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يعرف القصد الذي هو أصل الكلام . ولولاه ما ميّز فاعل من مفعول ، ولا

---

[1] - دراسات في فقه اللغة ص ١٢٢ .

مضاف من منعوت ولا تعجب من استفهام[1] " ، وأنه " فيه تميز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين "[2].

ومع وضوح هذه الحقيقة في العربية الفصحى قبل نزول القرآن وبعده ، إلا أن أحد المستشرقين وهو فولرز **Vollers** زعم بأنها حادثة في العربية، وأن العربية الباقية كانت حتى ظهور القرآن غير معربة ، وأن الإعراب حدث بعد نزول القرآن بزمن ، فحركوا به القرآن بعد ظهور اللحن[3] وهذا القول طائش حقاً ودعوى بلا دليل . ولعل هذا المستشرق التبس عليه الأمر فخلط بين العربية الفصحى العامة (المشتركة) والعربية الفصحى الخاصة (اللهجات) . فهذه اللهجات كما ذكرنا في كلامنا السابق محلية محدودة تدور في بيئة معينة أو قبيلة معلومة ، دون أن تكون لها تلك الصفه الشاملة التي تتسم بها اللغة المشتركة .

وقد أحتمل أن تكون هذه اللهجات غير معربة ، عدد من الباحثين ، منهم المستشرق كوهين **Cohen** في كتابه (لغات العالم)[4]، والدكتور إبراهيم أنيس[5]، والدكتور إبراهيم السامرائي[6] . أي أن المتكلم بهذه اللهجات كان يسكّن أواخر الكلمات ، كما نفعل اليوم نحن في لهجاتنا المعاصرة وكلامنا اليومي . غير أن هذا الفرض غير مؤكد ، في الواقع، تأكيداً لا يشوبه ريب؛ ذلك أن من المحتمل أن تكون هذه اللهجات معربة ، وأن يكون المتكلم إنما يسكّن أواخر الكلم عند الوقوف على آخر الجملة فحسب ، وليس عند كل كلمة. وهذا هو الأقرب في ما يبدو لنا . ومن ذهب إلى العكس فعليه أن يقدّم الدليل القاطع، إذ لا يغني الفرض وحده من الحق شيئاً ، ولا يؤدي — بغير دليل — إلى العلم . ولا يصح قياس العربية الأولى على اللهجات العامية الحاضرة ، وأن نتخذها دليلاً على أن العربية الفصحى المتعلقة باللهجات كانت غير معربة . وقد فند الدكتور علي عبد الواحد هذا القول بعدة أدلة مقنعة [7].

---

[1] - الصاحبي ص ٧٧ .

[2] الصاحبي ص ٧٧ .

[3] - دراسات في فقه اللغة ص ١٢٢ . ...

[4] -محمد حسن : فقه اللغة ص ١٦٢ .

[5] - اللهجات العربية ص د ٦.

[6] - فقه اللغة المقارن ص د ٣.

[7] - فقه اللغة ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

على أن الفصحى المشتركة تختلف عن الفصحى المحلية ، وهي اللهجات . والذي عناه هذا المستشرق حين نفى ظاهرة الإعراب ، إنما هي الفصحى لا العامية . ويبدو أنه مدفوع بدوافع أخرى بعيدة عن الحقيقة العلمية المجردة ، وفي التعصب على العرب والعربية ، ومحاولة سلبها طائفة من خصائصها التي تميزت بها من اللغات الجزرية الأخرى . قال هذا المستشرق : " إن القرآن نزل بلهجة مكة الخالية من ظاهرة الإعراب ، ثم نقّحه العلماء على ما ارتضوه من قواعد ومقاييس حتى أضحى يُقرأ بهذا البيان العذب الصافي ، وغدا في الفصاحة مضرب الأمثال[1] " .

وقد ردّ عليه المستشرق نولدكه ، وفند رأيه الزائغ هذا ونقده نقداً علمياً موضوعياً، وقال : إن أغلب ما تصوره وتوهمه فولرز تجّرداً وخلواً من الإعراب ، إنما كان صوراً من تساهل الناس في القراءة لاختلاطهم بالأعاجم وشيوع اللحن والتحريف . فليس للنص القرآني أية صلة بشيء من هذه اللحون من قريب أو بعيد [2].

والحق أن هذا الذي قاله فولرز ليس مجرد وهم قد يقع فيه واهم ، وانما هو جهل ، ذلك أن قوله : " نقّحه العلماء على ما ارتضوه ... " الخ ، يدل على ذلك . فأي علماء يحق لهم أن يتصرفوا في النص المقدس الكريم ؟! فعنصر الإعراب أساس وقديم في العربية ، وإنما كان عمل العلماء يتلخص في أنهم استنبطوا قواعده من القرآن والحديث والشعر . على أن الذي يشهد له القرآن هو خلوه من أي نقص أو خلل ، فقد قال تعالى : **{ كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير }** (هود :١) ، وكان من إحكام كتاب الله وإتقانه من لدن الحكيم الخبير انه جاء خالياً من كل نقص في خصائصه اللغوية ، ومن ذلك أنه جاء معرباً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، بحيث إنه صار النموذج الأمثل للنحاة واللغويين في كل حين .

ومما ينقض رأي فولرز ويوهنه عدة أمور ، نذكر منها أربعة [3]:

م / ٩ فقه اللغة العربية

١ دراسات في فقه اللغة ص ١٢٢ .

٢ دراسات في فقه اللغة ص ١١٢ .

٣ وذكر الدكتور علي عبد الواحد وافي أدلة أخرى بنقض كلامه : فقه اللغة ص ٢٠٧ ٢٠٩

أ ـ تواتر روايات ظهور اللحن في ... وأصحابه يدل على أن العربية الفصحى التي نزل بها القرآن كانت معربة ، فقد قال أبو بكر الانباري[1] (ت ٣٢٨ هـ) : " وجاء عن النبي (ﷺ) ، وعن أصحابه وتابعيهم (رضي الله عنهم) من تفضيل إعراب القرآن والحض على تعليمه وذم اللحن وكراهيته ، ما وجب به على قراء القرآن أن يأخذوا أنفسهم بالاجتهاد في تعلّمه".

وروى ابن الأنباري[2] بعد ذلك بسنده عن مصعب بن سعد أنه قال : مر عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بقوم يرمون نبلاً فعاب عليهم رميهم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إنا قوم متعلمين ! فقال : لَحنكُمْ أشد عليَّ من سوء رميكم . سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : "رَحِمَ اللهُ امرأً أصلح من لسانِهِ " .

والأخبار الدالة على ذلك كثيرة ، وقد ساق ابن الأنباري[3] قطعة صالحة منها وطائفة دالة على ما نقول ، وكذلك ابو الفتح بن جني[4] فهذه الروايات وغيرها ، تدل على استهوال اللحن لدى العرب المسلمين في عصر صدر الاسلام واستفظاعهم اياه . إلى الحد الذي صار فيه لحن أولئك الرماة الضعاف أشد على عمر (رضي الله عنه) من خطئهم في رميهم . فهذا من دلائل وجود الإعراب في العربية عند نزول القرآن .

ب ـ دقة المقاييس التي وصلت بها إلينا أحاديث الرسول ( ﷺ ) حجة دامغة على أن اللغة التي نقلت بها كانت معربة ، إذ كانوا يتشددون في النقل . فلا غرو بعد ذلك أن نجد من كبار النحاة من يقدم الحديث في باب الاستشهاد على الشعر كابن مالك .

ت ـ ويضاف إلى هاتين الحجتين حجة ثالثة من داخل القرآن نفسه ، ومن نسق تعبيره ، وهي تقديمه المفعول على الفاعل في مواضع لغرض بلاغي ، كتقديم لفظ الجلالة (الله) على لفظة (العلماء) في قوله عزّ وجلّ : { إنمَا يخشى اللهَ من عِبادِه العلماءُ }

---

[1] إيضاح الوقف والابتداء ١/ ١٤ .

[2] إيضاح الوقف والابتداء ١/ ٣١ ـ ٣٢ .

[3] نفسه ١/ ١٥ وما بعدها .

[4] الخصائص ٢/ ٢٤٦ .

(فاطر :٢٨) ، فنصب لفظ الجلالة ورفع العلماء ؛ والغرض من ذلك التخصيص ؛ إذ المعنى كما يقول الزمخشري[1] (ت ٥٣٨ هـ): " إن الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء ، دون غيرهم . وإذا عملت العكس – يقصد جعلت الفاعل متقدماً على المفعول – انقلب المعنى إلى أنهم لا يخشون إلا الله ، كقوله تعالى : { ولا يخشون أحداً إلا الله } .

فهذا التقديم الذي يلحظ في الآية الكريمة ، يدل على أن القرآن كان معرباً ، إذ لو لم يكن كذلك لما عرف فيه الفاعل من المفعول . صحيح أن المسلم يدرك بسلامة عقيدته في التوحيد ، أن العلماء هم الذين يخشون الله ، ولكن الجاهلي المشرك يفوته ذلك ؛ لان مفاهيمه عن الاله ليست بتلك الدرجة من النقاء والسلامة ، بدليل أنهم كانوا يرون الآلهة تضر وتنفع وتعطي وتمنع، وما إلى ذلك من صفات لا تليق إلا بالله تعالى . والآيات الدالة على ذلك كثيرة ، من مثل قوله تعالى :

{ إنَّ الذين تدعون من دون الله عبادٌ أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين } (الأعراف : ١٩٤) .

وقوله تعالى :
{ والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم } (الأعراف :١٩٧) .

د – يبدو أن هذه الفرية قديمة ، قال بها بعض من أراد أن ينال من لغة القرآن. فقد ذكر ابن فارس[2] أن قوماً زعموا " أن العرب العاربة لم تعرف هذه الحروف – التي ننطق بها – بأسمائها ، وأنهم لم يعرفوا نحواً ولا إعراباً ولا رفعاً ولا نصباً ولا همزاً "، وأنهم احتجوا بما روي عن بعض الأعراب من أنه لم يفهم من الهمز في قولهم له : أتهمز الفأر؟ مثلا ، لم يفهم إلا " الضغط والعصر " من هذه الكلمة ، وأنه لم يفهم من الجر إلا السحب ، ومن النصب إلا " إسناد الشيء " ؟ ثم ردّ ابن فارس على كل هذه المقولات بكلام منطقي مبني على أساس علمي سليم ، وهو أن أحداً لم يزعم بأن العرب كلها تعرف

---

[1] - الكشاف ٣/ ٥٧٦ . وينظر بحثنا : الجرس والايقاع في تعبير القرآن في مجلة اداب الرافدين العدد التاسع لسنة ١٩٧٨ ص ٣٦٢ .

[2] - الصاحبي ص ٣٥ .

الكتابة وقراءة الخط ، فليس من الضروري ، والحال هذه، أن يعرفوا هذه المصطلحات الخطية ، من همز وجر ونصب ... وإلى آخرها .

وبيّن بعد ذلك أن الدليل على " أن القوم قد تداولوا الإعراب " ، أننا حين نستقري قصيدة الحطيئة التي أولها :

شاقَتْكَ أظعانٌ لليلى (م) دون ناظِرَةِ بَواكِرْ [1].

نجد قوافيها كلها عند الترنم والاعراب مرفوعة – فلو لم يكن الحطيئة عالماً بذلك " لأشبه أن يختلف إعرابها ، لأن تساويها في حركة واحدة اتفاقاً من غير قصد لا يكاد يكون " [2].

ومراده من ذلك : أن قوافي قصيدة الحطيئة ليست مختلفة الحركات ، بحسب مواقعها الاعرابية . فلو لم تكن معربه بالحركات ، ولم يكن الحطيئة عارفاً بذلك لما وحّدها بقافية مرفوعة في الأصل ، ولتركها على حالها من الاختلاف ، لأن هذا الاتفاق بينها ، إنما كان من أجل رفع هذا الاختلاف في الحركات ، لأنه مما يعاب على الشاعر ويؤاخذه عليه [3]. وهذا يدل على أن قصيدته معربة ، وليست ساكنة كما كان يزعم أولئك المتخرصون ، بلا دليل ولا علم .

وهذا الذي نبه عليه ابن فارس صحيح . وقد وفّيناه حقه من الكلام .

---

[1] في الديوان بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني ص ١٦٥ اختلاف في عدد من الألفاظ عما في هذا البيت .

[2] الصاحبي ص ٣٦ - ٣٨ .

[3] - وهو الذي يطلق عليه في اصطلاح علم العروض : الإقواء .

# المبحث الثاني

## الجرس والإيقاع والدلالة على المعنى :

ومن ميزات اللغة العربية دلالة الجرس والإيقاع فيها على المعنى ، وهو ما يسمى بالمناسبة الطبيعية ، التي تحدثنا عنها في موضوع نشأة اللغة. وإذا كانت هـذه الظـاهرة عامة في كل لغة من لغات العالم ، وهي ما يطلق عليها في اصطلاح علم اللغة الحديـث اسم الأنوماتوبويا : **Anomatopoeia**، فإن هذه الظاهرة قد بلغت في العربية من الظهور والوضوح ما يجعلها ميزة من مزاياها وخصيصة من خصائصها . وقد نبّه على ذلك غير واحد من قدامى اللغويين كالخليل وسيبويه وابن جني . وقد مرّ علينا[1] سالفاً قول الخليـل وابن جني في تفريقهما بين صَرَّ وصَرْصَرَ ، وكون الأول لما امتد من الأصوات كصرير الجندب ، وكون الثاني لما فيه تكرير وترجيع كصرصرة البازيّ . كما مرّ علينا تفريـق ابن جني بين القَدّ والقَطّ ، وكيف أن الأول موضوع لقطع الشيء طولاً ، والثاني لقطعـة عرضاً ، وذلك لما في الدال من الطول في الجرس عند انقطاعها يزيد على طول جـرس الطاء عند انقطاعها. ومثله : مدّ الحبلَ ، ومَتّ إليه بقرابـة . فجعلـوا الـدال – لأنـها مجهورة – لما فيه جهد ومزاولة ، والتاء لأنها مهموسة لما ليس فيـه ذلـك ، ولذلـك استعملوه في شيء معنوي وهو صلة القرابة ووشيجة النسب . فهذا مما التفت إليـه ابـن جني ، في علاقة الجرس بالدلالة في طائفة من الألفاظ في العربية .

فهذه الصفة الموسيقية سمة من سمات العربية المهمة ، حتى إن كثيراً من البـاحثين " يصف لغتنا بأنها لغة موسيقية ، وأنها انحدرت إلينا وقد اكتسبت هذه الصفة منـذ أقـدم نصوصها "[2]. وقد أكسبت تلك الصفة سمع العربي قدرة فائقة في الحكم على النصوص ، والتمييز بين الفروق الصوتية الدقيقة ، فصار مرهفا يستريح إلى ضرب من الكلام لحسن وقعه ، وينفر من آخر لنبوّ جرسه[3].

---

[1] - ينظر ص ٤٦ من هذا الكتاب ، ويوازن بـ ٧/ ٨١ - ٨٢ من **معجم العين**، و ١/ ٦٥ من الخصائص .

[2] - ابراهيم أنيس : **دلالة الألفاظ** ص ١٩٥ .

[3] - المصدر نفسه : المكان نفسه .

وقد بلغت هذه الخصيصة ذروتها في البيان الأسمى للغة الفصحى : القرآن الكريم، حتى إن المشركين نعتوه بأنه " سحر " ، على نحو ما نجد في كلام الوليد بن المغيرة المخزومي ، إذ فكّر في أن يقول شيئاً يصد به الناس عن الكتاب المبين ، فلم يستطع أن يقول إلا قولاً حكاه عنه القرآن ، وهو : ﴿إنْ هذا إلا سحرٌ يؤثر﴾ (المدثر : ٢٤) عن غيره[1] وقد أنكر عليه القرآن قوله الباطل هذا في سورة المدثر موعداً إياه بالعذاب الأليم يوم القيامة. وقد انتهى هذا الشعور بالوليد إلى وصف القرآن بما يدل على شدة إعجابه به وتذوقه لروعة جرسه وإيقاعه وسمو تعبيره وبيانه ، وذلك أنه قال بعد أن سمع الرسول (ﷺ) يتلو عليه سورة (حم السجدة) : " إنّ له لحلاوة ، وإنّ عليه لطلاوة ، وإنّ أسفله لمُغدق ، وإن أعلاه لمثمر ، وما يقول هذا بشر "[2].

فهذه الحلاوة التي استشعرها الوليد في البيان القرآني الرفيع ، إنما هي هذه الخاصة الموسيقية الرائعة التي تتمثل بجرس حروفه وألفاظه وإيقاع كلماته وعباراته ، وهي عينها نلمحها بعد ذلك في كلام أحد الصحابة القرآنيين ، الذين كان لهم في تذوق القرآن وتلاوته وفهمه نصيب موفور . ونعني بذلك عبد الله بن مسعود ، والكلام الذي يؤثر عنه هذا المقام يتعلق بالسور القرآنية التي تبدأ بالحرفين المقطعين (حم) ، والتي يطلق عليها المتأخرون من أهل العلم اسم (الحواميم) ، وهي في اصطلاح القرآنيين الأوائل من الصحابة والتابعين ، (آل حم) ، فقد بهرت هذه السور ذلك العالم الصحابي الجليل ابن مسعود ، فصاغ هذا الشعور المشرق في نفسه ، بهذه الصياغة الدالة على فرط إحساسه بجمالها الصوتي في الجرس والإيقاع ، فضلاً عن المعاني الباهرة . فقال : " إذا وقعت في آل حم ، وقعت في روضات دمثات أتأنّق فيهن "[3] . وقد أنكر عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) أن يكون ابن مسعود قد وصف الحواميم بهذا الوصف " من أجل أوزان الكلمات ، ومن أجل فواصل في أواخر الآيات[4] " ، وأرجع ذلك إلى المعاني التي عليها مدار النظم الدال على الإعجاز عنده . واستبعد كذلك أن يكون الجاحظ قد ذهب إلى هذه المزية اللفظية الصوتية حين قال في بعض مصنفاته . " ولو أن رجلاً قرأ على رجل من

[1] سيرة ابن هشام ١/ ١٧٤ ١٧٥ .

[2] الجرجاني : الرسالة الشافية ص ١٢٥ ، ودلائل الإعجاز ص ٣٥٨ .

[3] ابن قتيبة : عيون الأخبار ١/ ١٣٢ .

[4] - دلائل الإعجاز ص ٣٥٨ ٣٥٩ .

خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة، لتبين له في نظامها ومخرجها من لفظها وطابعها أنه عاجز عن مثلها" [1]. ولا شك أن ابن مسعود (ﷺ) لم يذهب في وصف الحواميم إلى مجرد هذا الملحظ الصوتي – الموسيقي ، من الفواصل وأوزان الكلمات ، بل لا بد من أنه ذهب إلى أعمق من ذلك وأدق ، إلى ائتلاف الأصوات اللغوية في الكلمة الواحدة وانسجامها موسيقياً ، وإلى ائتلاف أواخر الألفاظ وتناغمها بحيث تتصل اللفظة باللفظة ، من غير نبوّ ولا شرود ، يحسّ معها القارئ بانسيابية موسيقية تجعله يتريث في تلاوته ، كأنما هو يمشي وسط حدائق جميلة ساحرة يحب أن يتملاها في تمهل وشوق .

وإذا أردنا الكلام على الجرس والايقاع وعلاقته بالمعنى في القرآن ألفينا القرآن يبلغ في ذلك الغاية ، فهو يتخير الألفاظ تخيراً يقوم على أساس من تحقيق الموسيقى المتسقة مع جو الآية وجو السياق كله ، بل وجو السورة جميعها في كثير من الأحيان . وبخاصة تلك السور القصار التي حفل بها العهد المكي ، ولتأكيدها أصول العقيدة الإسلامية .

فالقرآن يستعمل مثلاً الألفاظ ذات الجرس الموسيقى الناعم الرخي والسلس الموحي، في المواضع التي يشيع فيها جو من الحياة الهانئة الجميلة.

فالصبح حين ينشر ضوءه في الآفاق ، ويبث الحياة في الطبيعة الهامدة الساكنة وفي الإنسان ، يتخير له القرآن هذه اللفظة الهامسة الرقيقة المؤدية بجرسها لحركة الفجر الشفيقة المتندة ، فضلاً عن أدائها لذلك بما فيها من مجاز ، وهي لفظة (تنفس) . فجرس هذه اللفظة الهامس ملائم لرقة الصبح ونداوته . يتجلى في همس التاء والسين[2]، وذلاقة النون والفاء[3] . فاللفظة موحية بدلالتها وجرسها وظلها على هذه اليقظة التي شملت الطبيعة بعد سكون الليل وسجوه.

---

[1] - دلائل الإعجاز ص ٣٥٩ .

[2] - حروف الهمس عشرة يجمعها قولك (فحثه شخص سكت) . وهي التي يضعف الصوت بها عند جري النفس معها، فلم يقو قوته في حروف الجهر . وهذا ما التفت إليه القدامى كذلك .

[3] - حروف الذلاقة يجمعها قولك (مر بنفل) فهي ستة، وسميت بذلك لخفتها على اللسان وسهولة جريانها عليه ينظر في النوعين طيبة النشر ص ٢١، ٣٣ لأحمد بن محمد بن الجزري .

هناك إذاً نوع من الدلالة تستمد من طبيعة الأصوات ، وهي التي يسميها علم اللغة الحديث : (الدلالة الصوتية) . وممن ذهب إلى ذلك من علماء اللغة الغربيين المحدثين : همبلت وجسبرسن . وسمّى الأخير هذه الظاهرة (رمزية الألفاظ) [1].

وأنت واجدٌ هذه الموسيقى الهامة في مثل هذا النص القرآني المعبّر عن موقف خاشع هامس يتّسم بالخشوع للرحمن يوم العرض والحساب : **{وخَشَعَتَ الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً}** (طه : ١٠٨) .

وتجد عكس هذه الموسيقى حين تقتضي الدلالة الشدة في جرس الأصوات والألفاظ وإيقاع العبارات . ويمكن أن نتبين ذلك في كثير من نصوص القرآن ، وخاصة تلك التي يذكر فيها تعذيب الكافرين في الدنيا بأنواع العقوبات الطبيعية المهلكة كإمطار الحجارة وقلب الديار ، وما إليها . ويتجلى ذلك مثلاً في قوله تعالى في تصوير العذاب الذي انصبّ على الطغاة: عاد وثمود وفرعون : **{ فصبَّ عليهم ربك سوط عذاب . إن ربك لبالمرصاد }** (الفجر : ١٣ ــ ١٤) .

والطاء والباء والدال من الأصوات الشديدة ، والأول صوت مُطْبَق مُستَعلٍ له جرس فخم شديد [2]، وسيتبين ذلك عند دراستها .

ومن ذلك قوله تعالى : **{ وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين }** (الشعراء : ١٧٣) ، و(النمل : ٥٨) ، فصيغ مادة (مطر) بثقل طاءاتها التي وردت في هذا النص ، وتكرارها ، ملائمة بجرسها الشديد لمشهد العذاب الذي نزل بأولئك الكافرين المعاندين ، ولم يستعمل القرآن في أي موضع دال على العذاب (الغيث) وما هو من مادته ، وإنما استعمله في مقام الخصب والرخاء والخير . فقال تعالى : **{ فيه يغاث الناس وفيه يعصرون }** (يوسف : ٤٩) ، وقال تعالى : **{وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد }** (الشورى : ٢٨) .

وأنت حين تحلل لفظتي (يغاث) و (غيث) صوتياً ، لا يسعك إلا أن تدرك الفارق بينهما وبين الصوت الذي تسمعها مادة (م ط ر) ، إذ تجد هنا الرخاء الموسيقي في أصوات

1 دلالة الألفاظ ص ٦١ ، ٦٢

2 اللهجات العربية ص ٧١ ، ٧٢

هاتين اللفظتين ورد ملائماً للرخاء الطبيعي المتمثل بالماء النازل من السماء وانتشار رحمة الله ، بالكلأ والفاكهة وما إليها . على حين تجد هناك الدمار والخراب كما بيّنا . وهذا كله من آيات اتساق الجرس والمعنى في القرآن[١] ، الذي يمثل ـ كما قدمنا ـ أروع مثال وأسماه لهذه اللغة الفصحى التي أطلق عليها المحدثون من اللغويين اسم (اللغة المشتركة) .

والتفت القدامى في بحوثهم النحوية واللغوية إلى كثير من ألوان التناسب بين الأصوات (الحروف) والمعاني . فقد ذكر سيبويه مثلاً أن من مصادر ما يأتي على وزن واحد لتقارب معانيه ، وذلك نحو النَّزوان والنَّقَزان ، إذ كلاهما يدل على اضطراب الجسم واهتزازه في حركة تتجه إلى أعلى ، بما يشبه القفز ، فقد قال[٢] " ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك : النَّزَوان ، والنَّقَزان ؛ وإنما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع . ومثله العَسَلان والرتكان "[٣].

ثم قال[٤]: " ومثل هذا الغليان ؛ لأنه زعزعة وتحرُّك ، ومثله الغَثَيان ؛ لأنه تَجَيُّشُ نفسِهِ وتَثَوُّر . ومثلِه الخطران واللمعان ، لأن هذا اضطراب وتحرُّك . ومثل ذلك اللَّهبان والصَّخدان[٥] والوَهَجان ؛ لأنه تحرُّك الحرّ وثُؤُورُه . فإنما هو بمنزلة الغليان " .

ومعنى ذلك أن وزن (فَعَلان) كثيراً[٦] ما يرد في كلام العرب للدلالة على الاضطراب والحركة . وهذا يعني أن لهذا الوزن في كلامهم علاقة بالمعنى الذي يريدون: والتناسب واضح بين صيغة هذا الوزن والمعنى الذي تدل عليه ؛ إذ يشعرنا الفَعَلان بهذا الاضطراب من سماعنا له .

---

[١] - لزيادة الاطلاع ، ينظر بحثنا : **الجرس والإيقاع في تعبير القرآن** . ففيه تفصيل لهذا الموضوع وتطبيقات في سور قرآنية مكية ومدنية عليه .

[٢] - **الكتاب** ٤/ ١٤ .

[٣] - **الكتاب** ٤/ ١٤ .

[٤] - **الكتاب** ٤/ ١٤ .

[٥] - الصَّخدان : **شدة الحر** ، ومثله اللّهبان ، وهو الذي يطلق عليه في العامية العراقية : اللاهوب والليهوب .

[٦] - نقول ( كثيراً ) لأنه غير قياسي . وقد أشار إلى ذلك ، قال : " هذه الأشياء لا تضبط بقياس " **الكتاب** ٤/ ١٥.

بل إن سيبويه كأنما يلمح هذا التناسب بين الصوت والدلالة ، في مثـــل الصُّراخ والنُّباح ، يقول[1] : " لأن الصوت قد تَكلَّف فيه من نفسه ما تَكلَّف من نفسه فـــي النَّزَوان ونحوه " .

وعقد أبو الفتح عثمان بن جني في (الخصائص) باباً سماه :

(قوة المعنى لقوة اللفظ) ، ونعته بأن " فصل من العربيةَ حسن " ، ومثّل له بأمثلـــة كثيرة ، نحو : خَشُنَ واخشَوشَنَ ، وبين أن " معنى خَشُنَ دون معنى اخشوشن ، لما فيـــه من تكرير العين وزيادة الواو " وضرب له مثلاً قـــول عمـــر بـــن الخطـــاب (رضي الله عنه) : اخشوشنوا وتَمَعْدَدوا [2]، أي بالغوا في الخشونة في حياتكم ولا تميلوا إلى الترف .

وهذا كما نرى من قاعدة زيادة المعنى لزيادة المبنى، وهي قاعدة صوتيـــة مهمـــة وشهيرة في العربية .

وضرب ابن جني بعد ذلك أمثلة أخرى من هذا القبيل هي : أعْشَبَ واعشَوشَبَ، وحلا واحلولى، وخَلُقَ[3] واخلولق، وغدن واغـــدودن[4] . وانتقـــل إلـــى وزن آخـــر غـــير (افعوعَلَ)، هو (افتَعَل) قال : "ومثله باب فَعَلَ وافتَعَل، نحو قدر واقتدر . فـــاقتدر أقـــوى معنىً من قولهم قدر . كذلك قال أبو العباس، وهو محض القياس" . أو بعبارة أخرى : إن القياس اللغوي يدل على أن الزيادة التي في صيغة (افتَعَل) على (فَعَل)، أدت إلى زيادة في المعنى وقوة فيه. أو قل : إن المتكلم اجتلب هذه الزيادة الصوتية ليدل على هـــذه الزيـــادة المعنوية .

وضرب ابن جني بعد هذا مثلاً على ذلك التنزيل، وهو أنه سبحانه قال : **{أخْذَ عزيزٍ مقتدر}** (القمر :٤٢)، وبين أن " مقتدر هنا أوافق من قـــادر ؛ مـــن حيـــث كـــان الموضع لتفخيم الأمر وشدة الأخذ " . كما ضرب من التنزيل مثالاً آخر وهو (اكتسب) في قوله عز وجل **{ لها ما كسبتْ وعليها ما اكتسبَتْ }** (البقرة :٢٨٦)، وبيّن أن السيئةَ لمـــا كان أمرها عظيماً، وأن كسب الحسنةَ مستصغر بإزائها، فُخِّمَ لفظ التعبير عنها "فزِيْدَ فـــي

[1] - الكتاب ٤/ ١٤

[2] الخصائص ٣/ ٢٦٤

[3] خلق : كان خليقاً وجديراً .

[4] أي صار ليّنا : إذ الغدن في اللغة : اللين .

لفظ السيئة وانتُقِصَ من لفظ الحسنة "[1] . ويبدو أن ابن جني هو الذي استنبط هذا الملحظ اللغوي، ولم يستقه من شيوخه ؛ إذ ذكر أنه ذاكرَ في هذا الموضوع بعض أشياخه من المتكلّمين[2] "فَسُرَّ به وحَسُنَ في نفسه"[3] .

ولا نريد أن نطيل بإيراد شواهد أخرى على عناية ابن جني بعلاقة اللفظ وما يطرأ عليه من تغيّر صوتي، بالمعنى . إذ في ما بيناه آنفاً كفاية .

---

[1] - الخصائص ٤/ ٢٦٥ .

[2] - أي علماء الكلام، وهم الذين أوتوا العلم والقدرة على الجدل في المسائل العقيدية المتنوعة، وكل فرقة إسلامية متكلموها .

[3] - الخصائص ٤/ ٢٦٦ .

## الاشتراك :

يراد بالاشتراك " أن تكون اللفظة محتملة لمعنيين أو أكثر "[1] . وهو في العربية ظاهرة لغوية لا تنكر ، وإن كان هناك من أنكرها من قدامى اللغويين، إلا أن الأكثرين يذهبون إلى أنه شيء واقع ، وذلك لنقل أهل اللغة ذلك في كثير من الألفاظ [2].

ويطلق على الاشتراك لدى القدامى أحياناً عبارة (ما اتفق لفظه واختلف معناه) . على نحو ما نجد في رسالة أبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٤ هـ) المسماة (ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد)[3] . وقد تضمنت هذه الرسالة ألفاظاً مشتركة ، وأخرى من الأضداد ، على أساس أن التضاد ضرب من الاشتراك ، أي اتفاق في اللفظ واختلاف في المعنى ، إلا أن الاختلاف فيه ليس اختلاف تغاير ، بل اختلاف تضاد . ثم استقر لفظ (المشترك) بعد ذلك في الاصطلاح . إذ نجد الطوسي[4] المفسر (ت ٤٦٠ هـ) يسميها (الأسماء المشتركة) .

والمشترك : يعني اشتراك معنيين أو أكثر في لفظ واحد . ولهذا أطلق عليه اسم (المشترك اللفظي) . وقد حده ابن فارس[5] بأن " تسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد نحو عين الماء ، وعين المال ، وعين السحاب " . وقد سبقه المبرد[6] إلى دلالات أخرى لكلمة (العين) ، وهي : العين الباصرة كعين الإنسان والحيوان ، وعين الميزان ، وعين الشيء : ذاته ، والعين : سحابة . ثم قال : وهذا كثير جداً . وقد علل الطوسي[7] المشابهة

1 - الصاحبي ص ٢٦٩
2 المزهر ١/ ٣٦٩
3 طبعت في المطبعة السلفية في مصر سنة ١٣٥٠هـ بعناية الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي، ونشر في أربعين صفحة من القطع الصغير.
4 التبيان ١/ ٢٦٩
5 الصاحبي ص ٩٦ ، وينظر المزهر ١/ ٣٧٠ .
6 ما اتفق لفظه واختلف معناه ص ٢
7 التبيان في تفسير القرآن ١/ ٢٦٩ .

بين عين الحيوان وعين الماء بقوله : " العين من الماء مشبهه بالعين من الحيوان بخروج الماء منها ، كخروج الدمع من عين الحيوان " .

وأوصلها ابن خالويه[1] (ت ٣٧٠ هـ) إلى ثلاثين قسماً ، إذ قال : "والعين تنقسم في كلام العرب ثلاثين قسماً ، قد بيَّنتها في رسالة : شكاة العين " .

وقد بحث اللغويين والأصوليون[2] في موضوع المشترك ، فاختلفوا فيه ، من حيث وجوده وعدمه في اللغة والأكثرون ـ كما بينا آنفاً ـ يرون أنه واقع في الكلام وأنه موجود . وممن ذهب إلى ذلك أبو بكر بن دريد في (جمهرة اللغة)[3] معجمه المعروف ، فقال : " العم أخو الأب والعم الجمع الكثير . قال الراجز :

يا عـامرَ بنُ مـالـك يـا عمّا أفنيـتَ عماً وأعشَتَ عمّـا

فالعم الأول ، أراد به : يا عمّاه ، أي : يا عمي ، ثم حذف الهاء تخفيفاً. وهذه اللهجة أو الظاهرةَ اللغوية معروفة في كلام الموصليين ، إذ هم يقولون لعمهم أو لمن هو أكبر سناً منهم : (عمّا) ، يريدون : (يا عمّاه) ، ثم اسقطوا حرف النداء والهاء ، إيجازاً وتخفيفاً . وأما (عما) الثانية في البيت فهي بمعنى : القوم . والمراد بذلك : أهلكت قوماً وأعنت آخرين[4] . وهناك قيد في تحديد المشترك ، وهو أن تكون دلالة اللفظ على معنيين أو أكثر بطريق الحقيقة لا المجاز[5].

ومن أقدم ما ذهب إلى وجود المشترك الخليل وسيبويه وأبو عبيده معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ) وأبو زيد الأنصاري ، وقد صنف الأخير كتاباً فيه[6]، وذهب إلى ذلك ابن هشام صاحب[7] السيرة النبوية (ت ٢١٨ هـ) ، وأبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤هـ) ، على ما هو ظاهر في كتابه (غريب الحديث) . وأبو محمد عبد الله مسلم قتيبة

---

[1] - إعراب ثلاثين سورة ص ٦٨ – ٦٩ .

[2] - هم علماء أصول الفقه ، وهذا اصطلاح شائع فيهم .

[3] - ينظر ١/ ١١٤ من الجمهرة . وما نقله السيوطي في المزهر ١/٣٧٠ عنها : وحبرت ، بدلاً من : وأعشت.

[4] - ابن دريد : جمهرة اللغة (عم) ، وينظر : المزهر ١/ ٣٧٠ .

[5] - علي عبد الواحد : فقه اللغة ص ١٨٦ .

[6] - المصدر نفسه : المكان نفسه .

[7] - ينظر بحثنا : المباحث اللغوية في سيرة ابن هشام في مجلة آداب للمستنصرية العدد ٩ ص ٣٠٦ .

(ت ٢٧٦ هـ) ، في كتابه (تأويل مشكل القرآن) وأبو بكر بن الأنباري في كتاب (الزاهر). فمن ذلك أن أبا عبيد ذكر المعاني المختلفة لكلمة (العهد) الواردة في الحديث الشريف : (وإنَّ حُسنَ العهدِ من الإيمان) ، فبيَّن أنها تقع في أشياء مختلفة ، وغرضه من ذلك اختلاف التغاير الذي أشرنا إليه لا اختلاف التضاد . فأورد من معانيها : الحفاظ والوصية ، والأمان ، واليمين ، ورعاية الحُرمة والحق . ثم بيّن أن المعنى الأخير هو الوارد في الحديث [1].

ومعنى هذا أن اللفظ المشترك لا بد أن يكون له في كل مقام ومقال معنى واحد من بين سائر معانيه ، يدل عليه . ويختلف هذا المعنى بحسب الاستعمالات المتعددة لذلك اللفظ . ويعرف بطبيعة الحال بقرينة من القرائن المعتبرة ، كالقرينة اللفظية والسياقية ( Verbal context ) والعقلية والحالية . ولكن هذا لا يعنى أن اللفظ المشترك ، وهو في إطاره القولي ، أي وهو مستعمل في الكلام ، لا يحتمل إلا معنى واحداً في تلك الصورة، بل ربما أمكن حمله على أكثر من معنى يحتمله ذلك اللفظ ، وهو في ذلك الإطار . أو بعبارة أخرى : ربما أمكن الجمع في تفسير اللفظ المشترك ، بين قولين ومعنيين من معانيه ، يحتملهما جميعاً في عبارة من العبارات . وذلك حين يكون كل منهما ممكناً وجائزاً ، فيكون الجمع بينهما إغناء لدلالة ذلك اللفظ ، ودفعاً لاختصاصه بواحد من معانيه المتعددة بلا مخصص قطعي أو قرينة حاسمة . بل يمكن كذلك أن يحتمل أكثر من معنيين. ويمكن أن نتبيّن ذلك من وقوف أبي عبيد على حديث الرسول (ﷺ) ، وقد ذكر الخوارج بصفة يُعرفون بها وهي (التسبيد) ، فقد روى أبو عبيد عن أبي عبيدة أن المراد به: ترك التدهن وغسل الرأس ، وأن غيره قال : إنما هو الحلق واستئصال الشعر. ولم يرجح أبو عبيد أياً من هذين القولين ، بل رأى أنهما جميعاً محتملان ، واحتج للأول بحديث لعبد الله بن عباس ، وللثاني ببيت للنابغة [2].

وأما ابن قتيبة فقد ذكر لكلمة (المولى) مثلاً عدة معان ، وهي لفظ مشترك ذو دلالات كثيرة . فذكر من دلالاتها " المُعتِق " ، والمُعتَق ، وقرابات الرجل ، ومن يتولى شخصاً ، إن لم يكن قرابته ، والحليف ، واحتج لها بشواهد من القرآن والحديث والشعر [3].

[1] أبو عبيد : غريب الحديث ٣/ ١٣٨ . وفيه الحديث المشار إليه .
[2] غريب الحديث : ١١ / ١٥٨ ١٦٠ .
[3] ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن ص ٤٥٥ - ٤٥٦ .

فنكر منها كما ترى خمس دلالات . على حين حصرها ابن الأنباري[1] بعشر . ذلـك أن للمولى معاني أخرى غير هذه التي ذكرها ابن قتيبة ، مثل : العبد ، والجار ، وابن العم ، وولي الأمر .

وجاء في القرآن بمعنى (الموالي) في قوله تعالى : { ذلك بأن الله مولـى الذيـن ءامنوا وأن الكافرين لا مولى لهم } (محمد : ١١) ، كما جاء بمعنى القرابات في قولـه تعالى : { وإني خفت الموالي من ورائي } (مريم :٥) ، فالموالي هنا : جمع مولى .

ومما جاء منه في الحديث بمعنى ولي الأمر قوله (ﷺ) : " أيما امـرأة نُكحـت بغير أمر مولاها ، فنكاحها باطلٌ " قال ابن قتيبة : " أي بغير أمر وليّها "[2] ، كأن يكـون أباها أو عمها أو أخاها ...

ومن الألفاظ المشتركة ذات الدلالات الكثيرة (الرب) ، وقد نص ابن خالويه[3] علـى تسميته بهذا الاسم الاصطلاحي في اللغة ، فقال : " والربّ في اللغة : السـيد والمـالك . وربٌ اسم مشترك ، يقال : ربُّ الضَّيعة ، وربُّ الدار ، ولا يقال الربُّ بالألف والـلام إلا لله تعالى . وربٌ أيضاً مصدر من قولك : رببتُ الشيء ، فأنا أَرُبُّه رَبّاً " .

فأنت ترى من كلام ابن خالويه أن اللفظ المشترك ، قد تتحـدد دلالتـه باسـتعمال معين ، ويختص معناه بشيء دون آخر ، وذلك نحو (رب) إذا دخلت عليه الألف والـلام ، فإنه يختص بالله تعالى ، ولا يصح أن يطلق على غيره . وأضاف[4] الراغب الأصـفهاني (ت ٥٠٣ ) ملحظا آخر في استعمال هذا اللفظ ودلالته وهو أنه لا يقال (ربٌّ) مطلقـاً إلا لله تعالى . لأنه المتكفل بمصلحة الموجودات ، وذلك نحو قولـه : { بلـدةٌ طيبـةٌ ورب غفور } (سبأ :١٥) ، أو بعبارة أخرى : لا يصح إطلاق كلمة (رب) مجردة عن الاضافة إلا على الباري عزّ و جلّ ، فهي شبيهة من هذه الناحية بتلك التي دخلت عليـه ( أل ) . ولا شك أن للقرائن دورها في تحديـد دلالـة ( رب ) إذا وردت فـي غـيره هـاتين الصورتين ، أي : إذا وردت غير معرفة بأل ولا منكّرة ، وأظهر تلك القرائن هي القرينـة اللفظية التي تحدد الدلالة بعدة صور ، منها المضاف إليه ، وذلـك نحـو (العـالمين) و

---

[1] الزاهر ١/ ٢٢١ .

[2] تأويل مشكل القرآن ص ٤٥٥ .

[3] إعراب ثلاثين سورة ص ٢١ .

[4] مفردات ألفاظ القرآن ص ١٨٩ (رب) .

الدلالة بعدة صور ، منها المضاف إليه ، وذلك نحو (العالمين) و (الدار) في قوله تعالى { الحمد لله ربّ العالمين } (الفاتحة :١) . وقولنا : رأيت ربّ الدار مسروراً . فربّ في الآية الكريمة هو الله سبحانه ، وفي المثال ، بمعنى : صاحب . وقد حددت كلاً منه القرينة اللفظية التي بعدهما .

ومن هذه القرائن اللفظية قرينة السياق ، وهي من أهم القرائن في فهم النصوص وليست هذه الصفة خاصة بلغة واحدة ، بل هي عامة في اللغات كلها تقريباً . قال ستيفن أولمان : " إن نظرية السياق ـــ إذا طبقت بحكمة ـــ تمثل حجر الأساس في علم المعنى " .

ويمكن أن نتبين أثر السياق في تحديد دلالة (رب) في بعض استعمالاتها، وذلك مثل قوله تعالى : { فليعبدوا ربّ هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف (قريش : ٣-٤) ، فأنت ترى أن السياق حدد في هذا النص دلالة (رب) بشيء واحد ، ه الله خالق كل شيء . وذلك لأنه ذكر الأمر بعبادته في البداية ، وأشار إلى (البيت) بحرف الإشارة " هذا " . ليحدده بدقة دون سواه من بيوت الله أو غيره من البيوت . كما خت الكلام بصفة لا يقدر عليها إلا الله ـــ على الحقيقة ، وهي الإطعام من الجوع والأمن ـــ الخوف .

على أن فريقاً من اللغويين تأولوا ما ورد من المشترك . وذلك بأن جعلوا أحد المعنيين حقيقياً والآخر مجازياً . وبذلك ألغوا فكرة المشترك بهذا التقسيم . وكان على رأس هؤلاء ابن درستويه[٢] (ت ٣٤٧ هـ) . وكما غالى الذين أنكروا المشترك اللفظي غالى كذلك الذين قالا بوجوده في اللغة . ولكل واحد منهما على كل حال نظرة خاصة .

فالذين تأولوا أمثلة المشترك اللفظي ، على أنها من الحقيقة والمجاز ، نظروا إليه نظرة تاريخية يطلق عليها علماء اللغة المعاصرون اسم **Diachronic** ، والذين خالفوه نظروا إلى هذه الألفاظ نظرة وصفية واقعية **Synchronic** ، إذ بحثوا في الألفاظ ومعانيها في عصر معين [٣].

دور الكلمة في اللغة ص ٥٩ . ترجمة كمال محمد بشر .
إبراهيم أنيس : اللهجات العربية ص ١٤٥ .
اللهجات العربية : نفس المكان .

ولابد في نهاية الحديث عن المشترك اللفظي من الاعتراف بأن ثمة عوامل أدت إلى ظهوره ، وهذه العوامل هي :

١ـ أن يكون اللفظ مستعملاً في لهجات العرب بمعان مختلفة ، أي أن تستعمل قبيلة لفظة ما بدلالة تختلف عن دلالتها في القبيلة الأخرى .

فتناوله أئمة اللغة بحسب دلالته في لهجاتهم . وبذلك تتعدد المعاني بتعدد التأويلات المبنية على هذه اللهجات . ولم يفت ذلك بعض قدامى اللغويين ، بل التفت اليه أبو عبيدة في مقدمته لكتابه (مجاز القرآن) ، إذ قال: " ومجاز ما جاءت له معان غير واحد ، مختلفة ، فتأولته الائمة بلغاتها ، فجاءت معانيه على وجهين أو أكثر من ذلك . قال تعالى : **{ وغدوا على حرد قادرين }** ، ففسروه على ثلاثة أوجه ، قال بعضهم : على قَصْد ، وقال بعضهم : على مَنْع ، وقال آخرون : على غضب وحِقْد [1].

٢ـ الاستعمال المجازي لطائفة من الألفاظ ، أدت إلى أن تكون تلك الألفاظ من المشترك . وقد رأى بعض الباحثين هذا العامل أهم العوامل المؤدية إلى ظهور المشترك اللفظي . وليس من الضروري أن يكون الاستعمال المجازي مقصوداً متعمداً ، إذ أنه قد يقع صدفة ودون اتفاق ومواضعه بين القائلين . فهم يقولون مثلاً : رأس الإنسان ، ورأس الجبل ، ورأس النخلة ، ثم يقولون بعد ذلك : رأس الحكمة . فبدعوا بالمعنى الحقيقي الحسي ، وانتهوا بالمعنى المجازي المعنوي . ولا بد لهذا الانتقال من الحقيقة إلى المجاز من زمن قد يطول قبل أن ينتهوا إلى المعنى الأخير، الذي يمثل ضرباً من التطور في تفكير الإنسان ، وسمواً في إدراكه .

وقد يعمد المتحدث إلى استعمال المجاز عمداً ، وذلك كالشاعر والأديب، إذ يصطنعه لغاية معينة ومعنى يريد التعبير عنه . وبذلك ينتقل المعنى الحسي إلى مجال المعنويات ، فالملاحظ " بصفة عامة أن كثيراً من الكلمات التي تسمى بالمشترك اللفظي ، تجمع بين معنيين : أحدهما حسّي والآخر معنوي ، ولا شك أن المعنى الأصلي في مثل هذه الحالة هو الحسي ، وأن المعنوي فرع عنه بطريق المجاز " [2].

---

[1] - أبو عبيدة : مجاز القرآن ١/ ١٣ .

[2] - اللهجات العربية ص ١٦٠ .

وقد عني الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥ هـ) في معجمه القرآني الشهير: (مفردات ألفاظ القرآن) بالإشارة إلى المعاني الحقيقية والمعاني المجازية، للألفاظ الغريبة في القرآن، وهي الألفاظ التي تولى تفسيرها. على نحو ما نجد مثلاً في عرضه لتفسير (سبح) وصيغتها المختلفة، إذ قال: " السَبْحُ : المَرُّ السريع في الماء وفي الهواء، يقال: سَبَح سَبْحاً وسِباحةً، واستعير لمرّ النجوم في الفلك، نحو: (وكلٌّ في فَلَكٍ يسبحون). ولجري الفرس، نحو قوله تعالى: { وَالسابحاتِ سَبْحاً } ( النازعات : ٣) ، ولسرعة الذهاب في العمل نحو قوله تعالى: { إنَّ لك في النهار سبحاً طويلاً }[1].

وجاء بعده الزمخشري، فصنف معجمه (أساس البلاغة)، الذي أشار فيه إلى المعنيين الحقيقي والمجازي للألفاظ التي تضمنها معجمه هذا. فكان يحق معجماً فريداً في نوعه. وإن كان الراغب قد سبقه إلى ذلك، إلا أن معجم الراغب خاص، لأنه متعلق بمفردات القرآن، ومعجم الزمخشري عام. وعليه مؤاخذات[2] لأنه جعل الحسي مشتقاً من المعنوي في حالات. وهو وهم وقع فيه في الكشاف أيضا[3].

٣- ويخضع نشوء المشترك اللفظي إلى ما يطرأ من تغير في الحياة الاجتماعية والعقلية لدى الشعوب، وهو تغير مستمر لدى الأمم. إذ يستتبع هذا التغير في معاني طائفة من الألفاظ التي قد تحتفظ بصورتها. فينشأ من ذلك المشترك. واللغة ظاهرة اجتماعية، تخضع للمؤثرات الاجتماعية المختلفة عبر الأزمان. كما أن للحياة العقلية دورها وأثرها في هذا المجال، إذ تخضع اللغة لما يطرأ على هذه الحياة من نمو وازدهار، أو تأخر وانحسار، وما يجدُّ من ثقافات وافدة أو علوم مستفادة. فالخمر مثلاً كانت في الأصل تطلق على صنف معين من الخمور، التي كثرت أصنافها بعد ذلك، ثم صارت تطلق على كل مُسكر بعد ظهور الإسلام.

٤- وللتطور الدلالي الديني الاصطلاحي أثره في المشترك اللفظي، فهو إما أن يحدثه، وإما أن يثريه بالمعاني الجديدة التي جاء بها الدين الجديد، وبخاصة القرآن المجيد. إذ اكسب كثيراً من الألفاظ معاني جديدة لم تكن العرب تعرفها قبله. وقد

[1] الراغب. مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٢٦ ٢٢٧ مادة (سبح).

[2] - فصول في فقه اللغة العربية ص ٢٨٩.

[3] - إذ عدّ الشجر مشتقاً من التشاجر، واليم من التيمم. والعكس صحيح فيما يقرره علم اللغة الحديث.

أطلق عليها اسم (الألفاظ الإسلامية) أو (الألفاظ الاصطلاحية) ، لأنها ممـــا جـاء بــه الإسلام واصطلح عليه بهذه الدلالة الجديدة . وهذه الألفاظ كثيرة ، منها : الكفر والكافر، والزكاة ، والربا ، والقنوت ، والهدى ، والتقوى ، والكلالة . وقد صنف فيها غير واحد من القدامى مثل ابن قتيبة في كتابه (تأويل مشكل القرآن) الذي أشــرنا إليـه سـالفاً ، وضربنا منه على المشترك بعض الأمثال . ومثل أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٢ هـ) في معجمه (الزينة في الكلمات العربية والإسلامية) الذي يعد أقدم معجم فــي موضوعــه ، لأنه اقتصر على الألفاظ الاصطلاحية. التي وردت في القرآن الكريم .

٥ـ اقتراض ألفاظ من اللغــات الأخـرى . وإن اختلـف معناهـا . فـترى كلمتين متحدتين في الصورة مختلفتين في المعنى ، إلا أن كلاً منهما ينتمي في الأصـل إلى لغة مستقلة . ومثل هذا النوع من الكلمات نادر الوقوع في اللغة ، وهو في ما يذكر الدكتور إبراهيم[1] أنيس وليد الصدفة ، ولكنه مع ذلك قد يولّد لنا المشترك اللفظي . وقـد حدث هذا ـ على كل حال ـ في العربية القديمة ، إذ هو في العربية الفصحى ظـاهر في عدة أمثلة . من ذلك أن الحب بمعنى الوداد ، وهو حب الشـيء . وفيـها كذلـك : الحُبُّ : الجرة التي يحمل فيها الماء[2]، والمعنى الأول عربي أصيـل ، علـى حيـن أن الثاني مستعار من الفارسية ، لكلمة مماثلة تماماً للفظ العربي[3].

٦ـ التطور اللغوي في الصيغ ، إذ قد تكون هناك كلمتان كانتا فــي الأصـل مختلفتي الصورة والمعنى ، ثم يحدث تطور في بعض أصوات إحداهما ، يـؤدي إلـى تماثلها مع أصوات الكلمة الأخرى . وهكذا صارت اللفظتان لفظة واحدة ، علـى حيـن بقي المعنيان مختلفين ، فنشأ من ذلك لفظة واحدة مشتركة بين هذين المعنيين بل بيـن معانٍ متعددة ، إذا اتفقت أكثر من لفظة في هذا الاتحاد الصيغي بعد التطور الذي يحدث في عدد من أصواتها . مثال ذلك أن مَرَدَ : " أقبَلَ وعتا " ومَرَدَ الخبز : ليَّنه[4].

---

[1] اللهجات العربية ص ١٧٥ .

[2] القاموس المحيط ١/ ٥٠، ٥١ (حبب) وينظر : فصول في فقه العربية ص ٢٩٠ .

[3] ... المعرب ... ص ١٢٠، وينظر : في فقه العربية ص ٢٩٠ - ٢٩١ .

[4] اللسان ... ٤٠٧ (مرد) وينظر : فصول في فقه العربية ص ٢٩١ .

وأصل الكلمة في المعنى الثاني هو : مرث الشيء في الماء : إذا أنقعه فيه حتى صار مثل الحساء .وقد تطورت أصوات هذه الكلمة على صورتين: أولاهما إبدال الثاء تاء لقرب مخارجهما، والآخر الجهر بالتاء لمجاورتها الراء . فصارت اللفظة أولاً : مرت، ثم صارت بعد الجهر: مَرَدَ. وبذلك ماثلت هذه الكلمة . مَرَثَ الكلمة الأخرى : مَرَد التي هي بمعنى أقدم وعتا . فصارت هذه اللفظة (مرد) من المشترك بسبب هذا المعنى الجديد الذي طرأ عليها وأضيف إليها ، وهو ليَّن بالماء [1].

ومثلها ما يرد في المعجمات من أن (الفروة) : جلدة الرأس ، والغنى [2] مع أن أصل الكلمة بمعناها الثاني هو (الثروة) ، ثم حدث فيها إبدال وهو قلب الثاء فاء [3] ، كما قيل : حدث وجدف، وثُم وفُمَّ ولثام ولفام. وهو الذي رواه ابن هشام صاحب السيرة عن شيخه أبي عبيدة معمر بن المثنى ، وبيّن انه من أساليب العرب في الإبدال [4].

٧ــ وأضاف بعض المعاصرين سبباً آخر وهو : سوء فهم المعنى . إذ قد يسيء الطفل فهم معنى كلمة ما في البيئة المنعزلة . ثم ينشأ هذا الطفل دون أن يجد من يصلح له غلطه ، فتراه يستعمل الكلمات في معنى جديد قد يكون مخالفاً للمعنى الأول كل المخالفة ، وبذلك يعمل الطفل على تعدد معنى اللفظة حتى تغدو من المشترك اللفظي . " ولكل طفل لغته المميزة له .. وأخطاء كل طفل تختلف عن أخطاء غيره من الأطفال الذين ينتمون إلى جماعته الكلامية" [5] وليس من السهل تمييز هذا الضرب من الكلمات من غيره من أنواع المشترك. كالمشترك المتسبب من المجاز مثلاً ، إلا أنه يمكن أن ننسب تغير المعاني في كلمة من لكلمات ــ فيما يرى الدكتور إبراهيم [6] أنيس ــ إلى عبث الأطفال وأغلاطهم حين لا نلحظ علاقة واضحة بين المعنى القديم والمعنى الجديد .

---

[1] - القاموس المحيط ١/ ٣٣٧ وينظر : فصول في فقه العربية ص ٢٩١ .

[2] - اللسان ٢٠/ ١٠ ( فرا ) وينظر فصول في فقه العربية ص ٢٩٢ .

[3] - فصول في فقه العربية ص ٢٩٢ .

[4] - سيرة ابن هشام ١/ ١٥٤ .

[5] - السعران : اللغة والمجتمع ، رأي ومنهج ص ٥٤ .

[6] - اللهجات العربية ص ١٥٧ .

## التضاد :

وهو أحد خصائص العربية . ومن أقدم من نبه عليه من قدامى اللغويين أبو عبيد القاسم بن سلاّم ، وسماه بتسميته الاصطلاحية في مواضع كثيرة من كتابه (غريب الحديث[1]) ، وبيّن أنه مما ورد في كلام العرب ، واحتج له بشواهد شعرية ونثرية من كلامهم[2] . كما أشار إليه ابن قتيبة في كتابه (أدب الكاتب) ، وأفرد له باباً هو (تسمية الضدين باسم واحد)[3] .

وحال اللغويين في الأضداد كحالهم في المشترك ، فقد انقسموا على قسمين منهم من يرى وقوعه في كلام العرب ، ومنهم من ينكره . قال ابن فارس[4] :

" من سنن العرب في الأسماء ، أن يسموا المتضادين باسم واحد ، نحو : الجون للأسود ، والجون للأبيض . وأنكر ناسٌ هذا المذهب ، وأن العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده " .

ورد على أولئك المنكرين بقوله : " وهذا ليس بشيء ؛ وذلك أن الذين رووا أن العرب تسمّي السيف مهنداً ، والفرس طِرْفاً ، هم الذين رووا أن العرب تسمّي المتضادّين باسم واحد " ، وبيّن أنه جرّد لذلك كتاباً ضمّنه ما احتجوا به ، وأنه رد ذلك عليهم ونقضه[5] .

وإذا كان هناك من أنكر التضاد في اللغة ، فإننا لا نجد لإنكاره دليلاً يعتد به ولا حجة يصار إليها . ذلك أن رواة اللغة ذكروا ألفاظاً استعملها العرب في معنيين متضادين . فقد كان أبو زيد الأنصاري يذهب مثلاً إلى أن " شِمْتُ السيف " عبارة ذات معنيين ،

---

[1] - ينظر مثلاً ١/ ٧٩ – ٨٠، ٤/ ٢١٣ .

[2] - غريب الحديث ١/ ٨٠ .

[3] - ابن قتيبة : أدب الكاتب ص ١٧٧ وما بعدها .

[4] - الصاحبي ص ٩٧ - ٩٨ .

[5] - الصاحبي ص ٩٧ – ٩٨ .

أحدهما : غمدته ، والآخر : سللته[1]. كما أن المبرد أورد ، في رسالته التي أشرنا إليها سالفاً في المشترك[2]، طائفة من الألفاظ التي عدّها من الأضداد ، مثل (الجلل) للعظيم من الأمور ، وللصغير منها ، واحتج للأول بقولِ جميل بن معمر :

رسـمُ دارٍ وقفتُ في طلَلِهْ  كـدتُ أقضي الحياةَ من جلَلـهْ

واحتج للثاني بقول لبيد بن ربيعه العامري :

كـلُّ شيءٍ ما خلا الموتَ جَـلَلْ  والفتـى يسعى ويلهيهِ الأمـلْ [3]

ومعلوم أن المعنى الاول ورد في القرآن الكريم ، قال تعالى : { تباركَ أسمُ ربكَ ذي الجلالِ والإكرامِ } (الرحمن :٧٨) .

وممن ذهب إلى وجود الأضداد في اللغة أبو حـاتم السجسـتاني ، ويعقـوب بـن السكيت ، وقد أشرنا إلى ذلك في حديثنا عن اشهر الكتب التي ألفت متضمنة مباحث فـي فقه اللغة[4]، كما أشرنا إلى كتب أخرى هي : الأضداد لأبي بكر بن الانباري ، والأضـداد لأبي الطيب اللغوي ، والأضداد للصاغاني ، والأضداد لابـن الدهّـان . وكلـها محققـة منشورة .

ولعل اشهرها كتاب ابن الانباري ، إذ يوصف بأنه " أكبر كتب الاضدد وأهمها "[5]. فقد ضمّ بين دفتيه ٣٥٧ كلمة من كلمات الأضداد ، مستمداً كل ما أورده سابقوه [6]، شارحاً اياها شرحاً مفصلاً ، مكثراً من الاحتجاج لها من الشعر العربي القديم ، والقرآن الكريم .

وممن عني ببيان الأضداد في مصنفاته ثعلب[7] : اذ ذكر أن الريّان من الأضـداد ، وأن الماء المعين يقال للجاري الكثير والقليل . كما عني بها ابن خالويه ، إذ يشير مـرارا

---

[1] أبو حاتم : فعلتُ وأفعلت ص ١٥٧ .

[2] - ما اتفق لفظه واختلف معناه ص ٣ ٤ .

[3] هذه الرواية المشهورة للبيت، وهي كذلك في كتاب الاضداد للاصمعي وكتاب الأضداد لابن الأنباري، إلا أن رواية المبرد : كل شيء ما خلا الله جلل .

[4] - تنظر ص ١٣ من هذا الكتاب .

[5] - فصول في فقه العربية ص ٢١٧ .

[6] - فصول في فقه العربية ص ٢١٧ .

[7] - المجالس ١/ ١١٨ .

إلى الأضداد في كتابه (إعراب ثلاثين سورة) ، كقوله في خاتمة إعراب سورة الفاتحة : " ويقال في معنى (آمين) : اللهم اغفر لي بَسْلاً . وكان عمر بن الخطاب رحمه الله يقول : آمين بَسْلاً . والبَسْل في غير هذا الموضع الحلال ، والبَسْل : الحرام ، وهو من الأضداد"[1] .

والمراد بالأضداد في الاصطلاح اللغوي : ألفاظ لكل منها معنيان احدهما ضدُ الآخر . أي إن الاختلاف بينهما اختلاف تضاد لا اختلاف تغاير، كما أشرنا إلى ذلك عند الكلام على المشترك ولذلك قال أبو الطيب اللغوي[2] في تعريف الأضداد : " الأضداد جمع ضد ، وضد كل شيء ما نافاه ، نحو : البياض والسواد ، والسخاء والبخل . وليس كل ما خالف الشيء ضداً له ؛ ألا ترى أن القوة والجهل مختلفان ، وليسا ضدين . وإنما ضدُ القوة الضعف ، وضد الجهل العلم . فالاختلاف أعم من التضاد ، إذ كان كل متضادين مختلفين ، وليس كل مختلفين ضدين " .

وممن أنكر الأضداد ابن درستويه ، وقد بينا سالفاً أنه أنكر الاشتراك وقد صنف في هذا الموضوع كتاباً سماه (ابطال الأضداد)[3] أشار إليه ونقل منه في كتابه (تصحيح الفصيح)[4] الذي شرح فيه فصيح ثعلب النحوي اللغوي الكوفي (ت ٣٩٢ هـ) . كما أنكر الأضداد أبو الحسن الآمدي وألف فيه كتاباً سماه : " الحروف من الأصول في الأضداد والحق أن هذا الانكار لغريب إذ أن الضدية نوع من العلاقة بين المعاني ، بل ربما تكون أقرب إلى الذهن من أية علاقة أخرى . فإذا ذكرنا معنى تبادر إلى الذهن سريعاً ما هو ضده . ويصدق هذا كثيراً على الألوان . فإذا ذكرنا الأسود مثلاً بادرنا الأبيض في الذهن.

---

إعراب ثلاثين سورة من ص ٣٦ .

الأضداد ١/ ١، وينظر فصول في فقه العربية ص ٢٩٤ .

وقد وهم عدد من القدامى فعدوه من كتب الأضداد ، مع أنه كتاب يصحح من أنكر على من يذهب إلى القول بذلك ، ينظر مقدمة (تصحيح الفصيح) ص ٢٣ . والمزهر ١/٣٩٧ ، والسامرائي التطور اللغوي التاريخي ص ٩٦

الورقة ٨٤ - أ ، و ٢٥٦ أ نقلاً عن مقدمة تصحيح الفصيح ص ٢٢ .

" فعلاقة الضدية من أوضح الأشياء في تداعي المعاني[1] " . ومن هنا يعد التضاد ضرب من الاشتراك اللفظي ، إلا أن الاختلاف فيه لا ينبني على التغاير ، بل على التضاد والتناقض .

ولا بد أن كل كلمة من كلمات الأضداد ، لم توضع في بداية الأمر للمعنيين المتضادين كليهما ، بل وضعت لمعنى واحد ، ثم نشأ بعد ذلك المعنى الثاني الذي هو ضدُّ الأول . وهو أمر التفت إليه علماء اللغة القدامى[2] ومع هذا ، فإن علماء اللغة بالغوا إلى حد ما في عدّهم طائفة من الكلمات من الأضداد ، مع أن النظر الفاحص فيها لا يدل على ذلك ؛ لأن معاني تلك الألفاظ التي نحن بصددها ليست مختلفة اختلاف تضاد ، بل هي مختلفة اختلاف تغاير . ومنها ما يرجع إلى الحقيقة والمجاز ، وانتقال اللفظ من الأولى إلى الثاني لضرب من التجوز والاتساع في الكلام .

كما أن منها ما لا يكون له معنيان متضادان ، إلا بتعلق اسم به عن طريق حرف الجر ، في أحد معنييه . على حين يكون الثاني من معنييه متحققاً بدون هذا الحرف . وقد يتحقق هذا كذلك بتعلقه بحرف آخر . أضف إلى ذلك دور التصحيف في الإيهام بهذا التضاد ، مما حمل بعض أئمة اللغة على التنبيه عليه.

فمما عدوه من الاضداد مع أنه متغاير في معانيه تغاير اختلاف لا تغاير تضاد كلمة (نحن) ، قال ابن الأنباري[3]: " يقع على الواحد والاثنين والجميع والمؤنث " . وهذا كما ترى ليس من الأضداد إذ لا تضاد بين الواحد والاثنين وما زاد ، وإنما بينهما تغاير فحسب .

ومن هذا القبيل (الضعف) ؛ إذ عدوه من الأضداد ، فقالوا ضعف الشيء: مثله ويكون مثليه أيضاً . واحتجوا بقوله تعالى : { يضاعف لها العذاب ضعفين } (الاحزاب : ٣٠) .

ومنه أيضاً (المثل) ، قالوا : يقال للمشبه للشيء والمعادل له ويقال للضعف أيضاً[4]

---

[1] - اللهجات العربية ص ١٦٦

[2] فصول في فقه العربية ص ٢٩٥ .

[3] - الأضداد ص ١٨٢ .

[4] - ابن الانباري : الأضداد ص ١٣١ - ١٣٢ .

وهذان ايضا لا تضاد فيهما ، بل يختلف المعنيان في كل منهما اختلاف تغاير لا تضاد . ولهذا فهما في الواقع من المشترك اللفظي لا من باب الاضداد[1] . إذ ليس كل مختلفين ضدين[2] .

وأما ما يرجع فيه الاختلاف إلى الانتقال من الحقيقة إلى المجاز ، فنحو (الكاس) للاناء أو الشراب الذي يوضع فيه[3] ، ونحو (الرواية) للبعير أو المزادة التي يحمل فيها الماء[4] . وهذا كما ترى ليس من الأضداد في شيء ودارسو البلاغة يدركون ذلك بأدنى تأمل .

ومما لا يعد من الأضداد بسبب تعلق حرف جرّ به في أحد معنييه : (القانع) بمعنى السائل والطالب ، وبمعنى الراضي . فلم يجعل أبو الطيب اللغوي هذا اللفظ من الأضداد ، وعلل ذلك باختلاف تركيب اللفظ في أحد معنييه عن الآخر ، وهو وجود متعلق له في احدهما . وهو قول لبيد الذى أورد القانع بمعنى الراضي :

فمنهم سعيدٌ آخذٌ بنصيبه ومنهم شقيٌ بالمعيشة قانع

فلاسم الفاعل (قانع) متعلقان هما الجار والمجرور (بالمعيشة) ، على حين خلا هذا الاسم من المتعلقين في قوله تعالى : { وأطعموا القانع والمعتر} (الحج :٣٦) ، والقانع هنا: يراد به السائل فيما يذكر . وليس هذا اللفظ عنده من الأضداد ، وإنما (الاقناع) عنده من الأضداد[5] ، وهو المصدر لا الاسم .

وقد انطلق في هذا الرفض من قاعدة عامة ، وهي : شرط الاضداد " أن تكون الكلمة الواحدة تنبئ عن معنيين متضادين من غير تغيير يدخل عليها ، ولا اختلاف في تصرفها "[6] .

---

[1] فصول في فقه العربية ص ٢٩٧ .
[2] أبو الطيب اللغوي : الأضداد في كلام العرب ١/ ١ .
[3] الأضداد ص ١٦٢ . وينظر فصول في فقه العربية ص ٢٩٦ .
[4] الأضداد ص ١٦٤ . وينظر المصدر نفسه ص ٢٩٧ .
[5] الأضداد في كلام العرب ٢/٥٧٩ .
[6] الأضداد في كلام العرب ٢/ ٥٧٨ .

وبعض ما عدوه من الأضداد سببه التصحيف ، كقول قطرب بن المستنير في كتاب (الأضداد) : بلج الرجل بشهادته : إذا كتمها ، وبلج الحق: إذا استقام وأضاء . وقد علق أبو الطيب على هذا بقوله :

" هذا تصحيف ، إنما يقال في الشهادة بالحاء ، على ما حكى أبو زيد وغيره. بشهادته يبلح بلوحاً : إذا كتمها " [1].

وينبغي الحذر من عدّ عدد من الألفاظ التي تغيرت دلالتها على ألسنة المتأخرين من الأضداد بعد أن صارت بضد دلالتها الأصلية ، مثل الاستهتار الذي أصله الفصيح الغرام والولوع بالشيء حقاً أو باطلاً ، فصار يعني بعد ذلك الاستهانة بالشيء والتهاون به وعدم الاكتراث له . وقد نبه عليه الدكتور مصطفى جواد [2].

وإذا انتقلنا إلى القرآن الكريم ، وجدنا فيه ألفاظاً لا شك في أنها من الأضداد وإن كان القدامى قد تزيّدوا فيها على ما سنرى . فمن تلك الألفاظ التي استعملها القرآن بمعنيين ضدين : (الظن) ، إذ ورد فيه بمعنى التوهم والشك وبمعنى اليقين والعلم . وقد نبه القرآن المؤمنين على أن يتجنبوا كثيراً من الظن الذي هو النوع الأول وهو التوهم . قال تعالى : **{يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم }** (الحجرات: ١٢) ، كما أزرى بأولئك الذين يتبعون الظن في تصرفاتهم وأفكارهم ، وهم من لم يدخل الإيمان في قلوبهم ، فقال : **{ إن يتبعون إلا الظنّ وإن هم إلا يخرصون }** (الأنعام :١١٦) ، أي يخمنون ويحدسون ، دون أن يصيبوا الحق . وقال : **{وما يتبع أكثرهم إلا ظناً وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً }** (يونس : ٣٦)، ولذلك كان هذا الضرب من الظن المبني على التوهم والتخمين والحدس والخرص مقابلاً للعلم في آية أخرى ، فقد قال عزّ وجلّ : **{ ما لهم به من علم إلا اتباع الظن }** (النساء :١٥٧) ، وقال : **{ وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون }** (الجاثية : ٢٤) ، وغير ذلك من الآي الدالة على هذا المعنى وقد جاءت آيات كثيرة دال فيها لفظة الظن على اليقين والعلم ، سواء أكان هذا العلم إيجابياً تصدقه الحقائق

---

[1] نفسه ١/ ٨٧ .

[2] المباحث اللغوية في العراق ص ٣٩ – ٤٠ .

الموضوعية والواقع الخارجي ، أم كان سلبياً لا مصداق له في الواقع ولا نصيب له من الحقائق ، وإنما هو ضرب من العلم الذاتي لا الموضوعي [1].

فمن الإيجابي استعمال (ظنّ) للاعتقاد الجازم بالبعث والنشور وحدوث العلم في نفس المؤمنين بذلك ، قال تعالى : **{ الذين يُظنون انهم ملاقوا ربّهم وانهم إليه راجعون }** (البقرة : ٤٦) ، والدليل على أنه استعمل الظن هنا بمعنى العلم واليقين السياق ؛ إذ هو دال على انهم ذكروا في مقام المدح لهم. ولو لم يكونوا على يقين بملاقاة ربهم والرجوع إليه في اليوم الآخر لما استحقوا المدح ، بل لاستحقوا بدل ذلك الذم ، كما رأينا في الآيات التي سبقت وجاء فيها الظن بمعنى التوهم . ومما يدل على أن سياق الآية يشعر بالمدح قوله تعالى قبل ذلك مباشرة : **{ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين }** . فوصفهم بالخشوع يدل على ما بيناه .

ومن هذا القبيل قوله تعالى على لسان المؤمن : **{ إني ظننت أني ملاقٍ حسابيه }** ( الحاقة : ٢٠ ) ، يدل عليه سياق الآية قبل ذلك وبعده ، فقد قال سبحانه وتعالى قبلها : **{ فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤمُ اقرأوا كتابيه }** ، فبيّن أنه من المؤمنين لأنه أوتي كتاب أعماله بيمينه . كما بين ذلك بعدئذ في السياق حين قال : **{ فهو في عيشةٍ راضية * في جنة عالية * قطوفها دانية * كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتهم في الأيام الخالية }**. فبين في هذه الآيات أنهم في نعيم معنوي وحسي ، جزاء لهم عما قدّموه في أيامهم الخوالي ، وهي دنياهم ، من عمل صالح وإيمان صادق مبني على العلم واليقين بالحساب وملاقاة الله . فهذا من الظن الذي يفيد العلم الايجابي .

وأما الظن الذي يفيد العلم السلبي ، وهو الذي وصفناه بأنه لا يصدقه الواقع ولا حقائق الأشياء ، فكقوله تعالى في فرعون :

**{ واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يُرجعون }** (القصص :٣٩) ؛ فكان ظنهم يقيناً في تصورهم ، وإن لم يكن يقيناً في الواقع ، لأن فرعون وجنوده ومن في الأرض جميعاً يرجعون إلى الله .

---

[1] الوابل الطيب من الكلم الطيب ، ص ١٢١ ، لابن القيم .

ولهذا قال الراغب الأصفهاني[1] : " استعمل فيه أنّ المستعمل مع الظنّ الذي هو للعلم تنبيهاً ــ على ــ أنهم اعتقدوا ذلك اعتقادهم للشيء المتيقّن وان لم يكن ذل متيقّناً ، ومنه قوله عزّ وجلّ " { وظنّوا أنهم مانعتهم حصونهم } (الحشر : ٢) في اليهود ، هو من هذا المعنى ، قال الراغب[2]: "أي اعتقدوا اعتقاداً كانوا منه في حكم المتيقّنين " .

وعلى هذا فإن الظن يرد في آيات من الكتاب العزيز بمعنيين أحدهما ضدُّ الآخر ، أي بمعنى التوهم وبمعنى العلم والتيقّن . وهذان المعنيان مستفادان من سياق الآيات المعبرة عنهما . وذهب باحث أو اكثر إلى أن الفعل . (ظــن) لا يحتمل الضدية في القرآن[3]، وأن هذه الضدية التي قالوا بها إنما هي مستقاة من افتراض تعبدي عقيدي ، وليست من الفعل نفسه . أو بعبارة أخرى : مستفادة من " فكرة الآية ، لا من الفعل " [4].

والحق أن السياق هو الدال على معنى الضدية في هذه اللفظة كما بيّناه آنفاً. وقديماً قسّم ابن الأنباري[5] الظن على أربع وجوه ، اثنان متضادان ، وهما : الشك ، والعلم ، واثنان ليسا متضادين وهما الكذب والتهمة .

غير أن أوهام القدامى في الأضداد تجاوزت النصوص الشعرية والنثرية إلى نص القرآن . فحملوا عدداً من الألفاظ على أنها مِمّا له معنيان متضادان. فمن ذلك (هَمّ) في آية يوسف : { ولقد همَّت به وهّم بها لولا أن رأى برهان ربه } ( الآية ٢٤) . إذ جعلوه بمعنى : عَزَم ، وبمعنى لم يعزم . وبالأول فسروا همّ امرأة العزيز ، وبالثاني فسّروا همّ يوسف عليه السلام[6] ومع أن هذين وجهان في تفسير الهم ، إلا أنهما ليسا من الأضداد .

فالحق أن الهمين مختلفان اختلافاً غير هذا الاختلاف الذي وصفوه . فالهَم باقٍ على معناه ، وهو العزم على الفعل[7] في أحد وجوهه التي يحتملها في اللغة ، ولكن عزمها غير عزمه ، فعزمها المراودة ، وعزمه دفعها أو ضربها " ويكون المعنى : وهــمّ بضربها

[1] - مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٢٧، (ظن) .

[2] - نفسه : ص ٣٢٨، المادة نفسها .

[3] - السامرائي : التطور اللغوي التاريخي ص ٩٨ - ٩٩ .

[4] - محمد حسين آل ياسين : الأضداد في اللغة ص ٥٣٠ .

[5] - الأضداد ص ١٤ - ١٦ .

[6] - الأضداد ص ٤١١ - ٤١٢ .

[7] - الطوسي : التبيان في تفسير القرآن ٦/ ١٢١ .

ودفعها عن نفسه ، كما يقول القائل : كنت هممت بفلان ، أي بان أوقع به ضرباً أو مكروهاً " وتكون الفائدة من قوله تعالى بعد ذلك : **{ لولا أن رأى برهان ربه }** : " أنه لما همّ بدفعها أراه الله برهانا على أنه إن أقدم على ما يهم به ، أهلكه أهلها وقتلوه .. فأخبر تعالى أنه صرف بالبرهان عنه السوء والفحشاء اللذين هما القتل والمكروه ، وهو ظنّ القبيح واعتقاده فيه " ، فقال سبحانه في خاتمة هذه الآية الأخيرة : **{ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المُخلَصين }** .

وإذا لم يُحمل الهم على العزم ، بل يحمل على معان أخرى له وردت في اللغة مثل خطور الشيء في البال دون العزم عليه ، كقوله تعالى : **{ إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليُّهما }** (آل عمران: ١٢٢) ، فلو كان الهُم بالجبن عزماً هنا ، لما كان الله ولي هاتين الطائفتين من المسلمين . وإذا حملناه على هذا المعنى ، الذي هو غير العزم ، وهو خطور الشيء في الذهن والنفس ، كان للهم معنيان ، وإذا أضفنا إليه معاني أخرى وردت في اللغة ، من مثل اشتهاء الشيء والميل إليه والرغبة فيه ، كقول القائل : هذا من همّي، وهذا أهم الأشياء إلي[1] ، تبيّن لنا أن الهمّ لم يكن من الأضداد في شيء، بل هو إلى المشترك اللفظي أقرب وبه أشبه .

ومما عدوه من الأضداد في القرآن ، الفعل (أسرّ) ، فقالوا إن له معنيين هما : كتَمَ وأعلن ، وذلك في قوله : **{ وأسرّوا الندامة لمّا رأوا العذابَ }** (يونس :٥٤) ، مع أن استقراء هذا الفعل في القرآن كله يدل على أن معناه الإخفاء ، فقد قال تعالى : **{ وأسِرُّوا قولكم أو اجهروا به }** (الملك : ١٣) ، فقابل الإسرار بالجهر وهو الاظهار والإعلان . وقال تعالى : **{ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية }** (البقرة : ٢٧٤) ، فقابل السر كما ترى بالعلانية ، وهي الجهر والإظهار . وإنما استفاد الذين ذهبوا إلى احتمال المعنى الثاني وهو الإظهار من ملاحظ خارجية في ما يبدو ، لا علاقة لكثير منها بالفعل في دلالته الفردية أو السياقية . فقد كان أبو علي الجبّائي من القائلين بذلك . وكان أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) من المنكرين له ، ولذلك رد على أبي علي الجبائي قوله ذاك ، وكأنه فهم من صنيع الجبائي أنه عمد إلى القياس في مقابل النص . فقد قال في تفسير هذه الآية الكريمة : إن أبا علي ذهب إلى أن معنى أسَرَّ :

[1] - التبيان في تفسير القرآن ٦/ ١٢١ .

أظهر ، ثم رد عليه بقوله : " هذا غلط ، لأن لفظة الإخفاء هي المشتركة دون لفظ الإسرار . فحمل أحدهما على الآخر قياس في اللغة " [1].

ومراده : أن هذا قياس في مقابل النص ، لأن المنقول عن العرب في معناها هو عدم التضاد – الذي سمّاه الاشتراك – وهو اعتراض أصولي سليم ، وقد أقامه على ما سمّاه أبو البركات بن الأنباري ( ت ٥٧٧ ) " فساد الاعتبار " في الفصل الذي عقده للاعتراض على الاستدلال بالقياس في مقابلة النص عند العرب [2]. والطوسي لا ينكر الأضداد بعامة [3] ، ولكن ينكر هذا الذي ذهب إليه الجبائي في لفظة (أسرّ) .

وقد حكى الراغب الأصفهاني هذا التفسير عن بعضهم بصيغة التضعيف : (قيل) بعد أن فسر الإسرار بما يدل عليه ظاهره وهو الإخفاء ، وبين حجة هؤلاء القائلين وهي قوله تعالى : { ياليتنا نُرَدُّ ولا نُكذِّبَ بآيات ربِّنا } (الأنعام :٢٧) ، ثم بيّن أن الأمر " ليس كذلك ، لأن الندامة التي كتموها ليست بإشارة الى ما أظهروه من قوله : { يا ليتنا نرد ولا نكذّب بآيات ربنا} [4] . أو بعبارة أخرى : لا علاقة للندامة التي أخفوها في أنفسهم بقولهم هذا الذي جهروا به وأظهروه . على أن الراغب تأول ما قيل من معنى الإظهار في آيات ورد فيها الإسرار ، كقوله تعالى : { تُسِرّون إليهم بالمودَّةِ } (الممتحنة : ١) : فبين أولاً أن المراد : " يطلعونهم على ما يُسِرّون من مودّتهم " ، ثم قال : " وقد فسر بأن معناه يظهرون . وهذا صحيح ، فان الإسرار إلى الغير يقضي إظهار ذلك لمن يفضي إليه بالسّر ، وإن كان يقتضي إخفاءه عن غيره . فإذاً قولهم : أسررت إلى فلان يقتضي من وجه الإظهار ومن وجه الإخفاء " [5].

إلا أن هذا التأويل ، لا يعني أن للإسرار معنيين متضادين لدى الراغب، بل هو لديه ذو معنى واحد فحسب ، فكأنه يراه في هذه الآية الأخيرة وما هو من قبيلها من حيث

---

[1] التبيان ٨/ ٣٩٨ . وينظر رسالتنا الدكتوراه : منهج الطوسي في تفسير القرآن الكريم ص ١٨٨ مطبوعة بالرونيو

[2] - ابن الأنباري : الإغراب في جدل الإعراب ص ٥٤ ، وينظر رسالتنا للدكتوراه : المكان نفسه .

[3] - ينظر حمله ( ظنّ ) على التضاد في ١/ ٢٠٥ من التبيان .

[4] - مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٣٤

[5] المصدر نفسه : المكان نفسه .

التأويل ، يراه عمله نقدية ذات وجهين ، ليس بينهما تضاد ، وإن كان بينهما اختلاف ، لأنهما في النتيجة ينحازان إلى رموز متقاربة ودلالات غير متنافرة . والراغب معروف في تحقيقاته اللغوية وملاحظه الدقيقة المبتكرة في معجمه الذي أورد فيه هذا الملاحظ والتفاسير ، وهو مفردات ألفاظ القرآن .

وقد حاول فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) ، أن يتأول القول بدلالة الأسرار على معنى الإظهار في الآية التي ذكرناها أولاً ، وهي "وأسرّوا الندامة ..." تأويلا عقلياً بحسب منهجة في تأويل كثير من الآي ، معتمداً في ذلك على براعته الكلامية ، إذ كان أحد المبرّزين في علم الكلام ، فقال: إنهم أخفوا الندامة في الدنيا لكفرهم وفسقهم ، حفاظا على الرياسة . أما في القيامة فيبطل هذا الغرض ، لذا يجب الإظهار [1].

وليس هذا التعليل بلازم ، إذ يجوز أن يُسروا الندامة في الآخرة على ما فرط منهم في دنياهم ، خوف شماتة الأعداء . وهو المروي عن الإمام جعفر الصادق ، في تأويل هذه الآية [2].

ومما جعلوه من الاضداد في القرآن (قَسَطَ) فقالوا : إنه بمعنى عَدَل ، وبمعنى جارَ ، ويلحظ أنه في كل القرآن بمعنى عدل إلا في آيتي الجن [3]، فقد ورد بمعنى جارَ ، قال تعالى : { **وأنا مِنّا المسلمون ومنّا القاسطون فمن أسلَمَ فأولئك تحرّوا رشداً * وأما القاسطون فكانوا لجهنّم حطباً** } .

وقد ذهب الدكتور إبراهيم أنيس في تعليل استعمال (قسط) في هاتين الآيتين بمعنى جار ، مع أنها مستعملة بصيغتها المختلفة في بقية الآي بمعنى عدل ، ذهب إلى تعليل بعيد لا يبدو له وجه ، وهو أن الجنّ لم يستعملوا كلمة (الظلم) واستعملوا القسط تأدباً أمام الله سبحانه . نقول بعيد ؛ لأن من الأنبياء من نسب الظلم إلى نفسه [4] في مواقف ، كقول آدم وحواء : { **ربّنا ظلمنا أنفسنا** } ( الأعراف : ٢٣) وقول يونس : { **لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين** } (الأنبياء : ٨٧) . كما نسبه إلى نفسه غير الأنبياء ،

---

[1] تفسير الرازي ٥/ ٣ : وينظر : السامرائي : التطور اللغوي التاريخي ص ١٠٣ .
[2] تفسير العياشي ٢/ ١٢٣ .
[3] الجن : ١٤ – ١٥ .
[4] والمراد ذلك مؤول بأنه ترك أمرا مندوبا ، ولم يترك واجباً .

مثل ملكة سبأ : { ربِّ إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان ... } (النمل : ٤٤) . وليس في هذا الاعتراف بالظلم تزوع عن التأدب أمام الله تعالى ، بل العكس هو الصحيح ، إذ أن الاعتراف به مقدمة للتوبة التي يمحى معها الذنب وتزال بها الخطيئة ، على ما هو مقرر في عقائد المسلمين ، في ضوء نصوص القرآن والحديث .

على أن الذي لاحظناه في استعمال مادة (قسط) في القرآن ، هو أنها وردت على أربع صيغ هي :

صيغة الفعل الذي جاء مضارعاً وأمراً ، في كلمتي يُقسِطُ [1] ، واقسِطُ [2] ، وصيغة اسم الفاعل منه : المُقسِط [3] . وصيغة الاسم : القِسْطَ [4] ، والقِسطاس [5] ، وصيغة اسم الفاعل من الفعل الثلاثي ، الذي لم يستعمل في القرآن ، وإنما استعمل اسم الفاعل منه فقط ، وهو : قاسط [6] . ثم صيغة اسم التفضيل أَقْسَطُ [7] .

ويلحظ أيضاً أن القرآن لم يستعمل من هذه الصيغ بمعنى الجور إلا صيغة واحدة هي (قاسط) ، أي اسم الفاعل من الثلاثي المجرد ، على حين استعمل اسم الفاعل من غير الثلاثي لمجرد الدلالة على العدل ، وهي لفظة (المقسِطين) التي تكررت أربع مرات . وهذا يعني أن القرآن استعمل اسم الفاعل من الفعل الذي يرجع إلى هذه المادة بصيغتين ، لا بصيغة واحدة . ولعل لهذا التباين اليد في تباين دلالة كل واحدة منهما ، فجاءت (قاسط) للجور ، وجاءت (مُقسط) للعدل ، من حيث إن صيغة فعل كل منهما تغاير صيغة الآخر .

النساء ٣

[1] الحجرات : ٩ .

[2] المائدة : ٤٢ ، الحجرات : ٩ ، الممتحنة : ٨ .

[4] - آل عمران ١٨ ، ٢١ ، النساء ١٢٧ ، ١٣٥ المائدة : ٨ ، ٤٢ ...

[5] - الإسراء : ٣٥ ، الشعراء : ١٨٢

[6] - الجن : ١٤ - ١٥ .

[7] - البقرة : ٢٨٢ ، الأحزاب : ٥ .

وهذا الذي بينته لم أجد أحداً التفت إليه[1] . وبهذا التعليل لا تكون هذه اللفظ من الأضداد ، لأن إتحاد الصيغة شرط أساس في اعتبارها . إذ أن تغاير الصيغ كثيراً ما يؤدي إلى تغاير المعاني ، وخاصة ما بين (فَعَلَ) و (أفْعَلَ) وما هو مشتق منهما من الأوصاف ، كاسم الفاعل ونحوه .

وبهذا يتبين لنا أن هناك من بالغ في عدد الألفاظ التي تعد من الأضداد في القرآن ، فحمّل ألفاظاً معاني لا تحتملها ، كما رأينا في كلامنا الذي مر آنفاً . وذهب بعض القدامى إلى أن (بشّر) من الأضداد ، وأنها يراد بها ما يسر وما يحزن . والحق هو أنها ليست من الأضداد في شيء ، وإنما المعنى الذي قد يرد في الشر إنما هو انتقال بها من الحقيقة إلى المجاز . وهو ما انتبه إليه قديماً الطوسي[2] (ت ٤٦٠ هـ) فاستبعد لذلك أن يكون من الأضداد بعد أن حكاه عن ذلك البعض .

وإذا كنا نذهب بالنظر في الأضداد هذا المذهب من الاقتصاد والاعتدال والتدقيق في القول بعددها في كلام العرب ، وفي القرآن الكريم ، فإنه لا ينبغي لنا بحال أن ننفي وجودها فيهما ، على ما قدمناه وبيناه سالفاً . ولا يصح أن ننساق مع بعض من أنكره من القدامى فننكره ، كما نجد في كلام أحد الباحثين المعاصرين لنا ، وهو الدكتور محمد كامل حسين[3] بحجة أنه : " لا يمكن أن تكون القبيلة الواحدة استعملت الجون بمعنى الأبيض والأسود أو الجليل بمعنى العظيم والحقير " ، وأن هذا : " يخالف اللغة الأولى ، وهي الإبانة " .

وقد انتهى هذا الرأي بصاحبه إلى نتيجة غريبة هي أن " نذكر منها واحداً مشهوراً كالجليل للعظيم فقط . فإذا استحال الاختيار ، فلنترك الكلمة بتاتاً ضحية لتساهل مؤلفي المعاجم القدماء للذين كان همهم الجمع لا الاختيار" .

---

[1] إلا ما وجدته من قول الزركشي في تفسير (القاسطون) : " يعني العادلين الذين يعدلون به غيره ، هذا باعتبار صورة اللفظ ، وإلا فمادة الثلاثي تخالف مادة الرباعي " البرهان ١/١١٠ .

[2] التبيان في تفسير القرآن ١/١٠٧ .

[3] بحثه : النحو المعقول ، في مجلة مجمع اللغة العربية - المصري - العدد ٢٥ لسنة ١٩٧١ ص ٥٤ .

م ١١ فقه اللغة العربية .

فهذا الباحث ينكر أصلاً حدوث الأضداد في كلام العرب ، على أساس أن من المحال أن تنطق قبيلة بكلمة ذات معنيين متضادين . مع أن أحداً من القدامى أو المحدثين لم يحصر استعمال الأضداد بقبيلة واحدة وبيئة واحدة ، إذ أن من القدامى من كان يذهب إلى أن " أحد المعنيين لحي من العرب ، والمعنى الآخر لحيّ غيره ، ثم سمع بعضهم لغة بعض ، فأخذ هؤلاء عن هؤلاء ، وهؤلاء عن هؤلاء قالوا : فالجون : الأبيض في لغة حي من العرب، والجون الأسود في لغة حي آخر ، ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر"[1] ومن هذا القبيل ما يحدث من تضاد بسبب تحدد اللفظ بمعنى في لهجة ما[2] على أن التضاد قد يحدث في القبيلة الواحدة ، بحكم الخضوع لعوامل نفسية متباينة كالتطير والتهكم[3] وهو ما سنبينه بعد قليل .

وأما الزعم بأن التضاد يخالف الإبانة ، فمردود بتحقق الإبانة في الكلام واتضاح ما ورد فيه ، عن طريق القرائن المختلفة من لفظية وحالية وعقلية . وقد تحدثنا سالفا عن أثر السياق في تحديد معنيي لفظة (ظن) المتضادين ، وبيان المراد من كل منهما . فضلاً عن أن القول بأن افتراض وجود التضاد يعني غياب الإبانة عن كلام العرب وبيان وقوع الالتباس فيه ، إنما هو تهمة قديمة ، كانت تنسب إلى طاعنين في العربية من الشعوبيين ، إذ يزعم " أهل البدع والزيغ والإزراء بالعرب ، أن ذلك كان منهم لنقصان حكمتهم وقلة بلاغتهم ، وكثرة الالتباس في محاوراتهم وعند اتصال مخاطباتهم "[4].

غير أن هذا القول باطل من أساسه ، لا يرجع إلى نقد موضوعي أو حقيقة لها وجود في الخارج ، بل يرجع إلى حقد وضغينة في نفوس هؤلاء الشعوبيين من غير العرب . لأن الأضداد في اللغة ليست رموزاً ومعميات ، لا تعرف معانيها بأي صورة كانت ، بل هي ألفاظ ذات معان لا يخفى إدراكها عن طريق السياق أو غيره ، على ما بيناه آنفا . ومثلنا له سالفاً فهذا الارتباط بين اللفظ وسياقه يحدد أحد المعنيين دون أن يحدث هذا اللبس الذي يزعمون .

---

[1] ابن الأنباري : الأضداد ص ١١ ؛ وينظر فصول في فقه العربية ص ٢٩٥ .

[2] اللهجات العربية ص ١٦٧ - ١٦٨

[3] اللهجات العربية ص ١٦٦ - ١٦٧

[4] - ابن الأنباري : الأضداد ص ١

على أننا فوق ذلك نرى في وجود الأضداد في العربية عكس ما يزعم هؤلاء ، نرى فيه اتساعاً في التصرف في الكلام ، وإغناء لمعاني الألفاظ ، وبرهاناً على اللمحة الذكية والفطنة في ذهن العربي ، لأنه كثيراً ما يتصرف في الألفاظ تصرّفاً ذكياً ذا تكييف نفسي عال وإنساني حين يطلق على (الملدوغ) لفظ (السليم) . فيكون لهذه اللفظة الأخيرة معنيان أحدهما : البارئ من كل داء ، والآخر: الملدوغ . وهذا إنما يطلق للتفاؤل من جهة، ولضرب من تقوية النفس والتخفيف عنها ، من جهة أخرى . وما أحوج الملدوغ إلى مثل هذا الصنيع .

وأما ما ذهب اليه الدكتور محمد كامل حسين من ضرورة الاقتصار على أحد المعنيين المتضادين ، كالجليل للعظيم فقط ، فإن لم يكن هذا الاختيار فالترك للمعنيين كليهما . أي طرح الكلمة أصلاً من اللغة واخلاء المعجمات منها . نقول ان ما ذهب إليه هنا أمر غريب حقاً ، إذ لا يخفى أن معنى كلمة الجليل التي اختارها مثالاً لرأيه ، إنما هي من الأضداد التي يتعين أحد معنييها بيسر ، دون حدوث أي لبس . وليس أدل من ذلك وضوح أحد معنييها الوارد في القرآن الكريم ، وهو (العظيم) ، فكلمة (الجلال) في قوله عزّ وجلّ : {تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام } ، التي ختمت بها سورة (الرحمن) لا شكّ في أن المراد بها : العظيم القدر [1] ، فإذا قيل فلانٌ لا يزعزعه الحَدَثُ الجلل ، عُلِمَ أن المراد بالجلل هنا : المتصف بالعظمة والهَول وإذا قيل : كل مصيبة بعده جَلَل ، عُلِمَ أن المراد بالجلل هنا ما دقّ [2] وصغُر وهانَ من الامور والأحداث . فالاقتصار إذاً في كتب اللغة والمعاجم على معنى واحد منهما ــ كما هو اقتراح الدكتور محمد كامل حسين ــ لا مسوّغ له ولا وجه ، بل فيه إلحاق ضرر باللغة ومعانيها ، لأنه يهدر معنى للفظة عربية ذات دلالتين متضادتين ، بلا فائدة ولا ضرورة .

وأما ما اقترحه من إلغاء اللفظة التي عدها القدامى من الأضداد ، إذا لم يمكن تحديد أحد معنييها وإيراده في المعاجم ، فهو أكثر ضرراً من الاقتراح الذي سبقه ؛ لأنه إهدار للفظة عربية فصيحة دونما داع لذلك . وهي إماتة لألفاظ ، لا يُقرها كل من له غيرة على العربية وحب لها واعتزاز بثروتها ، التي تؤلف مفرداتها حجر الأساس فيه

---

1 اللسان ١٦/ ١٨٤ (سلم) . والنصوص الدالة على ذلك كثيرة ، فمنها ما جاء في الحديث من أمر مرّوا بحيّ لديه سليم ، فقالوا : هل فيكم من راق ؟ والراقي الذي يتلو الرقية على المريض أو الملدوغ .

2 مفردات ألفاظ القرآن ص ٩٣ (جلل) .

ومما تقدم يتبين لنا أن اقتراح الدكتور محمد كامل حسين في ما يخص الأضداد فيه مجازفة كبيرة ، وكنا نودّ ألا يصدر من رجل مجمعيّ [١] مثله . وخاصة أن التضاد ظاهرة جزرية لم تقتصر على العربية ، بل وجدت في غيرها أيضاً كالعبرية والسريانية [٢] .

ولعل من المناسب بعد هذا أن نبحث في أسباب نشوء الأضداد ، وعوامل وجودها في اللغة ، ليتضح لنا الموضوع جيداً ، ويقرب من أذهاننا أكثر فأكثر . وعوامل تكون المشترك اللفظي في اللغات ـــ التي ذكرناها في كلام سابق ـــ هي عينها عوامل تكون الأضداد [٣] ، إلا أنه يمكن أن يضاف إليها ما يأتي :

## ١- تحديد عموم المعنى الأصلي :

وهو أن المعنى الأصلي للكلمة قد يكون عاماً غير محدود ، ثم يتحدد بعد ذلك بمرور الزمن ، إلا أنه يتخذ في هذا التطور والتحديد طريقين متضادين . ويترتب على ذلك أن الكلمة الواحدة يتخصص معناها في لهجة من اللهجات بشكل يضاد فيه المعنى الذي اتخذته الكلمة في لهجة أخرى [٤] . فمن ذلك كلمة (وثَبَ) التي تعني في اللهجة العربية الشمالية : طَفَرَ أي : قَفَزَ ، على حين تعني في لهجة حمير : جَلَس . وخير مثال على ذلك قصة الأعرابي الذي قال له الملك الحميري : ثِبْ ، يريد : أجلس ، فوثب فتدقّت رجلاه [٥] .

ومما تحدد فيه المعنى العام بطريقين متضادين من حيث عموم المعنى كلمة (المأتم) إذ عدها أبو حاتم السجستاني وقطرب من الأضداد ، لأنها تدل عندهما على النساء اللواتي اجتمعن في فرح ، كما تدل على اللواتي اجتمعن في حزن ومناحة [٦] .

والأصل في ذلك عموم المعنى . إذ المأتم يعني : النساء اللاتي يجتمعن في الخير والشر [٧] .

---

١ هو عضو في مجمع اللغة العربية في القاهرة . وقد اشارت المجلة إلى ذلك .

٢ يحيى كمال : التضاد في ضوء اللغات السامية ص ٢٩ وما بعدها .

٣ اللهجات العربية ص ١٦٦ .

٤ اللهجات العربية ص ١٦٧ ، ١٦٨ ، وفصول في فقه العربية ص ٢٩٩

٥ ـ الخصائص ٢/ ٢٨ .

٦ - الأضداد لابن الأنباري ص ١٠٣ ، وينظر : فصول في فقه العربية ص ٣٠٠ .

٢- التفاؤل :

وهو سبب آخر لنشوء الأضداد ؛ إذ من طبيعة الإنسان التشاؤم ، ولذلك نراه يفر عن كل لفظة دالة عليه أحياناً ، فيستعمل اللفظة المضادة لها في معناها ، الذي يوحي بالتفاؤل . وقد مرّ علينا سالفاً استعمال العرب لكلمة (سليم) للدلالة على الملدوغ ـ وقد استعملوا (المفازة) بدل المهلكة ، تفاؤلاً بالفوز والنجاة منها ، كما نص على ذلك غير واحد من اللغويين كأبي حاتم وابن الأنباري وأبي الطيب اللغوي[2] وقال أبو بكر السراج[3] : (ت ٣١٦ هـ) : " وقد يجئ منه شيء على سبيل التفاؤل نحو : سليم للديغ ، ومفازة للمهلكة . وهذه أضداد ، تفاؤل للشيء بضدّه " .

٣- التهكم :

قد يستعمل المتكلم أسلوب التهكم في حديثه مع المخاطب ، وذلك بأن يلجأ إلى التعبير عن الشيء بكلمة مضادة له ، فيقول على سبيل السخرية والهزء ، فيقال مثلاً للمجنون : يا عاقل ، وللغبي : ياعبقريّ ! . ويعزى إلى هذه الظاهرة اللغوية وقوع كلمات متضادة مثل (القشيب) الذي يعني في اللغة: الجديد غالباً ، ويعني في القليل من الأحيان : الخلَق ، وهو القديم البالي . قال صاحب القاموس المحيط [4] : " والقشيبُ قصرٌ بالبيض والجديد والخلَق " .

والمعنى الأول هو الأصل ، وهو المشهور الشائع ، وإنما استعمل الثاني (الخلَق) على سبيل التهكم والسخرية . وذلك بأن يقال للثوب القديم البالي : قشيب .

والمعروف في العربية أن (التقريظ) هو الثناء على الحي ، على عكس التأبين الذي هو مدح الميت والثناء عليه . إلا أنه ورد في كلام العرب استعمال (التقريظ) بمعنى الذم، استهزاء من المذموم وسخرية منه [5].

---

الأضداد ص ١٠٤ ، وينظر فصول في فقه العربية ص ٣٠٠.
فصول في فقه اللغة العربية ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣ .
الاشتقاق ص ٤٢ ـ ٤٣
مادة (قشب) ١/١١٦ .
فصول في فقه العربية ص ٣٠٥ .

## ٤- التطور الصوتي :

قد يجعل التطور الصوتي كلمة ما مماثلة من حيث لفظها لكلمة أخرى ، مضادة لها في المعنى . وذلك بأن يحدث تغير في بعض أصوات تلك الكلمة، عن طريـــق الإبدال مثلاً، كما في كلمة (الجون) ؛ إذ يرى بعض الباحثين المحدثين أن هذه الكلمة ، التي تعبر عن اللون الأبيض ، قد انحدرت من أصلين ليست بينهما أية علاقة . إذ يبدو أن (الجون) التي يعبر بها عن السواد قد اشتقت ابتداء من الفعل (جَنَّ) ، الذي يراد بـه فـي اللغة غطّى وستَرَ . والذي ورد في مثل قوله تعالى : { **فلما جَنَّ عليـــه الليـل** رأى كوكبا } (الأنعام : ٧٦) ، فهذه المادة تعبر في الأصل عن معنى الظلمة وحجب النور عن الشيء. ثم تطورت أصواتها بتأثير عامل (المخالفة) ، الذي يســميه الغربيـــون Dissimilation ، فتقلب أحد الصوتين إلى صوت يشبهه هو الواو[1]. فصارت الكلمة (جون) ، ومن هنا التبس الجون المنحدر من مادة (جَنَّ) بالجون التي يعبر بها أصلاً عن النور[2] . فصارت الكلمة بعد هذا من الأضداد واستقرت في اللغة على هذا الأساس .

## ٥- نسبيَّة الصفة التي يتضمنها المعنى :

قد يكون الشيء صغيراً بالقياس إلى ما هو فوقه ، ويكون كبيراً بالقياس إلـــى ما دونه . فيكون الكبر والصغر على هذا أمرين نسبيين . ونجد ذلك يتجلى في كلمة (الجلل) مثلاً ، إذ تعني في اللغة كما بينا سالفاً : العظيم ، وتعنـــي أيضـــا : الصغـــير ، وهذان المعنيان المتضادان ليست لهما صفة الثبوت في الواقع الخارجي ، وإنما همـــا نسبيان فهما من المعاني التي تقال عند نسبة بعضها إلى بعض .

وقد التفت إلى ذلك من قدامى اللغويين أبو منصور الثعالبي[3] ، فقـــال : "الجلل اليسير ، والجلل : العظيم ؛ لأن اليسير قد يكون عظيماً عند ما هو أعظم منـــه " . كما

---

[1] - وذلك طلبا للسهولة ، وهي قانون صوتي سائد في اللغة عموماً ؛ إذ يميل المتكلم إلى الفرار من الأصوات التي تحتاج جهداً عضلياً ، والتضعيف الذي هو (التشديد) واحد منها ، ولذلك أبدلوا أحد الصوتين المتماثلين بالواو لخفتها ؛ إذ هي من حروف المد واللين . ينظر **الأصوات اللغوية** لإبراهيم أنيس ص ٢١١ – ٢١٢ .

[2] - **اللهجات العربية** ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

[3] - فقه اللغة وسر العربية ص ٤٦٨ .

التفت إليه بعض اللغويين المعاصرين ، فيذكر ستيفن أولمان[1] أن كلمة attus اللاتينية مثلاً قد يكون معناها (مرتفع) أو (منخفض) ، يقول : " وهذا مرجعه إلى الإدراك النسبي للمدى، وهو إدراك تتحكم فيه وجهة نظر المتكلم " .

## ٦- الخوف من الحسد :

وهو أمر آخر مبني على أمر نفسي اعتقادي ، يضاف إلى التفاؤل والتهكم . والإصابة بالعين في تصور العرب في ما قبل الإسلام وبعد ظهوره مما لا خفاء فيه . والأساطير العربية قبل الإسلام تشي بذلك[2] . ومن هنا كان المتكلم يفرّ عن كل ما يرى أنه سبب للإصابة بالعين من الكلم . فاستعمل لذلك ألفاظا على الضد مما ينبغي أن يستعمل في صفة شيء من الأشياء . فاستعمل العرب كلمة (شوهاء) للفرس القبيح والجميل . فيقال مهرة شوهاء : إذ كانت قبيحة ، ومهرة شوهاء ، إذ كانت جميلة[3] وقد انتبه إلى ذلك أبو حاتم السجستاني ، فقال : " لا أظنهم قالوا للجميلة شوهاء إلا مخافة أن يصيبها عين"[4] . وهذه من أهم الأسباب التي عملت على وجود الأضداد في اللغة وظهورها فيها .

## ٧- تصور المساواة في الحدث :

وهو أن يتصور شخصان حدثين مختلفين – كالبيع والشراء – حدثاً واحداً ، وذلك حين تباع سلعة بسلعة ، على سبيل المقايضة ، فعندئذ يشعر كل منهما أنه مشترٍ وبائع ، أو على حدّ تعبير الراغب الأصفهاني : " صحّ أن يُتصور كل منهما مشترياً وبائعاً . ومن هذا الوجه صار لفظ البيع والشراء يستعمل كل منهما في موضع الآخر . ولهذا قال الراغب : "وشريت بمعنى بعت " ، ثم بين أن " ابتعتُ بمعنى اشتريت أكثر " . واحتج له بقوله تعالى في يوسف حين بيع إلى عزيز مصر بثمن قليل ، وهو : { وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين }[5] .

---

[1] - دور الكلمة في اللغة ص ١١٨ .
[2] - ينظر القاموس المحيط (حمض) . وكتابنا : الطبيعة في القرآن الكريم ص ٣٨ .
[3] - ابن الأنباري : الأضداد ص ٢٨٤ ، وينظر : فصول في فقه اللغة ص ٣٠٦ .
[4] - أبو الطيب : الأضداد ١/ ٤٠٨ ، وينظر : فصول في فقه اللغة ص ٣٠٦ .
[5] - يوسف : ٢٠ .

## الترادف :

يعني الترادف في اللغة : أن يدل لفظان أو أكثر على معنى واحد ، وهو ما يعبر عنه في الإنجليزية بالـ Synonem . وقد سماه علماء العربية القدامى ترادفاً حيناً ، على ما نجد مثلاً في كتاب : " الألفاظ المترادفة " لعلي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤ هـ) ، كما سموه تكافؤاً حيناً آخر[١] ، وأطلقوا عليه كذلك عبارة : " ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه " ، كما هي الحال في كتاب الاصمعي (ت ٢١٨ هـ) .

ووجود الترادف في العربية حقيقة لا شك فيها . غير أن من القدامى من بالغ فيه ؛ إذ يذكر الأصمعي للرشيد أنه يحفظ للحجر سبعين اسماً . ويقول ابن خالويه إنه جمع للأسد خمسمائة اسم[٢] وللحية مئتي اسم . وزعموا أن حمزة الأصفهاني جمع للدواهي أربعمائة[٣] . وذكر الثعالبي[٤] أن الاصفهاني جمع في كتاب (الموازنة) أسماء الحجر ، وأن الصاحب بن عباد ألف فيه على حروف المعجم .

ويبدو أن هذه المبالغة أدت إلى ظهور منكرين للترادف ، منهم . أبو علي النحوي، وأحمد بن فارس ، كما ذكروا ابن الأعرابي (ت ٢٣١ هـ) ، وثعلباً (ت ٢٩١هـ)[٥] .

فاما ابو علي وابن فارس فكانا حقاً منكرين للترادف ، إذ كانا يذهبان الى أن الشيء قد يسمى باسم واحد ، كالسيف مثلاً ، ثم تكون له عدة ألقاب وأوصاف : كالصارم والمُهنَّد، والحُسام ، والعَضْب .. وما إليها فهذه عندهما صفات وليست أسماء[٦] .

وأما ابن الأعرابي وثعلب فلم يكونا في الواقع منكرين للترادف ، بل كانا مثبتين له، وممن يرونه وارداً في كلام العرب . وآية ذلك ما ورد في آثارهما اللغوية ، إذ نجد

---

١ - المزهر : ١/ ٤٠٥ .

٢ - المزهر : ١/ ٣٢٥ .

٣ - المزهر : ١/ ٣٢٥ .

٤ - فقه اللغة وسرّ العربية الباب السابع والعشرون (في الحجارة) ص٤٣٩ .

٥ - المزهر : ١/ ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، وفصول في فقه العربية ص ٢٧٤ .

٦ - المزهر : ١/٤٠٥ .

في كتاب (البئر) مثلاً لابن الأعرابي ما يدل على ذلك في غاية الوضوح ، وينفي هذا الوهم الذي وقع فيه قدامى ومُحْدثون . كما نجد في ما رواه عنه اللغويون ما يثبت ذلك أيضاً . فما جاء في كتابه (البئر) : " بئر زَوراء ، ونَحُول : إذ كان في حلقها عوج [1]. وجاء في وصفها أيضاً : " والخِضْرِم ، والعَيْلَم : الغزيرة [2]" وجاء : " وإذا لم يُنزح ماؤها قيل : بَحْرها لا يُنكَفُ ، ولا يُنْكَشُ ، ولا يُؤْبَى ، ولا يُغضْغَضُ ، ولا يُغرَضُ ، ولا يُفْتَجُ [3] " . إلى غير ذلك من النصوص الدالة بجلاء على أن ابن الأعرابي كان يذهب إلى القول بالترادف . فهذا مما ورد في كتابه : "البئر".

وأما ما رواه عنه اللغويون ، فمنه مقدار وافٍ ، وأوثقه ما رواه عنه تلميذه ثعلب . وأودعه كتابه المشهور : " المجالس " . فقد رُوي عنه عدة أقوال دالة على ذلك ، من مثل قوله : " ما أدري أين سكع ، وأين صقَع ، وأين بقع ، بمعنىً واحد " [4]. وقوله : إن الغرضية والعنجهية ، والعيذهية ، تدل على معنى واحد هو الالتواء والانحراف عن التواضع [5].

وشبيه بذلك ما حكاه عنه أبو القاسم الزجاجي (ت ٣٣٧ هـ) ، إذ بيَّن أن ابن الاعرابي كانَ يقول : " النبراس : السراج ، يقال : النبراس ، والسراج ، والقراط ، والقُرط ، وهزلق ، والمصباح ، والوابصة ، والوابِص، والوَبيص ، والمأنوس " [6].

فهذه الشواهد تدل بلا أدنى شك على أن ابن الأعرابي كان يذهب إلى وقوع الترادف ووجوده في كلام العرب . فكيف يقال إذاً إنه ينكره ؟! .

وبالمثل ثعلب ، إذ لا نجده منكراً للترادف ، بل هو ممن يقول به . تدلنا على ذلك أقواله في مجالسه ، من مثل قوله : " ويقال : غلامٌ نُشْنُشٌ ، وشُعْشُعٌ ، وبُلْبُلٌ ، وبُزْبُز :

---

[1] ابن الأعرابي : كتاب البئر ص ٦١ .
[2] كتاب البئر ص ٦٤ .
[3] كتاب البئر ص ٦٤ .
[4] مجالس ثعلب ١/ ٢٤٤ .
[5] مجالس ثعلب ١/ ٢٤٥ .
[6] أخبار الزجاجي ص ١٤٦ .

إذا كان خفيفاً في السفر [1] " . وقوله : " يقالُ : في رُوعِي ، وخَلَدي ، ووَهْمِي ، بمعنى واحد " [2] . وقوله : " ويقال فعلتُ ذاك من جرّاك ، وإجلِك ، وأجلك ... " [3] .

وقد كان فخر الدين الرازي يحدد الترادف ، دون أن ينكره جملة ، إذ كان يرى أنه: " الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد " [4] . وتفسيره لقوله : " باعتبار واحد " ، يدل على أنه لم ينكره على وجه الإطلاق بل كان يفصّل فيه القول على وجهين فينكر الترادف في مثل الكلمات المتعلقة بالسيف . وهو ما كان يذهب إليه أبو علي النحوي وابن فارس . فهذه الألفاظ دالة لدى الرازي على شيء باعتبارين لا باعتبار واحد، وهما : الذاتية والوصفية . ولذلك لا يعدها مترادفات ، على حين لا ينكر الترادف في الألفاظ الدالة على شيء باعتبار واحد ، كالقمح والحنطة والبُرّ [5] . ذلك أن هذه الألفاظ خلت من الوصفية واتسمت بالذاتية فحسب .

وهذا الذي ذهب اليه الرازي هو الأقرب في ما يبدو إلى واقع اللغة وقصد المتكلم ، مما يذهب إليه كثير من القدامى من الرفض المطلق أو القبول المطلق . ذلك أن اختلاف القبائل في التعبير عن أسماء الذوات أمر طبيعي ، ولا يمكن إنكاره ألبتة ، كقول بعضهم: سِكّين ، وقول آخرين : مُدْية . وسيأتي الكلام على ذلك .

أمّا ما قالوه من ألفاظ متعلقة بمسمىً من المسميات كالقاطع للسيف والرُضاب للعسل ، فهي أقرب إلى الصفات منها إلى الأسماء . لأنها كانت جارية على الألسن في قبيلة واحدة ؛ إذ ليس من المعقول أن تتعدد أسماء الشيء الواحد في كلام قبيلة واحدة ولكن من المعقول أن تتعدد صفاته ، فيصفونه بعدة صفات يرونها دالة عليه ومعبرة عنه ثم صارت في عُرف السامعين أسماء ، بعد أن تطاول عليها الزمن . وأما ما ذكروه من ألفاظ عدّوها مترادفة وليست من الصفات ، كالقمح والبُرّ والحنطة ، وكالمدية والسكين فهذه هي المترادفات حقاً [6] ، ولا يصح إنكارها ؛ لأنها مما دار على ألسنة بيئات متباينة

---

[1] - مجالس ثعلب : ١/ ١١ .

[2] - مجالس ثعلب : ١/ ٧٦

[3] - مجالس ثعلب : ٧٤/١ .

[4] - المزهر : ١/ ٤٠٢ .

[5] - المزهر : ١/ ٤٠٢ - ٤٠٣

[6] - وهو ما يذهب إليه بعض المعاصرين أيضا ، سنرى عند الكلام على رأي اللغويين المعاصرين.

كالعراق والحجاز والشام ، أو قبائل متعددة كقريش وغيرهم . وقد روي في الآثار ما يعزز ذلك ويؤكده ، ونبه على ترادفها من القدامى أبو عثمان الجاحظ [1] ، وأبو بكر السراج [2] ، وغيرهما .

وإذا أردنا معرفة الترتيب المنطقي بين الاسم والوصف وتابعناه ، ألفينا الاسم سابقاً للوصف ، وهو أمر لم يغب عن علم اللغويين القدامى ، على نحو ما نجد مثلاً في قول الراغب [3] : " واشتقّ من الرِجْل : رَجِلٌ و راجِلٌ للماشي بالرجل " . ومعنى هذا أن اسم الذات (رِجْل) سبق الوصفيين المشتقين : رَجِلٌ وراجِل . وهذا ما يذهب إليه اللغويون المعاصرون . يقول أحدهم ، وهو ستيفن أولمان ، متحدثاً عن هذا الترتيب : " هناك قدر معين من التجريد يقع بالفعل بمجرد خروج (الأشياء) إلى حيّز الوجود ، كالمنضدة مثلاً التي يجلس إليها الانسان للكتابة . والخطوات التالية لذلك هي ايجاد اسم للشيء . ويعقب هذا : وصف الشيء نفسه ، كأن نقول : هذه المنضدة المعيّنة . ونعمد إلى التعميم ، كأن نقول مثلاً : المناضد المربعة أسهل في الكتابة من المناضد المستديرة " ثم يبين أنه بعد هذا الوصف يأتي التجريد والاستنتاج [4] .

وما حدث لدينا في طائفة من الألفاظ التي قالوا بترادفها ، والتي ذكرنا منها شيئاً في كلامنا السالف من مثل السيف والعضب والبتار والقاطع وما إليها ، يمكن بل يصح أن ننظر إليها هذه النظرة اللغوية التاريخية أولاً ، فعند احدها وهو الذي لا يدل على أنه مشتق وهو (السيف) هو الاسم ، ونجعل بقية الأسماء التي يلحظ فيها الوصف بصيغة أو أخرى كصيغة اسم الفاعل الدالة على القوة والشدة مثل : (القاطع) وصيغة المبالغة : (البتّار) وما إليها ، نجعلها أوصافاً للسيف ، على نحو ما كان يذهب إليه أبو علي وغيره . وكذلك ما دل على لون مثل (الأبيض) . أو دال على نسبة مثل (الهندواني) .

وإذا استعصى الاشتقاق على كلمة من هذه الكلمات التي عدوها أسماء للسيف عند فريق وأوصافاً عند آخرين ، أمكننا حملها على أنها لغات ، ثم جاء جامعو اللغة بعد ذلك، وأصحاب المعجمات فعدّوها ألفاظاً مترادفة ، أو كما سماها بعضهم متكافئة ، دون النظر

1- البيان والتبيين : ١/ ١٧ ، وقد أشار إلى أثر تباين البيئات في ذلك .
2- الاشتقاق : ص ٤٤ .
3- مفردات ألفاظ القرآن ص ١٩٥ (رجل) .
4- ستيفن أولمان : دور الكلمة في اللغة ص ٢١٤ .

إلى بيئتها التي نشأت فيها أو القبيلة التي كانت تنطق بها . وهذا الحكم يصدق على كثير من مفردات اللغة كالمشترك والأضداد وما إليها . وهذا الذي قلناه لا يمكننا القطع فيه ولكنه على أية حال محاولة لابداء رأي في هذا الموضوع الذي لا ينكر المعاصرون من الباحثين واللغويين العرب أنه يحتاج الى مزيد من البحث والدراسة [1].

على أن هؤلاء اللغويين القدامى المنكرين للترادف ، ممن كانوا يرون هذه الصفات – التي عدّها غيرهم أسماء للاشياء – ليست متحدة المعنى ، ولا متساوية الدلالة ، بل بينها فروق معنوية فقد ذكر ابن فارس ذلك قائلاً : "ومذهبنا أن كل صفة منها، فمعناها غير معنى الاخرى " . ثم نقل الخلاف الذي أشرنا اليه بين اللغويين قائلاً : " وقد خالف في ذلك قوم ، فزعموا أنها – وإن اختلفت ألفاظاً – فإنها ترجع إلى معنى واحد . وذلك قولنا : سيف وعضب وحسام . وقال آخرون : ليس منها اسم ولا صفة إلا ومعناه غير معنى الآخر – قالوا : وكذلك الأفعال نحو : مضى وذهب وانطلق ، وقعد وجلس ورقد ، ونام وهجع . قالوا : ففي قعد ما ليس في جلس . وكذلك القول بما سواه . وبهذا نقول ، وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب " [2].

فابن فارس إذاً يعزو هذا المذهب اللغوي إلى شيخه ثعلب ، في جملة من يعزوه إليهم . وقد بيّنا سالفا أن ثعلباً ليس على هذا الرأي ، بدليل ما أورده في كتابه (المجالس) الذي يعد من أفضل آثاره التي وصلت إلينا . والمجالس أمالٍ تمثل علم المملي وتعبّر عن صفوة آرائه ومذاهبه اللغوية . ومن هنا تأتي قيمتها العلمية .

ويبدو أن هذه الوجهة التي شاعت في أواخر القرن الرابع للهجرة على أيدي أبي علي النحوي وابن فارس وغيرهما ، قد وجدت لها مجالاً وصوتاً مسموعاً في المجالس بمجلس سيف الدولة بحلب ، وبالحضرة جماعة من أهل اللغة ، وفيهم ابن خالويه . فقال ابن خالويه : أحفظ للسيف خمسين اسماً ، فتبسم أبو علي وقال : ما أحفظ إلا اسماً واحداً

[1] ينظر ما كتبه الدكتور كمال محمد بشر في حاشية ص ١٠٨ من الكتاب الذي ترجمه لستيفن أولمان ، وهو دور الكلمة في اللغة

[2] الصاحبي ص ٩٦ – ٩٧

وهو السيف. قال ابن خالويه : فأين المهند والصارم وكذا وكذا ؟ فقال أبو علي : هذه صفات ، وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة " [1].

فهذه المحاورة التي حملتها هذه الرواية ، تمثل أصدق تمثيل صورة هذا الخلاف بين اللغويين القدامى ، في موضوع الترادف ، وبيان كل منهما لوجهة نظره .

ويبدو أن هذه الوجهة لقيت قبولاً لدى معاصر القائلين بها ، وهو أبو هلال العسكري (٣٩٥ هـ) ، فألف كتاباً سماه (الفروق اللغوية) ، ضمنه طائفة كبيرة من الألفاظ التي قد يظن للوهلة أنها متفقة المعنى تماماً ، وأنها لذلك مترادفة لا فرق بين معانيها ألبته . وقد سوغ لتأليف هذا الكتاب النادر في مادته ، الرائد في موضوعه ، بقوله في مقدمته له : " ما رأيت نوعاً من العلوم ، وفناً من الآداب ، إلا وقد صنف فيه كتب تجمع أطرافه وتنظم أصنافه إلا الكلام في الفرق بين معان تقاربت ، حتى اشكل الفرق بينها نحو العلم والمعرفة ، والفطنة والذكاء ، والإرادة والمشيئة ، والغضب ، والسخط، والخطأ والغلط ، والكمال والتمام ... " [2].

وبيّن أبو هلال بعد ذلك أن كل اسمين يجريان على معنى من المعاني وشيء من الأشياء في لغة واحدة ، لا بد أن يكون كل منهما يقتضي مالا يقتضيه الآخر ، وإلا كان الثاني منهما فضلة لا يحتاج إليه في الكلام . واحتج بقول أبي العباس المبرد في تفسير قوله تعالى : { لكلٍّ جعلنا منكم شِرْعةً ومنهاجاً } (المائدة : ٤٨) ، وبيّن أنه " عطف على شِرْعة منهاجُ ؛ لأن الشرعة لاول شيء ، والمنهاج لمعظمه ومتسعة "أو بعبارة أخرى هو من عطف العام على الخاص ، والكل على الجزء . فبينهما تغاير إذاً . واستدل ذلك بقولهم : " شرع فلان في كذا ، إذا ابتدأه ، وانهج البلى في الثوب : إذا اتسع فيه " . ثم نقل عن المبرد أيضاً انه قال : "ويعطف الشيء على الشيء ، وان كانا يرجعان إلى شيء واحد ، إذا كان في أحدهما خلاف للآخر . فأما إذا أريد بالثاني ما أريد بالأول ، فعطف أحدهما على الآخر خطأ ؛ لا تقول : جاءني زيد وأبو عبد الله ، إذا كان زيد هو أبو عبد الله ، ولكن مثل قوله :

أمرتُك الخير فافعلْ ما أُمرتَ به     فقد تركتُك ذا مال وذا نَشَبِ

---

[1] -المزهر ١/ ٤٠٥ .

[2] أبو هلال : الفروق اللغوية ص ٩ .

وذلك أن المال إذا لم يقيد ، فإنما يعني به المال الصامت[1] . والنشبُ : ما ينشر ويثبت من العقارات[1] .

فأنت ترى من هذا أن أبا هلال يفرق بين لفظين متعاطفين تفرقه معنوية، ويتخير من قواعد النحو وأساليبه حجة في ذلك . وهو لا ينسى – شأن اللغويين بعامة – الاستشهاد بالمأثور من النصوص اللغوية العالية ، وفي مقدمتها كتاب الله المعجز المبين .

وانتهى أبو هلال في ضوء كلام المبرد إلى هذه النتيجة الحاسمة في العلاقة الدلالية بين كل لفظين مقترنين هذا الاقتران ومتصلين هذا الاتصال ، فقال : "والذي قاله هاهنا في العطف يدل على أن جميع ما جاء في القرآن وعن العرب من لفظين جاريين مجرى ما ذكرنا ، من العقل واللُب ، والمعرفة والعلم ، والكَسب والجَرح ، والعمل والفعل ، معطوفاً أحدهما على الآخر ، فإنما جاز هذا فيهما لما بينهما من الفرق في المعنى "[2] .

ويبدو أن هذه الوجهة في نفي الترادف بين الكلمات قد راجت في عصره ، وكان لها أنصار من بعض النحاة . إذ نقل أبو هلال عن أحدهم ، أن اللفظ لا يجوز أن يدل على معنيين مختلفين إلا بدليل، " وكما لا يجوز أن يدل اللفظ الواحد على معنيين ، فكذلك لا يجوز أن يكون لفظان يدلان على معنى واحد ، لأن في ذلك تكثيراً بما لا فائدة فيه"[3] ويلحظ هنا روح القياس في هذا الكلام وفي الاحتجاج له .

وقد قسم أبو هلال كتابه (الفروق اللغوية) على أبواب بلغت ثلاثين باباً . ولكل باب دلالة معينة . واشتمل كل باب على طائفة من الألفاظ التي تتعلق به . ولنضرب لذلك مثلاً شيئاً مما أورده في الباب التاسع الذي سمّاه (في الفرق بين المِثْل والشبه والعديل والنظير وما يخالف ذلك من المختلف والمتضاد والمتنافي ، وما يجري مع ذلك) ، فقد قال :

" الفرق بين المِثْل والنظير ، أن المثلين ما تكافآ في الذات ... والنظير ما قابل نظيره في جنس أفعاله ، وهو متمكن منها . كالنحوي نظير النحوي ، وإن لم يكن له مثل

---

[1] - المال الصامت : يراد به الذهب والفضة . وبعكسه : المال الناطق ، الذي يطلق عليه ما يحوزه المرء ويمتلكه من أنعام ودواب ، كالإبل والغنم والخيل وما إليها مما له صوت . وربما ادخلوا العبيد والمملوكين في المال الناطق .

[2] - الفروق اللغوية ص ١٣ - ١٤ .

[3] - الفروق اللغوية ص ١٤-١٥ .

كلامه في النحو ، أو كتبه فيه . ولا يقال : النحوي مِثْلُ النحويّ ؛ لأن التماثل يكون حقيقة في أخص الأوصاف ، وهو الذات "[1].

" الفرق بين المثل والعديل ، أن العديل ما عادل أحكامه أحكام غيره ، وإن لم يكن مثلاً له في ذاته . ولهذا سمّي العدلان عدلين ، وإن لم يكونا مثلين في ذاتهما ولكن لاستوائهما في الوزن فقط "[2].

وانظر إليه كيف يفرّق معنوياً بين (التفاوت) و(الاختلاف) ، دارساً ذلك وموضحه في ضوء النص القرآني ، فيقول :

"الفرق بين الاختلاف والتفاوت ، أن التفاوت كله مذموم ؛ ولهذا نفاه الله تعالى عن فعله ، فقال تعالى : { **ما ترى في خَلْق الرحمن من تفاوت** } . ومن الاختلاف ما ليس بمذموم ؛ ألا ترى قوله تعالى { **وله اختلاف الليل والنهار** } فهذا الضرب من الاختلاف يكون على سَنَنٍ واحد ، وهو دال على علم فاعله ، والتفاوت هو الإختلاف الواقع على غير سنن جهل فاعله "[3].

ويقول في التفريق بين (الضد) و (الترك) :

" الفرق بين الضدّ والترك ، أن كل ترك ضدٌ ، وليس كل ضد تركاً ؛ لأن فعل غيري قد يضادُ فعلي ، ولا يكون تركاً له "[4] وكثيراً ما يبين الفروق بين الألفاظ التي يظن أنها مترادفة ومتفقة تماماً من حيث المعنى ، يبينها عن طريق إيراد النقيض ، وهو اللفظ الذي له معنى بضد معنى ذلك اللفظ الذي يُظن ترادفه . ويطلق عليه أبو هلال عادة اسم (الضد) ، على نحو ما أورده في الباب التاسع أيضاً عند حديثه عن الاستواء والاستقامة ، فقال :

"الفرق بين الاستواء والاستقامة ، أن الاستواء هو تماثل أبعاض الشيء. واشتقاقه من السيّ وهو المثل ، كأنّ بعضه سِيّ بَعض ، أين : مِثله . ونقيضه التفاوت ، وهو أن

---

[1] - الفروق اللغوية ص ١٤٨ .

[2] - الفروق اللغوية ص ١٤٨ .

[3] - الفروق اللغوية ص ١٥٠ .

[4] - الفروق اللغوية ص ١٥١ .

يكون بعض الشيء طويلاً ، وبعضه قصيراً ، وبعضه تاماً ، وبعضه ناقصاً . والاستقا
الاستمرار على سَنَن واحد ، ونقيضها : الاعوجاج . وطريق مستقيم لا اعوجاج فيه

ويهدف أبو الهلال من بيان هذه الفروق المعنوية بين هذه الألفاظ وغيرها ،
بيان ما هو نقيض ، أو ضدّ لها ، إلى تحديد دلالتها اللغوية بدقة ، بحيث يبدو
الفرق بين كل لفظتين يوازن بينهما . على نحو ما رأيناه انفا ، وبحيث ينفي
ترادفها ، واتفاقها التام في الدلالة . وكان أبو بكر السراج[٢] من اقدم من أشار إلى
المترادفات عن طريق إيراد الضد ، والخلاف بـ (غير) والجنس والصفات .

وكان معاصره علي بن عيسى الرماني قد نهج هذا النهج ، في التفرقة المعنوية
الألفاظ ، في تفسيره الذي سماه[٣] (الجامع لعلم القرآن)[٤] ويبدو أن هذا التفسير قد نال
واسعة ، وحظي بثقة أهل العلم ، فقد قيل للصاحب بن عبّاد : هلاّ صنّفت تفسيراً ؟ فق
وهل ترك لنا علي بن عيسى شيئاً ؟[٥]. وقد سلك الرماني في تفسيره هذا أسلوب
وهو السؤال ، ثم الجواب متضمناً المادة اللغوية التي يريد بيانها . وقد اعتمد على
التفسير غير واحد من كبار المفسرين كالطوسي (ت ٤٦٠ هـ) ، والزمخشري
هـ) .

وهو يطلق على الأسماء التي تبدو كأنها مترادفة اسم (النظائر) ، م
نظير الشيء ليس الشيء نفسه ؛ لأن نفس الشيء ، وهو ذاته يعبّر عنه بكلمة (الم
(المثيل) لا بالنظير[٦].

يقول الرماني في تفسير قوله تعالى : { **وبرزوا لله جميعاً فقال الضعفاء** ...
**استكبروا إنا كنا لكم تبعاً** } (إبراهيم : ٢١) : " ويقال ما الاستكبار ؟ الجواب
الا... الاستجبار والتجبر والتجبر من النظائر"[٧].

[١] الفروق اللغوية ص ١٤٩ [illegible]
[٢] الاشتقاق [illegible]
[٣] [illegible] في معجم القرآن [illegible]
[٤] [illegible] المخطوطات العربية [illegible] الجزء الثاني عشر في معهد
[٥] طبقات المعتزلة [illegible]
[٦] الفروق اللغوية [illegible]

وفي تفسير قوله تعالى : { **فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبيـــن** } (الحجـر :
يفرق الرماني معنوياً بين الانتقام والعقاب تفرقة دقيقة ، فيقول : "الانتقام نقيض الإ
والعقاب نقيض الثواب . فالعقاب مُضَمَّن بأنه على المعصية ، والانتقام مطلـــق
هاهنا على المعاصي ؛ لأن الإطلاق يصلح فيه التقييد بحرف الإضافة "[2].

وبذلك عني الرماني ببيان الفروق المعنوية بين الألفاظ التي قد تبدو مترادفة
أنه لم يفرد لها كتاباً ، كما فعل أبو هلال العسكري ، وأنما أورد ذلك في ثنايا تفسير
بينا . ولذا أخرنا الحديث عنه مع أنه متقدم زمنياً على العسكري .

وجاء بعد الرماني وأبي هلال أبو جعفر محمد بـــن الحسن الطوســي
الأصولي المحدث فذكر في تفسيره (التبيان) فروقاً معنوية بين كثير من الألفاظ التي
للوهلة أنها مترادفة ، مشعراً بذلك الصنيع ، بدقة استعمال القرآن لمفرداتـــه .
اللفظ الغريب فيه . إلا أنه مع ذلك لا يبدو أنه ينكر الترادف جملة ، بل هو كما يبدو
كلامه في تفسيره ـــ مقتصد في القول فيه .

ويطلق الطوسي على الطائفة الأولى من الألفاظ ، كلمة (نظائر) متابعاً فـــي
الرماني في التسمية . وقد كان تفسير الرماني أحد مصادره المهمة في اللغة . وقد
عليها كلمة (متقارب) . وهو لا يني يتلمس لهذه الألفاظ التي ينعتها بالتناظر أو التق
فروقاً معنوية انطلاقاً من فكرة أنها غير مترادفة ، أي غير متفقة المعنى تماماً .

ففي تفسيره لقوله تعالى : { **ولا تَلْبِسوا الحقَّ بالبـــاطل وتكتُمـــوا الحـق**
**تعلمون** } (البقرة :٤٢) يقول الطوسي في باب (اللغة)[3] :

" اللَّبس ، والستر والتغطية ، والتعمية ، نظائر . والفرق بين التعمية والتغطية
التعمية قد تكون بالنقصان والزيادة ، والتغطية تكون بالزيادة"[4].

---

[1] الرماني : الجامع لعلم القرآن ١٢/ ٨ .
[2] الجامع لعلم القرآن ١٢/ ١٢٣ . ويريد بحرف الإضافة : حروف الجر .
[3] الطوسي أول من اتخذ هذا المنهج في التفسير : إذ أفرد لكل مادة من المواد قسماً خاصاً به . كاللغة ، و
والشواهد ، والنزول ، والمعنى .. وما إليها .
[4] الطوسي : التبيان في تفسير القرآن ١/ ١٨٩ .

ويفرق معنوياً بين الانفجار والانشقاق والانبجاس ، عند تفسيره لقوله تعالى
{ وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشر
عيناً } (البقرة : ٦٠) ، فيقول :

" والانفجار : الانشقاق ، والانبجاس أضيق منه ، فيكون أولاً انبجاساً ، ثم يصير انفجاراً " [1].

وفي تفسير قوله تعالى : { ولكم في الأرض مُستقرٌ ومتاعٌ إلى حين } (البقرة ٣٦) ، نجد الطوسي يشير إلى ما بين الحين ولفظين آخرين هما : المدة والزمان من تقارب في المعنى ، دون أن يبين وجوه الفروق بينها . فيقول :

" فالحين ، والمدة ، والزمان ، متقاربة ... والحين : الوقت من الزمان ، وجمعه أحيان ، وجمع الجمع : أحايين ... " [2].

ولسنا هنا بصدد استقصاء كل ما ورد في تفسير الطوسي في هذا الباب ، إذ هو كثير ، لا يكاد تفسير آية من الآيات يخلو منه .

على أن الطوسي قد يعبّر عن ذلك بلفظة (مِثْل) ، وكأنه يرى أن الألفاظ التي يصفها بالتماثل ألفاظ مترادفة ليس بينها فروق معنوية . يهدينا إلى هذا الفهم تفريق اللغويين بين المثيل والنظير ، على ما بيّناه سالفاً ، ونقلناه عن أبي هلال العسكري والطوسي أصولي لغوي ، فلا نحسب انه يغفل عن ذلك . ففي تفسيره لقوله عزّ وجلّ : { ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين } ، يذكر الطوسي أن " القرار : الثبات والبقاء مثله " [3].

وفي وقوفه عند قوله تعالى : { الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ... } (البقرة : ٢٧) ، يقول : " العهد : العقد ، والاصر ، مثله " [4].

[1] التبيان ١/ ٢٦٩ .

[2] التبيان ١/ ١٦٥ .

[3] التبيان ١/ ١٦٤.

[4] التبيان ١/ ١١٩

على أن الطوسي يسلك أسلوباً آخر أيضاً في تحديد معنى الألفاظ التي يظن أنها مترادفة ، وليست بينها فروق معنوية . وهذا الأسلوب هو إيراد النقيض والضد لكل لفظ من تلك الألفاظ . وهو بهذا يحدد دلالاتها تحديداً دقيقاً . ويمكن أن نتبيّن ذلك مما أورده في تفسير الآية التي ذكرناها آنفاً ، إذ قال في باب (اللغة) :

" والقرار : الثبات ، والبقاء مثلهُ . وضد القرار الانزعاج ، وضد الثبات الزوال ، وضد البقاء الفناء[1] " ، كما أنه في أحيان أخرى يورد صفة كل اسم من الأسماء التي تعد مترادفة اختباراً لترادفها ، وهو ما كان أبو بكر السراج قد أشار إليه ، أسلوباً من أساليب الكشف عنها ، كما بينا ذلك سالفاً .

ومهما يكن من أمر ، فأن الترادف في العربية حقيقة لغوية لا شك فيها . غير أنها في ما يبدو قد بولغ فيها . وقد صنف فيه غير واحد من قدامى اللغويين كالأصمعي والرماني . كما صنف فيه بعض المتأخرين وهو مجد الدين الفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ) صاحب معجم (القاموس المحيط) . وقد سمّى كتابه (الروض المسلوف في ما له اسمان إلى ألوف) . وأفرد آخرون كتباً في أسماء معينة ، فألف ابن خالويه في أسماء الأسد ، وكتاباً آخر في أسماء الحيّة [2] . وللفيروز آبادي كتاب من هذا النوع في العسل سماه : (ترقيق الاسل في تصفيق العسل) أورد فيه ثمانين اسماً للعسل ذكرها السيوطي في (المزهر) منها : الضَرْب ، والضَرَبَة ، والضَرِيب ، والشَّوب ، والذَّوب ، والحَميت والورس ، والأرْي ، والشَّهْد ، ولعابُ النحلِ ، والرُّضاب ، ورُضاب النحل ، وجنى النحل ، وريق النحل ، والشَّوْر . والسُّلاف ، والسُّلافة ، والنحل [3] ...

وقد أشار الفيروز آبادي[4] إلى هذا الكتاب إشارة موجزة في أثناء كلامه على العسل بقوله : " وأفردت لأسمائه ومنافعه كتاباً " .

وقد عقب السيوطي[5] على هذه الأسماء بعد سردها بقوله :

---

[1] - التبيان ١/ ١٦٤ .

[2] - المزهر ١/ ٤٠٧ .

[3] - المزهر ١/ ٤٠٧ - ٤٠٨ .

[4] - القاموس المحيط ٤/ ١٥ (عسل) .

[5] - المزهر ١/ ٤٠٩ ونقل عنه السيد مرتضى الزبيدي في معجمه (تاج العروس) وقال : " رأيته وطالعته واستفدت منه ٧/١ من التاج ، وينظر : د . هاشم شلاش : الزبيدي في كتاب تاج العروس ص ١٨٨ .

"قلتُ : ما استوفى أحدٌ مثل هذا الاستيفاء " . ومع ذلك فقد فاته بعض الألفاظ.

أنشد القالي في أماليه :

ولذٍّ كطعم الصرخديّ تركتهُ

وقال الصرخدي : العسل ، كذا قاله أبو الميّاس ، وقال ابن دريد : الخمر وفي أمالي الزجاج من أسامي العسل : السعابيب "[1]. ويبدو من هذا الكلام أن السيوطي يرى هذه الأسماء التي أوردها الفيروز آبادي في كتابه ، أو تلك التي لم يوردها ، يراها أسماء للعسل . على حين يدلنا التأمل فيها ودراستها على أنها ليست جميعاً أسماء له على الحقيقة، بل منها ما هو من قبيل التعبير المجازية . وهي التعابير التي توصف بها الأشياء، وتجري مجرى الكنايات في الأصل ، ثم يشيع استعمالها وتتردد على الألسن فتأخذ طابع الاسم لذلك المسمى ، مع أنها في الواقع ليست كذلك ، لأنها ليست أسماء موضوعة له ، فتكون أسماء حقيقية له ، وإنما هي تعابير مجازية يكنى بها عنه كما أسلفنا.

ويتجلى هذا الذي نقول في مثل (رضاب النحل) و (جَنَى النحل) و (ريق النحل) ... ومعلوم في البلاغة أن المجاز قد ينسى بتطاول الاستعمال وتناسي الأصل ، فيغدو كالحقيقة . وهو ما يطلق عليه البلاغيون اسم (الحقيقة العرفية) ، لأنه صار حقيقة بالعرف ، لا بأصل الوضع اللغوي .

ومن أسماء السيف التي ذكرها ابن خالويه ، وهي عند فريق من اللغويين – عدا السيف – صفات ، على ما بيناه سالفاً :

السيف ، والصارم ، والرِّداء ، والخليل ، والصفيحة ، والصمصامة ، والمَشرفي والعضب ، والحُسام ، والهُذام ، والهندوانّي ، والمُهنّد ، والصَّيقل، والأبيض ، محتجاً له بشعر كثير [2].

---

[1] المزهر ٤٠٩/١ ونقل عنه السيد مرتضى الزبيدي في معجمه (تاج العروس) وقال : " رأيته وطالعته واستفدت منه " ٧/١ من التاج ، وينظر : د . هاشم شلاش : الزبيدي في كتابه تاج العروس ص ١٨٨ .

[2] - المزهر ٤٠٩/١ – ٤١٠ .

وقال أبو علي القالي[1] (ت ٣٥٦ هـ) : " جزع الوادي : منعطفه ، وكذلك صُوحُه، ومنحناه ، ومنثناه " وجاء بعد ذلك الثعالبي[2] فضمن كتابه (فقه اللغة) كثيراً من الألفاظ المترادفة كالجرس والهمس والخشفة كما أورد كثيراً من الألفاظ التي بينها فروق [3].

إذاً فالترادف حقيقة لغوية لا يمكن إنكارها ألبته ، وهي من خصائص العربية وميزاتها التي لا مراء فيها . وهو إن دل على شيء ، فإنما يدل على ما لهذه اللغة الكريمة من ثروة لغوية فائقة وتنويع لفظي متعددة في الصورة والصيغة والجرس الموسيقي . وهذا مما يترك للكاتب والاديب والشاعر اختيار لفظته من بين تلك الألفاظ المترادفة المتعددة ، لتلائم سياق كلامه معنىً وجرساً . فكم من لفظة يختارها الأديب أو الكاتب أو الشاعر في نص أدبي له ، قد يُؤْثِر غيرها عليها في نص آخر ، مع أنهما بمعنىً واحد ؛ وذلك لما يرى في كل منهما من خصوصية تليق بذينك النصين . إلا أننا مع ذلك كثيراً ما نجد الترادف حاصلاً في لغتين أو أكثر من لغات العرب ، كالسكّين والمُدية على ما بيّناه سالفاً .

ولا بد لنا بعد هذا من البحث في أسباب الترادف في العربية ، وأن نضع أيدينا على مصادر هذه الثروة اللغوية التي حفلت بها العربية وازدانت بها . فإذا بحثنا في تلك الأسباب ألفيناها تعود إلى ما يأتي :

١- تعدد أسماء الشيء الواحد في اللهجات العربية ، كالسكّين في لغة عامة العرب، والمُدية في لغة قبيلة (دَوْس) ، على ما روي في الأخبار . فقد حدّث أبو هريرة (ﷺ) أنه حين وفد على النبي (ﷺ) من قبيلته دَوْس ، وأسلم ، طلب إليه الرسول (ﷺ) أن يناوله سكيناً كانت بالقرب منه ، قال : فلم أعرف ماذا أراد بكلمة (سكّين) ، فلما رأيته ينظر إليها ، علمت أنه يريدها ، فقلت له : آلمدية تريد ؟ ثم ناولته إياها [4].

---

[1] الامالي ٢/ ٣١٧ .

[2] فقه اللغة ص ٢٠٨ ، فصل في ترتيب أصوات الحركات .

[3] فقه اللغة ص ٩٩ ، في ترتيب الهزال مثلاً .

[4] أبو عبيد : غريب الحديث .

فهذا يدلنا على أن دَوسًا كانت تستعمل هذه اللفظة ، بدلاً من اللفظة الأشهر وهي السكّين ، وبها نزل القرآن الكريم ، إذ هي من اللغة المشتركة العامة ، قال تعالى : { وآتت كل واحدة منهنّ سكيناً } (يوسف : ٣١) . ومما ورد فيه المدية قول الشاعر :

الذئبُ يطرُقها في الدهرِ واحدةً
وكل يوم تراني مديةٌ بيدي [1]

ومن ذلك ، (السُمود) يعني : الغناء واللهو بلغة حِمْيَر ، وبه فسّر عبد الله ابن عباس (رضي الله عنه) لفظة (سامدون) في قوله تعالى : { وأنتم سامِدون } (النجم : ٦١) ، أي لاهون[2] . واحتج لها بقول هزيلة بنت بكر ، وهي تبكي قوم عاد :

| | |
|---|---|
| ليت عاداً قبلوا الحقَّ | ولم يبدوا جحودا |
| قيلَ : قم فانظر إليهم | ثمّ دَعْ عنكَ السمودا [3] |

وربما كان تعدد اللفظ لا يرجع إلى اختلاف القبائل في استعمال عدد من الألفاظ ، بل يرجع إلى اختلاف الأمصار كمكة والمدينة ، والبصرة ، أو اختلاف البيئات كالحجاز ، ونجد ، والشام ، والعراق . ففي حديث النبي (صلى الله عليه وسلم) ، أنه لما قال ( اللهم اسقنا ) داعياً بنزول الغيث ، قام إليه أبو لبابة، فقال : يا رسول الله ، إن التمر في (المرابد) . فعلق أبو عبيد القاسم بن سلام على هذا اللفظ . بأن فسّر (المربد) الذي هو واحد المرابد ، بالمكان الذي يوضع فيه التمر قبل أن يصير في الأوعية التي هي القواصر[4]. ثم أشار إلى أن أهل المدينة يسمونه (الجرين) ، وأهل الشام يسمونه (الأندر) ، وأهل العراق يسمونه (البيدر) ، وأهل البصرة يسمونه (الجوخان) [5]. ويلحظ أن من هذه الأسماء ما هو مستعمل في أيامنا هذه في العراق ، دون أن يطرأ عليه تبديل أو تغيير في اللفظ ، ونعني بذلك لفظتي (البيدر) و (الجوخان) ، وإن كانت الأخيرة تطلق غالباً بإبدال الجيم ياء ، على طريقة

[1] ابن هشام : مغني اللبيب ٢/ ٤٧١ الشاهد ٧٢٧ .

[2] - أبو عبيد : غريب الحديث ١/ ٤٨٠ - ٤٨١ .

[3] - الإتقان ١/ ١٢٢ .

[4] - القواصر : أوعية من خوص ، وهي مشهورة في العراق .

[5] - غريب الحديث ٣ / ٩٦ - ٩٧ .

قديمة معروفة من لغات العرب[1] . وهي اليوم مستعملة لدى كثيرين في جنوب العراق ، بل ودول الخليج العربي كافة . واللفظة معروفة في البصرة وما جاورها من محافظات القطر .

ويذكر الأصمعي أن كلمة (شايحتُ) في لغة قيس وتميم : حاذرتُ ، وفي لغة هذيل: جَدَدْتُ في الأمر[2] .

ويرى الدكتور[3] إبراهيم أنيس أن هذا الضرب من الألفاظ هو الحري بأن يطلق عليه اسم (المترادف) .

٢- أن يكون للشيء الواحد في الأصل اسم واحد ، ثم يوصف بعد ذلك بعدة صفات مختلفة دالة عليه . وإذا بتلك الصفات تُعَدُّ أسماء له مع كثرة الاستعمال وطول الزمن ، إذ ينسى المتحدثون ما وضعت له تلك الألفاظ في البدء ، وهو الوصف . مثل الأسد وصفاته ، والسيف وصفاته ، على ما بيّناه في كلام سالف ، وتحدثنا عن الخلاف بين اللغويين فيه ، كأبي علي وابن خالويه .

٣- الاقتراض من اللغات الأجنبية التي جاورت العربية قبل الاسلام وفي عصر صدر الإسلام ، واتصل العرب بأهلها على نحو من الأنحاء ، كالتجارة والسياحة ، وما إليهما . ومن هذه اللغات الفارسية والرومية (اليونانية) والقبطية والسريانية والحبشية .. فقد اقترضت العربية من الفارسية الدمقس ، والاستبرق ، للحرير . والبُهرج للباطل ، والبَخت للحظ وألفاظاً أخرى غير هذه . ولكنها عرّبتها بألسنتها بما يوافق قوانينها الصوتية والبنيويّة ، ومنها الأوزان والصيغ . ولهذا استعمل القرآن من هذه الكلمات التي ذكرنا (الإستبرق)[4] واقترضت العربية من الرومية عدة ألفاظ ، ذكروا منها (القسطاس) وهو الميزان ، ويعبَّر به عن العدالة ، كما يعبر عنها بالميزان[5] ، قال تعالى : { وزنوا

---

[1] - وذلك كقولهم : باهيت ، وباهجت . ويذكر ابن الجوزي أن أهل بغداد في عصره كانوا يسمون المسجد : مسيد بإبدال الجيم ياء .

[2] - القالي : الأمالي ١/ ٢٥٨ .

[3] - اللهجات العربية ص ١٣٩ .

[4] - الكهف :٣١ ، الدخان : ٥٣ ، الرحمن :٥٤ ، الإنسان :٢١ ، وأصلها : استبره ، بالهاء فأبدلوا عند التعريب هذه الهاء قافا .

[5] - الراغب : مفردات ألفاظ القرآن ص ٤١٨ (قسط) .

بالقسطاس المستقيم ﴾ (الإسراء : ٣٥) ، كما اقترض منها (الكانونين)[1] : الأول والثاني ، وهما الشهران العربيان المعروفان .

والاقتراض ظاهر لغوية عامة ، لا تكاد تخلو لغة من لغات العالم قديماً وحديثاً منها. وقد تبين لنا ذلك في كلامنا على اللغات وأنواعها ، وخاصة اللغات الجزرية ، إذ رأينا أن بعضها يقترض – غالباً – من بعض . وقد أثّرت العربية في كثير من اللغات القديمة والحديثة ، في إقراضها طائفة من الألفاظ ، على ما سنبينه إن شاء الله عند كلامنا على وسائل نمو اللغة العربية، في بحث مسألة الاقتراض .

وبهذا فإن الاقتراض يثري اللغة بالمترادفات . ويذكر ستيفن أولمان أن اللغة الإنجليزية " قد فتحت الباب على مصراعيه للاقتراض من اللغة اللاتينية وما تفرع عنها من لغات[2] . وقد عملت بذلك على إثراء مصادر الترادف فيها إثراء واسعاً "[3]. وقد عد الدكتور كمال محمد بشر[4] هذا الذي ذكره ستيفن " لفتة طيبة ... قد يستفاد منها عند دراسة الترادف في اللغة العربية " .

ويمكن أن نطلق على هذا الضرب من الاقتراض الذي عرفته العربية وغيرها من اللغات اسم (الاقتراض الخارجي) .

٤- وهناك في مقابلة ضرب آخر من الاقتراض نسميه (الاقتراض الداخلي)[5] وهو اقتراض العربية من العربية ، أو بعبارة أخرى : اقتراض قبيلة من قبيلة كلمة ، وذلك " نتيجة الغزو، أو الهجرات، أو الاحتكاك بين القبائل . فيصبح للمعنى الواحد أكثر من كلمة واحدة "[6]. وقد تكون الكلمة المقترضة من قبيلة أخرى، أخف وأسلس في الجرس، فتغدو لها لدى المقترضين قيمة أسمى وأرقى في الاستعمال . وقد أجمع الرواة

---

[1] يُنظر : العين ٥/ ٣٨٢ (كن) ، قال " والكانونان شهران في قلب الشتاء رومية "

[2] وهي اللغات التي تسمى : الرومانسية ، كالإنجليزية والفرنسية وما إليهما .

[3] دور الكلمة في اللغة ص ٩٩ .

[4] حاشية ص ٩٩ من كتاب ستيفن أولمان . دور الكلمة في اللغة .

[5] هذه التسمية لنا ، وقد وجدنا ستيفن أولمان يذكرها ، ينظر المصدر نفسه ص ١٥١ .

[6] اللهجات العربية ص ١٤٣ .

على أن قبيلة قريش كانت تتخيّر من لهجات العـــرب فـــي المواسـم، الأدبيــة والدينيــة والتجارية، ما خفّ على اللسان . وحَسُنَ في الأسماع، حتى لطُفت لهجتهم وجاد أسلوبهم[1] .

وبذلك يتبيّن لنا أن للترادف فائدة واضحة، وهي منح المتكلم طاقة على التصـــرف في التعبير، وقدرة على أداء الأصوات وإخراجها، وتخيُّر الألفاظ الملائمة لمقتضى الحال، والمواقف المختلفة .

ولعل قصة واصل بن عطاء[2] (ت ١٨١ هـ) تعبّر عن ذلك خير تعبير، وذلك حين هجاه بشار بن برد . وكان عطاء ألثغ لا ينطق الراء، فتجنّب في كلامه كل كلمة فيها هذا الحرف، حين بلغه هجاء بشار له، فقال : " أما لهذا الأعمى الملحِد، أمــا لــهذا المشــنّف المكنّى بأبي معاذ من يقتله ؟! أما واللهِ لولا أن الغيلَة من سجايا الغالية، لبعثت إليــه مــن يبعج بطنه على مضجعه، ويقتله في جوف منزله وفي يوم حفْله ..." [3] . فتجنب الراء فــي كلامه مراراً مستعملاً ألفاظاً خالية منها مرادفة لتلك الألفاظ التي فيها الراء ، مع " قلــة ظهور التكلف فيه " ، كما قال أحد القدامى فيه . وذلك أنه استعمل المُشــنّف بــدلاً مــن المُرَعَّث[4] ، والملحد بدلاً من الكافر . وذكر الغالية[5] بدلاً من المنصورية والمغيريــة[6] ، بسبب الراء التي فيهما . واستعمل بَعَثَ بدلاً من أرسل ، ومضجع بدلاً مــن فــراش[7] . وكان واصل إذا أراد أن يذكر (البُرّ) ، قال : (القمح) أو (الحنطة) ، مع أن القمــح لغــة شامية ، والحنطة لغة عراقية كوفية . والبُر أفصح منهما ، ولذلك استعمله الشــعراء فــي أشعارهم حين نسجوها باللغة العربية الفصحى المشتركة ، كقول أبي ذويب الهذلي :

---

[1] - اللهجات العربية ص ١٤٣ .

[2] - هو واصل بن عطاء الغزّال المعتزلي ، متكلم كبير ، كان يحضر مجلس الحسن البصري ، ثم اعتزله حين ظهر الخلاف في مسألة مرتكب الكبائر ، ذاهباً إلى أنه لا مؤمن ولا كافر ، بل في منزلة بين المنزلتين ، وهو أنه فاسق . فتبعه عمرو بن عبيد . فقيل لهما ولأتباعهما : معتزلة .

[3] - البيان والتبيين ١٦/١ .

[4] - المرعث : الذي يلبس الرعثات وهو القرط في الأذنين ، وكان بشار يلبسه .

[5] - الغالية : الذين يغالون في اعتقاداتهم ، بأن يصفوا النبي (صلى الله عليه وسلم) أو أهل بيته بصفات ترقى ... ... بغير ذلك . وقد يعبر عنهم بـ (الغلاة) .

[6] - المنصورية والمغيرية فرقتان من الفرق الإسلامية المنقرضة

[7] - البيان والتبيين ١/ ١٧ .

لا تدري إن أطعمت نازلهم     قرف الحتيّ وعندي البُرّ مكنوز [1]

ومنه بيت لأمية بن أبي الصلت، وآخر لبعض القرشيين في مدح قيس بن معد يكرب ومقدمه لمكة. ومنه القول المروي عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): " ألا ترون أني لا أعرف رقيق العيش؟ لُبابَ البُرّ بصِغار المِعْزَى"، إلى أحاديث أخرى مروية عن السيدة عائشة والحسن البصري[2]. وهذا يعني أن هذه اللفظة هي الأفصح دون اللفظتين الأخريين: الحنطة والقمح وإن كانت هاتان فصيحتين أيضاً.

وقد علل الجاحظ هذا الاختلاف الذي يلحظ في ألفاظ أهل الأمصار. وهو الاختلاف الذي يُشعر بترادف تلك الألفاظ، علله بأن " أهل الأمصار إنما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب، ولذلك تجد الاختلاف في ألفاظ من ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر "[3].

ومهما يكن من أمر، فإن الترادف بين الألفاظ في أية لغة ـ ومنها العربية ـ يتيح الفرصة للانتقاء، واستعمال اللفظ المناسب في الموضع المناسب من الكلام وبحسب مقتضيات الحال، والظروف المحيطة بالمتحدث على نحو ما رأينا في كلام واصل بن عطاء، وقدرته على التصرف في اختيار الألفاظ من بين المترادفات، لينفي ما يقع فيه مثله من اللثغة[4] عند النطق.

ومازالت المترادفات ترفدنا باللفظ الذي نريد كلما أشكل علينا معنى أحدها، فنتركه إلى غيره، ونستعمل ذلك اللفظ دونه. ومن هنا نجد أدباءنا وكتّابنا وخطباءنا لا يزالون يستعملون ألفاظاً باتت تطرق الأسماع مراراً، ولا يكادون يعوجون على لفظ معجمي مرادف لها إلا قليلاً. والمسألة بعد هذا نسبية تختلف من شخص إلى آخر، بحسب ثقافته اللغوية وتنقيره وبحثه في بطون كتب اللغة القديمة والمعجمات اللغوية.

[1] القرف: القشر، والحتي: سويق المقل، وقيل: رديئه، وقيل: يابسه.

[2] البيان والتبيين ١/ ١٧ ـ ١٨

[3] البيان والتبيين ١/ ١٨

[4] وهي، فيما يذكر الجاحظ، تكون بالراء والياء. والتي بالعين أقلها قبحاً، على حد قوله. ويبدو أن واصلاً كان يلثغ بالدال أو بالياء، لأن الجاحظ وصف لثغته بأنها قبيحة وفاحشة. ينظر البيان والتبيين ١/ ١٤ و ١٥.

يقول ستيفن أولمان[1] : " أن المترادفات في حالات الضرورة ، قد يكون لــها دور أكثر ... أهمية وخطورة في نظام التعامل باللغة . فإذا تطرق الغموض مثلاً إلى كلمة من الكلمات ، بحيث تصبح غير وافية بالغرض ، فالغالب أن نلجأ إلى كلمة أخـرى مرادفــة لها، كي تسد هذا النقص " .

رأي اللغويين العرب المعاصرين :

وإذا أردنا أن نقف على رأي اللغويين العرب المعاصرين في موضوع الترادف ، ألفيناهم لا ينكرون الترادف بعامة ، وإنما هم يحدونه بحدود ويقيدونه بقيود ، ولا يطلقـون القول فيه كما أطلقه كثير من الأقدمين . وهذا الموقف مبني لديـــهم علـى الاستقراء ، والدراسة الدقيقة .

ومن أقدم من عرض لهذا الموضوع علي الجارم ، إذ كتب بحثاً مسهباً مفصلاً فـي مجلة المجمع اللغوي المصري سنة ١٩٣٥ ، بيّن فيه آراء اللغويين العرب القدامى ، ثـم بيّن بعد ذلك رأيه . وانتهى فيه إلى أن الترادف موجود في اللغة ، إلا أن أمثلتـه ليسـت كثيرة بالصورة التي ذهب إليها فريق من اللغويين . فهو يرى أن المنكرين للترادف فـي العربية مبالغون ، وأن المثبتين له كذلك مبالغون ، إذ يمكن تخريج كثـير مـن الأمثلـة تأويلها على اختلاف بعضها عن بعض من حيث دقة المعنى ، على نحو ما صنع أبـو هلال في (الفروق اللغوية) والرماني والطوسي في تفاسيرهما . وهو ما بيناه بأمثلة وافيـة سابقاً . كما يمكن تأويل بعضها ـــ فيما يذهب إليه الجارم ـ باختلاف اللهجات . فـهذا عنده ليس من الترادف ، كما أن هناك طائفة من الألفاظ ينبغـي إخراجـها مـن صـف المترادف ، لأنها ليست من الترادف في شيء ، بل هي من قبيل الإبدال اللغوي الذي يحل به صوت محل صوت آخر لسبب من الأسباب ، كتقارب مخارجها ، أو الميل إلى الشدة، أو الميل إلى الرخاوة ، على نحو ما نجد مثلاً بين (كمح) و(كبح) ، فكل ما حدث هو قلب أحد الصوتين ، ، نتيجة التطور الصوتي ، الذي هو قانون من قوانين اللغـة ، المشهورة من ظواهرها الثابتة المعروفة . والذي حدث هنا بين هاتين اللفظتين هو قلـب

---

[1] دور الكلمة في اللغة ص ١٠٣ .

الباء ميماً أو العكس ، وذلك لشدة قرب الميم من الباء من ناحية المخـــرج ، إذ كلاهما حرف شفوي [1].

وينصح علي الجارم بعد هذا ، أن يقوم دارسو الترادف من الباحثين ، ببحث دقيق لمعاني الكلمات التي يُظن أنها مترادفة ، فقد نجد بينها ما لا يصح أن يطلق عليه صفة المترادف . وقد طبق هذا المنهج فعلاً ، بأن درس المترادفات الدالة على العمل دراسة دقيقة ، وعددها خمس مئة وثمانون ، فانتهى إلى أن المترادفات الحقيقة منها لا تزيد عن ثلاثة أو أربعة. أما الكلمات الباقية فهي في رأيه صفات ذات معان مستقلة ، ومن ثم لا تعد مترادفات [2].

ومهما يكن من أمر هذه المبالغة التي انتهى إليها هذا اللغوي الباحث ، من تقليل عدد المترادفات في هذا العدد الضخم من الكلمات الدالة على العمل في اللغـــة العربيـة فإنه لا شك يدل على التحفظ الكبير في النظر إلى المترادفات ، وعدم الانسياق مع كثير من القدامى في تكثيرها والمبالغة في أعدادها ، على نحو ما مرّ علينا سالفاً فـــي ... والأسد والعسل والحية ، وما إليها ، مما أحصاه اللغويون المتقدمون .

وممن بحث الترادف من المعاصرين الدكتور إبراهيم أنيس ، فأثنى علـــى بحث أستاذه الجارم ووصفه بأنه " كان موفقاً كل التوفيق " وبين انه حاول التوفيق بين الذين حاولوا إنكار الترادف ، والذين حاولوا إثباته . ثم بيّن أنه " لا معنى لإنكار الترادف ، مع تلك الأمثلة الكثيرة التي جاءتنا بها الأساليب العربيـــة ، وتلـك الروايـــات التـي تثبت صحتها " . واستدل بعد ذلك ببعض الروايات التي وردت فـــي كتـب الحديـث واللغة والأدب، كرواية (السكين) و (المدية) في الحديث الذي رواه أبو هريرة ، والذي ذكرناه في كلامنا السالف من هذا الموضوع . وكذلك الرواية التي تذكرها كتب الأدب ، من أن (وثب) في لغة حمير ، معناها : (قعد) في لغة غيرهم من العرب [3].

وقال الدكتور ابراهيم أنيس متسائلاً بعد ذلك : " بل كيف ينكر المترادف مع وجود تلك الكلمات العربية ، التي لا نلحظ في معانيها فرقاً ، مهما أجهدنا أنفســـنا فـــي التأول

---

[1] - ينظر ما كتبه الدكتور كمال محمد بشر في حاشية كتاب : دور الكلمة في اللغة ص ١٠٦ .

[2] - نفسه ص ١٠٧ .

[3] - اللهجات العربية ص ١٣٩ - ١٤٠ .

والتحايل ، مثل القمح والحنطة والبر " ؟ ثم علل جانباً من الترادف باختلاف اللهجات العربية ، إذ تستعمل إحدى القبائل كلمة ، وتستعمل قبيلة أخرى ، كلمة غيرها ، لها نفس الدلالة . فالصورتان متغايرتان والمعنى واحد .

فلما جاء عصر تدوين اللغة ، وجمعت تلك الكلمات ، دون أن ينسب كثير منها إلى بيئة قبل الإسلام ، وجدنا ذلك الخليط من الكلمات المترادفة الكثيرة ، المروي من اللغة العربية . وهو في ما يذكر الدكتور إبراهيم أنيس: " لا نظير له في أية لغة من لغات العالم " [1].

وانتهى الدكتور إبراهيم أنيس إلى أن الخلاف بين القدامى في إنكار الترادف وفي إثباته يرجع إلى أن المنكرين نظروا إلى تلك الكلمات ، التي قيل أنها مترادفة ، (نظرة تاريخية) ، فرأوها في عصورها الأولى كانت تعبّر عن صفات ، قبل أن تتناسى تلك الصفات فيُظن أنها أسماء . مثل الصمصام والمهند ، والهندواني ، وأمثالها من صفات السيف . على حين نظر الآخرون إلى هذه الكلمات (نظرة وصفية) ، فنظروا إليها كما وصلت إليهم ، دون لمح أصلها وتاريخها ، فوجدوها كلها مؤدية معنى واحداً ، فقالوا إنها مترادفة . وهذا هو ما كان يذهب إليه ابن خالوية ومن تابعه ، والأول رأي أبي علي النحوي ومن على رأيه .

وقد نقد الدكتور إبراهيم أنيس على الفريق الأول رأيهم ، لأنهم " نظروا إلى تاريخ الكلمات وتطورها نظرة سطحية خالية من عمق ، كما لو أن تاريخ الكلمات ونشأتها أمر يعد بالسنوات ، ولم يدر بخلدهم أنه آلاف من السنين " .

وتوصل بعد هذا إلى أن " من العبث البحث في أصل وضع الكلمات ، حين نريد البحث في المترادفات " [2].

فهذا ما ذهب إليه الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه (اللهجات العربية) ، وذهب إلى مثله في كتابه (دلالة الألفاظ) .

---

1. اللهجات العربية ص ١٣٩ ، ١٤٠ .
2. اللهجات العربية ص ١٤١ — ١٤٢ .

إلا أن الدكتورة عائشة عبد الرحمن تذكر[1] أنه " عَدَلَ بعد ذلك عن مذهبه هذا ، وذلك " في مناقشة لأزمة الترادف بلجنة الاصول في المجمع اللغوي " المصري ... وقف مع من أنكروا الترادف " .

وقد يدعو ذلك بادئ ذي بدء للدهشة ، إلا أنه لا ضير فيه في الواقع ؛ إذ كثيراً ما يغير الباحث رأيه ، بعد زمن يطول أو يقصر ، بعد أن تستجد لديه أدلة ، أو يبدو له ... على وهم . وإن كان إنكار الترادف في الواقع أشبه بإنكـــار المسـلّمات ، ومـا ... لإنكاره ، بعد أن شاع هذا الشيوع في كلام العرب ، ولا سيما تلك الألفاظ التي لا ... لإنكار ترادفها مثل : البرُّ ، والحنطة ، والقمح .

وكتب الدكتور علي عبد الواحد وافي عن الترادف ، وهو يرى أنه أهم ما تمتاز به العربية من أخواتها الجزريات . فبيّن أنها قد تجمع فيها من المفردات في مختلف ... للكلمة اسمها وفعلها وحرفها ، ومن المترادفات في الاسماء والصفات والأفعال ... يجتمع مثله للغة جزرية أخرى . بل يندر وجود مثله في لغة من لغات العـالم . وأشار إلى ما جمعه اللغويون القدامى من أسماء مترادفات تعد بالمئات ، كالأسد والثعبان و... وما إليها.

ولكنه أشار إلى أن المستشرق (دوهامر) **De Hammer** ، جمع المفردات العربية المتصلة بالجمل وشؤونه المختلفة ، فوصلت إلى أكثر من خمسة آلاف وستمائة وأربعة وأربعين[2] . مع أن هذا المستشرق جمع كل ما يتعلق بالجمل مـــن أحـــوال وصفات ومعلوم أن الجمل كان من أهم ما يعتز به العربي في حياته ، لأنه وسيلة إلى ما يريد من السفر والعمل والمال والغذاء والديات ، حتى قالوا : " والله فإنها تملأ الفم ، وترقئ الدم " أي تدفع ديات لحقن الدماء في القتول . وقالوا " لا تسبّوا الابل ، فإنها رَقوء الـدم ... " بل انهم أقسموا بها . فقالوا " لا والراقصات ببطن مرّ " وقالوا : " لا والراقصات ببطن جمع " [4].

---

[1] الاعجاز البياني للقرآن ص ١٩٨ . الحاشية (١) .

[2] – علي عبد الواحد : فقه اللغة ص ١٦٣ .

[3] – الجبوري : أيمان العرب في الجاهلية ص ١٤ .

[4] نفسه ص ٢٣ . ومر : من نواحي مكة . ويقال له : مَرّ الظهران . وجمع : هي المزدلفة . أي المشعر الحرام؛ ما بين عرفة ومنى .

والحديث في هذا يطول ، وإنما ذكرنا منه طرفاً لتعرف مكانة الإبل لدى العرب . فهذه الأسماء الكثيرة التي وردت في كلام العرب ، مختصة بالجمل ، إنما أكثرها صفات له ، وليست أسماء مترادفة . هي نعوت له ولأحواله المختلفة ، وشؤونه المتنوعة . وهي لا تخلو من فروق معنوية بينٍ ما يُظن منها أنه مترادف .

فلو رجعنا إلى كتاب فقه اللغة لأبي منصور الثعالبي مثلاً ، لوجدنا ما يدل على هذا الذي قلناه . على نحو ما نجد في الفصل الذي عقده (لترتيب هزال البعير) ، راوياً إياه عن غير واحد من أئمة اللغة . فقد ورد فيه : "بعير مهزولٌ ، ثم شاسبٌ ، ثم شاسفٌ ، ثم خاسف ، ثم نِضوٌ ، ثم رازحٌ ، ثم رازمٌ ــ وهو الذي لا يتحرك هزالاً " [١].

فيُلحظ هنا تدرّج في صفة من صفات الجمل ، وهي الهزال ، وهو تدرج من حال إلى أخرى ، يكون الجمل في الصفة التالية أشد هزالاً منه في الصفة السابقة .

ورد الدكتور علي عبد الواحد على بعض الطاعنين ، وهو من زعم "أنه لا يبعد أن يكون جامعو المعجمات قد خلقوا كثيراً من هذه المفردات . خلقاً ؛ لحاجات في نفوسهم " . فبيّن أن " فساد[٢] هذا الرأي لا يحتاج إلى بيان[٣] " ، ذلك أن التاريخ يثبت لنا أن جامعي المعجمات ، كانوا شديدي الحرص على تحرّي الحق ، وأنهم إنما استخلصوا معظم ما اشتملت عليه معجماتهم من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومن أحاديث الرسول الكريم الصادق (ﷺ) ، ومن الآثار العربية قبل الإسلام ، وخلال العصور الإسلامية الأولى . وكانوا في ذلك على جانب كبير من الحيطة والحذر والانتقاء، إذ تجنبوا من تشوب عربيته شائبة ، ولم يأخذوا إلا من عرب البادية لفصاحتهم، وبُعد لهجاتهم عن التأثر باللغات الأعجمية كالفارسية والسريانية والقبطية والرومية ، وما إليها . بل إنهم اختاروا من بين القبائل العربية الكثيرة قبائل معينة مشهود لها بالفصاحة ، قريش وتميم وأسد وهذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين . فلم يأخذوا من حضري قطّ ، ولا من القبائل التي اختلطت بالأعاجم أو جاورتهم كلخم وجذام وقضاعة وغسّان [٤] وأوضح أنه هنا يستمد من (ديوان الأدب) للفارابي اللغوي رأيه.

---

(١) الثعالبي : فقه اللغة ص ٦٩ .
(٢) أي : تهافت وسقوط وبُطلان هذا الرأي .
(٣) فقه اللغة ص ١٦٣ .
(٤) فقه اللغة ص ١٦٤ – ١٦٥ .

وبعدها ذكر الدكتور علي عبد الواحد الأسباب الحقيقيـــة التــي أدت إلـى كثرة المترادفات . ويهمنا أمران بوضحان رأيه في المترادفات بصورة أوضح . وهما [1]:

١ - إن الأسماء الكثيرة التي يذكرونها للشيء الواحد ، كالسيف ، والأسد، كانت في الأصل صفات لأحوال المسمى الواحـــد ، ثـم تتوسـيت هـذه الأحوال بالتدريج، وتجرّدت من الوصفية ، وغلبت عليها الاسمية . وهو وجه ذهبنا إليه وبيّناه في كلام سالف .

٢ - إن كثيراً من الألفاظ التي تبدو مترادفة ، هي في الواقع ليست كذلك إذ أن بينها فروقاً معنوية ، مثل رمق ولحظ وحدج وشَفَنَ ورنا . فإن كلاً منها يعبر عن حالة خاصة من حالات النظر ، تختلف عن الحالات التي تدل عليـــها الألفاظ الأخرى .

فرمق : يدل على النظر بالعين كلها ، ولَحظ : يدل على النظر من جـانب الأذن وحدج : على النظر مع حدّة ، وشَفَن : على النظر الذي معه تعجب، ورنا : يفيد إدامة النظر في سكون ، وهكذا ... ثم أحال في ذلك إلى كتابي المخصص لابن سـيدة ، وفقه اللغة للثعالبي ، لاستخراج أمثلة كثيرة منهما ، على هذا المنوال الذي وصف .

وبهذا فإن الدكتور علي عبد الواحد ممن يعتقد بوجود الترادف في اللغة العربية ويعده ميزة كبرى لها من بين سائر الجزريات بل لغات العالم كلها. إلا أنه مع ذلك يرى أن الأمثلة التي سبقت للتدليل عليه وأحصتها كتب المتقدمين ، يخرج كثير منها من صف المترادفات لسبب أو أكثر ، دون أن يؤثر ذلك على جوهر الموضوع ، وأهميته في حياة اللغوية .

وذهب الدكتور صبحي الصالح في كتابه (دراسات في فقـــه اللغـــة) إلـى وجود الترادف في العربية [2]. ورأى أيضاً أنه صورة ومظهر لثراء هذه اللغـــة الكريمـة في مفرداتها . وعدّ منه تلك الأوصاف التي تصبح بطول الاستعمال أسماء للمسمى ، مع أنها كانت له في الأصل صفات .

---

[1] - فقه اللغة ص ١٦٨ .

[2] - دراسات في فقه اللغة ص ٢٩٩ .

ورأى أن لا ضير في أن نقول بمقولة من يرى الترادف ممكن الوقوع في لهجتين. فأما في لهجة واحدة فمحال[1] . وعلى هذا الأساس ذهب إلى وجود الترادف في القــرآن الكريم . إلا أنه بنى دليله على أن القرآن نزل بلهجة قريش ، التي لها تعابيرها وأســاليبها ومفرداتها ، والتي اقتبست مفردات من اللهجات العربية الأخرى . فمن هنا حدث الترادف فيها ، وأدى إلى حدوثه في القرآن الكريم .

ومع أننا لا ننكر وجود الترادف في كتاب الله المبين ، إلا أننــا نخــالف الدكتــور الصالح في ذهابه إلى أن القرآن نزل بلهجة قريش ، إذ بيّنا[2] أنه نزل باللهجــة الأدبيــة ، التي يطلق عليها الباحثون اليوم اسم (اللغة المشتركة) ، والتي كانت لهجة قريش نواتــها وصلب مادتها . فهي إذاً أخص من تلك اللغة العامة التي سميت : المشتركة .

وضرب الدكتور الصالح مثلاً للترادف في القرآن بعدة ألفاظ ، رآهــا ذات دلالــة واحدة ، مثل : أقْسَمَ وحلَفَ ، وبَعَثَ وأرسَلَ ، وفضَّلَ وآثرَ ، وسنجد أن رأيه هذا خــلاف رأي الدكتورة عائشة عبد الرحمن ، في مثل هذه الألفاظ ؛ إذ هي تراها غير مترادفة ، بل بينها فروق معنوية دقيقة . وكان أبو هلال سابقاً إلى ذلك كما تقدم .

ويذهب الدكتور محمد خضر في كتابه (فقه اللغة) إلى ما ذهــب إليــه ســابقوه ، كالدكتور علي عبد الواحد ، من بيان ما تمتاز به اللغة العربية من ثروة لغوية جعلت لــها مكانة رفيعة بين اللغات الجزرية . وأن المترادف " ذو أثر كبير في ثروة اللغة اللفظية "[3]. ولعل أهم ما يلفت النظر في كلامه ، قوله: إن أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور الـترادف هي الوحدة السياسية واللغوية، التي تقوم بين كتل بشرية كانت مجزّأة وهذا ينطبق علــى الأمة العربية بعد ظهور الإسلام ، ودخول القبائل المختلفة في دين الله ، والمثل المشــهور في ذلك : السكّين والمُدية[4] . ومن ذلك أيضا ما ذكره من أن الاشتراك قد يحــدث نتيجــة وجود لفظين ذوي معنيين متجاورين ، أي كل منهما قريب الشبه بالآخر . إلا أنهما مــع ذلك مختلفان . ثم يختفي الفرق المعنوي بينهما مع طول الاستعمال ، فيعدّان من الترادف.

---

[1] المصدر نفسه : المكان نفسه .

[2] ينظر ص ١٢٠ من هذا الكتاب : ( موقع لغة قريش من اللغة المشتركة ) .

[3] محمد خضر : فقه اللغة ص ٢٩١ .

[4] المصدر نفسه ص ٢٩٢ .

وضرب لذلك مثلاً : الريب والشك . فقد كانا مختلفين ثم صارا من بعد مترادفين[1] .

وعرض الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه (فصول في فقه العربية) لظاهرة الترادف في اللغة . وأشار إلى ما حصل من مبالغة فيه ، على النحو الذي وصفنا سابقاً وأشار إليه غير واحد من الباحثين واللغويين القدامى والمحدثين . إلا أنه بيّن أن ما يُلحظ من فروق بين لفظة وأخرى أحياناً ، لا يسمح أن يحملنا على إنكار الترادف ، مع الذين أنكروه جملة . يقول : " فإن إحساس الناطقين باللغة كان يعامل هذه الألفاظ معاملة الترادف ، فتراهم يفسرون اللفظة منها بالأخرى " ، وضرب مثلاً ما ورد في جمهرة اللغة[2] عن أبي زيد الأنصاري ، من أنه سأل أعرابياً عن معنى كلمة (المُحبنطي) فقال : المتكأكئ ، فلما سأله عن معنى المتكأكئ ، قال له : المتآرف "[3].

وعرض بعد هذا إلى بيان أسباب كثرة المترادفات في العربية[4] ، ومنها تعدد أسماء الشيء الواحد في اللهجات المختلفة ، فكل لهجة تطلق اسماً ، ثم حدث الاحتكاك بين اللهجات ، ونشأت اللغة المشتركة في تلك الظروف الدينية والاقتصادية والسياسية ، التي سبقت الإشارة إليها .

وضرب الدكتور رمضان لذلك مثلاً اللهجات العربية المعاصرة ، وما فيها من فوارق في التسميات . فالبِطّيخ في مصر هو الرَّقّي في العراق ، والدلاح في ليبيا والحَبْحَب في السعودية ، وما إلى ذلك . ونحن نضيف إليه أيضاً : الشِمْزي والبِيتّي في الموصل وما جاورها . وانتهى المؤلف إلى أن هذا السبب يفسر لنا وقوع الترادف في العربية المشتركة ، أو ما نعرفه باسم اللغة الفصحى ، وخلص منه إلى أننا " نستطيع أن نفهم في ضوئه ما وقع في القرآن الكريم من هذه الألفاظ المترادفة " . وضرب لذلك مثلاً حلف وأقسم ، ذاهباً إلى أنهما يردان " بمعنى واحد " ، في نحو قوله عزّ وجلّ في وصف

[1] نفسه : ص ٢٩٢ ٢٩٣ .
[2] وهو من تأليف ابن دريد الأزدي .
[3] فصول في فقه العربية ص ٢٧٨ .
[4] نفسه ص ٢٧٩ وما بعدها .

المنافقين : { يحلفون بالله ما قالوا } (التوبة : ٧٤) ، وقوله فيهم أيضاً : { وأقسموا بالله جهدَ أيمانهم } (النور : ٣٥) ، ومثل ذلك يمكن أن يقال في كلمتي بعث ، وأرسل في آيات من الكتاب المبين [١].

والحديث بعد هذا يسلم إلى موضوع الترادف في القرآن ، وقد رأينا بعض الباحثين المعاصرين يرى وقوعه في القرآن ،وكذلك الدكتور رمضان، إذ هو يرى أن أبا هلال ومن تبعه ممن يمنعون الترادف ، يتكلفون التفرقة بين القسم والحلف ، بأن يجعلوا الأول أبلغ من الثاني لعلّه لم يرها وجيهة ،ومثل ذلك تفرقة أبي هلال بين البعث والإرسال [٢].

وبعد هذا سنجد أنفسنا أمام رأي الدكتورة عائشة عبد الرحمن في موضوع الترادف في العربية بعامة ، وفي كتاب الله بخاصة . لقد صنعت الدكتورة عائشة معجماً صغيرا في أحد فصول كتابها : (الإعجاز البياني للقرآن ، ومسائل ابن الأزرق) . قدمت له بكلمة تأريخية عن الترادف ، ذكرت فيها أقوال الفريقين من القدامى : المثبتين له ، والمنكرين . كما عرضت آراء عدد من المحدثين مثل الدكتور علي عبد الواحد ، والدكتور إبراهيم أنيس ، وبعض أعضاء المجمع اللغوي المصري . ولم تقطع برأي في ذلك ، بل رأت أن " من الحق ألا نأخذ في القضية برأي؛ دون عرضها على الكتاب العربي المبين ، لأنه الذي يحسم ذلك الخلاف الذي طال " .

وتقصد بذلك القرآن الكريم . وانتهت من ذلك إلى أن استقراءها " لألفاظ القرآن في سياقها ، أنه يستعمل اللفظ بدلاله معينه ، لا يمكن أن يؤديها لفظ آخر في المعنى الذي تحشد له المعاجم وكتب التفسير عدداً قلّ أو كثُر من الألفاظ " [٣].

وانبرت الدكتورة عائشة بعد ذلك تعرض معجمها القرآني ، موازنة بين ألفاظ يظن للوهلة أنها متفقة المعنى اتفاقاً تاماً . أو بعبارة أخرى : مترادفة ، مثل : الرؤيا والحلم ، وآنس وأبصر ، والحلف والقسم ، والتصدّع والتحطّم ، والخشوع والخشية ، والخضوع والخوف ، والزوج والمرأة . وكذلك ألفاظ ترجع الى مادة واحدة ، مع اختلاف بينها في الصيغ ، مثل : أشتات وشتّى ، والإنس والإنسان ، والنعمة والنعيم .

---

١- نفسه ص ٢٧٩ .

٢- نفسه ص ٢٨٠ .

٣- عائشة عبد الرحمن : الإعجاز البياني للقرآن ص ١٩٨ .

وانتهت من دراسة هذه الألفاظ في سياقها القرآني ، إلى أن بينها فروقـاً معنوية دقيقة . ففي الرؤيا والحلم مثلاً لاحظت أن أرباب المعجمات يفسرون الحلم بالرؤيا ، ثم تساءلت : هل كان العرب الخُلّص في عصر المبعث بحيث يضعون أحد اللفظين مكان الآخر حين تحداهم القرآن أن يأتوا بسورة من مثله ، فيقال مثلاً : أفتوني في حلمي إن كنتم للحلم تَعْبُرون ؟ . ثم أجابت : "كلاّ ، لا يقولها عربي يجد حِسَّ لغته سليقة وفطرة" .

ثم بينت أنها حين استقرت موضوع ورود اللفظين في القرآن ، وجدت أنهما لا يترادفان ؛ فقد " أستعمل القرآن الأحلام ثلاث مرات ، يشهد سياقها في أنها الأضغاث المشوّشة ، والهواجس المختلطة " .

ولاحظت كذلك أن هذه المواضع الثلاثة تأتي فيها اللفظة " بصيغة الجمع دلالة على الخلط والتشويش " ، نحو قوله تعالى : { بل قالوا أضغاث أحلام } (الأنبياء : ٥) .

على حين وجدت الرؤيا قد " جاءت في القرآن سبع مرات ، كلها في الرؤيا الصادقة . وهو لا يستعملها إلا بصيغة المفرد ، دلالة على التمييز والوضوح والصفاء وقد جاءت الرؤيا من بين المرات السبع ، خمس مرات للأنبياء ، كرؤيا إبراهيم عليه السلام : { وناديناه أنْ يا إبراهيم قد صدّقْتَ الرؤيا } (الصافات : ١٠٥) ، ورؤيا يوسف عليه السلام : { قال يابُنَيَّ لا تقصُصْ رؤياك على إخوتك } (يوسف : ٥) ، ورؤيا المصطفى محمد (ﷺ) :{ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءيَا الَّتِي أَرَيْنَكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ } (الإسراء : ٦٠) { لقد صَدَقَ الله رسوله الرؤيا بالحقِّ لتدخُلُنَّ المسجد الحرام إن شاء الله آمنين } (الفتح : ٢٧) . وغير ذلك .

وعلى هذا المنوال من استقراء موارد هذه الألفاظ ، تمضي الدكتورة عائشة في دراستها ، منتقلة إلى لفظتي : آنسَ وأبصرَ ، وغيرهما من الألفاظ التي أوردنا آنفاً .

وتخلص المؤلفة من هذا كله إلى القول : " واكتفي بما قدّمت من شواهد تؤيد ما ذهب إليه المحققون من أهل اللغة ، في إنكار القول بالترادف ، إلا أن يجيء في لغتين فأما أن يجيء في لغة واحدة ، فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد ، كما يظن كثير

من النحويين واللغويين " . وهي في هذا تستمد من أبي هلال العسكري في (الفروق اللغوية) . وقد أشارت إلى ذلك [1].

ولم تُخفِ الدكتورة عائشة ، على علمها وطول مراسها للتفسير الأدبي للقرآن الكريم ، أن تعترف بقصورها وعجزها عن لمح فروق الدلالة لبعض ألفاظ قرآنية تبدو مترادفة [2].

والذي نريد أن نبينه هنا : أن الذي ذهبت إليه الدكتورة الفاضلة في مثل هذه الألفاظ التي لا تنسب إلى لهجات عربية ، هو عين الصواب . فليست هذه الألفاظ متحدة المعنى تماماً ، بل بينها فروق دقيقة في عدة مواضع من القرآن ومن هنا فإنها في هذا على خلاف ما يراه الدكتور الصالح والدكتور رمضان . إذ كانا يريان الحلف والقسم واحداً مثلاً على حين تراهما متباينين، محتكمة في ذلك إلى النص القرآني ، الذي وردت فيه مادة . (ح ل ف) في ثلاثة عشر موضعاً ، " كلها بغير استثناء في الحِنث باليمين " ، على حين وردت مادة (ق س م) في صيغها الدالة على اليمين مثل : أقسم ، وقَسَمٌ ، "في الأيمان الصادقة " . وقد بيّنت ذلك كله معززاً بشواهده القرآنية . فضلاً عن الرجوع إلى كلام العرب في استعمال الحلف ، إذ بيّنت أنه يرد في كلامهم أيضاً لليمين الكاذبة ، كقولهم : حِلفة فاجر ، وأحلوفة كاذب ، ولم يسمع حلفة بَرٍّ ، وأحلوفة صادقة ، إلا أن يأتي في بيت شعر [3] . وللشعر أحكامه وضروراته .

ويبدو أن أول من فرق بين الحلف والقسم أبو هلال . ولا نجد للراغب تفريقاً بينهما ، مع ما عرف عنه من دقة في التفريق بين المعاني وتحديد للدلالات في ضوء استعمال القرآن للفظ في مواضعه المختلفة . فلو رجعنا إلى معجمه المشهور (مفردات ألفاظ القرآن) ، وجدناه يجعل الحلف والقسم بمعنى واحد ، يقول [4] : " وأقسم : حلف ، وأصله من القَسامة ، وهي أيمان تُقْسَم على أولياء المقتول ، ثم صار اسماً لكل حلف ، قال تعالى : { لا أقسمُ بيوم القيامة ولا أقسمُ بالنفس اللوّامة } .

---

[1] - الإعجاز البياني للقرآن ص ٢١٩ – ٢٢٠ .

[2] - نفسه ص ٢٢٠ .

[3] - الإعجاز البياني للقرآن الكريم ص ٢٠٤ ، كقول الأعشى مثلاً : حلفتُ له بالراقصات الى منى .

[4] - مفردات ألفاظ القرآن ص ٤١٨ (قسم) .

فيلحظ من هذا الكلام والشواهد القرآنية التي أوردها الراغب نفسه لا يفرق بين الحلف والقسم ، وإنما يراهما بدلالة واحدة . على حين فرق بينهما قديماً ... وحديثاً الدكتورة عائشة عبد الرحمن .

على أن الذي ذكره الراغب في مقدمة معجمه المذكور آنفاً ، يطلعنا على أن بين كثير من الألفاظ المترادفة فروقاً معنوية ، تميز بعضها من بعض.

وكلامه يدل على أن وجود هذه الفروق بين تلك الألفاظ ، لا ينقض تسميتها (المترادفات) . يقول : " وأتبع هذا الكتاب إن شاء الله ... بكتاب ينبئ عن تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد ، وما بينها من الفروق الغامضة "[1].

وضرب لذلك مثلاً ما ورد في القرآن ، من " ذكره القلب مرة والفؤاد مرة والصدر مرة " . وكان يرى أن (الحمد) غير (الشكر) ، وأن (الريب) غير (الشك) ... مثل هذا الفهم لازماً لكل من قصد إلى تفسير كتاب الله المبين " . وقد صدق ذلك على كثير من الألفاظ التي عرض لتفسيرها في كتابه . ففرق مثلاً بين (اللب) و(العقل) : " اللُّب : العقل الخالص من الشوائب ، وسُمّي بذلك لكونه خالص ما في الإنسان من معانيه ، كاللباب واللبّ من الشيء وقيل : هو ما زكا من العقل ، فكل لب عقل وليس كل عقل لباً ولهذا علّق الله تعالى الأحكام التي لا يدركها إلا العقول الزكية بأولي الألباب نحو قوله تعالى : { ومن يُؤتَ الحِكمة فقد أوتي خيراً } إلـى قولـه تعـالى : { أولو الألباب } ، ونحو ذلك من الآيات "[2] .

أو بعبارة أخرى : إن الراغب يلحظ أن اللب أخـص مـن العقـل ، وأن بينهما خصوصاً وعموماً . وبذلك فرّق بين معنييهما ـــ كما ترى ـــ مثل هذا التفريق الدقيق . وأمثلة ذلك كثيرة اجتزأنا منها بهذا المثال لئلا نطيل .

والذي لا نشك فيه ، هو أن في القرآن الكريم ألفاظاً مترادفة . إذ أنه نزل بلغة العرب المشتركة ، كما بيّنا ذلك ، وهي اللغة العامة التي لم تقتصر علـى لهجـة مـن لهجات العرب، بل تضمنت عناصر لغوية أعم من ذلك . وأما وصف القرآن بنزوله بلغة قريش

---

1 - مقدمة (مفردات ألفاظ القرآن ) للراغب : ص .

2 - مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٦٦ (لب) .

فهو كما بيّنا في الحديث عن اللغة المشتركة : مبني على التغليب ، إذ كانت هذه اللغة ـ أو كما نسميها : اللهجة ـ نواة هذه اللغة المشتركة وصلبها . ويكاد اللغويون يجمعون على أن فيه من لغات العرب ألفاظاً ، كلفظة (سامِدون) في قوله تعالى : { **أفمن هذا الحديث تعجبون * وتضحكون ولا تبكون * وأنتم سامدون** } (النجم : ٥٩ – ٦١) . فقد فُسّرت هذه اللفظة بـ (لاهون)[2] ، وهو المروي عن عبد الله بن عباس في سؤال نافع بن الأزرق له ، قال : " السمود : اللهو والباطل " ، وأنشد لهذيلة بنت بكر وهي تبكي قوم عاد :

| | |
|---|---|
| ليت عاداً قبلوا الحق (م) | ولم يُبدوا جحودا |
| قيل : قم فانظر إليهم | ثم دعْ عنك السُمودا [3] |

وقد روي عن ابن عباس أيضاً ، أنه لغة لِحمْيَر[4] .

وقد جاءت هذه اللفظة فاصلة ، كما هو واضح من سياق الآية التي وردت فيها في النص القرآني الذي ذكرناه آنفاً . وانتهت بحرف الروي (النون) ، فجاءت لذلك متسقة ومتناغمة مع الفاصلتين اللتين سبقتا في الآيتين اللتين قبلها . ولم يستعمل القرآن هذه اللفظ إلا في موضوع واحد ، على حين استعمل ما يُرادِفها في صيغ مختلفة ست عشرة مرة . فجاءت اسم فاعل في قوله تعالى : { **لاهيةً قلوبُهُمْ** } (الأنبياء : ٣) ، واسماً في قوله تعالى : { **وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضّوا إليها وتركوك قائماً** } (الجمعة : ١١) .

فيتبين لنا من ذلك أن (سامدون) و (لاهون) لفظتان مترادفتان في لغة القرآن ، وهي اللغة المشتركة التي وصفنا .

وروي عن ابن عباس أيضاً أن (ييأس) يعني : يعلم في لغة بني مالك ، وقد فسّرها في قوله تعالى : { **أفلم ييأس الذين آمنوا أنْ لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً** } (الرعد : ٣١) ، فقال : " أفلم يعلم في لغة بني مالك " ، وأنشد قول الشاعر :

---

(١) ص ٩٣ من كتابنا هذا .
(٢) أبو عبيد : غريب الحديث ٤/ ٤٨١ .
(٣) السيوطي : الإتقان ١/ ١٢٢ .
(٤) غريب الحديث ٤/ ٨١ .

لقد يئس الأقوامُ أني أنا ابنهُ　وإن كنتُ عن أرضِ العشيرة نائي[1]

ومعلوم أن القرآن استعمل مادة (ع ل م) في عدة مواضع : بدلالتها المعروفة في اللغة . وجاءت صيغها متنوعة ، ومنها صيغة الفعل المضارع المنفية بلم في مواضع كثيرة ، من مثل قوله تعالى :

**{ ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالداً فيها }** (التوبة : ٦٣) ، وقوله : **{ ألم يعلموا أن الله يعلم سرّهم ونجواهم }** (التوبة ٧٨) إلا أنها اللفظة الأشهر الأسيَرَ في العربية .

ومما سلف يتبين لنا أن لفظة (ييأس) وردت في كلام الله المجيد مرادفة للفظ (يعلم) .

وإذا تجاوزنا الألفاظ التي نسبت إلى قبائل وبيئات معينة كما رأينا ، وردت مراد لألفاظ أعم وأسيَر وأشهر منها في القرآن ، وجدنا منها عدة ألفاظ . فقد استعمل القرآن موضعين (الزخرف)[2] ، واستعمل (الذهب) في ثمانية مواضع[3] . وهما لفظان مترادفان في استعمال القرآن . فقد كان من مطالب المشركين المادية التي اقترحوها ، لكي يؤمنوا بالنبي محمد (ﷺ) ، أن يكون له بيت من زخرف ! : **{ أو يكون لك بيتٌ من زُخرف }** وقال الراغب[4] : " الزخرف : يعني الذهب " . واستعمل القرآن (المودّة) كما استعمل (المحبّة) ، وهما لفظان مترادفان ؛ إذ لا يبدو من استعماله لهما في المواضع المتعددة التي وردا فيها ، أن بينهما فروقاً معنوية . ولم نجد أيضاً من رأى مثل هذه الفروق . قال تعالى في المودّة : **{ ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردّونكم بعد إيمانكم كفّاراً }** (البقرة : ١٠٩) ، فهذا الودّ فيه ما فيه ضرر وأذى ، وهو ودّ الكافرين في أن يعود المؤمنون كما كانوا قبل إسلامهم ، أي : كافرين . ثم هناك الود الذي هو نقيض هذا وعكسه ، وهو ودّ الخير والإيمان والصلاح ، والأماني الطيبات لم يُوَدُّ : **{ قل لا أسألكم عليه أجراً**

---

[1] - الإتقان ١/ ١٢١ .

[2] - الأسراء : ٩٣ ، والزخرف : ٣٥ .

[3] - وهي : آل عمران ١٤ و ٩١ ، والتوبة : ٣٤ ، والكهف : ٣١ ، والحج : ٢٣ ، فاطر : ٣٣ ، الزخرف : ٥٣ ، ٧١ .

[4] - مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٤٦ ، (زخرف) .

المودّة في القربى } (الشورى :٢٣) : { عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودّة } (الممتحنة :٧) .

وبمثل ما استعمل القرآن المودة استعمل المحبة ، فهي تَرِدُ في ودّ الشرّ كما تَرِد في ودّ الخير ، فقد قال تعالى : { هأنتم أولاء تحبّونهم ولا يحبّونكم وتؤمنون بالكتاب كلّه } (آل عمران : ١١٩) ، { أيُحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه } (الحجرات : ١٢) ، فهذا مما لستعمل فيه الحب في الشر ، وهو قليل في النص القرآني ، واكثر منه بكثير ما كان للخير ، من مثل قوله تعالى : { ولكنّ الله حبّب إليكم الإيمان وزيّنه في قلوبكم } (الحجرات : ٧) ، { وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين} (البقرة : ١٧٧) ، { وألقيت عليك مَحَبّة منّي } (طه :٣٩) ، إلى آيات كثيرة .

فالمودة والمحبة ، كما ترى ، قد استعملا في القرآن على حد واحد من الدلالة ، فهما إذاً لفظان مترادفان ؛ لأننا وجدنا من دراستهما في آياته أنهما بمعنى واحد .

ويمكن أن يقال مثل هذا في ألفاظ أخرى ، مثل : (يصدّون) [1]، (يُعرِضون) [2] ، و(البعولة) [3] وَ (الأزواج) [4] و (الحرث) [5] و (الزرع) [6] و (الوقر) [7] و(الصمم) [8] ...

ولا نريد أن نزيد على ما قدمنا ، من أن في القرآن ألفاظا مترادفة لا نجد بينها فروقا معنوية . وهي إما ألفاظ أضيفت إلى لهجة في قبيلة أو بيئة واحدة ، وردت مع ألفاظ أخرى في لغة القرآن ، وهي اللغة الفصحى المشتركة ، كالذي رأيناه سالفا في تلمس : سامدون ، ولاهون ، ونحوهما من ألفاظ مترادفة . وإما ألفاظ لم تُضف إلى لهجة

---

في آيات كثيرة ، منها : النساء : ٥٥ ، النحل : ٩٤ بصيغة الفعل الماضي ، وبصيغة المضارع في مثل الزخرف : ٣٧، ٥٧ ، والنساء ٦١ ، كما ورد اسماً .

في آيات كثيرة كذلك ، كما في المائدة : ٤٢ ، الإسراء : ٢٨ ، النساء : ١٣٥ .

ورد جمعاً في أربع مرات : البقرة : ٢٢٨ ، والنور : ٣١ ثلاث مرات . كما ورد مفردا في موضعين : النساء : ١٢٨ ، وهود : ٧٢ .

في موضع واحد مجموعاً في البقرة : ٢٣٢

في عدة مواضع ، كما في البقرة : ٧١ ، ٢٠٥ . وآل عمران : ١٤ ، ١١٧ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ....

في مواضع منها : الأنعام : ١٤١ ، الرعد : ٤ ، إبراهيم : ٣٧ .

في ستة مواضع منها : فصلت : ٥ ، ٤٤ .

في نحو ١٥ موضعاً كما في المائدة : ٧١ .

معينة أو بيئة متميزة ، وإنما وردت مترادفة في النـــص القرآنـــي ، فـــي نطـاق اللغـ المشتركة. كما في كلمتي : زُخرُف ، وذهب ، ونحوهما من الألفاظ .

ولا بد لنا في خاتمة كلامنا على الترادف في رأي المعاصرين من البـاحثين ، نشير إلى جهد باحث عراقي ، كتب في هذا الموضوع الشائك المتشـــعب كتاباً [1] ، رسالة جامعية . وفيه جهد طيب ، وتتبع لأقوال القدامى ومناقشة لها ، وقد سماه (الترادف في اللغة) ..

يذهب الباحث في كتابه هذا إلى وجود الترادف في العربية ، ثـــم يذكـر أسبـ ويناقشها . ومما يلفتنا من تلك المناقشة ، أنه يرى الترادف ممكن الوقوع في لغة واحدة وليس في لغتين أو أكثر ، وأن الذين أنكروه كابن درستويه والعسكري ، إنما نظروا إلى اللغة العربية على أنها (لهجة واحدة)، وهذه في ما يرى : " نظرة قد أغفلت تداخل اللغ واختلاطها ، ومسألة اختلافها في التسمية وتعددها باختلاف القبائل " . ثم أشـار إلـى العربية المشتركة " ليست لهجة واحدة بعينها ، وإنما خليط متجانس من هذه اللهجات ، ضمّت كثيراً من ألفاظ لغات القبائل المختلفة " ، كما أنها " أغفلت مسألة دخـول الألفـا الأعجمية إلى العربية التي لها نظائر فيها من حيث الدلالة ، والتي صارت جزءاً من ذ هذه اللغة " .

ثم بيّن بعد ذلك أننا " إنما نبحث عن الترادف في اللغة العربية المشتركة، وليس في لهجة واحدة بعينها ، تلك العربية التي تمثل مجموع اللهجات العربية ، والتي دخلتها لغا من لغات الأمم الأخرى " [2].

ومن هنا لم يجد هذا الباحث " تعارضاً بين إنكار هؤلاء للترادف في اللغة الواحدة وقولنا بالترادف في العربية المشتركة ، وذلك لاختلاف المجالين " .

على أن الباحث لا ينفي مع ذلك الترادف في لهجة واحدة ، لأنه لا يستبعد وقـو القليل منه ؛ بسبب تأثر هذه اللهجة باللهجات الأخرى نتيجـة احتكاكـها بـها ، وبسبب اقتباسها من لغات أجنبية . فضلاً عن أن ألفاظ اللهجة الواحدة ليست بمنأىً عن " التطور الدلالي الذي قد يؤدي إلى الترادف " . وليس من فرق في الترادف بين اللهجة الواحـ

---

[1] - طبعت هذا الكتاب دار الرشيد التابعة لوزارة الثقافة والإعلام العراقية سنة ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ .

[2] - حاكم مالك لعيبي : الترادف في اللغة ص ٢٠٧ .

وبين اللغة المشتركة سوى قلته في الأولى وكثرته ووضوحه في الثانية . فهي إذاً لا تعدو الكم[1]. وهو رأي وجيه ومقبول .

وبيّن الباحث أنه لا يريد بهذا القول " إنكار التباين والفروق بين المترادفات جملة وتفصيلاً " . بل يذهب إلى التباين الوضعي في ألفاظ اللغة ، وذلك بأن يكون التباين هو الأصل ، في معظم الألفاظ المترادفة ، فقد كانت " متباينة بحسب أصلها في اللغة ، وتبعاً لدلالتها القديمة ، بيد أن هذا التباين قد أُغفل وتنوسي فيها حتى صارت تستعمل بمعنى واحد "[2].

وبهذا ننهي حديثنا عن الترادف في العربية ، بعد أن جمعناه من أطرافه، وتناولناه بشيء من التفصيل ، وكفاية في الإيضاح .

وبالترادف ننهي حديثنا عن خصائص العربية ، وقد أوليناها ما تستحق من أهمية . وهذه الخصائص هي ما يذكر عادة في العربية وفقهها .

وهناك خصائص أخرى هي ألصق بالبلاغة ودراساتها منها باللغة وفقهها . وهي في الأظهر تنحصر في أمرين :

١- المجاز ، وسماه بعض المعاصرين : (التصعيد)[3] .

٢- الإيجاز ، وهو من أهم سمات العربية في التعبير .

---

١ الترادف في اللغة ص ٢٠٨ .

٢ نفسه ص ٢١٢ .

٣ أنيس فريحة : نظريات في اللغة ص ٦٨ .

# الفصل الخَامس

# اللهجات العربية

# المبحث الأول

## ما اللهجات ؟

اللهجة Dialect في الاصطلاح اللغوي الحديث : " مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة ، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة "[1].

وتنتمي بيئة اللهجة إلى بيئة أوسع وأشمل منها تضم عدة لهجات ، ومن مجموع هذه اللهجات كلها يتكون ما يطلق عليه في الاصطلاح الحديث اسم اللغة . فالعلاقة بين اللهجة واللغة إذاً علاقة الخاص بالعام . فاللغة تشمل عدة لهجات متميز بعضها من بعض بصفات معينة . ولكل لغة سمات وصفات تميزها من غيرها من اللغات أيضاً[2] ، سواء أكانت هذه اللغات من نفس فصيلتها أم من فصائل أخرى . ومصطلح اللهجة في العربية مصطلح حديث لأن اللغويين القدامى من أهل العربية يسمونها (لغة) ، فيقولون مثلاً : لغة قريش ، ولغة هوازن ، ولغة طيئ .. وهكذا . وهذا مبني على المروي عن العرب الفصحاء في التسمية . أما إذا أرادوا التعبير عن اللغة التي تتكلم بها أمة من الأمم وشعب من الشعوب ، كالعربية مثلاً ، والسريانية ، والقبطية والرومية ، واليونانية ، فلا يسمونها إلا (اللسان) ، وبذلك نطق القرآن ، قال تعالى : { لسان الذي يلحدون إليه أعجميٌّ وهذا لسان عربيٌّ مبين } (النحل :١٠٣) .

وقال تعالى : { وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبيّن لهم } (إبراهيم : ٤) ولهذا سمّي ابن منظور معجمه الشهير : (لسان العرب) ، أي : لغة العرب التي يتحدثون بها ، وليست لهجاتهم وحدها . ويطلق المحدثون من علماء اللغة على صفات اللهجات اسم (العادات الكلامية)[3] ، ويقصدون بذلك الخصائص التي تتسم بها اللهجات المختلفة ، بحيث تصبغ طابعاً معيناً للمتكلمين بها تميزهم من غيرهم من المتكلمين بلهجات أخرى . وتلك العادات " مكتسبة ، لا أثر للوراثة فيها ، يُلقّنها الطفل منذ يولد ، وينشأ عليها ، فيؤديها كلما عنّ له القول ، ولا يحيد عنها في حديثه "[4].

---

[1] إبراهيم أنيس : اللهجات العربية ص ١١ .

[2] اللهجات العربية ص ١١ .

[3] اللهجات العربية ص ١١ - ١٢ .

[4] اللهجات العربية ص ١٢ .

ويقسم المحدثون تلك العادات أو الصفات الكلامية اللهجية على ثلاثة فروع هي :

١- ما يتعلق بالأصوات وطبيعتها وكيفية صدورها Phonetics .

٢- وما يتعلق ببنية الكلمات ونسجها Morphology .

٣- وما يتعلق بتركيب الجمل Syntax .

وهناك فرع رابع يعرض له الباحث في اللغات وهو معاني الألفاظ ودلالتها Semantics [1] .

وسنتحدث عن هذه الصفات والعادات الكلامية في اللهجات العربية المختلفة على تباين قبائلها وبيئاتها ومناطقها . وسنجد تبايناً بين قبيلة وأخرى أو بيئة أو منطقة وغيرها في كثير من هذه الصفات والعادات .

ويعزى تكوّن اللهجات في العالم إلى عاملين رئيسين[2] هما :

(أ) – الانعزال بين بيئات الشعب الواحد .

(ب) – الصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرات.

أما في العربية فقد انقسم المتكلمون بها إلى قبائل متعددة ، منذ أقدم العصور تختلف كل قبيلة وجماعة عما سواها في البيئة الجغرافية ، والظروف الطبيعية والاجتماعية ، والنواحي المادية والنفسية ، وأساليب التفكير ، والثقافة ، وما إليها وكان ذلك داعياً لإنشعاب العربية إلى لهجات كثيرة ، تتفق في صفات وتختلف في أخرى وكان لترامي أرض العرب وسعتها وتباين بيئاتها أثر في نشوء اللهجات من اللغة الأم العربية – .

وليست العربية بدعاً من اللغات في ذلك ، ولا هي أول لغة حدث فيها هذا الانشعاب ، فكل لغة لها مثل بيئات المتكلمين بها وظروفهم وأحوالهم المتباينة ، لا بد أن تنال نصيبها من ذلك الانشعاب اللهجي والتعدد الكلامي . وفي هذا يقول الدكتور علي

---

[1] – اللهجات العربية ص ١٣ .

[2] – اللهجات العربية ص ١٨ .

عبد تواب وافي : " من المقرر في قوانين اللغات أنه متى انتشرت اللغة في مساحة واسعة من الأرض ، وتكلم بها طوائف مختلفة من الناس ، استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمداً طويلاً ، فلا تلبث أن تتشعب إلى عدة لهجات . ولم تفلت اللغة العربية ... وما كان يمكن أن تفلت — من هذا القانون العام . فقد انقسمت منذ أقدم عصورها إلى لهجات كثيرة ، يختلف بعضها عن بعض في كثير من مظاهر الصوت والدلالة والقواعد والمفردات ، واختصت كل قبيلة ، وكل جماعة متحدة في ظروفها الطبيعية والاجتماعية بلهجة من هذه اللهجات " [1].

وقد حفظت لنا كتب اللغة والنحو والقراءات القرآنية والحديث والتاريخ والسير ، كثير من اللهجات العربية ، إلا أنها لا تنسبها غالباً إلى القبائل التي تتحدث بها ، بل تكتفي بقولها : وهي لغة ، أو : وفي لغة [2] ، وما إلى ذلك .

وليست هذه اللهجات كلها بمستوى واحد من حيث الفصاحة ، وإنما هي تتفاوت في ذلك . ومن هنا فإن اللغويين لم يأخذوا من القبائل من غير تميز ، بل اختاروا في الرواية عنها أفصحها على ما قدمناه سالفاً ، وتركوا تلك التي هي خارج نطاق الفصاحة . وقد تكون القبيلتان فصيحتين ، وأحداهما أفصح من الأخرى . وهم عادة لا يغفلون هذا التفاوت النسبي في نطاق الفصاحة نفسها بل ينصّون عليه في أحيان كثيرة ، فيقولون مثلاً: والأول أفصح [3].

ومهما تباينت هذه اللهجات من حيث الفصاحة وعدمها ، أو من حيث الفصيح والأفصح ، فإن المتكلمين بها كانوا يستمسكون بها في حديثهم اليومي وتخاطبهم الجاري ، إلا أن الخاصة من أفراد القبائل العربية ، كانوا يتركون لهجاتهم الخاصة هذه في المناسبات، ويلجأون إلى تلك اللغة النموذجية المشتركة ، يخطبون بها في المواسم وغيرها،

---

[1] - فقه اللغة ص ١٠٤ .

[2] - نرى ذلك على سبيل المثال في **معجم العين** للخليل ، إذ يقول : والأكّة لغة العكة ١/ ٦٦ (عك) . ويقول : والعكل لغة في العكر ١/ ٢٠١ . ومعناه : سوق الابل واحتيازها .

[3] - وفي **(العين)** أيضاً : تسعسع ، وتشعشع ، إذا اضطرب ، والإنسان : كبر وهرم ، يقول " والأول اصح وأفصح " ١/ ٧٥ (سع) .

وينظمون بها أشعارهم ، فإذا عادوا إلى بيئاتهم وحياتهم اليومية المعتادة ، عمدوا إلى لهجاتهم الخاصة يتحاورون بها ويتحدثون [1] .

فلما أن جاء الإسلام ونزل القرآن ، "سمح بأن يقرأ القرآن الكريم ببعض تلك الصفات التي لم يكن في مقدور العامة وغيرها . فالقرآن الكريم وإن نزل بلهجة موحدة ، إلا أنه " أبيح في قراءته الخروج عن تلك اللغة الموحدة ، تيسيراً على عامة العرب ، وتأليفاً للقلوب . وهذا هو معنى الحديث الشريف : (أنزل القرآن على سبعة أحرف)" فهذا ما يراه ويطمئن إليه الدكتور إبراهيم أنيس [2] .

واللهجات العربية تعد ثروة لغوية ، ووجهاً من وجوه العربية الواسع العريض . فهي متعددة الصفات والخصائص ، وتحمل في ثناياها ظواهر لغوية متنوعة ، تتعلق بالأصوات والمفردات والتراكيب والدلالات . وفيها من الظواهر النحوية والصرفية الشيء الكثير .

ومن هنا حظيت دراسة اللهجات لدى القدامى والمحدثين بنصيب موفور ، إلا أنها لم تكن في جهود القدامى مقصودة لذاتها غالباً ، بل كانت تأتي عرضاً في كتبهم ، على نحو ما نجد في المعجمات وكتب اللغة والأدب مثلاً والقراءات . وقد تبين لنا شيء من ذلك في ما أوردناه آنفاً عن معجم العين .

على أن من القدامى من أفرد كتاباً في هذا الموضوع ، فقد ألف الفراء [3] (ت ٢٠٧ هـ) كتاب (اللغات) وكذلك أبو عبيده[4] (ت ٢١٠ هـ) ، وأبو عمرو الشيباني[5] . وأبو عبيد القاسم بن سلام .

وروى ابن حسنون المقرئ عن عطاء بن رباح عن ابن عباس كتاب [6] (اللغات في القرآن) أما المعاصرون ، فقد عنوا بدراسة اللهجات العربية عناية تزداد يوماً بعد يوم ،

---

[1] - **اللهجات العربية** ص ٣١ .

[2] - **اللهجات العربية** ص ٣٢ .

[3] - ابن النديم : **الفهرست** ص ١٠٠ ونسب له كتاب (**اللغات في القرآن** ) في ص ٥٣ .

[4] - **الفهرست** ص ٧٩ .

[5] - **الفهرست** ص ١٠١ .

[6] - طبع هذا الكتاب بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجّد .

خدمة للغة الضاد ، وحرصاً على البحث فيها ومعرفة المزيد من خصائصها وأسـراها . سواء أكان ذلك في نطاق التأليف الجامعي ، أم في خارجه .

ونذكر من مصنفاتهم على سبيل المثال لا الحصر : (اللهجات العربيـة) للدكتـور إبراهيم أنيس ، و(العربية ولهجاتها) للدكتور عبد الرحمن أيوب ، و (القراءات واللهجات) لعبد الوهاب حمودة ، و (معجم لغات القبائل) للدكتور جميل سعيد والدكتور داود سلّوم ، و (دراسة اللهجات العربية القديمة) للدكتور داود سلّوم ، ولهجة تميم لغالب المطلبـي ... ومنهم من ألف في اللهجات الحديثة ، مثل (اللهجات العربية الحديثة فـي اليمـن) لمـراد كامل.

ولا غلب اللهجات العربية القاب ، كـان اللغويـون العـرب يطلوقونـها عليـها. ويحاولون شرحها وبيانها ، وقد يختلفون في ذلك فيعزو بعضهم لغة الى قبيلة ، على حين يعزوها غيره إلى قبيلة أخرى ، أو يطلق عليها لقباً يخالف الذي أطلقه عليها غيره . وقـد يختلفون في فصاحة قبيلة واخرى ، ولكنهم لا يختلفون أبداً ، في أفصحية لهجة قريش .

وسنتحدث عن أشهر اللهجات العربية في ضوء التقسيم الذي ذكرنـاه فـي صـدر حديثنا عنها .

# المبحث الثاني

## ما يتعلق بالأصوات :

ونقصد بذلك الصفات الصوتية التي كانت عليها اللهجات العربية ، وهو ما كان سببه إبدال صوت بآخر ، سواء أكانا صوتين صامتين ، أم كانا صائتين[1] ، أم كان أحدهما صائتاً طويلاً ، والأخر صائتاً قصيراً[2] ، متفقين في المخرج أم متقاربين ... إلى ما هنالك من صفات تتسم بها الأصوات في العربية ، فيمتاز بها صوت من آخر ، وتتحدد صورته في السمع . وهذا في كلام العرب كثير ، لا تكاد لهجة من لهجاتهم تخلو منه . ويتجلى في ما هو آت :

١ـ التخلص من الهمز : تعد الهمزة أكثر الأصوات الصامته شدة ، "وعملية النطق بها وهي محققة من اشق العمليات الصوتية ، لأن مخرجها فتحة المزمار التي تنطبق عند النطق بها ، ثم تنفتح فجأة ، فنسمع ذلك الصوت الانفجاري الذي نسميه بالهمزة المحققة "[3] . ولذلك مالت اللهجات العربية إلى التخلص منها في النطق . فكان أغلب الحجازيين لا ينطقون بها[4] . وهو أمر يبدو ملائما لطبيعة الاشياء وللتطور الذي في اللغة ؛ لأن اللغة تسير عادة نحو التيسير والتسهيل . ومن هنا كانت نسبة ترك الهمز إلى الحجازيين ملائمة لبيئتهم التي هي أكثر تحضراً من البيئات البدوية في نجد . ومن هنا أيضاً احتفظت قبيلة تميم البدوية ، أو قل قبائل بدوية من نجد بالهمز بصورته المحققة لا المسهّلة وهذا في الواقع الذي يدل عليه استقراء النصوص والروايات غالب على البيئتين ، بيئة الحجاز وبيئة نجد ؛ إذ ربما همز الحجازيون ، وسهل النجديون . ويتم التخلص من الهمز إما بحذفه ، وإما بقلبه إلى حرف من حروف اللين الثلاثة : الألف والواو والياء .

---

١ - الصوت الصامت : كل صوت في العربية عدا الألف والواو والياء . سالت ، هو ما عدا الأصوات الثلاثة ، ويسميها بعضهم : أصواتا ساكنة ، وأصوات لين على الترتيب ، كما [illegible] في فصل الأصوات .

٢ - الصائت الطويل : الألف والياء والواو . والقصير : الفتحة والكسرة والضمة

٣ - اللهجات العربية ص ٥٨ . والأصوات اللغوية ص ٨٩ .

٤ - فعلت وأفعلت ص ١٠٢ .

فمن التخلص من الهمز بالحذف ما ذكره أبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) من أن : " نزفت العبرة وأنزفت ، لغتان معروفتان ، وتميم تقول : أنزفت العبرة منزفة. وانشد العجاج : وأنزَفَ العبرةَ من لاقى العبر".

ويتضح هذا الخلاف اللهجي في فَعَلَ وأفعل في ألفاظ أخرى ، مثل (أنكر)، وهما بمعنى واحد[1] ، وقد وصفهما أبو حاتم بأنهما لغتان معروفتان أيـ... أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي[2] ، أن الأولى أبلغ من الثانية ، وأنها لغة هـ... الحجاز ، على حين أن أنكر لغة تميم.

ونلحظ من هذين المثالين أن تميماً احتفظت بصفة الهمز فيهما ، على حين ... منه بيئة الحجاز عن طريق الحذف ، وكلتا اللفظتين وردت في التنزيل ، فقد قال {**فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم**} (هود : ٧٠) ، وقال في موضع آخر {**قومٌ منكَرونَ**} (الحجر : ٦٢) ، من الفعل : أنكر . وقد جمع ميمون ابن قيس ... اللغتين جميعاً في بيت واحد ، وهو قوله :

وأنكَرَتني وما كان الذي نَكِرَتْ

من الحوادثِ إلا الشيبَ والصلَعا[3]

ومما جاء على عكس ذلك ، بأنْ هَمَزه الحجازيون وسهَّل همزه النجديون ... فأهل الحجاز يقولون : (أوفى) ، وأهل نجد يقولون : (وفى)[4] ، وبلغة أهل الحجـ... هذا اللفظ في التنزيل ، قال تعالى : {**بَلى مَنْ أوفى بعهده واتقى فإنَّ الله يحبُّ المتقين**} (آل عمران : ٧٦) . وقال : {**يوفون بالنَّذرِ ويخافونَ يوماً كان شرُّه مستطيراً**} (الإنسان : ٧) .

---

[1] - السجستاني : فعلتُ وأفعلتُ ص ٩٤ ، والطوسي : التبيان ٦/ ٢٨ .

[2] - التبيان ٦/ ٢٨ .

[3] - ديوانه ص ١٠١ بشرح وتعليق د . محمد محمد حسين ، القاهرة ١٩٥٠ .

[4] - التبيان ٢/ ٥٠٥ ، وينظر رسالتنا للدكتوراه : منهج الطوسي في تفسير القرآن الكريم ص ٢٧١ ... الروبير .

وقد كره النبي محمد (ﷺ) همز كلمة (نبيّ) ، فلم يرض بذلك حين قال له رجل : يانبيءَ الله ، بل أمره (ﷺ) أن يقولها من غير همز [1] . على أنه في أحد أقواله المأثورة همَز ما ليس بمهموز ، فقال لنسوة تبعن جنازة : (ارجعن مَأزوراتٍ غيرَ مَأجوراتٍ) [2] ؛ فأبدل واو (موزورات) همزة ، لتتناسق موسيقياً مع اللفظة التي بعدها ، وهي (مأجورات)، دون أن يخل ذلك بالفصاحة ، أو يكون انتقالاً من فصيح إلى أفصح ؛ لأن اللفظة الأولى مادتها (وزر) فهي في الأصل بالواو .

ولذلك قال ابن درستويه : " وليس قول النبي(ﷺ) : ( ارجعن مأزورات غير مأجورات ) ، دليلاً على أن الألف ــ يقصد الهمزة ــ في مأزورات أفصح من الواو ؛ لأن الأصل من الوزر ، ولكنه دليل على أنه اختار الألف للتورية ــ يقصد التسجيع ــ بين مأزورات وبين ما بعده ، وهو مأجورات ، والتقريب بين لفظيهما ؛ لأنه ضرب من النظم والتأليف " [3].

وقد تجلى الهمز وطرحه ، أو ابداله حرف لين ، أو تسهيله ، في كثير من القراءات القرآنية المشهورة وغير المشهورة ، وكثير منه معزو إلى لهجات العرب . وهو موضوع ثري يستحق كتاباً مفرداً . فمن ذلك قراءة أكثر القراء [4] آية الاخلاص : { ولم يكن له كفؤاً أحد } ، بهمز كلمة (كُفُؤاً) ، وقراءة حفص عن عاصم بن أبي النَجود (١٢٧ هـ) (كُفُواً) ، " بابدال الهمزة واواً [5] ". وأما الروايات الأخرى عن عاصم فبالهمز .

ومن القراء من طرح الهمزة ، وشدّد الحرف الذي قبلها ، في ما إذا كان زاياً "وهي لغة " [6] . وبها قرأ من القراء المشهورين أبو جعفر المدني (ت ١٣٠ هـ) ومن فقهاء التابعين ابن شهاب الزهري ( ت ١٠١ هـ ) . فتكون كلمة (جُزْءاً) : (جُزّاً) [7].

---

[1] - الخصائص ١/ ٣٨٣ .

[2] - الحديث في سنن ابن ماجة ١/ ٥٠٣ (كتاب الجنائز) والنهاية ٥/ ١٧٩ .

[3] ابن درستويه : تصحيح الفصيح ص ١١١ – ١١٢ .

[4] - ينظر : إتحاف فضلاء البشر في قراءات الأربعة عشر للدمياطي ص ٤٤٥ .

[5] - نفسه ص ٤٤٥ .

[6] - إتحاف فضلاء البشر ص ٥٨ .

[7] - إتحاف فضلاء البشر ص ٥٨ .

ويبدو أن من العرب من يستروح التشديد ويفضله على الهمز ، روى ابن خالويه[1] عن شيخه أبي بكر بن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) في هذه القراءة ، أن " من العرب من يشدّد الحرف عوضاً عن الهمز " .

على أن من العرب من يعكس الأداء الصوتي في الكلمة ، فيهمز مالا يهمزه عامة العرب . كقول بعضهم (نبيء)[2] بدلاً من نبيّ . وهذا في الواقع من إيثار الهمز على التشديد ؛ لأن ياء نبيّ مضعفة . بل منهم من يهمز الياء المخففة التي ترد في حشو الكلمة مثل (أنبياء) فيقول : (أنبئاء) . وبذلك قرأ أحد القراء السبعة ، وهو نافع بن أبي نُعيم (ت ١٦٩ هـ) . وهذا يعد من القراءة على أصل الكلمة ، لأنها من (النبأ) وهو الخبر [3].

وقرأ ابن كثير (ت ١٢٠ هـ) وحده – وهو من السبعة أيضاً – و(ضئاء) بهمزتين ، على حين قرأ الباقون بهمزة واحدة هي المتطرفة ، وأبقوا حرف اللين – الياء – على حاله ، أي : (ضياء) [4].

وقرأ عمرو بن عبيد (ت ١٤٤ هـ) : { فيومئذ لا يُسألُ عن ذنبه إنسٌ ولا جأنّ } بهمز كلمة (جانٌّ) قال أبو زيد الأنصاري : فظننته لَحَنَ ، إلى أن سمعت العرب تقول : شأبّة ودأبّة ، وعليه قول كثير عزة .

إذا ما العوالي بالعبيطِ احمأرّتِ

وحكى اللّحياني (ت في القرن الرابع هـ) أن من العرب من يقول : البأز ، بدلاً من الباز[5] . ويسمى اللغويون القدامى الهمز : (النبْر) أيضاً .

٢– **الاستنطاء** : وهو قلب عين (أعطى) نوناً ، فيقال : (أنطى) . وينسب إلى عدة قبائل من العرب ، هي : سعد بن بكر ، وهذيل ، والأزد ، وقيس ، والأنصار ، " تجعل العين الساكنة نوناً إذا جاورت الطاء " [6].

---

[1] - مختصر في شواذ القرآن ص ٦ .

[2] - سيبويه : الكتاب ٣/ ٥٥٥ .

[3] - إتحاف فضلاء البشر ص ١٣٨ .

[4] - كتاب السبعة ص ٤٢٩ .

[5] - ابن جني : المحتسب ٢/ ٤٧ .

[6] - السيوطي : الاقتراح ص ٢٠١ .

وروي أن النبي(ﷺ) تكلم بهذه اللغة ، كما ورد في حديث الدعاء : " لا مانع لما أنطيتَ ، ولا منطيَ لما منعتَ " ، وفي حديث : " اليد المُنطية خيرٌ من اليد السفلى "[1] ، وفي كتابه لوائل: وأنطوا الثَبَجَة " ، وفي كتابه لتميم الداري : (هذا ما أنطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ) ويسمّون هذا : (الإنطاء الشريف) ، وهو محفوظ عند آل تميم[2].

وروي أنه (ﷺ) قرأ على هذه اللغة : { إنّا انطيناك الكوثر}[3] ، وهي في الأصل الذي عليه خط المصحف : " إنّا أعطيناك الكوثر" (الكوثر : ١) . وقال أبو حيان الاندلسي[4] (ت ٧٤٥ هـ) : " وقرأ الجمهور (أعطيناك بالعين) . والحسن وطلحة وابن مُحَيصن والزعفراني : (أنطيناك) بالنون . وهي قراءة مروية عن رسول الله ﷺ وقال ابن خالوية[5]: " وأعطى : فعل ماض ، وفيه لغة أخرى : (أنطيت) عن العرب : أعطِني وأنطِني". ووردت لغة الاستنطاء في أشعار للعرب ، أنشد ثعلب :

من المُنطياتِ الموكبُ المعْجُ بعدما يرى في فروع المُقلتين نضوب

قال ابن[7] منظور في تعليقه على هذا البيت : " والإنطاء : الإعطاء ، وفي حديث (وإنّ مالَ اللهِ مسؤول ومُنطيّ) ، أي : مُعطىً . وروى الشعبي أن رسول الله ﷺ قال لرجل : (أنْطِهِ كذا وكذا )أي : أعطه " .

فالاستنطاء إذاً لهجة عربية فصيحة ، وردت في نصوص قديمة عليا من القراءات ، والحديث ، وكلام العرب نثراً وشعراً . وهي اليوم في كلام أغلب عراقيين إذ يقولون : إنطِ ، وينطي ونحوهما ، ومنهم من ينطقها على الأصل ، فيقول ...

---

[1] - ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ٥/ ٧٦ . واللسان ٢٠/ ٢٠٦ (نطا)

[2] - أحمد تيمور : لهجات العرب ص ١١٤ .

[3] - ابن خالويه : مختصر في شواذ القرآن ص ١٨١ .

[4] - البحر المحيط ٨/ ٥١٩ ، وينظر : لهجات العرب ، لأحمد تيمور ص١١٤ - ١١٥ .

[5] - إعراب ثلاثين سورة ص ٢٠٩ .

[6] - اللسان ٢٠/ ٢٠٦ (نطا) .

[7] - لسان العرب ٢٠/ ٢٠٦ (نطا) .

[8] - نقول : أغلب العراقيين ، لأن منهم ينطقها كما هي ( عيناً ) كالحضر من أهل الموصل ، وغيرهم من البدو ...



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومنهم قبائل بدوية . والحضر من الموصليين اليوم يقلبون اللفظة قلباً مكانياً فيقولون : (طَعَى) و (طَعيت) و (يطعي)[1] ، وهم يريدون أعطى وأعطيت ، ويعطي . ومنهم من يبدل العين نوناً أيضاً ، وفق اللهجة الغالبة في القطر .

ولا شك أن لهجتنا هذه من بقايا اللهجات العربية القديمة ، فهي كما ترى تلك اللهجة التي لا شك في فصاحتها ــ كما بيّنا ــ وما أكثر ما يرد في كلامنا ــ نحن العراقيين بل العربَ جميعاً ــ من رسوم تلك اللهجات التي تعزّز ارتباطنا بأسلافنا ، حين نرى أنماطاً من تراثهم اللغوي يجري على ألسنتنا .

٣ـ العَنعَنَة : وهي قلب الهمزة عيناً ، وتنسب إلى تميم[2] ، ونسبها الفراء[3] إلى تميم وقيس وأسد ومن جاورهم ، يجعلون همزة (أن) عيناً إذا كانت مفتوحة ، فإذا كسروها لم يبدلوهم عيناً . يقولون : نشهد عَنك رسول الله ، بدلاً من (أنك) وفي حديث المرأة المهاجرة التي باتت عند أُخت لها : " فبينما أنا عندها ليلةً تحسب عَنّي نائمة ، إذ دخل عليها زوجها ... "[4]. قال أبو عبيد القاسم[5] بن سلام (ت ٢٢٤ هـ): " وقولها : تحسب عنّي نائمة ، فإنها أرادت : تحسبُ أني نائمة . وهذه لغة بني تميم ذو الرمة :

أعَنْ ترسَّمت من خرقاءَ منزلةً
ماءُ الصبابة عن عينيك مسجوم

أراد أأنْ ، فجعل مكان الهمزة عيناً " .

فيلحظ مما تقدم أن العنعنة تكون بإبدال همزة أن المفتوحة عيناً ، سواء أكانت (أن) مشددة أم مخففة فإذا كسروا الهمزة رجعوا إلى الهمز ، أو كما كان يسمى أيضاً : النبْر

---

[1] ينظر بحثنا : عاميتنا والفصيح في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ص ٩٠ من مجلة آداب المستنصرية العدد لسنة ١٩٨٥ ، ففيه أمثلة أخرى من ذلك .

[2] مجالس ثعلب ١/ ٧٩

[3] لهجات العرب ص ٣٩ ـ ٤٠ .

[4] أبو عبيد : غريب الحديث ٣/ ٥١، ٥٤ ــ ٥٥ .

[5] أبو عبيد : غريب الحديث ٣/ ٥١، ٥٤ ــ ٥٥ .



CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

وأنشد ابن هرمة هارون الرشيد – وكان هذا الشاعر قد عاش في ديار بني تميم –:

أعَنْ تَغنَّت على ساقٍ مطوَّقة
ورقاءُ تدعو هديلاً فوق أعواد[1]

يريد : أأن تغنت . والهمزة الأولى للاستفهام والثانية همزة (أن) . وروى ابن الأنباري عن شيخه أبي العباس ثعلب أن الزبير بن بكّار أنشده قول الشاعر:

قال الوشاةُ لهند عَنْ تُصارمَنا
ولستُ أنسى هوى هند وتنساني

فقال ابن الأنباري : " أراد : أنْ تصارمنا " . ثم أورد لمجنون ليلى على هذه اللغة :

فعيناكِ عيناها وجيدُكِ جيدها
سوى عنَّ عظمَ الساقِ منكِ دقيقُ

وقال : " أراد : سوى أنَّ ، فأبدل من الهمزة عيناً "[2].

والتعليل الصوتي للعنعنة هو إحلال صوت مجهور هو العين مكان صوت لا مهموس ولا مجهور وهو الهمزة . والجهر أوضح في السمع ولذلك والت إليه بعض القبائل كتميم . والمشهور أن العنعنة تحدث في أن ، وذلك هو الشائع ؛ ولذلك سميت عنعنة ، لكثرة قولهم عنّ ، والعنعنة في مصطلح الحديث أيضاً معروفة ، وهي تكرار كلمة (عَنْ) في سند الرواية . إلا أن الذي يفهم من عدد من المصادر ، أن عنعنة تميم ومن نسبت إليهم هذه الظاهرة اللهجية ، إنما يبدلون من الهمزة عيناً في ألفاظ أخرى غير (أن) . والأمثلة التي أوردها ابن السكّيت في كتابه (الإبدال) ، والتي أبدلت فيها الهمزة عيناً ، لم تكن خاصة بأن فحسب ، بل تعدتها إلى ألفاظ كثيرة ، رواها عن غير واحد من أئمة اللغة كالأصمعي وأبي عمرو الشيباني وغيرهما ، مثل مؤتلي ، ومُعتلي – وهو الذي يقسم على شيء – وموت ذؤاف وذعاف ، وزُؤاف وزعاف ، وهو الذي يُعجّل القتل .

---

[1] – مجالس ثعلب ١/ ٨١ .

[2] – ابن الأنباري : الزاهر ١/ ١٢٩ .

ذكر اللفظة المشهورة في العنعنة دون أن يعزوها إلى تميم أو غيرها من القبائل ، بل ودون أن يعزو الألفاظ الأخرى التي ذكرناها آنفاً ، وإنما اكتفى بالقول : "ويقال : أردت أنْ تفعل كذا . وبعض العرب يقول : أردتَ عنْ تفعل " [1].

بل إن الخليل بن أحمد [2] قد نص على أن (الخَبْع) أصله (الخَبْء) ، يقول: " الخَبْعُ : الخَبْءُ في لغة تميم ، يجعلون بدل الهمزة عيناً " ، وفسّره بشدة بكاء الطفل .

وذكر السيوطي أن العنعنة " في كثير من العرب في لغة قيسٍ وتميم " ، وزعم أنها قلب الهمزة التي تبدأ بها الكلمات عيناً ، مطلقاً ، ومثّل لها بقولهم: " في أنك : عنّك ، وفي أسلم : عسلم وفي أُذُن : عُذُن " [3] . وهو أمر فيه نظر كثير ، إذ لم يذكره – في ما تبين لنا من أقوال اللغويين – غيره . كما أن واقع اللغة لا يصدقه ويدل عليه ، إذ أن المروي من لغة تميم ، ومتفق عليه من شأن هذه اللهجة ، إبدال همزة (أن) فحسب إذا فتحت إبدالاً مطرداً ، وما عدا ذلك يعتمد على المسموع ، من كلامهم ، كالذي مثّلنا له من كتاب ابن السكيت ومعجم العين ، ولا يمكن القول إنه مطرد في كل همزة وقعت فاءً لكلمة .

وتعد العنعنة من اللهجات المذمومة [4] ولذلك خلا التنزيل منها ، وهي في رأي اللغويين أقل فصاحة من الهمز ، قال ابن الأنباري [5] : " فصحاء العرب ، أهل الحجاز ومن جاورهم ، يقولون : أشهد أن محمداً رسول الله ، وجماعة من العرب يبدلون من الألف عيناً .. " .

وحفظت لنا كتب اللغة عكس هذا الإبدال أيضاً، وهو قلب العين همزة . وقد ذكر ابن السكيت [6] ألفاظاً فيها هذا الإبدال ، فقد روى عن الأصمعي أنه يقال : "استأديت الأمير على فلان ، في معنى استعديته " ، ويقال : " التَّميُّ لونه والتَّمعُ لونُه ، وهو السَّأَفُ والسَّعَفُ " .

---

[1] - ابن السكيت : الإبدال ص ٨٤، ٨٥ .

[2] - العين ١/ ١٢٣ ( خبع ) ، وينظر لهجة تميم ص ٨٨ .

[3] - المزهر ١/ ٢٢١ – ٢٢٢ .

[4] - الصاحبي ص ٥٣ ، والمزهر ١/ ٢١١ ، وقد أفرد النوع الحادي عشر لهذا النوع من اللهجات ، وسماه (معرفة الرديء المذموم من اللغات)

[5] - الزاهر ١/ ١٢٨ .

[6] - الإبدال ص ٨٤ – ٨٥ .

ويفهم من قول بعض قدامى اللغويين أن هذا الإبدال أضعف من الإبدال الأول (العنعنة) ، وذلك لقلته[1] ، وذكر أحمد[2] تيمور أن ابن مالك (ت ٦٧٢ هـ) ذهب إليه في التسهيل[3] بقوله : " وتبدل الهمزة قليلاً من الهاء والعين ". ورأى أن هذا القول ليس بصحيح ، وساق لبيان ذلك أمثلة كثيرة ، تدل على إبدال العين همزة مروية عن كبار اللغويين والنحاة ، كالفراء وابن السكيت والزجاجي والزمخشري ، وغيرهم . وانتهى إلى القول إن " قلب العين همزة أقيس من العكس " ، معللاً ذلك بأن " الهمزة أخف من العين " . فإن كان يريد بذلك أن الهمزة أخف من العين في تحقيق صوتها عند النطق على ما يذهب إليه المعاصرون ، فذلك صحيح . ذلك أن إبدال الهمزة عيناً عند هؤلاء إنما يراد به المبالغة في تحقيق الهمزة ، الذي يُقصد به أن تكون أوضح في السمع . ومن هنا " يستبدل بها أحد الأصوات الحلقية القريبة منها مخرجاً وصفة . وأقرب أصوات الحلق إليها هو (العين) ، لأن العين صوت مجهور ، وهو أقرب أصوات الحلق المجهورة للهمزة مخرجاً"[4].

أما إذ أراد أحمد تيمور أن الهمزة أخف من العين في الشدة ، فليس ذلك بصحيح ؛ لأن الهمزة من أشد الأصوات في العربية ، إن لم تكن أشدها ، "وعملية النطق بها وهي محققة من أشق العمليات الصوتية ؛ لأن مخرجها فتحة المزمار التي تنطبق عند النطق بها فجأة ، ثم تنفتح فجأة ، فنسمع ذلك الصوت الانفجاري الذي نسميه بالهمزة المحققة "[5]. على حين تعد العين صوتاً متوسطاً بين الشدة والرخاوة في الصفة كما سنرى ذلك بوضوح في فصل (الأصوات اللغوية في العربية ) . ولذلك نرى القبائل العربية كثيراً ما تتخلص من الهمزة كما بينا سالفاً ، بإحدى الوسائل الثلاث : الحذف أو التسهيل أو الإبدال . أما العين فهي لدى اللغويين من الأصوات المتوسطة الشدة ، وما فيها من حفيف يقربها من أصوات متوسطة أخرى ، وهي الميم والنون واللام ، ويجعلها من هذه الأصوات التي هي أقرب إلى طبيعة أصوات اللين[6].

---

1 - لهجات العرب ص ٤٨ .

2 - نفسه ص ٤٩ .

3 - وموضع هذا القول من ( التسهيل ) ص ٣٠١ .

4 - اللهجات العربية ص ٩٣ .

5 - اللهجات العربية ص ٥٨ .

6 - ابراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ص ٨٨ .

ويذهب الدكتور إبراهيم أنيس[1] إلى أن العنعنة ليست ظاهرة صوتية مختصة بالهمزة المفتوحة ، وليس شرطاً فيها أن تكون الهمزة مبتدأه ، لأن ذلك ليس له ما يبرر – بحسب رأيه – من الناحية الصوتية ، " وإنما الذي يبدو – عنده – أن يكون أقرب إلى الاحتمال ، هو أن هذه القبائل ، وكلها من البدو ، كانت تميل إلى الجهر بالأصوات ، لتجعلها واضحة في السمع ، أياً كان موضعها من الكلمة ، وبأية حركة حركت " .

والذي يشكل في هذا الرأي إجماع الرواة واللغويين ، على أن العنعنة لا تحدث مطلقاً في (أن) المكسورة الهمزة ، بل تحدث في المفتوحة فحسب . هذا إذا أخذنا بالرأي القائل قديماً وحديثاً إنها تحدث في غير همزة (أن) ، كما تبيّن لنا من الأمثلة التي أوردناها سالفاً .

٤– التلتلة : وهي كسر حرف المضارعة[2] ، من كل فعل مضارع ، فيقال يِكتب ويِلعب، بدلاً من : يَكتب ويَلعب . وهي لغة قبيلة بهراء . ولذلك يطلق عليها (تلتلة بهراء)[3] وعزيت كذلك إلى قبائل أخر كأسد وتميم وربيعة ، وهي قبائل العراق المعروفة ، وما تزال فيه إلى يومنا هذا ، ولذلك نجد هذه اللهجة غالبة على كلام العراقيين الآن ، إلا في مناطق من القطر يفتح فيها المتكلمون ياء المضارعة ، فيقولون : يَجي ويَحكي، على ما هو معروف مثلاً في تكريت والنجف ...

وذكر أبو حاتم السجستاني " أنه سمع حترش بن ثمال ، وهو عربي فصيح ، يقول في خطبته : الحمدُ لله إحمده وإستعينه وإتوكل عليه ، فيكسر الألفات[4] " ، يريد بذلك انه يكسر أوائل الأفعال المضارعة التي وردت في خطبته .

وذكر الحريري[1] (ت ٥١٦ هـ) هذه اللهجة ، فقال : " وأما تلتلة بهراء فيكسرون حروف المضارعة ، فيقولون : أنت تِعلم . وحدثني أحد شيوخي رحمه الله : أن الأخيلية

---

[1] - اللهجات العربية ص ٩٢ – ٩٣ .

[2] - مجالس ثعلب ١/ ٨٠ ، وابن جني : الخصائص ٢/ ١١ .

[3] - نفسه ١/ ٧٩ ، والخصائص : المكان نفسه .

[4] - مقدمة كتاب المباني في نظم المعاني ، لمجهول (من القرن الخامس للهجره) ضمن كتاب (مقدمتان في علوم القرآن) نشر آرثر جفري ص ٢٢١ .

كانت ممن يتكلم بهذه اللغة ، وأنها سألت ذات يوم على عبد الملك بن مروان وبحضرته الشعبي .. "[1].

ويبدو أن هذه اللهجة قد امتد أثرها إلى بعض القراءات ، التي تعد من القراءات من الشواذ ، لأنها لم تؤخذ عن إجماع ولا قرأ بها القراء المشهورون كالسبعة والعشرة ، فذكر ابن خالويه في شواذ قراءة سورة الفاتحة[2] أن عمرو بن فايد قرأ (إياك) بتخفيف الياء ، وأن جناح بن حبيش قرأ (نستعين) بكسر النون .

وذكر أبو جعفر الطوسي[3] (ت ٤٦٠ هـ) أن نون (نعبد) مفتوحة ، وأنه روي عن يحيى بن وثّاب أنه كان يكسرها ، ثم قال : " وهي لغة هُذَيل ، يقولون : نِعلم ونِعلم وإعلَم ... فيكسرون أوائل هذه الحروف كلها ، ولا يكسرون الياء ، ولا في يستفعل ويفتعل ، فلا يقولون : يِبيض ويِطمس – بكسر الياء – بل يفتحونها " .

فالطوسي إذاً يعزو هذه اللهجة إلى قبيلة هذيل ، ويحدد حروف المضارعة التي تكسر في هذه اللغة بثلاثة ، مستثنياً حرف الياء ، ويحدد كذلك صيغ المضارع التي تعتز فيها هذه اللهجة ، بأنها كل صيغة ما عد اثنتين : يَستفعل ويفتَعِل ، على حين يخصص غير واحد من القدامى بقبيلة بهراء على نحو ما نجد مثلاً في كلام ثعلب وابن جني[4].

وذكر أبو حيان في تفسيره[5] أن هذه اللهجة تنطق بها عدة قبائل من نجد والعراق فقال : " وفتح نون (نستعين) قرأ بها الجمهور ، وهي لغة الحجاز ، وهي الفصحى ، وقرأ عبيد بن عمير الليثي ، وزرّ بن حبيش ، ويحيى بن وثّاب ، والنخعي ، والأعمش بكسرها . وهي لغة قيس وتميم وأسد وربيعة . وكذلك حكم حرف المضارعة في هذا الفعل وما أشبهه " . ثم نقل عن أبي جعفر الطوسي أنها " لغة هذيل "[6]. وهو الذي استقيناه آنفاً من تفسير الطوسي .

---

[1] - درة الغواص في أوهام الخواص ، ص ٢٥٠ .
[2] - مختصر في شواذ القرآن ص ١ .
[3] - التبيان في تفسير القرآن ١/ ٣٧ .
[4] - ينظر الخصائص ٢/ ١١ .
[5] - البحر المحيط ١/ ٢٣ ، وينظر : لهجات العرب ص ١٠٠ .
[6] - البحر المحيط : المكان نفسه ، وينظر لهجات العرب ص ١٠١

ومهما اختلفت الأقوال في عزو لهجة (التلتلة) إلى هذه القبيلة أو تلك، فإن الشيء الذي لا خلاف فيه – كما هو واضح – أنها جذر للهجات العربية، ولعل هذا ما دعا بعض المحدثين إلى أن ينسبها إلى قبيلة كبهراء التي ذكروها، أو غيرها، أو إلى أكثر من قبيلة من قبائل العرب. وشيوع هذه اللهجة في العراق اليوم، وهي موطن قبائل ربيعة وتميم وأسد في الماضي، قد يحملنا على ترجيح سعة رقعة هذه اللهجة، وتجاوزها حدود القبيلة أو القبائل التي عدة قبائل تنطق بها[1].

د – **الكشكشة**: وتعزى هذه اللهجة إلى ربيعة[1] كما تعزى إلى قبائل أخرى مثل: بني بكر بن وائل، وأسد، وتميم، ومضر، وهوازن، وتغلب، وسليم[2]. والاضطراب واضح في مصدر هذه اللهجة. واللغويون القدامى يعدونها قلب كاف المؤنثة عند الوقف شيناً، أو إلحاق شين بعدها، فيقولون: في منكِ: منشْ، أو منكِشْ.

فإذا وصلوا الكلام تركوها. وكلام سيبويه[3] يجعلهما لغتين مختلفتين، أحدهما: قلب كاف المؤنثة شيناً لتفريقها عن المذكر. ومثّل لها بقولهم: إنشِ ذاهبةٌ، ومالشِ ذاهبةً. يريد أنّ المراد: إنكِ، ومالكِ. والأخرى: بإلحاق شين بعد الكاف لتبيين الكسرة في الوقف، فيقال: أعطيتكِشْ، وأكرمكِشْ.

وأشار أبو الفتح بن جني[4] إلى الكشكشة، في حديثه عن (اختلاف اللغات وكلها حجة)، فبيّن أن اللغتين، ويقصد بهما اللهجتين، إذا كانتا مقبولتين في القياس، كلغة الحجاز، ولغة تميم. فأنت بالخيار في أيهما تأخذ وليس لك أن ترد إحداهما. فأما أن تقل إحداهما جداً، وكثرت الأخرى جداً، فعليك أن تأخذ بأوسعهما رواية، وأقواهما قياساً، ألا ترى أنك ليس لك أن تقول: أكرمتكش مثلاً، قياساً على لغة من قال: مررت بكش. ثم روى[5] بسنده عن أبي بكر بن دريد عن أبي العباس ثعلب أنه قال: "ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم، وكشكشة ربيعة ... وتضجّع قيس، وعجرفية ضبة، وتلتلة بهراء".

---

(1) مجالس ثعلب ١/ ٧٩، والخصائص ٢/ ١١.

(2) تنظر هذه الأقوال المختلفة في: لهجات العرب، لأحمد [illegible] ص ٦١ وما بعدها.

(3) الكتاب ٢: ١٩٩ – ٢٠٠.

(4) الخصائص ١/ ١٠ – ١١.

(5) الخصائص ٢/ ١١.

ثم قال [1] : " وأما كشكشة ربيعة ، فإنما يريد قولها مع كـاف المؤنث : إنكش ورأيتكِش وأعطيتُكِش ، تفعل هذا في الوقف ... فإذا وصلت أسقطت الشين . وأنشد بيت المجنون على هذه اللغة ، وقد رأى ظبية فتذكر ليلى :

فعيناش عيناها وجيدُش جيدُها ولكنَّ عظمَ الساقِ مِنشِ دقيقُ [2]

فهذا ما قاله القدامى ، وفهموه من صفة الكشكشة من الناحية الصوتية ، وطبيعة الإبدال الذي يحدث فيه ، على ألسنة الناطقين بها من القبائل العربية.

غير أنَّ المحدثين من اللغويين لهم رأي آخر في ذلك كله ؛ إذ هم يرون أن الكاف المكسورة وهي كاف المؤنثة تتحول إلى صوت مزدوج ، في كلام هؤلاء العرب ، هو (تش) أو ( چ ) ، وهو الصوت المعروف في كثير من اللغات الشرقية كالفارسية والتركية والأردية .. وهو الذي يرمز إليه بالإنجليزية بـ (CH) ، كما في كلمة (Child) مثلاً ، بمعنى طفل .

يقول الدكتور إبراهيم أنيس[3] : " أن ما خيّل للقدماء أنه (شين) ليس شيئا خالصة كتلك التي نعهدها " ، بل هي صوت الكاف المتطورة إلى صوت وسط الحنك الذي ينطق به كما ينطق الصوت الأول في الكلمة الإنجليزية (Chiken)، وهو الـ (Ch) ، وهذا الصوت قد يخيّل إلى السامعين أنه مكونٌ من صوتين ، إلا أنه في الواقع مكون من صوت واحد ، كما دلت التجارب الحديثة في علم الأصوات ، وهو ما يسميه المحدثون من علماء الأصوات ، وأمثاله : ( Affricative) . ويتكون هذا الصوت من عنصرين : أولهما ينتمي إلى الأصوات الشديدة وهو ما يشبه التاء . وثانيهما إلى الأصوات الرخوة ، وهو ما يشبه الشين[4] . ولذلك رمزوا له بالرمز (تش) . وهو كما ذكرنا آنفا ( چ ) ، ولكن هذا الحرف غير موجود في الحروف العربية . مثله في ذلك مثل الـ ( پ) P والـ (ڤ)

---

[1] - الخصائص ٢/ ١١ .

[2] - أبو الطيب : الابدال ٢/ ٢٣٠ .

[3] - اللهجات العربية ص ٨٨ .

[4] ـ اللهجات العربية ص ٨٩ .

ولكنه لا يستعصي على الطباعة . وقد أطلق عليه الدكتور عبد العزيز[1] مطر اسم (الـچاف) .

ويرى الدكتور ابرهيم أنيس أيضاً أن الكشكشة لا بد أنها مقيَّدة بكاف مكسورة ، لأن الكسرة في كاف المؤنثة هي السبب الأساس – في ما يرى – في هذا القلب . كما أن قصرها على حالة الوقف ليس له ما يبرره في رأيه من الناحية الصوتية . إذ العلة في قلب الكاف إلى هذا الصوت المزدوج ، في علم الصوت الحديث ، هو أن صوت أقصى الحنك (الكاف)[2] ، قد وليه صوت لِيْن أمامي وهو (الكسرة) ، فكان أن حدث نتيجة ذلك اجتذاب صوت اللين هذا ، صوت الحَنَك إلى الأمام قليلا ، فانقلب الكاف إلى نظائره من أصوات وسط الحنك[3] ، كالشين[4] ، فصار ينطق بهذه الصورة .

والذي يبدو لنا أن الذين وصفوا هذا الصوت من القدامى بأنه بين الجيم والشين أصابوا ، قال أحدهم : " ومن العرب من يلفظ بهذه الكاف – يعني المؤنثة – بين الجيم والشين ، وذلك من اللغات المرغوب عنها ، لما لم يتهيأ له أن يُفرِدَ الجيم ولا الشين "[5]. والجيم والشين كلاهما من أصوات وسط الحنك ، فيكون هذا الوصف أكثر دقة من وصف المعاصرين له من أنه من تاء وشين (تش) .

وهذا الصوت الذي سموه (كشكشة) هو نفس الصوت الذي نسمعه اليوم في لهجاتنا العراقية ، وكلامنا اليومي المتداول فنحن نقول مثلاً (چف) ، و(چان) و (عليچ) ، ونريد بذلك : (كف) ، و(كان) ، و(عليكِ) . وهي لهجة شائعة في شمال العراق إلى جنوبه ، خلافاً لما ذكره الدكتور رمضان عبد التواب[6] من أنها " لا تزال مسموعة في جنوب العراق " .

---

[1] شواهد نادرة في لهجات الخليج العربي ص ٧٧ وما بعدها .
[2] اللهجات العربية ص ٨٨ . وينظر في وصف الكاف ومخرجه : الأصوات اللغوية ص ٨٣ - ٨٤ .
[3] اللهجات العربية ص ٨٩ . ويراد بذلك ما يقربُ منه في المخرج كالشين والجيم .
[4] ... في مخرج الشين من وسط الحنك : الأصوات اللغوية ص ٧٦ .
[5] لهجات العرب ص ٧١ .
[6] فصول في فقه العربية ص ١٢٧ .

بل إن هذه اللهجة شائعة في عدد من أقطار الخليج العربي ، كالكويت والبحرين وهي مسموعة كذلك في مناطق من مصر ، مثل مدينتي شرويدة وزنكلون وما حولهما من مديرية الشرقية [1].

٦ــ الشنشنة : وهي في ما يذكر الرواة واللغويون القدامى ، قلب الكاف شيناً مطلقاً من دون تقييدها بالكاف المكسورة للتأنيث ، ورووا أنه سُمع من يقول ' لبَيْش اللهم لبَيْش ، أي لبَّيكَ اللهمَ لبَّيك " . وتنسب هذه اللغة إلى اليمن [3] . وما تزال شائعة في اللهجة الحضرمية الحديثة ، إذ يقول أهل حضرموت : (مِنِّش) أي (مِنْكِ) . ومن كلامهم في إحدى قصصهم الدائرة بلهجتهم : " ما عاد ناس أخصنْ مِنِّشْ " [4].

وهذا الإبدال كما ترى يغاير الإبدال في الكشكشة ، لأنه في هذه اللهجة من الكاف إلى الشين ، وهو في لهجة الكشكشة من الكاف المكسورة إلى الصوت المزدوج (ج) كما بينا ذلك سالفاً . إلا أن الدكتور إبراهيم انيس [5] يرى شنشنة اليمن إنْ هي إلا كشكشة ربيعة أي قلب الكاف الى الصوت المزدوج ، يقول : " ويجب نسبة هذه الظاهرة إلى القبائل اليمنية التي تأثرت بمدن اليمن وحياتها الحضرية " ، مثلما تعزى " إلى تلك القبائل من ربيعة التي تأثرت بمدن العراق وبيئتها " . وينتهي من ذلك إلى القول في الشنشنة كما قال : في الكشكشة : " فإذا ذكرت هذه الظاهرة على أنها لربيعة ، وجب أن تنسب لقبيلة من بين قبائلها ، وإن ذكرت على أنها من صفات اليمن ،

وجب أن تنسبها إلى حِمْير أوهمدان" [6].

وهي على كل حال وجهة نظر ، وربما يدلنا البحث في قابل أيامنا على ترجيح هذه الوجهة أو تلك ، بيقين أكبر ، أو إثبات إحداهما على وجه القطع واليقين التام .

---

[1] - اللهجات العربية ص ٨٩ .

[2] - المزهر ١/ ٢٢٢ .

[3] - المزهر ٢٢٢/١ .

[4] - مراد كامل : اللهجات العربية الحديثة في اليمن ص ٩٣ .

[5] - اللهجات العربية ص ٩٠ .

[6] - نفسه ص ٩٠ .

٧- **الطَمْطَمانيّة** : تنسب هذه اللهجة إلى قبيلة حمْير من اليمـــن إذ هـم يبدلـون لام أل التعريف ميماً ، فيقولون " طاب آمضرْب ، يريدون : طاب الضرب .

وجاء في الآثار فيما رواه النمر بن تولب أنه (ﷺ) ، نطق بهذه اللغة في قولـــه : (**ليس من آمْ برُ آمْ صيامُ فيَ آمْ سفَر**) . يريد : ليس من البر الصيام في الســـفر " [1]. وروي أنه (ﷺ) تكلم بهذه اللهجة ، جواباً عن سؤال للحميريين عن مشروعية الصيـــام في السفر . فجعل كلامه في تلك الإجابه على وفق لهجتهم التي نطقوا بها. وهذا من دلائل تصرّفه في الكلام ، ومعرفته بلهجات العرب .

وعبارة " طابَ أمْضَربُ " ، وردت في حديث أبي هريرة (ﷺ) ، حين دخل على عثمان (ﷺ) وهو محصور ، معلناً بذلك عن عزمه على نجدته ، فأمر أن يلقي سلاحه . وقد وقف أبو عبيد القاسم بن سلاّم عند هذه العبارة ، في تفسيره لغريب الحديث ، فــروى عن الأصمعي أنه أراد بذلك : طابَ الضربُ ، أي : حلّ القتال وطاب . وأنه قال : وهذه لغة أهل اليمن ، أو قال: لغة حمير ، وأنه أنشده قول الشاعر :

ذاك خليـلي وذو يعـاتبني          يرمي ورائي بأمْسَهْم وأمسَلمه [2]

فقال أبو عبيد : يريد : بالسهم ، والسلمة ، وبيّن أنها واحدة السلام . وهي الحجارة

٨- **العجعجة** : وتعزى في الأشهر إلى قبيلة قضاعة [3]، وتعزى أيضـــاً إلــى غيرهـا. فسيبويه يعوزها إلى " ناس من بني سعيد " ، يقول : انهم يبدلون من اليـــاء جيمـاً عنـد الوقف ، ويعلل ذلك بتعليل صوتي دقيق ، وهو أن الياء " خفيّة ، فأبدلوا من موضعها أبين الحروف " ، يقصد بذلك الجيم ، لأنها صوت شديد ، على حينَ أن الياء صوت متوسـط بين الشدة والرخاوة ، ولذلك أبدلوه بما هو أشدونه ، وهذه صفة لا يمكن أن تتصـــور إلا بين قبائل البدو . لأن الانتقال بالصوت إنما كان من السهل إلى الصعب [4].

---

[1] - الحريري :درة الغواص ، ص ٢٤٩ . ورواه أبو عبيد في ٢/ ١٩٣ ١٩٤ من (غريب الحديث ) بهذه اللهجة ، وقال : وبعضهم برويه باللامات .

[2] - أبو عبيد : غريب الحديث ٢/ ١٩٣ ١٩٤ .

[3] - المزهر ١/ ٢٢٢ . وهي سبعة أحياء : بلى ، وجهينة ، وبنو كلب ، وعذرة ، وبهراء وبنو نهد وجرهم .

[4] - اللهجات العربية ص ٧٩ .

وضرب سيبويه لذلك مثلاً قولهم : هذا تميجٌ ، يريدون : تميميٌ ، وهذا عليجٌ ،
يريدون : عليٌّ . كما روى عنهم شعراً ، قال : وحدثني من سمعهم يقولون :

خـالي عُويـفٌ وأبو علـجِّ المُطْعمان الشحمَ بالعشجِّ
وبالغـداةِ فِلَـقَ البرنِـجِّ

وفسّره بقوله : " يريد : بالعشيِّ والبرنيِّ " [1].

ويلحظ أن سيبويه يحدد هذا الإبدال بحالة الوقف دون الوصل . ومع أن بعض المصادر تعزو هذه اللهجة إلى قضاعة كما قدمنا ، فإن عدة راويات لا تعزوها إلى قبيلة معينة ، أو تتعدد القبائل التي تعزى إليها هذه اللهجة . فالأصمعي يذكر أن خلف الأحمر (ت ... هـ) ، قال له " أنشدني رجل من أهل البادية ".

المطعمـون اللحـم بالعشـجِّ وبالغـداةِ كِسَرَ البـرنـجِّ
يُقلَّـعُ بالـودِّ وبالصيصـجِّ [2]

وقال : يريد : بالعشيِّ ، والصيصيِّ ، يريد : الصيصيّة ، وهي قرن البقر [3].

فالرواية كما ترى مرسلة ، وهي غير معزوة إلى قبيلة محددة .

وأبو عمرو بن العلاء يعزو هذه اللهجة إلى (بني حنظلة) ، يقول : قلت لرجل من بني حنظلة : مِمَّن أنت ؟ فقال : فُقَيمجٌّ ، قال : قلت من أيّهم ؟ قال: مُرّجٌّ ، ففسر أبو عمرو لغة هذا الرجل بقوله : " يريد : فُقَيمي ومُرّيٌّ" [4] .

وواضح أن الرجل قد انتسب ثلاث مرات بحسب بطون القبيلة التي ينتسب إليها ، فهو مرّيّ ، فقيميّ ، حنظليّ .

---

[1] - سيبويه : الكتاب ٤/ ١٨٢ .
[2] - ابن السكيت : الإبدال ص ٩٥ ، وأمالي القالي ٢/ ٧٧ .
[3] - ابن السكيت : الإبدال ص ٩٥ ، وأمالي القالي ٢/ ٧٧ .
[4] - ابن السكيت : الإبدال ص ٩٥ .

ويلحظ أن من اللغويين من يجعل الإبدال في العجعجة عاماً في كل ياء أخيرة خففة كانت أم مشددة ، وهو ما ذهب أليه ابن فارس[١] ومنهم من يخصه بالياء المشددة ، إليه ذهب أبو عمر بن العلاء ، قال : " وبعض العرب إذا شدَّد الياء جعلها جيماً . أنشد لهميان بن قُحافة السعدي :

يطيرُ عنها الوَبَرُ الصُّهابجا

وقال : " يريد الصُّهابيَّ من الصُّهبَة " [٢].

فيبدو مما أسلفنا ، أن هذه اللهجة أوسع من أن تحدد بقضاعة وحدها ، فالرجلان اللذان روى عنهما أبو عمرو من قبيلتين مختلفتين ، إذ أحدهما مُرّي ، والآخر سعدي .

كما أنها في ما يبدو أيضاً لا يتوقف الإبدال فيها على الياء المشدّدة وحدها ، إذ أن من الأمثلة التي يذكرونها ما يندّ عن هذا الشرط . فكلمة (الراعي) مثلاً ، ياؤها خفيفة ، وهي مع ذلك تبدل في لهجة هؤلاء جيماً .

ويزعم الدكتور إبراهيم أنيس[٣] أن الرواة قيدوا العجعجة " بأن تسبق الياء بالعين " ولنهم ضربوا أمثلة لهذا " الراعجْ خرج معجْ " ، أي : الراعي خرج معي .

وليس هذا الذي أشار إليه لازماً ، في أقوال اللغويين والرواة ، لازماً لهذه اللهجة ، لأن الذي يدور كلامهم عليه ما قدمناه ، وليس فيه هذا الشرط . فإذا عوّلنا على الروايات والكتب المعتمدة ، ألفيناها تشير إلى أمرين : الوقف ، وتشديد الياء . وقد بينا رأينا في الشرط الثاني ، ولا مشاحّة في الشرط الأول .

ولا يبعد التعليل الصوتي للعجعجة في رأي المعاصرين ، عما ذهب إليه قديماً سيبويه ، " فالوشيجة بين الياء والجيم من الناحية الصوتية واضحة ؛ " لأن كلاً منهما صوت مجهور ، ومخرجهما واحد ، وإنما يختلف الجيم عن الياء ، في أن الأول صوت

---

[١] الصاحبي ص ٥٥ . وضرب للأول مثلاً قولهم ( علامج ) وللثاني ( بصرجّ ) و ( كوفجّ ) .
[٢] الإبدال : لابن السكيت .
[٣] اللهجات من اللحرم .

أقرب إلى الشدة منه إلى الرخاوة ، في حين أن الياء من الأصوات المتوسطة الشبيهة بأصوات اللين ، وليست بشديدة ولا رخوة "[1].

٩ـ الفحفحة : وهي لغة هذيل ، إذ يجعلون الحاء عيناً [2]، يقولون : " اللعم الأعمر أعسن من اللعم الأبيض " ، يريدون : اللحم الأحمر أحسن من اللحم الأبيض ، ويعنون بالأحمر : لحم الجزور ، وهي الإبل ، فإنها أحبُ إليهم من غيرها .

قال ابن جني[3] : " العرب تبدل أحد هذين الحرفين من صاحبه لتقاربهما في المخرج ، كقولهم : بُحثِرَ ما في القبور ، أي : بُعثِرَ ... " وقال أبو عبيدة: " يقال: ضبحت الإبل وضبعت ، سواء ... ويقال : بحثروا متاعهم وبعثروه ، أي : فرّقوه "[4].

وقرأ عبد الله بن مسعود : " عَتّى حين "[5] بدلاً من " حتى حين " [يوسف : ٣٥] فقد روي عن عمر بن الخطاب (ﷺ) ، أنه سمع رجلاً يقرأ بهذه القراءة ، فقال له من أقرأك ؟ قال : ابن مسعود . فكتب إليه :" إن الله عزّ وجلّ أنزل هذا القرآن فجعله عربياً وأنزله بلغة قريش ، فأقرئ الناس بلغة قريش ، ولا تُقرِئهم بلغة هذيل . والسلام "[6].

والمراد من قوله : بلغة قريش ، أي الغالب[7] ، كما أوضحنا ذلك في كلامنا عن اللغة المشتركة ، وإلا فإن في القرآن من لغات العرب غير لغة قريش[8] ، أو قل غير لهجة قريش .

وقد علق ابن عبد البرّ القرطبي (ت ٤٦٣ هـ) على حديث عمر بقوله : " يحتمل أن يكون هذا من عمر على سبيل الاختيار ، لا أن[9] ما قرأ به ابن مسعود لا يجوز

---

[1] اللهجات العربية ص ٧٩
[2] - المزهر ١/ ٢٢٢
[3] المحتسب ١/ ٣٤٣ ، المرشد الوجيز ص ١٠١ .
[4] المصدر : الإبدال ص ١٦
[5] مختصر في شواذ القرآن ص ٦٣ .
[6] المحتسب ١/ ٣٤٣ ، والمرشد الوجيز ص ١٠١ .
[7] - المرشد الوجيز ص ١٠١
[8] ينظر المرشد الوجيز ص ٩٢ وما بعدها .
[9] - في الأصل (لأن) ، وهو تحريف . والسياق يدل على ما أثبتناه ، لأنه قال قبل ذلك : (على سبيل الاختيار)
[10] - المرشد الوجيز ص ١٠١ .

وقال ابن جني بعد إيراده أمثلة من الفحفحة في كلام العرب ، مستقبِياً إياها ــ وإن لم يشر إلى ذلك ــ من ابن السكيت وأبي علي القالي ، وهي الأمثلة التي ذكرناها سالفاً . كقولهم : بُحثر وبعثر .. قال[1] : " فعلى هذا يكون عتّى وحتّى ، ولكن الأخذ بالأكثر استعمالاً . وهذا الآخر جائز وغير خطأ " . وهذا مذهب لابن جني معروف ، هو عدم تخطئة اللغات التي تتحدث بها العرب ، وإن كان غيرها أكثر منها وأسير بين الناس ، وقد تقدم بيان ذلك .

والذي نراه في حديث عمر (رضي الله عنه) ، هو أنه نهى ابن مسعود عن إقراء الناس بلغة هذيل ؛ لأنه قادر من ناحية الأداء الصوتي أن يقرئهم باللغة الموحدة (المشتركة) التي نزل بها القرآن . إذ يمكنه أداء حرف الحاء في كلمة (حتى) كما يؤديه غيره من الصحابة ممن هم من غير قبيلة هذيل . وإنما جاز ذلك على وجه الرخصه للهذليين المضطرين من ناحية الأداء الصوتي إلى هذا الإبدال اللهجي ، بقلب الحاء عينا . لأن ابن مسعود وإن كان من هذيل ، إلا أنه قادر على القراءة بغير لهجة قومه ، أو إقراء الناس بذلك . وقد استبعد الدكتور إبراهيم انيس[2] صدور هذه الرواية عن عمر ، لأنها في رأيه " تتناقض التيسير في القراءات القرآنية " ، وتخالف أيضاً " ما رمى إليه الحديث الشريف :{ أنزل القرآن على سبعة أحرف } . إلا أنه عاد فاستدرك قائلاً : " إلا إذا أراد عمر أن ينهى ابن مسعود عن إرغام القرشيين بغير ما يستطيعون ، وما تميل إليه ألسنتهم ، وذلك بإملاء لهجة من اللهجات عليهم ، كلهجة هذيل في هذه القراءة " .

والحق هو أن " التيسير في القراءات القرآنية " الذي أشار إليه الدكتور إبراهيم أنيس ، ليس عاماً لكل من يريد قراءة القرآن من قبائل العرب ، بحيث يحق لكل قارئ أن يقرأ بلغة قوم آخرين من العرب ، ويترك لغته الخاصة التي يستطيع أن يقرأ بها النص ، أو يترك القراءة التي يوجبها لفظ النص عليه . وإنما أبيح ذلك في حديث الأحرف السبعة الذي أشار إليه ، لمن لا يستطيع أداء لفظ من الألفاظ إلا بلهجته التي درج عليها والفها كهذيل مثلاً في إبدالها الحاء عيناً في كلامها . ومن هنا أدرك الدكتور إبراهيم أنيس ــ كما يتبين من تعليله بعد ذلك ــ أن هناك فرقاً بين رخصة مباحة ، وقراءة تفرض وتحمل

---

[1] المحتسب ١/ ٣٤٣ .

[2] اللهجات العربية ص ٩١ .

فجاء استدراكه تلافياً سليماً لما بدأه من افتراض تناقض هذه الرواية المأثورة عن عمر مع التيسير الذي دل عليه حديث الأحرف السبعة ، وإن كنا لا نرى رأيه في ذلك ، إذ نقدح في صحة الرواية للسبب الذي بيناه سالفاً .

وكانت هذيل من القبائل البدوية التي تنأى مواطنها في الصحراء عن التحضر ولذلك مالت لهجتها إلى الجهر بطائفة من الأصوات ، كقلب (الحاء) (عيناً) ، إذ ليس فرق بين الحاء والعين من الناحية الصوتية ، إلا أن الأول صـــوت مهموس[1] ، والثاني صوت مجهور[2] .

١٠ــ الوكْم : وهي كسر الكاف إذا سبقها ياء أو كسرة ، فيقال : بكِمْ ، وعليكِم . قال الفيروز آبادي[3] : " ... وهم يكِمُون الكلام ، أي : يقولــون : الســلامُ عليكِمْ ــ بكسر الكاف ــ " .

وتعزى هذه اللهجة إلى قبيلة ربيعة [4] ، وهي لذلك مستعملة إلى اليـوم فـي ... الموصليين ، إذ هم يقولون : منكِمْ . وهو ظاهر في بعض لهجات الحضر منهم [5] ... نزال ديار ربيعة في نواحي الموصل ، فلا عجب أن يتأثروا بلهجتها القديمة .

على أن سيبويه[6] عزاها إلى " ناس من بكر بن وائل " ، وبيّن أنهم إنمـا أتبعوا الكسرة الكسرة ، لأن الكلمة عندئذ تكون أخف عليهم من أن تضم بعد كسر . وقد وصفها بأنها " لغة رديئة " . وذكر أنهم أنشدوه قول الحطيئة ، على وفق هذه اللهجة .

وإنْ قال مولاهم على جُلِّ حادثٍ

من الدهر رُدّوا فضلَ أحلامِكِمْ ردّوا

---

[1] الصوت المهموس ، سيأتي وصفه في فصل (الأصوات) ، ويجمع الأصوات المهموسة لدى القدماء قولهم (فحثه شخص سكت) ، فهي عشرة أصوات عندهم .

[2] ــ اللهجات العربية ص ٩١ ــ ٩٢ .

[3] ــ القاموس المحيط ٤/ ١٨٧ (وكم) .

[4] المزهر ١/ ٢٢٢ .

[5] وكثير منهم يشم الكسرة بضمة فيختلس الكسر اختلاساً .

[6] الكتاب ٤/ ١٩٧

[7] الكتاب ٤/ ١٩٧ .

والشاهد فيه كسر كاف (أحلامكم) بعد أن سبقها كسر . والتعليل الصوتي لهذه اللهجة ، في انتقالها من الضم إلى الكسر ، هو ما سماه ابن جني : "تقريب الصوت من الصوت"[1]، وضرب له أمثلة متعددة كامالة الفتحة إلى الكسرة في (عـالم) ، و (كـاتب) . قال : " ألا تراك قَرَّبتَ فتحة العين من عالم إلى كسرة اللام منه ، بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة ، فأملت الألف نحو الياء" [2].

وجعل منه " تقريب الصوت مع حروف الحلق " ، كما في : شِعير ، ورغيف ، وبعير . قال : " وسمعت الشجري غير مرة يقول : زِئير الأسد ، يريد : الزَّئير " [3].

فهذا كما ترى انتقال من الفتح إلى الكسر ، وهناك انتقال من الضمة إلى الكسر ، كما في قول بعض العرب : (الحمدِ لله) بكسر دال الحمد بدلاً من ضمها ، على الابتداء . وهذا الإبدال كما ترى نظير الذي في (الوكم) ، في صورة الصوت ، وإن كان الوكم مختصاً بالكاف ، من جهة ، والصوت الذي يناله الانتقال والإبدال هو الثاني لا الأول من جهة أخرى . إلا أن هذه الصور كلها تنتظم لدى ابن جني كما رأينا في سلك صوتي عام واحد ، هو الذي سماه (تقريب الصوت من الصوت) .

أما الدراسات اللغوية الحديثة ، فتعلل هذه الظاهرة اللهجية (الوكم) ، بما تسميه (قانون المماثلة بين الأصوات) "Assimilation" [4] فقد تأثرت الكاف بما قبلها[5] من كسر أو ياء ، فقلبت كسرة ، لتنسجم مع ما قبلها[6] . واللغة تميل بطبيعتها وتطورها إلى الانسجام بين الأصوات ، ومنها أصوات اللين[7]، إذ هو ضرب من التيسير على المتكلم في النطق بالكلمات والأصوات . فضلاً عن أن الكسر أخف على العرب من الضم ، و...

---

[1] ابن جني : التصريف الملوكي ص ٩٨ وما بعدها .
[2] التصريف الملوكي ص ٩٨ .
[3] التصريف الملوكي ص ١٠١ – ١٠٢ .
[4] ينظر هذا الاصطلاح في اللهجات العربية ص ٥١ .
[5] الأصول في فقه العربية ص ١٣٣ .
[6] الأصول في فقه العربية ص ١٣٣ .
[7] أصوات اللين : طويلة ، وهي الألف والواو والياء إذا سبقها صوت قصير ملائم لحركتها ، وأصوات قصيرة وهي الفتحة والكسرة والضمة .

علل الخليل بن أحمد[1] كسرهم كلمة (فداء) في قولهم : (فداءِ لك) بدلاً (فداءً لك) .

١١ـ الوهْم : وهو كسر هاء (هُم) ، وإن لم يسبقها ياء أو كسرة ، فيقال: منهِم ، وعنهِم وبينهِم[2]. وتعزى إلى " قوم من ربيعة " [3]، وعزاها السيوطي إلى بني كلب ، وبنو كلب ترجع نسبهم ربيعة [4]. وهي لهجة معروفة اليوم في الموصل أيضاً . إذ كثيراً ما نسمع تدور على ألسنة الحضريين منهم يقولون : مِنِم، وعندِم، وكلِّم، وأصل اللفظة الأولى: مِنهُمْ، ثم صارت في ألسنتهم : مِنْهِم ، ثم أبدلوا الهاء نوناً ، وادغموها بالنون التي قبلها وفق قانون التأثر الصوتي الذي يسميه المحدثون من اللغويين : التأثر التقدمي " Progressive ، وهو الذي يعني تأثر الصوت الثاني بالأول[5] . ثم يحصل الادغام بعد هذا التأثر ، إذ يتكرر صوتان متتاليان . كتكرار النون في (منهِم) بعد قلبها نوناً .

وقد علل سيبويه[6] (الوهم) في لهجة ربيع بأنهم "اتبعوها الكسرة " ، وأنه " لم يكن المُسكَّن حاجزاً حصيناً " .

ومراد سيبويه من ذلك أنهم أتبعوا كسرة الميم في (منهم) كسرة الهاء ، ليحدث الانسجام بين هذين الصوتين ، لأن الساكن عندهم ـ وهو النون هنا ـ في حكم المعدوم الذي لا وجود له في الكلام .

وقد وصفت هذه اللغة كسائر اللغات التي ورد ذكرها بأنها " لغة رديئة"، ونص سيبويه[7] على ذلك .

١٢ـ الوتْم : وهو قلب السين تاء وعزي إلى اليمن [8]، إذ هم يقولون : (النات) بدلاً من (الناس) . وانشد أبو زيد الأنصاري[9] (ت ٢١٥ هـ) لعلباء ابن أرقم :

---

١ - الكتاب ٣ / ٣٠٢ ، وهو مما حكاه سيبويه عنه .

٢ الكتاب ٤/ ١٩٦ .

٣ ـ الكتاب ٤ / ١٦٩ .

٤ ـ اللهجات العربية ص ٥١ .

٥ اللهجات العربية ص ٥١

٦ - الكتاب ٤/ ١٩٦ .

٧ - الكتاب ٤/ ١٩٦ .

٨ - المزهر ٢٢٢/١ .

٩ - النوادر ص ١٠٤ .

... عمرو بن يربوع شِرارَ النَّاتِ

غيرَ[1] أعِفَّاءٍ ولا أكْياتِ

وقال : " النَّات ، أراد : الناس . وأكيات ، أراد : أكياس " . وقد علق أبو الحسن علي بن سلمان الأخفش — الأصغر — على هذه اللهجة بقوله : " هذا من قبيح البدل " ، ثم علله بتعليل صوتي وهو أن الشاعر " إنما أبدل التاء من السين ؛ لأنّ في السين صفيراً فاستثقله ، فأبدل منها التاء " ، ثم عاد إلى إضعاف هذا الإبدال قائلاً : " وهو من قبيح الضرورة "[2] .

ويبدو من كلام الأخفش الذي أوردناه ، أنه لا يرى هذا الإبدال لهجيّاً ، بل يراه ضرباً من الضرورات التي يلجأ إليها الشعراء بين حين وآخر ، موافقاة لاتساق القوافي في حرف الرويّ . وهو رأي لا يبدو أنه سديد . بل الذي يبدو أن هذا الإبدال لهجة من لهجات بعض العرب وقد روي أن الفراء أيضاً انشد هذا الشعر[3] ، ولم يُوثَر عنه أنه رأى الإبدال الذي فيه ضرورة . بل إن الأصمعي أورد ألفاظاً أخرى فيها هذا الإبدال . قال ابن السكيت[4] : قال الأصمعي : ويقال الكرم من سُوسِهِ ، ومن تُوسِهِ ، أي : من خليقته "، يقصد بذلك أنه من طبعه وسجيّته .

وروى ذلك كله عن الأصمعي والفراء أبو علي القالي أيضاً .

على أن الذي ورد في القاموس المحيط وشرحه من تعليل لهذه الظاهرة الصوتية اللهجية ، يبدو أكثر قرباً مما ذهب إليه الأخفش الأصغر في تعليلها، فقد جاء فيه : " فقلب السين تاء لموافقتها إياها في الهمس والزيادة وتجاور المخرج ، وهي لغة لبعض العرب "[5]. والمراد بالزيادة كونهما من أحرف الزيادة التي يجمعها قول القائل : (سألتمونيها) . وأما تجاور المخرج ، فهو مسوّغ آخر مهم بعد صفة الهمس المشتركة بين

---

[1] الرواية عن الفراء في إبدال ابن السكيت وأمالي القالي : (ليسوا) بدلاً من (غير) .

[2] النوادر ص ١٠٤ .

[3] ابن السكيت : الإبدال ص ١٠٤

[4] الإبدال ص ١٠٤ .

[5] لهجات العرب ص ١٢١ .

الصوتين كليهما . وفي هذا يقول الدكتور إبراهيم أنيس[1] : " أما المبرر الصوتي لانقلاب (السين) (تاء) ، فهو هيّن واضح ؛ لأنهما يكادان يكونان متماثلين في المخرج ، كما أن كلاً منهما صوت مهموس . ولم يبق إذاً إلا أن يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا العليا التقاءاً محكماً ، به ينحبس النفس ، حتى إذا انفصلا انفصالاً مفاجئاً سمع ذلك الصوت الانفجاري الذي نسميه بالتاء " .

وبذلك ينقلب[2] صوت رخو إلى نظيره — في الهمس والمخرج — الشديد ، والميل الى الأصوات الشديدة من الصفات الصوتية التي عرفت بها القبائل البدوية . ومن هنا مالت هذه القبائل اليمنية إلى النطق بهذا الصوت الشديد (التاء) بدلاً من ذلك الصوت الرخو (السين) . وهذا التعليل أكثر سداداً ، وأقرب إلى الواقع اللغوي ، مما ذهب إليه الأخفش الأصغر في كلامه الذي أوردناه سالفاً .

وذكر الدكتور إبراهيم أنيس[3] أيضاً ، أننا حين نبحث عن أي قبائل اليمن تلك التي مالت إلى البداوة أو عاشت قريبة من الصحراء ، فسنجد أن أقربها إلى البداوة قبيلتان مشهورتان هما : خثعم ، وزبيد . يقول : وعليه فلا بأس من نسبة هذه الصفة إلى هاتين القبيلتين بين قبائل اليمن .

١٣- **اللخلخانيّة** : وهي لغة تعرض في كلام أعراب الشّحر وعُمان ، كقولهم : (مشا الله كانَ) ، أي (ما شاءَ اللهُ كانَ)[4] .

ويلحظ أن هذه اللغة تقصر المد الذي في لفظة (شاء) ؛ وذلك لانتقال (النبر) — موضع الضغط على الصوت عند النطق به — من المقطع الأول إلى الثاني ، إذ كان النبر[5] قبل القصر على الشين ، فصار بعد القصر على لام لفظ الجلالة ، وهو ضرب من التفخيم .

---

[1] - اللهجات العربية ص ٧٦ .
[2] - اللهجات العربية ص ٧٦ .
[3] - اللهجات العربية ص ٧٦ .
[4] - الثعالبي : فقه اللغة ص ١٧٣ . فصل ( في حكاية العوارض التي تعرض ) والمزهر ١/ ٢٢٣ .
[5] - فصول في فقه العربية ص ١٣٢ .

وقد عُدّت هذه اللهجة من اللهجات الضعيفة جداً ، وذلك لبعدها عن الفصاحة، حتى يا تفسّر بالعجمة في المنطق[1] . ورجل لخلخاني غير مُفصِح عما يريد[2] . وفي الحديث، أتانا رجل فيه لخلخانية ، قال أبو عبيدة: اللخلخانية : العجمة ، واحتج لذلك بشعر لبعث[3].

وذكر ابن منظور[4] بصيغة التضعيف : (قِيلَ) ، أن هذه اللفظة منسوبة إلى قبيلة لخلخان ، وقيل موضع . وهذا الذي ذكره ليس له ما يؤيده ، ولذلك قال أحمد تيمور[5] في حديثه عن اللخلخانية ، : " لم اعثر على لخلخان اسم لموضع في (معجم البلدان) ياقوت ، ولا في (معجم ما استعجم) للبكري.

ومهما يكن من أمر ، فإن هذه اللهجة من اللهجات الضعيفة البعيدة عن الفصاحة ، في رأي اللغويين والرواة القدامى .

١١- القطعة : وتعزى إلى قبيلة طيّيء ، وهو عبارة عن قطع اللفظ قبل تمامه[6] . قال الخليل[7] بن أحمد : " والقطعة في طيّيء كالعنعنة في تميم ، وهي: أن يقول : يا أبا الحكا، وهو يريد يا أبا الحكم ، فيقطع كلامه عن إبانة بقية الكلمة " .

ووردت هذه اللهجة في بعض القراءات القرآنية التي رويت آحاداً ، فروي أن النبي ﷺ وعلياً (رضي الله عنه) وعبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قرأوا : {يا مالِ ليقضِ علينا ربُّك} بدلاً من {يا مالكُ ليقضِ علينا ربك }[8] (الزخرف :٧٧) .

قال ابن خالويه[1] وابن جني[2] : هي على الترخيم . وذكر ابن جني أن الأعمش قرأ بها أيضاً .

---

١- القاموس المحيط ١/ ٢٦٨ (الخ) .
٢- اللسان ٤/ ٢٠ (لخخ) ، والقاموس / ٢٦٨ (لخ ) .
٣- اللسان نفس المكان .
٤- اللسان : نفس المكان .
٥- لهجات العرب ص ١٢٦ .
٦- أصول في فقه العربية ص ١١٩ .
٧- العين ١/ ١٣٧ (قطع ) .
١- ابن خالويه : مختصر في شواذ القرآن ص ١٣٦

والمروي عن الإمام عليّ في هذه القراءة أنها على لغة من لغات العـــرب.[1] قال الفراء في حد الترخيم : قرأ عليّ (رضي الله عنه) على المنبر :

"ونادوا يا مال " ، فقيل له : يا مالك ، فقال : " تلك لغة وهذه أخرى "[2]. قال ابن جني[3] : " هذا المذهب المألوف في الترخيم " ، ويقصد بذلك : قطع اللفظ ـ كما ذكرنا ـ قبل تمامه . وعلى هذا فالقطع ضرب من تفخيم اللفظ، وهو مناسب للبيئة البدوية ، ومن هنا جرى في لهجة طيئ ، كما ذكر الرواة.

وفي اللهجات العربية المعاصرة شيء من ذلك ، فـــالمصريون مثــلا يقولــون: ( ياوَلْ ) بدلاً من ( يا ولد ) ، قال الدكتور رمضان عبد التواب " [5] وهي لغة كثير من البلاد المصرية الآن كالمحلة الكبرى وما حولها وجزيرة بني نصر ، وأبيار ، وكثير من مديريتي البحيرة وبني سويف ، يقولون : النهار طلا ، أي : طلع ، والنور ظـهـا ، أي: ظهر وخمدت النا ، اي : النار ، وهلم جرّا " .

١٥ـ **الإمالة** : وهي ظاهرة لهجية عُرفت لدى عدد من القبائل العربية ، وظهرت في القراءات القرآنية . وهي لهجة " عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس "[6]، على حين احتفظت لهجة الحجاز بطابع الفتح . والفتح مصطلح لغوي يقابل الإمالة . ويسمى أيضاً (التفخيم)[7]، وهما الأصل في كلام العرب[8]. والإمالة طارئة ، وإن لم تكــن قليلــة في كلامهم . والفتح والتفخيم أكثر فصاحة ، إذ هو لغة الحجاز ولغة النبي (صلى الله عليه وسلم) .

---

[1] - نفسه ص ١٣٦ .

[2] - المحتسب ٢/ ٢٥٧ .

[3] - مختصر في شواذ القرآن ص ١٣٦ .

[4] - المحتسب ٢/ ٢٥٧ .

[5] فصول في فقه العربية ص ١١٩ - ١٢٠ . ونقله عن (مميزات لغة العرب) لحفني ناصف ص ٢٩

[6] السمنودي : شرح السمنودي على متن الدرة المتممة للقراءات العشر لابن الجزري ، ص ١٩ . وإبراهيم أنيس اللهجات العربية ص ٤١ .

[7] - ينظر المصطلحان في (كتاب السبعة) لابن مجاهد ص ١٤٣ ، ١٤٩ ، في إزاء الإمالة : وينظر الفتح في معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/ ٩٣ ، والتفخيم في / ٣١٦ .

[8] -الطوسي : التبيان ٥/٣٥٢ .

إحداهما : إمالة الألف نحو الياء ، وذلك حين يكون أصل تلك الألف ياء ، أو يمكن أن تصير ياء . فما أصله ياء (هَدَى) و(سَعَى) ، ومما يصير إلى الياء (غزا) و (دعا) ، لأنه إذا بُني للمجهول يصير (غُزِيَ) و(دُعِيَ) . فهذه الإمالة لا إشكال في جودتها[1] وبها قرأ القراء المشهورون ، كإمالة حمزة (ت ١٥٦ هـ) والكسائي (ت ١٨٩ هـ) ألف { أعطى واتقى} (الليل : ٥) ، و{استوى} و { أمات و أحيا } (النجم : ٤٤) بل إمالتهما كل ألف منقلبة عن ياء حيث وقعت في القرآن في اسم أو فعل مثل (هدى) و (الهوى)[2] وإمالة الألف نحو الياء معروفة اليوم في بعض اللهجات العراقية كلهجة الموصليين الحضر ، ولهجة تكريت . فيقال مثلاً : (ويقِفْ) و(قِعِيذْ) و (ويِجِذْ) ، بدلاً من (واقِفْ) و (قاعِذْ) ، (واجِذ)[3] .

والثانية : إمالة الفتحة نحو الكسرة ، كإمالة نون (نأى) من الفتح إلى الكسر وقد قرأ حمزة والكسائي بها[4] — وهما اللذان يمثلان بيئة الكوفة في الإمالة — (نأى) في قوله تعالى : { أعرض ونأى بجانبه } (الإسراء : ٨٣) .

ويذكر أبو جعفر الطوسي[5] أن العرب تميل فتحة الحرف إلى الكسر ، إذا جاور حرفاً من حروف الحلق الستة . وهو ما أشار إليه ابن جني ، وعلله بالتعليل الصوتي الذي أشرنا إليه سالفاً ، وهو (تقريب الصوت من الصوت) المجاور له . كما في شعير ، بعير ، وزئير .

وكان الكسائي يميل تاء التأنيث وما قبلها في حال الوقف في عدة أحرف ، كلف ، الجيم والحاء وغيرها . كما في (خليفة) و(رأفة) و(وليجة) و(أشحّة) ، بحيث تستحيل الفتحة إلى ما يشبه الياء في النطق . وهي ظاهرة صوتية معروفة في كلام الموصليين

---

[1] البيان ١ / ١٥١ . مكي : الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ١ / ١٦٨ .
[2] الجزري : تقريب النشر في القراءات العشر ص ٥٥ .
[3] ... : عاميتنا والفصيح في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة . ... العدد ١ ...
[4] البيان ٦ / ١٤ ، وينظر رسالتنا للدكتوراة : منهج الطوسي في تفسير القرآن ص ٢٧٨
[5] البيان ٦ / ١٤ ، وينظر رسالتنا للدكتوراة : منهج الطوسي في تفسير القرآن ص ٢١٨

اليوم. إذ هم يقولون مثلاً (إنجاني)[1] و(طويلي) بدلاً من (إنجانة) و (طويلة) . وقد جمعت الإمالتان ـــ إمالة الألف والتاء نحو الياء في قول الحضر منـــهم (اثفيـــي)[2] ، يريدون (اثفاية) ، التي هي في الفصيح (أثفية) ، وهي ما توضع عليه القدر من أحجار .

١٦ـــ المدّ والقصر : لمصطلح المدّ صورتان : إحداهما المستعملة لدى علماء القراءات القرآنية ، ويراد به عندهم : " طول زمان الصوت " ، وعدّوا "القصرَ الأصـــل لعدم توقفه على سبب ، بخلاف المد " [3].

أما الدلالة الثانية للمد ، فهي المستعملة لدى اللغويين . فيراد به عندهم : إثبات الألف في اللفظ ، ويراد بالقصر : طرح الألف لفظاً من موضعها . وأغلب العرب يثبتون حرف المد ، ومنهم من يقصره . فمن ذلك ما ورد في لفظة (القِرى) ـــ وهو إكرام الضيف ـ من مثلها : (قراء) ، قال الفراء[4] : "القرى مقصور يكتب بالياء ـــ يقصد الألف ـ ويفتح ويُمدّ . قال الكسائي : سمعت القاسم بن معن يرويه عن العرب : قَراء ، للضيف ". ومن ذلك ما ورد في لفظة (هؤلاء) ، إذ أن لغة قريش ومن جاورهم بإثبات الألف التـــي بين الهاء والواو ومد الألف الأخيرة . وهو النطق الشائع إلى اليوم في كلامنا الفصيح . ولغة تميم وبكر وعامة بني أسد ، قصر الألف الأخيرة . ومن العرب من يسقط الألف الأولى التي بين الهاء والواو ويمد الأخيرة . وعلى هذه اللغة الثالثة جاء قول الشاعر :

تَجَلَّـدْ لا يَقُـلْ هؤلاء هـذا ... بكـى لمّا بكـى أسفـاً وغَيْظا [5]

وواضح انه لا بد من قصر الألف الأولى في (هؤلاء) ليستقيم وزن البيت . ومن العرب من يقول : النشاءةُ ، والنشأةُ ، بالمدّ والقصر ، كما يقول رآفةٌ، ورأفةٌ ، وكآبة وكأبة [6].

ومن ذلك (الزنى) و (الشرا) ، يقول الفراء : " أهل الحجاز يمدّونه "

[1] يلحظ حتما : عاميا والفصيح في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ص ١٠٩ .
[2] المصدر نفسه ص ١٠٨ .
[3] القاصح : سراج القارئ ص ٤٨ .
[4] المقصور والممدود ص ٢٣ .
[5] الطوسي : التبيان ١/ ١٤١ .
[6] التبيان ٨/ ١٤٤ .

ويقول اللحياني ([illegible]) : أهل الحجاز يقصرونه ، ويحتج له بقوله تعالى: {ولا تقربوا الزنى} (الإسراء : ٣٢) ، وبنو تميم يمدونه ؛ فيقولون : الزناء[1]. وجعلوا منه قول الفرزدق : كما كان الزناءُ فريضةَ الرجمِ[2] . والفرزدق تميمي . ومن ذلك مدّ الواو وقصرها في (رؤُوف) . فأهل الحجاز يمدون ، وغيرهم يقصرون ، فيقولون : (رؤُف)[3]. وعلى اللغة الأولى كل ما ورد في التنزيل ، من مثل قوله تعالى :{ إنّ الله بالناس لرءُوفٌ رحيم } (البقرة : ١٤٣) . وقوله تعالى{ والله رءُوفٌ بالعباد } (البقرة : ٢٠٧) .

قال ثعلب[4] : " ويقال : رؤوف على فَعول ، ورؤُف على فَعُل " . فذكر اللهجتين كلتيهما ، وتقديمه التي على فَعول يشعرنا أنها الأشهر عنده . وهي في الواقع كذلك ، بل هي الأفصح ، لورودها في التنزيل كما مثّلنا ، وعلى لهجة الحجاز قال كعب بن مالك الأنصاري :

نُطيعُ نبيَّنا لنطيعَ ربّاً ... هو الرحمن كان بنا رؤوفا[5]

وورد في بعض النصوص الإسلامية قصر المقصور بقلب ألفه ياء ، وإدغامها بياء المتكلم ، إذا أضيف ذلك المقصور إليها . كما في قول طلحه ، " وقربوا فوضعوا اللُّجَّ على قَفَيَّ " ، يريد بذلك : وضعوا السيف على قفاي ، فأبدل ثم أدغم . وتنسب هذه اللهجة إلى طيّ . قال أبو عبيد[6] : " قَفَيَّ : هي لغة طائية . وكانت عند طلحة امرأة طائية " ، وهناك من يراها لغة هذلية ، ولها غير شاهد من الشعر . فقد وردت هذه اللهجة في شعر أبي الأسود الدؤلي ، يقول فيه :

أُحبّهمُ لحبِّ اللهِ حتى ... أجيء إذا بُعِثتُ على هَوَيّا

---

اللسان ١٩ / ٧٩ ( زنا ) .

الثعالبي : فقه اللغة ص ٥٦٥ فصل في (القلب)

التبيان ٢/ ١١ – ١٢ .

مجالس ثعلب ١/ ٩٩ .

التبيان ٢/ ١١ – ١٢ ، والبيت من شواهد اللسان (رأف) ١١ / ١١ ، وفيه : (ونطيع) بدلاً من (لنطيع) .

غريب الحديث ٤/ ١٠ – ١١ .

قال الشريف المرتضى[1] تعليقاً على هذا البيت : " أما قوله : هويّا ، فإنه لغة هذيل يقولون ذلك في كل مقصور ، مثل الهوى والعصا والتقى والقفا . قال أبو ذؤيب الهذلي[2]:

سبقوا هويّ وأعنقوا لسبيلهم
فتخرّموا ولكل جنب مصرعُ

فيبدو مما مرّ أن هذه اللهجة مشتركة بها طيّ وهذيل .. وإذا صح ما ذكره أبو عبيد[3] من " أن طيّاً لا تأخذ من لغة أحد ، ويؤخذ من لغاتها " ، فإن هذه اللهجة تكون في أصلها طائية ، ثم اقترضتها منها هذيل بحكم اتصال القبائل بعضها ببعض . وقد ذكر ابن جني[4] أنها لغة هذيل وغيرهم ، وربط بها قراءة من قرأ من القراء : ( هُدَيّ ) قوله تعالى و( هُدايَ ) في آية البقرة :٣٨ ، وذلك قوله عزّ وجلّ : { فمن تبع هُدايَ فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون } .

فهذه أشهر اللهجات العربية التي لها أسماء عُرفت بها لدى اللغويين القدامى، وهي التي تتعلق بالأصوات وإبدال بعضها من بعض . وهناك لهجات أخرى يحدث فيها مثل هذا الإبدال في أصوات متنوعة ، إلا أن هذه اللهجات ، لم تعرف لها أسماء ، وإن كانت طائفة منها قد عزيت إلى قبائل معينة . وهي في الواقع كثيرة لا يكاد صوت في العربية يخلو منها ، بإبداله بصوت آخر . وسنقتصر كلامنا هنا على أشهرها :

١- **إبدال القاف قافاً ثقيلة :** وهي لهجة عربية فصيحة قديمة ، وتوصف بإبدال القاف بصوت هو بين القاف والكاف ، ويصفها ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) بأنها لهجة قديمة وهي في ما تبدو له لغة مضر ، ويذكر أنها شائعة بين البدو في عصره[5] . ومعنى ذلك أن القاف تنطق في هذه اللهجة قافاً ثقيلة تماثل الـ ( G ) الإنجليزية في مثل كلمة good مثلاً .

[1] أمالي المرتضى ١/ ٢٩٣ .
[2] ديوان الهذليين ١/ ٢٠٢ وهو في المحتسب ١/ ٧٦ .
[3] غريب الحديث ٤/ ١١ .
[4] المحتسب ١/ ٧٦ .
[5] مقدمة ابن خلدون ٤/ ١٢٧٤ .

ويبدو أن معظم القبائل البدوية التي عاشت في المغرب أيام ابن خلدون كانت من الحجاز ، هاجرت في القرن الخامس إلى تلك البلاد ناقلة معها هذا النطق الخاص بالقاف[1] ومن هنا رجح الدكتور إبراهيم[2] أنيس أن هذا النطق قديم ، وأنه " ربما كان شائعاً بين بعض القبائل الحجازية أيام النبي ( ﷺ ) . أما موقف القرشيين بصفة عامة والنبي( ﷺ ) وأصحابه بصفة خاصة من هذا النطق ، فأمر يحتاج إلى تحقيق " . وهذا تعليق منه على ما ذكر ابن خلدون[3] من " أنها لغة مضر الاولين ولعلها لغة النبي ( ﷺ ) بعينها ". وأشار السيوطي[4] إلى أنها لغة تميم . وإلى هذا ذهب الدكتور عبد العزيز مطر[5] في بحثه عن لهجة صقلية .

ومهما يكن من أمر ، فالذي لا شك فيه أن هذه اللهجة العربية قديمة ، وقد ذكر ابن فارس لها شاهداً من الشعر ، وهو قول الشاعر :

ولا أَكُولُ لِكَدْرِ الكَومِ كَدْ نَضِجَتْ ولا أَكُولُ لبابِ الدارِ مكفولُ[6]

يريد :

ولا أقولُ لِقِدْرِ القَوْمِ قَدْ نَضِجَتْ ولا أقولُ لبابِ الدارِ مَقْفولُ

وهذه اللهجة مشهورة في كثير من الأقطار العربية ، وهي شائعة اليوم في العراق وفي دول الخليج العربي كافة . وهي لغة أهل الريف في مصر أيضاً . كما أنها شائعة في اليمن . فالقاف (تنطق في عمان وحضرموت ودثينة)[7] مثل هذا النطق الذي وصفنا ، كما يقول الدكتور مراد كامل[8] : "مثل الجيم القاهرية " . وهذا لا يقتصر على العامية بل الفصحى أيضاً .

---

1- إبراهيم أنيس : **الأصوات اللغوية** ص ٨٥ .
2- الأصوات اللغوية ص ٨٥ .
3- : ١٢٢٤ .
4- المزهر ١/ ٢٢٢ .
5- لحن العامة ص ١٤٧ .
6- الصاحبي ص ٥٤ .
7- اللهجات العربية الحديثة في اليمن ص ٨٦ .
8- المصدر نفسه : المكان نفسه ، وهو وصف اللغويين المصريين له مثل الدكتور إبراهيم أنيس .

٢- إبدال القاف كافاً : قال الخليل[1] : " الكَرْدُ : لغة في القَرْد ، وهو مَجثِم الرأس على العنق " .

وتقول العرب : قَهرَهُ ، وكَهَرَهُ . وفي كلام الرجل الذي تكلم في الصلاة، فلم يؤنبه ( ﷺ ) بل وجهه ونصحه : " فوالله ما كَهَرَني ولا ضربني ولا شتمني "[2] . يريد : ما قَهَرَني ، والقهر : الإذلال والتسلط بالقول أو الفعل، ولم يحدث هذا من النبي ( ﷺ ) لأنه ليس من خلقه. وقرِيء في الشواذ [3]: { وأمّا اليَتِيم فلا تَكْهَرْ } ، بدلاً من : { وأمّا اليتيم فلا تَقْهَرْ } (الضحى : ٩) .

٣- إبدال الكاف قافاً : وهو عكس الإبدال الذي سبقه ، إذ تبدل فيه الكاف قافاً . والأولى ــ التي بالكاف ــ لغة قريش ، والثانية ــ التي بالقاف ــ لغة تميم وقيس وأسد . فقريش تقول : (كَشَطَ) ، وتميم وقيس وأسد ، تقول[4] : (قَشَطَ) . والأولى هي الأصل في ما يبدو من النصوص وأقوال اللغويين ، وهي الأفصح أيضاً . ولذلك ورد بها التنزيل ، قال تعالى : { وإذا السماءُ كُشِطَت } (التكوير : ١١) . ومما يدل على أصالتها أيضاً قول الخليل[5] : "القَشْطُ لُغة في الكَشْطِ " .

وقد روى أنها في مصحف عبد الله بن مسعود : " قُشِطت " بالقاف . فإن صح ذلك، فإنه أثبتها في مصحفه على لغة من ينطقها بالقاف . وقد نفى خط المصحف العثماني مثل هذه القراءات . ولذلك لا تصح القراءة بها ، لمخالفتها لهذا الخط من جهة ، ولأنها من قراءات الآحاد ، التي لا تثبت بها القرآنية ؛ إذ لا بد للقراءة من أن تنقل بإجماع[6] . ويبدو أن وجود هذه القبائل الثلاث في العراق ، أعني تميماً وأسداً وقيساً[7] ، أدى إلى استعمال العراقيين للغتهم في لفظه (قَشَطَ) ؛ إذ هم لا ينطقونها بالكاف ، كما

---

[1] - العين ٥ / ٤٢٦ .

[2] - صحيح مسلم ٢/ ٧٠ ، باب تحريم الكلام عند الصلاة .

[3] - مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ص ١٧٥ ، وعزاها لابن مسعود .

[4] - ابن السكيت : الإبدال ص ١١٤ .

[5] - العين ٥ / ٣٣ .

[6] - مكي بن أبي طالب : الإبانة عن معاني القراءات ص ٥٧ .

[7] - ومواطن هذه القبائل معروفة في وسط العراق وجنوبه .

كانت تفعل قريش ، بل ينطقونها بالقاف الثقيلة التي تماثل حرف الـ ( G ) ، وهو الإبدال الذي تحدثنا عنه آنفاً ، ولذلك نسمع على ألسنة العراقيين اليوم لفظة (كَشِط) تتردد في مناطق متعددة منه ، ولا تكاد تنطق بالقاف إلا قليلاً ، في مناطق محدودة.

٤- إبدال الجيم ياء : وذلك بان يقال مثلاً : شِيرة ، بدلاً من شَجَرة . ويَدِيد بدلاً من جَدِيد. وهو لهجة عربية قديمة ، وقد وردت في الشعر ، وقرأ بها بعض القراء . حكى أبو زيد أنه قُرئ : **{ولا تَقرَبا هذه الشِيَرَة }**[1] بدلاً من : **{ ولا تقربا هذه الشجرة }** (البقرة : ٣٥) .

ويبدو أن هذا الإبدال اللهجي بقي شائعاً بين الفصحاء لعدة قرون ، وأنها عرفت في المغرب . فقد ذكر صاحب (المباني في نظم المعاني) ، وهو من المغاربة [2]، ومن علماء القرن الخامس للهجرة ، متحدثاً عن فصحاء العرب، هذه اللهجة ، فقال : "ورأيت غير واحد منهم يجعل الجيم كلها تقارب الياء ضرباً من المقاربة " [3]. وذكر أبن الجوزي[4] (ت ٥٩٥ هـ) ، أنّ أهل بغداد في أيامه يسمّون ( المسجد ) : (مَسْيِد ) ، بالياء .

وتعليل ذلك ، أن هذه اللهجة انتقلت إلى المغرب مع تلك القبائل الحجازية التي هاجرت إليها ، كما تبيّن لنا سالفاً في انتقال اللهجة التي تقلب القاف إلى صوت بين القاف والكاف إليه ، على ما حكاه ابن خلدون في مقدمته .

ويبدو أن هذه اللهجة بدوية ، وأن الأعراب كان منهم من ينطق بها . ويسوق لنا ابن جني[5] هذه الرواية ، فيقول : " حكى أبو الفضل الرياشي : قال : كنا عند أبي زيد ، وعندنا أعرابي ، فقلت له : إنه يقول الشَيِرة . فسأله فقالها ، فقلت له : سلْهُ عن تصغيرها، فسأله فقال : شُيَيْرة " . وأنشد الأصمعي لبعض الرجاز في أرجوزة طويلة :

تحسبه بين الإكام شَيَرَة[6] .

---

[1] مختصر في شواذ القرآن ص ٤ .

[2] ينظر مقدمة ارثر جفري لكتاب المباني ص ٣ - ٤ .

[3] نقول : مقدمة كتاب المباني ص ٢٢١ ، ضمن ( رسالتان في علوم القرآن ) ، بتحقيق ارثر جفري .

[4] تقويم اللسان لابن الجوزي .

[5] المحتسب ١/ ٧٤ .

[6] المحتسب ١/ ٧٤ .

ويلحظ أن إبدال فتحة الشين بكسرة ، يصحب هذا الإبدال اللهجي في الجيم ... كان الأصل أن يقال : شَيَرَة .

وهذا الإبدال معروف اليوم في جنوب العراق[1] ، ومناطق من وسطه وشماله ... الشمال مثلاً ما تزال قبيلة (زوبع) في نينوى تستعمل هذه اللهجة . كما أن هذا الإبدال معروف في أقطار الخليج العربي ، إذ يقولون : (يديد) ، بدلاً من (جديد) ، و(ياري) بدلاً من (جاري) .

٥- **إبدال الفاء قافاً** : وذلك مثل زحاليف وزحاليق ، وهي آثار تزلج الصغار من أعلى إلى أسفل . فأهل العالية[2] يقولون : زُحلوفة وزحاليف ، وبنو تميم ومن يليهم من ... يقولون : زُحلوقة وزَحاليق[3] .

ويبدو أن نطق العراقيين اليوم بهذه اللفظة أثر من آثار تلك اللهجة التي ... بها أسلافهم من التميميين ، ومن يليهم من العرب الفصحاء . فقسم من العراقيين ينطق باللفظة كما هي في الفصيح . وهذا ظاهر في كلام الحضر مثلاً من الموصليين ... نجدهم يقولون لما يتزلج عليه الأطفال والصبيان في الحدائق والرياض : (زِحلوقة) ... في مناطق القطر الأخرى، فيقولون : (زِحليكَة) . فهم ينطقونها بإبدال القاف بآخر ... يماثل الـ (G) الإنجليزية . ويلحظ في الصيغة الأولى ، أن الموصليين أحلوا الفتحة محل الضمة التي كانت في الصيغة الفصيحة . وهذا الانتقال له ما يبرره من الناحية الصوتية ، إذ هو " دليل التحضر والرقة في معظم البيئات اللغوية "[4] .

ويلحظ أن العوام في الصيغة الأعم ، أبدلوا صوتي المد القصير والطويل فيه فأبدلوا ضمة الزاي كسرة ، والواو ياء ، على عادة العامية في إبدال كثير من الأصوات وإحلال بعضها محل بعض ويلحظ أنهم بحكم تحضرهم مالوا بالضمة إلى الكسرة .

---

[1] في جنوب العراق ثلاث صور للنطق بالجيم ، إحداها تعطيشها ، أي نطقها جيماً خالصة ، وهي لغة الحضر ، والثانية إبدالها ياء في مناطق ، والثالثة إبدالها جيما مشبعة التعطيش . وسيأتي إيضاح ذلك في الكلام على الأصوات .

[2] العالية : ما فوق أرض نجد إلى تهامة وإلى ما وراء مكة المكرمة ، وهو الحجاز وما والاها .

[3] ابن السكيت : الإبدال ص ١٤٣ - ١٤٤ .

[4] - اللهجات العربية ص ٨٠ .

إبدال الميم باء والعكس : ويعزى إلى بكر بن وائل ، كما يعزى إلى مازن[1] . وبنو مازن ... وهم — في ما يروى عنهم يبدلون الميم باء ، والباء ميماً ، ... بدلاً من " ما اسمُك " ، كما يقولون: " مكر " ، بدلاً من ... أبو عمرو الشيباني[2] : " وكان أبو سرّار الغنوي يقول : با آسمك ؟ يريد : " ما اسمك[3] " .

وقد روى المبرد عن شيخه أبي عثمان المازني ( ٢٥٤ هـ) قصة في ذلك لا تخلو من طرافة ، وتشير إلى هذه اللغة . وهي أنه لما استدعاه الخليفة الواثق ، ومثل بين يديه ، ... : ممّن الرجل ؟ فقال : من بني مازن . قال: أيّ الموازن ، أمازن تميم أم مازن ربيعة ؟ قال : فكلّمني بكلام قومي قائلاً : با آسمك ؟ قال : فكرهت أن أجيبه على لغة قومي لئلا أُوجهه بالمكر ، فقلت : بكر يا أمير المؤمنين ! ففطن الخليفة لما قصدته ، وأعجب به[4] .

ومع كثرة الروايات والنصوص الدالة على هذه اللغة ، إلا أن الدكتور إبراهيم أنيس ... في هذه الرواية التي رواها المبرد عن المازني ، فوصفها بأنها " رواية غريبة ... الصوتين الصوتية " ، يقول " فليس هناك لهجة من لهجات اللغات في العالم ... الميم إلى باء والعكس"؛ لأنها في رأيه : " عملية متناقضة لا مبرر لها "[5] . ... أن كلاً من الإبدالين يختص بلهجة وقبيلة معينة ، أمر لا يمكن قبوله . وإنما ... أحدهما يختص بقبيلة ، والآخر بقبيلة . فرأى أن قلب الباء ميماً يمكن أن يعزى ... ربيعة ؛ لأنها أقرب الموازن إلى البيئة الحضرية . وهذا القلب ملائم لها ؛ من ... انتقال من صوت شديد ، هو الباء إلى صوت متوسط شبيه بأصوات اللين هو ... الذي يعد في علم الأصوات الحديث من الأصوات المائعة " **Liquids** " أما قلب ... فرأى إمكان عزوه إلى مازن تميم ومازن قيس ؛ لأن هاتين القبيلتين أقرب إلى ...

---

[1] ... الواحد ص ١٢٠ ، واللهجات العربية ص ٨٠ .

[2] ... العربية ص ٨٠ .

[3] ... ١٨ .

[4] ... العربية ص ٨٠ ، ٨١ .

[5] ... العربية ص ٨١ .

ورأى أيضاً أنه حتى مع هذا الفرض لا ينبغي أن يعد هذا الإبدال تلهجي لذي من القبيلة أو تلك مطرداً ، بل يكفي أن نقول : إن ذلك يحدث في مواضع ، وفي حالات معينة ، " وإلا ترتب على اطراد مثل هذه الظاهرة، أن نجد لهجة من اللهجات العربية خالية من الميمات والباءات "[1] !

والحق أن النصوص الدالة على هذا القلب كثيرة . وممن أوردها في مصنفاته من القدامى ابن السكّيت في كتابه (الإبدال) ، وأبو علي القالي في (الامالي) . وقد جعل الاخير عنوان بحثه في هذه الظاهرة : " مطلب ما تتعاقب فيه الميم والباء " ، وتحدث عن رواياتها وشواهدها حديثاً يدل على وقوعها في كلام العرب ، وإن لم يعزها إلى قبيلة معينة ، وكذلك كان ابن السكيت .

فمما ذكره ابن السكيت[2] ، ما رواه عن الاصمعي من أنه " يقال : بنات مَخْر وبنات بخر ، وهنّ سحائبُ يأتين قبل الصيف بيض ... " . وأنه " يقال للظليم : أرْمد وأربد ، وهو لون إلى الغبرة " . وقال ابن السكيت[3] : " ويقال للرجل إذا كبُر ويبس من الهزال : ما هو إلا عَشَمَةٌ وعَشَبَةٌ " . ومما اورده القالي[4] ــ روايات كثيرة في هذا الإبدال ، منه ما نشعر فيه أن الباء قد أبدلت، كالذي رواه عن اللحياني من أنه يقال : " هو يرمي من كثب ومن كَثَم، أي من قُرْب وتمكُّن " . ومنه ما نشعر فيه أن الميم أبدلت باء ، مثل : أزمة وأزبة .

على أن الذي ذهب إليه الدكتور ابراهيم أنيس من أن أحد الابدالين يختص بقبيلة والآخر بقبيلة ، على ما بيناه آنفاً ، ليس ببعيد ، بل هو الراجح. لأن حدوث الظاهرتين في قبيلة واحدة مع تضادهما بعيد .

٧- **إبدال الصاد سيناً والعكس** : وهو إبدال شائع ومعروف في كلام العرب ، وذلك كما في (صرط) و (سرط) . وقد قرئ بهما[5] جميعاً قوله تعالى : { إهدنا الصراط

[1] اللهجات العربية ص ٨٢ – ٨٣ .

[2] الإبدال ص ٧٠ .

[3] الإبدال ص ٧١ .

[4] - الامالي ٢/ ٥٣ – ٥٤ .

[5] ابن مجاهد : كتاب السبعة في القراءات ص ١٠٥ – ١٠٦ .

المستقيم } (الفاتحة : ٧) .

ومن ذلك قول العرب (صَقْرٌ) و(سَقْرٌ) ، فهذا من إبدال الصاد سيناً . وأما إبدال السين صاداً ، فكقولهم : بَسَقَ وبَصَقَ . وقال الخليل [١]: " الصَقِيفة لغة في السقيفة " .

٨ ـ إبدال الصاد والسين زاياً : فقد قالوا في (صَقْر) : (زَقْر) ، وفي " فَصدله " : فزدله " [٢]. وقال الخليل [٣] : " بَسَقَ و بَصَقَ وبَزَقَ لغات " . وقال [٤] " زدَقَ لغةٌ لأهل اليمن في صدَقَ " .

وربما نسب هذا الابدال في كلمةٍ إلى قبيلة من القبائل ، وذلك كالذي في قول الخليل [٥] : " الزَقْفُ لغة الأزْد في السَقْف ، يقولون : ازدقف ، أي استقف " .

وعلى هذا ، فقد نُطِقَت بعض الأصوات بثلاث صور حسب القبائل الناطقة بها . فقالوا : صَقْر وسَقْر وزَقْر . وقد روى ابن جني [٦] في ذلك قصة طريفة .

أما المبرر الصوتي لهذا الإبدال اللهجي ، فهو أن هذه الاصوات الثلاثة متقاربة، وقد يحل بعضها محل بعض . فكل قبيلة تختص بصوت منها أو أكثر . فالسين عند الحضريين ، تنطق زاياً عند البدو [٧].

ذلك أن السين صوت مهموس ، والزاي صوت مجهور ، وإن كان كل منهما من أصوات الصفير [٨].

ويبدو أن الخليل يعد النطق بالزاي في عدد من الألفاظ بدلاً من السين أو الصاد لغة رديئة ، على حين عدّها ، في ألفاظ أخرى ، مقبولة . يقول : لَصَقَ يلصَقُ لُصُوقاً لغة

---

العين ٥/ ١٥ (سقف) .
الخصائص ١/ ٣٧٤ .
العين ٥/ ٨٥ (بسق)
العين ٥/ ٨٨ (زدق) .
العين ٥/ ٨١ (زقف) .
الخصائص ١/ ٣٧٤ . ورواها ابن خالويه عن ابن دريد عن أبي حاتم في إعراب ثلاثين سورة ص ٢٨ ٢٩
اللهجات العربية ص ٧١ .
الزنجاني : المنح الفكرية على متن الجزرية ص ١٨ . وفقه اللغة لعلي عبد الواحد ص ١٦٢ .

تميم ، ولَسَق أحسن لقيس ، ولَزَق لربيعة ، وهي أقبحــها إلا فــي أشــياء نصفــها فــي حدود »[1].

٩ـ إبدال الثاء فاء والعكس : وهي لهجة فاشية ، إذ يقال : جَدَثٌ ، وجَدَفٌ ، للقبر[2] ، وثُمّ وفُمّ ، والأثافي والأثاثي . فالتي بالثاء تعزى لأهل العالية ، والأخــرى تعــزى إلــى غيرهم من قبائل ، وهم أهل السافلة[3].

وقد جعل ابن جني[4] الثاء في الإبدال الأول هي الأصل ، وعدّ الفاء فــي الإبــدال الثاني هي الأصل ، أي ما بين الأثافي والأثاثي . ونظر فــي هــذا الحكــم إلــى كــثرة الاستعمال . ولهذه اللهجة بقية في اللهجات الحديثة ، ففي المكلا والشحر من بلاد اليمــن تقلب الثاء فاء ، فيقولون : فلافة بدلاً من ثلاثة[5] وكذلك في مناطق من البحرين[6].

١٠- إبدال الزاي تاء : تعزى هذه اللهجة إلى بعض بني عقيل ، فــهم يقولــون فــي (لزب) : (لتب)[7]. وهذا ، كما ترى ، انتقال من صوت مجهور هو الزاي ، إلى صوت مهموس هو التاء . كما أنه انتقال من صوت رخو ، إلى صوت شديد هو التــاء . وهــذا ملائم لطبيعة القبائل البدوية في إبدال الأصوات ، كما مرّ علينا سالفاً .

وورد في التنزيل بالزاي ، على اللغة الأشهر الأفصح . قال تعالى : { إنا خلقناهم من طين لازب } (الصافات : ١١) .

وذكر أبو جعفر الطوسي[8] ، أن أصل (لازب) : (لازم) ، فأبدلت الميم باء ؛ لأنــها من مخرجها ، يقولون : طينٌ لازبٌ ، وطينٌ لازمٌ .

---

١ - العين ٥/ ٦٤ .

٢ الإبدال لابن السكيت ص ١٢٥ .

٣ الطوسي : التبيان ٨/ ٤٦٦ .

٤ - الخصائص ٢/ ١٤ .

٥ اللهجات العربية الحديثة في اليمن ص ٨٥ .

٦ - عبد العزيز مطر : ظواهر نادرة في لهجات الخليج ص ٢٦ .

٧ - التبيان ٨/ ٤١٦ . ومعنى (لزب) : لصق .

٨ - التبيان : نفس المكان .

قال النابغة :

ولا يحسَبونَ الخيرَ لا شرَّ بعدَهُ ولا يحسبون الشرَّ ضربةَ لازمِ

هذه أهم اللهجات العربية المتعلقة بالأصوات ، مما لم ترد له تسمية معينة في كتب اللغة ، أو على ألسنة الرواة . وبه نختم كلامنا على ما يتعلق بالأصوات من اللهجات

## المبحث الثالث :

### البنى والتراكيب :

كثيراً ما يكون لتغير أبنية الكلمات وشيجة باللهجات العربية ، كما أن لاختلاف كثير من التراكيب وشيجة بها ، مثلما كان ذلك للأصوات .

### ففي مجال الأبنية :

نلحظ أن بنية الكلمات قد تتغير نتيجة لتغير أصواتها ، كتغير الأصوات اللينة القصيرة مثلاً : الضمة والفتحة والكسرة ، والأصوات اللينة الطويلة : الألف والياء والواو. وكذلك تغير الأصوات الصامتة ، كاللام والنون ، وما إليهما .

فمن ذلك ما وصفه ابن جني بأنه انحراف الصيغة واللفظ واحد ، ومثل له بقول العرب: هي رغْوة اللبن ، ورُغوته ، ورِغوته ، ورُغاوته ، ورِغاوته ، ورغاية ، وقولهم: الذَّروح ، والذُّرَّوح ، والذُّرِّيح ، والذُّرَاح ، والذُّرَّح ، والذُّرنوح ، والذُّرحرح ، والذُّرَحْرَح ، وقال بعد إيراد هذه الأسماء المتباينة الأبنية : " روينا ذلك كله "[1] وهذه الطائفة الثانية من الأسماء ، إنما هي لمسمىً واحد ، وهو حشرة أكبر من الذباب .

وقد ذهب ابن جني إلى أن هذه الألفاظ يمكن أن تنسب إلى عدة لهجات ، وأن بعضاً منها ما هو في لهجة واحدة . وذلك نحو : بغداد وبغدان ، ومغدان . ونحو : طبرزل[2] وطبرزن . وكقولهم للحيّة : أيْم ، وأين ، وأعصُر ، ويعصُر .. ثم قال : "وما اجتمع فيه لغتان أو ثلاث أكثر من أن يحاط به"[3] ، ثم بيّن أن اللغتين إذا اجتمعتا في كلام شخص واحد، فالأحرى أن تعدا مما تواضعت قبيلته عليه ، إن كان استعمالهما متساوياً من حيث الكثرة في كلامه ؛ وعلل ذلك بالحاجة الأدبية إلى اللغة الثانية أو التوسع في تصاريف القول ، يقول : " لأن العرب قد تفعل ذلك للحاجة إليه في أوزان أشعارها ، وسعة تصرف أقوالها

---

[1] - الخصائص ١/ ٣٧٣ .

[2] - الطبرزل : السكر الأبيض الصلب وهو معرّب .

[3] - الخصائص : ١/ ٣٧٢ .

ثم أحتمل أمراً آخر ، وهو جواز أن تكون إحدى اللغتين لغته في الأصل، ثم استفى الأخرى من قبيلة أخرى " وطال بها عهده وكثر استعماله لها ، فلحقت – لطـول المـدة واتصال استعمالها بلغته الأولى " [1].

وكان ابن جني في هذا التعليل مصيباً حقاً ، وإليه ذهب الدكتور إبراهيم أنيس في تعليقه على رواية ابن جني هذه ، فقد قال : " ومن السهل الحكم على أن مثل هذه الكلمات المختلفة البنية ، تنتمي إلى لهجات متعددة . وقد ينتمي بعضها إلى لهجة واحدة " . ثم حدد زمان هذا الانتماء بأنه : " في جيلين مختلفين من أبناء هذه اللهجة " [2].

٢_ ومما يتعلق بالأبنية من اللهجات العربية ، ما يطلق عليه اسم " تركُب اللغـات " . وهو اسم أطلقه عليه ابن جني في الخصائص أيضا ، وعقد فيه باباً [3] له .

وسماه الباحثون المحدثون " تداخل اللغات " [4] . ومفاد هذا الاصطلاح وهذه الظاهرة اللهجية ، هو أن الأصل في اللغة أن تكون صيغة الفعل المضارع مباينة لصيغة ماضيه . وذلك باختلاف حركة عين كل منهما ، كما في ضرَبَ يضرِبُ ، وعلِمَ يعلَمُ . إلا أنه وردت في اللغة أفعال ليست فيها هذه المخالفة ، مثل سَلاَ يَسلَى . فهذا عند ابن جني مركب من لهجتين – أو كما سماهما لغتين – إحداهما سَلا يسلو ، والثانية سَلِيَ يسلَى ' ثم تلاقى أصحاب اللغتين ، فسمع هذا لغة هذا ، وهذا لغة هذا ، فأخذ كل واحد منهما من صاحبه ما ضمّه إلى لغته ، فتركّبت هناك لغة ثالثة ، كأنّ من يقول سلا أخذ مضارع من يقول سلِي ، فصار في لغته سَلا يسلَى " [5].

أو بعبارة أخرى : إن هذا الشخص قام بعملية انتقاء لغوي ؛ إذ أخذ ماضي لغتـه وضم إليه مضارع اللغة الأخرى ، فتكونت بذلك لغة ثالثة . هي التي سماها ابـن جنـي المتركبة ، ويسميها المحدثون المتداخلة ، كما بينا آنفاً .

---

[1] ٣٧٢ .

[2] اللهجات العربية ص ١٢٩ – ١٣٠ .

[3] الخصائص ١/ ٣٧٤ – ٣٨٥ .

[4] ... مقال الغوري دون ... في مجلة المشرق : ( تداخل اللغتين في الفعل الثلاثي ) م ١٥ العدد ٧ . والدكتور ... : أوزان الفعل ومعانيها ، ( تداخل اللغات ) ص ٣٢ وما بعدها .

[5] الخصائص ١/ ٣٧٦ .

وقد وصف ابن جني أولئك الذين فاتهم فهم هذا التركيب مثل هذا الفهم ، بأنهم قد " ضعف نظرهم ، وخفّت إلى تلقي ظاهر هذه اللغة أفهامهم " ، لأنـهم فـي مـا يرى : جمعوا أشياء على وجه الشذوذ عندهم ، وادّعوا أنها موضوعة في أصل اللغة " [1].

فهذه الصيغة وأمثالها مما ينعته القدامى بالشذوذ ، يمكن أن يعلل هذا التعليل. وبذلك يخرج طائفة من تلك الصيغ من ربقة هذا الوصف ، وفي هذا يقول الدكتور هاشم صـ شلاش : "وتصنيف أمثلة هذا الباب مع شواهدها على وفق الأوزان التي وردت عليـها ، مع توضيح محل التداخل فيها ، قد يحل إشكال باب مهم من أبواب اللغة [2]. وهو أمر لـه وجاهته .

وهناك أمثلة أخرى عدها اللغويون القدامى شاذة ، وهي لدى ابن جني من (تركـب اللغات ) مثل : نَعِم ، ينعُم ، وطهُر فهو طاهر ، وشعُر فـهو شـاعر ، وحمُض فـي حامض [3].

ومن ذلك أيضاً حضِر يحضُر ، ذكره ابن يعيش في باب التداخل ، وحكاه أبو زيد الأنصاري [4]. وقد نعته صاحب اللسان [5] بأنه شاذ ، لأن الأصل عنده : حضر يحضُر .

ولا نريد أن نفيض في ايراد امثلة لتداخل اللغات . إذ هي في اللغة كثيرة .

٣ – وهناك أمثلة لتغاير الأبنية في أصوات اللين القصيرة ، روتها لنـا كتب اللغة ، معزوة في أحيان كثيرة إلى قبائلها . فمن ذلك :

( أ ) هناك لهجات تميل إلى الكسر ، فمنها ما ينتقل من الفتح إلى الكسر ، علـى نحو ما نجد في لغة بني تميم في لفظه (مَطلع) ، إذ هم يكسرون اللام منها، فيقولون : " مطلِع الشمس " على حين يفتحها أهل الحجاز فيقولون : "مطلَع الشمس" [6]. وبالكسر قرأ القـر

---

١ - الخصائص ١/ ٣٧٤ .

٢ - أوزان الفعل ومعانيها ص ٣٢ .

٣ - الخصائص ١/ ٣٧٥ .

٤ - أوزان الفعل ومعانيها ص ٣٣ .

٥ - ٥/ ٢٧١ (حضر) .

٦ - الكتاب ٤/ ٩٠ .

المشهورون – إلا ابن كثير في رواية شبل عنه – قوله تعالى { حتى إذ بلغ مطلع الشمس } (الكهف : ٩٠) وبالفتح قرأ عيسى بن عمر وابن مُحيص وابن كثير في رواية شبل عنه [1]. ومن ذلك أن (القَرية) لغة عامة العرب ، و(القِرية ) لغة يمانية ، وقد اتفقوا جميعاً على (قُرىً) [2].

وتميم تقول : ( عَجَلزه ) ، وهي الناقة القوية الشديدة ، وقيس تقول (عِجِلزة) [3]. ومن العرب من يقول : (جَرْس الطائر ) ، ومنهم من يقول (جِرْس الطائر) ، قال أبو حاتم السجستاني [4] : " وهما لغتان " .

ومن اللهجات العربية ما ينتقل من الضم إلى الكسر ، فالقُلّة : رأس كل شيء ، وفي لغة : القِلّة [5].

ب – وهناك لهجات تميل إلى الضم ، وذلك كالميل من الفتح إليه ، على نحو ما ورد في (يا أيّها ) . فالمشهور فيها فتح الهاء ، وهي لغة عامة العرب، وبها نزل التنزيل . إلا أن لهجة بني مالك من بني أسد تضمها ، إذ يقولون (يا أيُّهُ النّاسُ ) [6]. وكأنّ هذا من (انسجام الصوتي ) الذي يعمد إليه المتكلم ، وذلك حين يجعل الفتحة التي على الهاء ضمة ؛ لتنسجم مع ما قبلها من الضم الذي على الياء . وهو الذي يسميه المحدثون من علماء الأصوات: (التأثر التقدمي) "**Progressive**" لأن الصوت الثاني يتأثر بالأول [7].

وهناك لهجات تميل من الكسر إلى الضم ، كما في فعل المقاربة (يكاد) ، إذ هو في كلام أغلب العرب مكسور الفاء ، إذا أسند إلى التاء أو نون النسوة أو نحوها مما يسكن له آخره . فيقولون : كِدْتُ أفعلُ كذا ، وبه نزل التنزيل قال تعالى : { تالله إن كِدت لتردين } . أما في لغة بني عَدِيّ فهو : " كُدْتُ أفعلُ كذا ، بالضم " [8].

---

مختصر في شواذ القرآن ص ٨١ – ٨٢ .

العين ٥/ ٢٠٢ ( قرى ) .

السكيت : إصلاح المنطق ص ١٠٣ .

[illegible] ص ٩٥ .

العين ٥/ ٢٥ ( قل ) .

اللهجات العربية ص ٧٢ .

اللهجات العربية ص ١٥ .

العين ٥/ ٢٩٥

٤ـ فَعَلَ وأفْعَلَ : وفيه اختلاف في لهجات العرب ، فقد يستعمل بعضهم فَعَلَ ويستعمل آخرون : أفْعَلَ . والمعروف أن الغالب على أهل الحجاز ومن والاهم من عدم الهمز ، والغالب على تميم ، وأهل نجد بعامة الهمز . وهو المروي عن أبي زيد الأنصاري[1] .

قال أبو حاتم السجستاني[2] : " سمعت أبا زيد يقول : أهل نجد يقولون : أكننت اللؤلؤة والجارية ، فهي مُكَنَّةٌ . وكننتُ الحديثَ ، وكلٌّ صوابٌ " . ومعنى ذلك أن فعل ... نجد ، وفعل لغة أهل الحجاز ـ فهم يقولون : كَنَنْتُ الشيء ، فهو مكنون . إذا ... وحفظته ، وبهذه الصيغة ورد ما في القرآن ، قال تعالى : { وعندهم قاصرات الطرف عِينٌ * كأنّهنّ بيضٌ مكنون } (الصافات : ٤٨ – ٤٩) ، وقال تعالى { ويطوف عليهم غلمانٌ لهم كأنهم لؤلؤٌ مكنون } (الطور : ٢٤) . فقال : مكنون ، ولم يقل : مُكَن . وربما كان بين اللغويين خلاف في ذلك :

فمن ذلك أن قريشاً تقول : فتنتُ ، وتميم تقول : أفتنتُ . قال الأصمعي ... فتنتُ الرجل ، وأنا أفتنته ، وأنا فاتنٌ ، وهو مفتونٌ . ولا يقال: أفتنْتُهُ ، ولا هو مُفْتَنٌ ، إنما يقال : فاتنٌ ومفتون "[3] . قال أبو زيد : " أفتنْتُه لغة تميم ، وهو في ... رؤبة :

يعرضْنَ إعراضاً لدينِ المُفْتَنِ

ويروى : لقلب المفتن " . فقال الأصمعي : لم أسمع هذا البيت فيه ... في هذه اللهجة ، التي تصوغ من هذا الفعل على وزن (أفعل) فذكر أبو حاتم تعقيباً على الأصمعي ، بيتاً آخر من رجز رؤبة فيه هذه اللهجة . وهو :

إني وبعض المُفْتِنين داوُدْ ويوسفٌ كادتْ به المكايدْ

---

[1] اللسان ... ١٤
[2] فعلت وأفعلت ص ٨٨
[3] فعلت وأفعلت ص ٩٩
[4] فعلت وأفعلت ص ٩٩

قال : فنظر الأصمعي في الأرجوزة ، ثم عابها ، وقال : " وقد كان فلانٌ النساج يضع عليه الرجز أظنه " . والمراد بالنسّاج أبو عبيدة ، إذ كان أبوه حائكاً ، فزعم الأصمعي أنه يضع شعراً وينحله رؤبة .

ويستمر أبو حاتم في إيراد شواهد على هذه اللهجة ، والأصمعي ينكر نسبتها والاعتداد بها[1] .

ومهما يكن من أمر ، فاللغة المشهورة السائرة (فَتَن) بصيغة فَعَل ، قال تعالى : { إن الذين **فَتَنوا المؤمنين والمؤمنات** } (البروج : ١٠) ، وجاء اسم الفاعل منها في قوله تعالى { **وما أنتم عليه بفاتنينَ * إلا من هو صالِ الجحيم** } (الصافات : ١٦٢ - ١٦٣ ).

وربما وازن اللغويون القدامى بين هاتين الصيغتين ، فاستجادوا إحداهما ، ورجحوها على الأخرى ، قال أبو حاتم[2] : " ويقال : ألَقْتُ[3] الدواة ، ولِقْتُ الدواة ، معروفتان ، وأجودهما : ألَقْتُ بالألف " . وقال أبو الحسن الأخفش[4] الأصغر ـ رواية عن المبرد ـ يقال : مَهَرْتُ المرأة ، وهي المشهورة الفصيحة ، وأمهرتُ لغة ليست في جودة الأولى .

٥- وربما كان الخلاف اللهجي في ابنية المضارع فحسب ، مع ثبات الماضي من الأفعال على صيغته ، وذلك أن من العرب من يقول : محا يمحُو ، ومنهم من يقول : محا يمحا ، ومنهم من يقول : محا يمحِي ، قال الأخفش الأصغر في اللهجة الأخيرة : " وهي شاذة قليلة ، يقول بعضهم : مَحَيْتُ ، كما يقول الآخرون مَحَوتُ " ، ثم علل اللغة الثانية بقوله : " ومن قال : يَمحا فإنما يفتح ، لأن الخاء من حروف الحلق "[5] . وهذه اللغة التي نعتها الأخفش بالقلة ، هي اللغة السائدة في لهجاتنا العراقية اليوم . فالعراقيون يقولون مثلاً: محيت الكتابة ، وأمحيها ، أي: أزلتها .

---

[1] فعلت وأفعلت ص ٩٩ - ١٠٠ .

[2] فعلت وأفعلت ص ١٢١ .

[3] ألقت الدواة ، كما فسرها أبو حاتم ، حركت السواد حتى ثبت الحبر في صوفة القلم .

[4] نوادر أبي زيد ص ٢٠٨ .

[5] نوادر أبي زيد ص ٢٠٩ .

٦ـ اختلاف في ترتيب الأصوات ، وهو من الظواهر اللهجية المعروفة عند العرب، ويراد به اختلاف ترتيب الأصوات ، بالتقديم والتأخير ، مع بقاء المعنى واحداً في كلتا اللهجتين . وهو ما يطلق عليه في العصر الحديث اسم (القلب المكاني) . فهذا القلب يغير في بنية الألفاظ كتقديم عين اللفظة في لهجة ما على الفاء .

وقد نبه عليه غير واحد من اللغويين والمفسرين كالقالي وابن جني والطوسي . قال القالي[١] : " أفصت الدجاجة : إذا انقطع بيضها : ويقال : أصفت الدجاجة وأصفى في الشعر ، وهو من المقلوب " .

أما ابن جني ، فقد سماه (قلباً) وذكر في الباب الذي عقده للأصلين "يتقاربان في التركيب بالتقديم والتأخير " ، أنه في كلام العرب كثير[٢] . وذكر الطوسي[٣] أن قريش وغيرهم من الفصحاء يقولون : صاعقة ، وصواعق والقوم يُصعقون ، وأن تميماً وبعض ربيعة يقولون : صواقع ، والقوم يُصقعون . ومن ذلك قول بعض العرب في الرسالة (مألك) ، وقول الأكثرين (ملاك) ، وعليه قول عديّ بن زيد العبادي :

أبلغ النعمان عنّي مَلأكـاً     أنه قد طال حَبْسي وانتظاري

قال الطوسي[٤] في تعليقه على هذا البيت : " وقد يُنْشَدُ مَلأكاً ومألكاً على اللغة الأخرى " .

وعلى هذه اللغة الأخرى ، ورد البيت في لسان العرب لابن منظور[٥] .

وقد عد ابن جني أوسع اللفظين تصرفاً ، أصلاً لصاحبه ـ ومثّل له بلفظتي (أنى) و(آن) ، ولفظي : (يئس) و (أيس) ، وكذلك (اضمحلّ) و (امضحلّ)[٦] . فهو على التمثيل يجعل (أنى) هو الأصل ، و (آن) مقلوب منه ، بدليل وجودك المصدر في (أوَ

---

١ - الأمالي ١/ ٣٤ .

٢ - الخصائص ٢/ ٨٢ .

٣ - التبيان ١/ ٩١ .

٤ - التبيان ١/ ١٢٩ - ١٣٠ .

٥ - اللسان ١٢/ ٢٧٢ ( ألك ) .

٦ - الخصائص ٢/ ٧٠ - ٧٢ .

وهو (الإنى) وعدمه في الثاني[1] . أما كون هذه لغات ، أو بتعبيرنا اليوم : لهجات ، فقد نص الخليل على ذلك في أشباه لها ، وصرّح بأن الخلاف البنيويّ فيها يرجع إلى اختلاف اللغات . فتراه يقول[2] . " القَلْقَلَة : شدة اضطراب الشيء في تحركه ، يقال : يَتَلَقْلَقُ ويَتَقَلْقَلُ ، لغتان " . وأنشد : شَبِيَةُ الأفاعي خِيفَةً تُلَقْلِقُ .

## في مجال التراكيب :

تختلف اللهجات العربية في طائفة من التراكيب ، ويشتمل هذا الضرب من الاختلاف على ظواهر نحوية متعددة ، وردت في لهجة أو أخرى . وقد حفظت لنا كتب النحو واللغة وغيرهما ، طائفة من هذا الخلاف اللهجي في التراكيب ؛ أو كما يسميه المحدثون : قواعد بناء الجمل[3] فمن ذلك :

١- لغة يتعاقبون :

وهي اللغة التي اشتهرت باسم (لغة أكلوني البراغيثُ)[4] . وتنسب إلى بني الحارث بن كعب ، يقولون : أكلوني البراغيث ، بدلاً من : أكلتني البراغيثُ . وقد أبى غير واحد من النحاة المتأخرين إطلاق هذا الأسم عليها، مستبدلاً بها تسمية أخرى رآها أكثر مناسبه لها ، وذات أكثر من دلالة خاصة، وهي : (لغة يتعاقبون) . ويعد ابن مالك أول من أطلق هذه التسمية عليها[5] . بناء على الحديث النبوي الشريف المعبّر عنها .

فمن دلالات هذه التسمية فصاحتها ، بل أفصحيتها ؛ إذ أن ذلك وارد في حديث نبوي ــ كما بينا ــ وهو قوله ( ﷺ ) : (يتعاقبون فيكم ملائكةٌ بالليل وملائكةٌ بالنهار )[6]، بدلاً من : يتعاقبُ فيكم ... في اللهجة التي هي أشيع.

وقد ذهب أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) إلى أن هذه اللهجة ضعيفة ، وليس الأمر كما ذكر ، إذ أنها مروية في أحاديث ، منها الحديث الذي ألمعنا إليه، والذي روي عن النبي (ﷺ) ، ومنها حديث السيدة عائشة (رضي الله عنها) [1] " كن نساءُ رسول الله يحضن فأمرهن أن يَجزين " [2] .

فقالت : كُنَّ نساءُ رسول الله (ﷺ) ، ولم تقل : كانت نساء رسول الله ، والأصل في الفعل إذا تقدم في الكلام ، أن يكون غير مسند إلى الضمير، ما دام الاسم الظاهر يليه .

ومنه حديث جابر بن عبد الله [3] الأنصاري (رضي الله عنه) : " وبلال باسِطٌ ثوبه، يُلقين فيه صدقة " .

والشأن كذلك في القرآن ، إذ حُمِلَ عدد من الآي على هذه اللغة في وجه من وجوه إعرابها . وذلك نحو قوله عزّ وجلّ : { ثم عَمُوا وصَمّوا كثيرٌ منهم } (المائدة : ) وقوله : { وأسَرُّوا النجوى الذين ظلموا } (الأنبياء : ٣) .

وهي واردة في كلام العرب شعراً ونثراً ؛ قال سيبويه : " وأعلم أنّ من العرب من يقول : ضَرَبوني قومُك ، وضَرَباني أخَواك ، فشبّهوا هذا بالتاء التي يُظهرونها في قالت فلانةُ . وكأنّهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة كما جعلوا للمؤنث ، وهي قليلة " ، ومنها بقول الفرزدق :

ولكن ديافي أبوهُ وأمُّهُ بحورانَ يَعصِرنَ السليطَ أقاربُهْ

فالضمير الذي أُسنِد إليه الفعل في هذه اللغة ليس إلا علامة ، في رأي سيبويه ، أنه حرف ، والاسم الظاهر بعده فاعل .

على أنه حمل (الذين) في قوله تعالى : { وأسَرُّوا النجوى الذين ظلموا } على البدلية ، راوياً إياه عن يونس بن حبيب (ت ١٨٢ هـ) ، ومثّل له ـ على وجه تقريب

---

[1] - صحيح مسلم ١/ ١٨٢ . باب وجوب قضاء الصوم على الحائض دون الصلاة .

[2] - يجزين : يقضين . والقضاء في الاصطلاح الفقهي : قضاء ما فات من العبادات .

[3] - صحيح البخاري ١/ ٢٠٣ بشرح ابن حجر .

يقول القائل : انطلقوا ، فقيل له : مَنْ ؟ فقال : بنو فلان[1] .

ومن شواهد هذه اللغة قول الشاعر[2] :

تولى قتــال المارقــين بنفسِهِ ... وقد أسلماهُ مُبْعَــدٌ وحميــمٌ

وقول آخر[3] :

فإنْ نفْنَ لا يُبْقــوا أولئك بعدَنـا ... لــذي حُرْمةٍ للمسلميــنَ حريم

فقال الأول : أسلماه ، والأصل : أسلمه . وقال الثاني : يُبقوا ، الأصل : يُبْقي .

## ٣- التزام المثنى والأسماء الستة الألف :

وهي لغة الحارث بن كعب[4] ، إذ يُلْزِمون المثنى الألف دائماً ، رفعاً ونصباً وجراً[5] كما يُلْزِمون الأسماء الستة .

وفي كتب اللغة والمعاني وغيرهما أخبار من تلك اللهجة .

قال الفراء[6] : إن رجلاً من بني أسد ، ما رأيت أفصح منه ، انشدني . عــن بنــي الحارث :

فاطرقَ إطراقَ الشُجــاعِ ولو يَرَى ... مساغاً لناباهُ الشجــاعُ لصَمّا

من ذلك الأسدي حكى عنهم : خطُّ يَدا أخي بعينهِ .

فالأصل أن يقال في البيت : (لنابَيْه) ، فيجر بالياء لأنه مثنى (ناب) ، وأن يقال في كلام الثاني : (يَديْ) ، لأنه مثنى (يد) ، وقد وقع مضافاً إليه .

---

[1] الكتاب ٢/ ٤١ .

[2] ابن عقيل : شرح ألفية ابن مالك ١/ ٣٩٨ ، وابن هشام : مغني اللبيب ١/ ٣٦٧ .

[3] ابن هشام : أوضح المسالك على ألفية ابن مالك ٢/ ١٠١ .

[4] الفراء : معاني القرآن ٢/ ١٨٤ ، والنحاس إعراب القرآن ٢/ ٥٤ .

[5] ابن هشام : مغني اللبيب ١/ ٣٨ .

[6] معاني القرآن ٢/ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقال أبو البركات بن[1] الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) : " وقد يحكى عن بعض
العرب انهم يقولون : هذا أباك ، ورأيتُ أباك ، ومررت بأباك ، بالألف في
الرفع والنصب والجر .... " . وكان الأخفش يرى أن الياء قلبت ألفاً في لغة
هؤلاء[2] وروي عن الامام أبي حنيفة النعمان بن ثابت أنه سئل عن إنسان رمى
بحجر فقتله ، هل تجب عليه العقوبة ؟ فقال : لا، ولو رماه بأبا قُبَيس . وقال ابن
الانباري[3] بعد ايراد هذا الخبر : "على هذه اللغة " .

ووردت هذه اللغة في الشعر ، ومن شواهدها قول الراجز :

إنّ أبـاهـا وأبـا أبـاهـا    قد بلّغـا في المجدِ غـايتـاهـا[4]

ومن أمثال العرب السائرة : " مُرغَمٌ أخاك لا بطَلٌ " ، والأصل : أخوك، بالرفع
فاعل لاسم المفعول : مُرغَم ، العامل عمل فعله المبني للمجهول .

ووجهت قراءة من قرأ : { إنّ هذانِ لساحران } (طه : ٦٣) ، بتشديد (إنّ) ورفع
(هذان) ، بأن ذلك على لغة بني الحارث بن كعب في إجراء المثنى بالألف دائماً ، وقيل
(هذانِ) مبني هنا لدلالته على الإشارة ، وقيل ، معنى (إنّ) هنا: نعم ، وليست مشبهة
بالفعل[5] .

٣- إعمال (ما) وإهمالها :

وذلك أن (ما) النافية ترد مشبهة بليس في كلام الحجازيين . فتعمل عندهم عملها
إذ يرتفع الاسم بها ، وينتصب الثاني بها . فيقولون مثلاً : ما محمدٌ قادماً ، على حين
يُهملها التميميون ، فلا تعمل عندهم عمل ليس ، فيرتفع الاسمان كلاهما بعدها . فيقولون
ما محمدٌ قادمٌ .

---

[1] الإنصاف في مسائل الخلاف ١/ ١١ .

[2] - الخصائص ٢/ ١٦ .

[3] - الإنصاف : نفس المكان .

[4] - الإنصاف ١/ ١١ ، ومغني اللبيب ١/ ٣٨ .

[5] - مغنى اللبيب ١/ ٣٨-٣٩ .

وبلغة أهل الحجاز ورد التنزيل ، قال عزّ وجلّ { ما هذا بشراً } (يوسف : ٣١) ، وقال تعالى : { ما هُنَّ أمهاتِهم } (المجادلة : ٢) ، على حين يرفع بنو تميم ذلك ، إلا من يدري أنها في المصحف منصوبة[1] وعلل ذلك سيبويه[2] ، بأن التميميين أجروا (ما) مجرى أمّا وهل ، فلم يُعملوها في شيء . ورأى أن ذلك هو القياس . وعلة ذلك كما يرى : أن هذه الأداة ليست بفعل ، وليست تشبه ليس ، ولا يضمر بعدها ، [3]فلذلك لا تعمل عملها . على حين أن أهل الحجاز أعملوها – كما يقول – لأنهم رأوا أن معناها كمعنى ليس[4] .

على أن لغة تميم في إهمال (ما) وردت في بعض القراءات ، كما وردت في الشعر . قال ابن خالويه[5] : " فأما بنو تميم فإنهم إذا أسقطوا الباء – يقصد التي في خبر ما العاملة عمل ليس والمهملة عندهم – رفعوا خبر (ما) ، فقالوا : ما زيدٌ قائمٌ . وروى المُفضل عن عاصم : { ما هُنَّ أمَّهاتُهم } ، وأنشد :

لشتانَ ما أنوي وينوي بنو أبي  جميعاً فما هذان مستويان

فأنت ترى أن الخبر في قراءة المفضل مرفوع ، وهو في البيت كذلك ، فلو كانت (ما) عاملة فيه لنصب فصار (مستويَين) .

أ- الخلاف في الاستثناء :

فأهل الحجاز على خلاف بني تميم في حركة الاستثناء الذي يطلق عليه اسم الاستثناء المنقطع ، وهو الذي يكون فيه المستثنى من غير جنس المستثنى منه ، فلا يكون الاستثناء عندئذ متصلاً ويكون إلا بمعنى لكن . فأهل الحجاز يقولون مثلاً : ما في الدار أحدٌ إلا حماراً ، أو إلا الخيامَ . وبنو تميم يقولون : ما في الدار أحدٌ إلا حمارٌ ، أو إلا الخيامُ . وقد علل سيبويه[6] لهجة الحجازيين في النصب ، بأنهم : " كرهوا أن يُبدلوا الآخر

---

[1] - الكتاب ١/ ٥٩ .
[2] - الكتاب ١/ ٥٧ .
[3] - الكتاب ١/ ٥٧ .
[4] - الكتاب : نفس المكان .
[5] - إعراب ثلاثين سورة ص ٥٢ .
[6] - الكتاب ٢/ ٣١٩ .

من الأول ، فيصير كأنه من نوعه ، فحُمِلَ على معنى : لكنَّ ، وعمل فيه كعمله في العشرين في الدرهم [1] .

ومراده أن الاستثناء لما انقطع بتغاير الجنسين ، لم يسغ لهم بدل المستثنى من المستثنى منه ، فجعلوا (الا) مثل (لكن) في العمل ، ونصبوا المستثنى كما يُنصب بعد المميز في قولهم : عندي عشرون درهماً .

وعلل لهجة تميم في رفع المستثنى في مثل هذه الحال بأنهم أرادوا : ليس فيها إلا حمارٌ، ولكنه ذكر أحداً توكيداً لأنْ يُعلَم أن ليس فيها آدمي، ثم أبدل، فكأنه قال: ليس فيها إلا حمارٌ . واحتمل لها وجهاً آخر من التعليل ، وهو إرادة المجاز ، بأن نزّله منزلة العاقل تجوّزاً [1] .

وأنشد للنابغة الذبياني :

يـادارَ ميّـةَ بالعليـاءِ فالسَّـنَدِ   أقْوتْ وطـالَ عليها سـالفُ الأبـدِ
وقفـتُ فيـها أُصَيـلاناً أُسائلُهـا   عيَّتْ جوابـاً ومـا بالربعِ من أحـدِ
الا أواريُّ لأيـاً مـا أُبيِّنُهـا   والنُّؤْيُ كـالحوضِ بالمظلومةِ الجَلَدِ

وقال[2] : " وأهل الحجاز ينصبون " .

والشاهد في هذا الشعر رفع المستثنى بعد إلا ، على وفق لهجة تميم ، على معنى البدلية ، والتقدير : ما بالربع أحدٌ إلا أواريُّ ، على أساس أنها من جنس الأحدين ومجازاً [3] .

وخالفهم في ذلك أهل الحجاز في النصب .

وأنشد بعد ذلك[4] :

وبلـدةٍ لـيس بهـا أنـيسُ   إلا اليعـافيرُ وإلا العيسُ

---

[1] - الكتاب ٢/ ٣٢٠ .
[2] الكتاب ٢/ ٣٢١ .
[3] - نظر تعليقة الأستاذ عبد السلام هارون في حاشية الكتاب ٢/ ٣٢١ .
[4] - الكتاب ٢/ ٣٢٢ .

واليعافير : جمع يعفور وهو ولد الظبي ، والعيس : جمع أعيس أو عيساء ، وهي بقر الوحش لبياضها ، والأصل أن يطلق على الإبل ، فاستعاره الشاعر للبقر[1] ، فأبدل اليعافير من الأنيس ، فرفعه على لغة تميم ، ولو كان على لغة الحجاز لنصبه ، على نحو تبيّن في الأمثلة السالفة.

### هـ- إسناد هَلُمَّ إلى الضمائر والعكس :

ففيه خلاف بين أهل الحجاز وأهل نجد ، وذلك من حيث إسناد (هلمّ) إلى الضمائر أو عدمه . فأهل الحجاز لا يسندونها إلى ضمير المثنى أو الجمع أو المخاطبة ، بل هي عندهم أبداً بصيغة وتركيب واحد إذ هم يقولون . هلُمَّ يا رجلان ، ويا رجالُ ويا نساءُ ويا فاطمةُ . وبلغتهم ورد ما في التنزيل ، فقد قال تعالى : { هَلُمَّ شهداءكم الذين يشهدونَ أنَّ الله حرَّمَ هذا } (الأنعام : ١٥٠). ولو ورد بلغة أهل نجد ، لقال : هلمّوا ، لأنّ المأمورين جمع ، وهم المشركون .

قال أبو عبيدة[2] : " هَلُمَّ في لغة أهل العالية للواحد والإثنين والجمع من الذكر والأنثى سواء ، قال الأعشى :

وكـان دعـا قومـه بعـدهـا     هَلُـمَّ إلى أمركُـم قـد صُرِمْ

وأهل نجد يقولون للواحد : هَلُمَّ ، وللمرأة : هَلُمِّي ، وللاثنين : هَلُمَّا ، وللقوم[3] : هلمّوا ، وللنساءِ ، هَلْمُمْنَ[4] يجعلونها هلممتُ " .

ومما ورد في الحديث على لغة الحجاز ، قول بلال بن رباح (ﷺ) للنساء اللواتي حثهن النبي ( ﷺ ) على التصدق : " هَلُمَّ فِدىً لكُنَّ أبي وأمي"[5]. فلم يقل : هلمُمْن .

---

1. حاشية الكتاب : نفس المكان .
2. مجاز القرآن ١/ ٢٠٨ .
3. يقصد : الرجال ، قال تعالى { لايسخر قوم من قوم ولا نساءٌ من نساء } (الحجرات : ١١)
4. في الأصل : هلُمْن ، وهو غلط من الناسخ . لأن الإدغام يفك بعد الإسناد إلى نون النسوة
5. صحيح البخاري ١/ ٢٠٣ شرح ابن حجر

### ٦ـ (متى) في لهجة هذيل :

المشهور أن (متى) ترد في كلام العرب اسم استفهام ، أو اسم شـرط ، أو اسماً مرادفاً للوسط[1] . وترد أيضاً بمعنى من أو فيَ ، وذلك في لغـة هذيـل ؛ إذ يقولـون : أخرَجَها متى كُمّهِ " ، أي : كُمِّهِ[2] . ومن ذلك قول أبي ذؤيب[3] الهذلي:

شرِبْنَ بمـاء البحـر ثم ترَفّعَـتْ          مَتـى لُجَجٍ خُضْرٍ لهُنّ نئيجُ

ومنه أيضاً قول ساعدة بن جؤية الهذلي :

أخيـلُ بَرقـاً مـتى حـابٍ لـه زَجَـلُ[4]

قال ابن[5] هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ) : " أي : من سحابٍ حـابٍ ، أي ثقيل المشي له تصويت " .

### ٧ـ (لعل) في لهجة عُقَيل :

الأصل في (لعل) أنها من أخوات (إنَّ) ، تدخل على المبتدأ والخبر ، فتنصب الأول ويبقى الخبر مرفوعاً بعدها ، وقد قال بعض أصحاب الفراء : وقد تنصبهما . معاً . قـال ابن[6] هشام : " وزعم يونس أن ذلك لغة لبعض العرب، وحكى : "لعلّ أبـاك منطلقـاً". وتأويله عندنا على إضمار يوجد ، وعند الكسائي على إضمار يكون " .

إلا أنها ترد حرف جر في لغة عقيل ، كقول الشاعر :

---

[1] ابن هشام : مغني اللبيب ١/ ٣٣٤ .

[2] ابن هشام : مغني اللبيب ١/ ٣٣٤ .

[3] ديوان الهذليين ١/ ٥٢ . وهي رواية العين كما في إشارة الديوان نفسه . والرواية الأخرى خالية من (من) بطـ...

[4] ديوان الهذليين ١/ ٥١ . والأول في مغني اللبيب ١/ ٣٣٥ ، وفي الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي ص ٤٦٨ .

[5] مغني اللبيب ١/ ٣٣٤ .

[6] مغني اللبيب ١/ ٣٣٤ .

[7] مغني اللبيب ١/ ٢٨٦

فقلت ادع أخرى وارفعِ الصوتَ دعـوةً

لعـلَ أبي المغوار منك قريـبُ [1]

فقال : أبي ، ولم يقل : أبا ، الذي هو الأصل في عمل هذه الأداة ، كما بينا آنفـاً. وقد أشار إلى هذه اللهجة أبو القاسم الزجّاجي (ت ٣٣٧ هـ) ، ولكنه لم يعزها إلى هذيـل أو قبيلة أخرى معينة ، وإنما نبه على أنها لغة لبعض العرب ، قال : " وللعرب فيـهـا ـ يقصد لعل ـ لغتان ، المجمع عليها منها هي التي تنصب الاسم وترفع الخبر . وقد روي أن بعضهم يخفض بها " ، ثم أورد البيت الذي ذكرناه آنفاً [2].

إلا أن الزجّاجي وصف هذه اللغة بالشذوذ ، قال : " وهذا شعر قديم ، ومثل هـذا يروى على شذوذه ولا يقاس عليه " [3] . وكأنه لا علم له بأن هذه لهجة لقبيلة مـن أفصح القبائل العربية التي يأخذ عنها اللغويون والرواة ، وهي قبيلة عُقَيل . وإلا لما وصفها بأنها لغة شاذة ، إذ قد روى الجر بها عن العرب أبو زيـد والفـراء والاخفش [4] ... وإذا كـان الأصل في (لعل) النصب ، كما هو المشهور الشائع من عملها ، وكان الجر بـهـا حالـة خاصة ، لأنها ظاهرة لهجية ؛ فإن ابن أم قاسم المرادي (ت ٧٤٩ هـ) يرى العكس هـو الصحيح ، في هذه الأداة وفي كل أداة تدخل على الاسم دائماً وتختص بـه ، ولا تكـون جزءاً منه ، يراه : "مراجعة أصل مرفوض " ، أي : عودة إلى أصل مطروح ، وذلك أن أصل كل حرف ـ عنده ـ إذا كان بهذه الصفة من الاختصاص بالاسم وعـدم الجزئيـة منه ، أن يعمل الجر ، يقول : " وإنما خرجَت إنّ وأخواتها عن هـذا الأصـل ، فعملت النصب والرفع ؛ لشبهها بالفعل ، ولذلك قال الجزولي : وقد جرُّوا بـ (لعل) منبهة علـى الأصل " [5] .

ويبدو أن أبا علي النحوي أراد بتأول الجر بها فـي البيـت فقـال : " يحتمـل أن الأصل : لعل لأبي المغوار منك جواب قريب " ! ثم حصل حذف وإدغـام ... فصـارت

---

[1] نوادر أبي زيد ص ٣٧ . وهي إحدى روايتين عنده . والثانية : لعل أبا المغوار . ويبطر [illegible] [illegible] الرواية داعيا ، بدلاً من دعوة .
[2] الزجاجي : اللامات ص ١٤٧ ـ ١٤٨
[3] اللامات ص ١٤٨ .
[4] المرادي : الجنى الداني ص ٥٣٠ .
[5] الجنى الداني : المكان نفسه .

على تلك الحال . وهذا في الواقع كما قال ابن[1] هشام : "تكلّفٌ كثيرٌ ... ثم هو محجوج بنقل الأئمة أن الجر بلعل لغة قوم بأعيانهم" .

وحكى المرادي[2] تأويلات أخرى للجر في هذا البيت الشعري ، رآها بعيدة ، وحكاها بصيغة التضعيف : (قيل) ، ثم قال :

"وإذا صحت اللغة بنقل الأئمة ، فلا معنى لتأويل بعض شواهدها بما هو بعيد" ، وهذا هو الحق ؛ إذ ليس من الصحيح إنكار لهجة ثابتة لدى أهل الثقات ، والتعسف في تأويل شواهدها بما يخرجها عن صورتها اللهجية الثابتة على ألسنة الرواة .

وذكر المرادي[3] أن الفراء أنشد على لغة عقيل هذه :

عَلَّ صروفِ الدهرِ أو دولاتِها     يُدْلِنَنا اللَّمَّةَ من لَمّاتِها

فتستريح النفس من زَفْراتها

ورواية الفراء في (معاني القرآن)[4] ، بنصب (صروف) لا بجرّها . فلعل المرادي استقاه من غير هذا الكتاب .

وروي الجر بـ (لعل) في قول الشاعر :

لعلَّ اللهِ فضّلكم علينا     بشيءٍ إنَّ أُمَّكُمُ شَرِيمُ

وخلاصة ما مرّ : أن الجر بلعل في لهجة عُقَيل ليس بمستبعد ، بل هو ثابت وليس ذلك ببعيد أيضاً ، وقد رأينا هذيلاً تجر بـ (متى) .

## ٨ – (اللذون) في لهجة هُذَيل :

الأصل في الاسم الموصول الدال على الجمع المذكر البناء على صيغة واحدة هي (الذين) ، وهي لغة أكثر العرب ، وبها ورد التنزيل . إلا أن المروي عن هذيل أنه

---

١ - مغني اللبيب ١/ ٢٨٦ .

٢ - الجنى ص ٥٣١ – ٥٣٢ .

٣ - الجنى الداني ص ٥٣٠ .

٤ - ٣ / ٩ ، ٢٣٥ ، وينظر الحاشية الجنى الداني ص ٥٣٠ .

٥ - الجنى الداني ص ٥٣١ .

ينطقونها بالواو بدلاً من الياء ، فيقولون (الّذون) ، إذا وردت في موضع ترفع فيه كأن تكون مبتدأ أو فاعلاً أو نحوهما ، قال أبو جعفر النحاس[1] (ت ٣٣٨ هـ) في إعرابه لقوله تعالى : { آلم * ذلك الكتابُ لا ريبَ فيه هدىً للمتقين * الذين يؤمنــون بالغيب ... } (البقرة : ١-٣) : " والمضمر في يؤمنون يعود على الذين ، وهُذيل تقول : اللّذون ، في موضع الرفع " . وقال الفراء[2] : " وكنانة يقولون : اللذون " .

وقال ابن خالويه[3] في إعرابه لسورة الفاتحة : " الذين : جرّ بإضافة الصراط إليه " ، يقصد أنه في موضع جر ، لا أنه مجرور كما تجر المعربات. ثم قال مشيراً إلى لغة هذيل في إعرابها ، وذلك برفعها بالواو ونصبها وجرها بالياء :

" ومن العرب من يقول : جاءني الّذونَ ، ومررتُ بالّذين فيعرِب " . ثم ذكر أن شيخه أبا بكر بن مجاهد المقرئ (ت ٣٢٤ هـ) انشده :

وبَنــوُ نُوَيجيَــة الّــذون هُــمُ مُعْــطٌ مُخَذَّمــةٌ مــن الخِــزّانِ[4]

ويلحظ أن ابن خالويه لم يعزُ هذه اللهجة إلى هذيل ، بل أطلق عزوها إلى طائفة من العرب . ثمّ استطرد بعد ذلك إلى الإشارة إلى لهجة أخرى في استعمال اسم موصول هو (اللائي) الذي يختص بجمع الإناث . وقد ورد في التنزيل ، قال تعالى : { واللائي يئسن من المحيض } (الطلاق : ٤) ، فقد بين ابن خالويه أنه يرد في كلام طائفة من العرب معرباً بالواو والنون والياء والنون ، ومستعملاً لجمع الذكور دون الإناث. فهو من قبيل الملحق بجمع المذكر السالم إذاً . قال[5] : " ومن العرب من يقول : جاءني اللاءونَ ، ومررتُ باللائينَ " ، ثم احتج[6] له ببيت أنشده الفراء :

هم اللاءون فَكّوا الغُلّ عنّي بمرْوِ الشاهِجان وهُم جَناحي

---

إعراب القرآن ١/ ١٣١ ، وأشار ناليه إليها في ص ٥٣٥ .
معاني القرآن ٢/ ١٨٤ .
إعراب ثلاثين سورة ص ٣٠ .
المصدر نفسه : المكان نفسه .
إعراب ثلاثين سورة ص ٣٠ .
المصدر نفسه : المكان نفسه .

و (الذين) في لهجات العرب . منهم من ينطقها (اللاذُون) في الرفع والجر، كما يذكر النحّاس[1] . ويبدو أنهم يفعلون ذلك في النصب أيضاً ، وإنما ذكـر النحـاس الرفع اكتفاء، إذ حالُه كحال النصب في علامة جمع المذكر السالم . وعلى هذا يكون هذا الفريق من العرب ، قد استعملوا (اللاذون) اسماً مبنياً ملازماً لحال واحدة .

ومنهم من ينطقها (اللذيُون)[2] . ويبدو أن هؤلاء جمعوها كجمـع المذكر السالم بالواو، بعد أن عدّوها اسماً معرباً مفرده (الذي) . ولا يذكر لنا النحاس أن كانوا يلزمون الرفع دائماً ، أم يقولون (اللذيين) في حالة النصب والجر ؟ ومهما يكن من أمر فهي يذكر لغة من لغاتهم . والتصرف في الألفاظ من شأن العرب فـي لغتـهم ، وفي اللهجات واضحة جداً .

ولا يبعد أن يكون هذا الفريق هو الذي يثني (الذي) بقولـه : (الذيـان) بثبوت الياء[3]، في حالة الرفع ، فإذا نصب أو جر استعمل الياء بدل الألف ، فقال : (اللذيين)

واللهجة المشهورة التي عليها كلام أكثر العرب (اللذانِ) ، وبها ورد التنزيل. بيد أن من العرب من يطرح النون تخفيفاً ، فيقول : (اللذا)[4] .

---

1 إعراب القرآن ١/ ٤٢٧

2 إعراب القرآن : نفس المكان .

3 إعراب القرآن ١/ ٤٢٧ .

4 سيبويه : الكتاب ١/ ١٨٦ . وذكر أن النون حُذفت منها حيث طال الكلام ؛ لأن الاسم الموصول مع صلته كالاسم الواحد . ولذا قال الأخطل ، في قصيدة له : ... إنّ عَمّيَّ اللذا سَلَبا الملوك ... فحذف نون (اللذان) لما جاء بعدها من صلة .

## في دلالة الألفاظ ومادتها :

ونعني بذلك اختلاف القبائل العربية في دلالة طائفة من الألفاظ التي تدور على ألسنتها وتحاورها ، واختلافها في مواد تلك الألفاظ . وذلك بأن تكون إحدى القبائل قد استعملت لفظة معينة بدلالة معينة ، وتكون القبيلة الأخرى قد استعملت تلك اللفظة ذاتها بدلالة أخرى غير تلك الدلالة .

فمن هذا النوع ما رواه الأصمعي من أن (شايَحْتُ) تعني في لهجة قيس وتميم : حاذَرْتُ ، وتعني في لهجة هذيل : جَدَدْتُ في الأمر[1] ، أي نشطتُ فيه . وانشدوا لابن الإطنابة :

وإعطائي على الإعدام[2] مالي وضربي هامةَ البَطَلِ المُشيحِ

قال أبو القالي : " المُشيح : المبادر المنكمش "[3] .

وقال الخَليل[4] : " القَينة : الأمَةُ ، وفي لغة هذيل : الرجل المتزيّنُ بالملابس"[5] .

ونجد في كتاب (اللغات في القرآن) ، الذي رواه ابن حسنون المقرئ بسنده عن عبدالله بن عباس (رضي الله عنه) ، طائفة من هذه الألفاظ التي تتباين دلالاتها بتباين الناطقين بها من القبائل .

فمن ذلك ، كلمة (السفهاء) في مثل قوله تعالى : { قالوا أنؤمنُ كما آمنَ السُفهاءُ } (البقرة : ١٣) ، إذ جاء في هذا الكتاب أن السفيه : هو الجاهل بلغة كنانة[5] . وكنانة من القبائل العربية المعروفة ، وهي من قبائل العراق المعروفة اليوم .

[1] المعاني : الأمالي ١/ ٢٥٨ .

[2] الإعدام : الفقر المدقع والحاجة الشديدة إلى المال . من اعدم الرجل : إذا أملق .

[3] الأمالي ١/ ٢٥٨ .

[4] العين د/ ٢١٩ .

[5] اللغات في القرآن ص ١٧ .

ومن ذلك (ينعق) في قوله عزّ وجلّ : { ... كمثَلِ الذي ينعَـق بمـا لا يَسمَعُ إ دعاءاً ونداءاً } (البقرة : ١٧١) ، إذ قال : " يعني : يصيح ، بلغة طيّئ " [١].

وجاء في كلمتي (سيّد) و (حَصور) من قوله تعـالى : { وسَيِّداً وحَصوراً } (آل عمران : ٣٩) : " يعني بالسيد : الحليم بلغة حِمْير ، والحصور : الذي لا حاجة له في النساء بلغة كنانة " [٢].

وفي قوله تعالى : { وما جعل عليكم في الدينِ من حرَجٍ } (الحج : ٧٨)، قال في بيان معنى (حرَج) : " يعني : من ضيق ، بلغة قيس عيلان " [٣]. وإذا رجعنا إلى معجم العين ، وجدنا فيه طائفة من هذه اللهجات المتباينة في الدلالات. فمن ذلك أن " العنـ... الناب بلغة اليمن " [٤] ، ومنه أيضاً أن "المعصوب : الجائع في لغة هذيل الذي كانت ... تيس ، وهو يعصب عصوباً وهو عاصب أيضاً . يقال : لأنه عَصَبَ بطنه بحجر ... الجوع " [٥].

فهذا نوع من اللهجات يعود التباين فيه إلى اختلاف الدلالات في الكلمة الواحدة ... هو الأشهر الأكثر كما يتبين ذلك من كتب اللغة . وهنك نوع آخر من هذا الخلاف ... في الدلالات ، يرجع إلى أن لفظتين أو اكثر تستعملان في لهجات متباينة بدلالة واحدة ... أو بعبارة أخرى ، هي الألفاظ المترادفة ، التي تعد لـدى القدامـى كـالرازي وبعض المحدثين كالدكتور إبراهيم أنيس هي النموذج الصحيح للترادف في العربية . على ما ... في كلامنا على الترادف سالفاً . وذلك كالبُرّ والحنطة ، والقمح لغة شامية [٦] ، والحنطة هي اللفظة الدائرة على ألسنتنا اليوم ، فالبُر كما قدمنا لفظة حجازية ، والحنطة لفظة عراقية ننطقها اليوم نحن معشر العراقيين دون اللفظتين الأخريين . وإن كنا نعرف بطبيعة ... أنهما لفظتان عربيتان فصيحتان ، ولكن كثيراً ما نستعمل في فصحانا كلمة القمح ، إذ هي

[١] اللغات في القرآن ص ١٨
[٢] اللغات في القرآن ص ١٧
[٣] اللغات في القرآن ص ١٨ .
[٤] العين ١/ ٢٠٣ (عنان) .
[٥] العين ١/ ٢٠٩ (عصب) .
[٦] البيان والتبيين ١/ ١٧ .

دائرة على ألسنة الزراعيين وغيرهم إذا ما تحدثوا بالفصيح في المذياع أو التلفاز أو الصحف..

ومن ذلك السكّين ، والمدية ، فالأولى لغة سائر العرب ، وبها جاء التنزيل، وهي لغة النبي ( ﷺ ) في حديث أبي هريرة عنه . أما المدية فهي لغة قبيلة دوس ، وقد وردت في حديث أبي هريرة نفسه ، وقد تقدم الكلام عليها وعلى شاهدها الشعري في مبحث (الترادف) في العربية .

وقد ذكر أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه (غريب الحديث) طائفة من هذه الألفاظ التي كانت متداولة في قبائل عربية ، أو أمصار ومدن عربية كالعراق والشام واليمن والبصرة والمدينة .. فهو يذكر مثلاً أن (البَيْدَر) موضع الحنطة ، وأنه في كلام أهل العراق . وأن (الأَنْدر) في كلام أهل الشام[1] .

ويقول في موضع : إن أهل العراق يسمون استخلاص الحبوب من سنابلها (دِياسة) يقولون : داس الناس الحنطة أو الطعام دياسة ، ويسميها أهل الشام (دِراسة ) ، فيقولون : درس الناس الطعام دِراسة[2] .

ويذكر أن أهل العراق يسمّون (الحقل) : (القِراح)[3] ، والشجر الذي يسميه أهل الشام : الأرز ، يسمّونه : الصنوبر[4] . وروى أبو عبيد أيضاً قصة طريفة في هذا الموضوع مفادها أن رجلاً قال لعبد الله بن عمر (رضي الله عنه): إن عندنا بيعاً بالنقد بسعر وبالتأخير بسعر . فقال : ما هو ؟ قال : (سَرَق الحرير) ، فقال له ابن عمر : مالكم معشر العراقيين تسمّون أسماء غريبة ؟ هلا قلت : (شُقَق الحرير) ؟ ! ثم قال له : إذا اشتريت فكان لك ، فبعه[5] كيف شئت . ومعنى هذا أن ابن عمر لم يكن يستعمله هذا الاستعمال . وقد علق أبو عبيد[6] على هذا الخبر بقوله : " سَرَقُ الحرير : هي الشُقَق أيضاً كما قال ابن عمر ، إلا أنها البيض منها خاصة . قال الراجز :

---

[1] - أبو عبيد : غريب الحديث ١/ ٢٤٧

[2] - غريب الحديث ٢/ ٣٠٢ .

[3] - غريب الحديث ١/ ٢٣٠ .

[4] - غريب الحديث ١/ ١١٨ .

[5] - غريب الحديث ٤/ ٢٤١ .

[6] - غريب الحديث : المكان نفسه .

ونَسَجت لوامعُ الحَـرور  سبائباً كسَرقِ الحريـر

وهذا الرجز للعجّاج[1] . فهو إذاً من فصيح كلام العرب ، فقد عُرف العجّاج ... رؤبة من بعدُ بأنهما من أفصح الناس[2] . وورود (سَرَق الحرير) فيه ، يدل على ... عربي مستعمل غير مجفوّ عنه ولا مطروح لضعفه أو حوشيته أو نحوهما ... ابن عمر على ذلك العراقي استعماله له ، لأنه لم يستعمل — في ما يبدو — ... الأسير . ولم يكن استعمال ذلك الرجل له إلا لأنه عربي خالص . ومعلوم ... الأمصار الإسلامية ، إنما كانوا ينطقون بلهجات العرب النازلة فيهم . وقد مر ... كلامنا على الترادف الإشارة إلى ذلك .

وفضلاً عن ذلك فإن أبا عبيد قد فرّق بين (سَرَق الحرير) و(شُقق الحرير) ... جزئية تشعر بتمايز بينهما ، إذ بيّن أن سَرَق الحرير تختص بالبيض منها . والمراد ... المادة التي ينسج منها الحرير قبل أن تنسج ، فهي من الصوف بمنزلة (الغزل) .

وقد أورد الجاحظ[3] جملة من الفروق اللفظية التي من هذا القبيل بين أهل مكة و... البصرة . ونحسب أن ما أوردناه هنا أعطى صورة واضحة لعلاقة اللهجات العربية بالدلالات من حيث اتفاق اللفظ وتباين الدلالات ، أو من حيث العكس ، أي تباين ... واتفاق الدلالات .

وهذا لاشك يمثل جانباً مهماً من دراسة اللهجات ، إذ صار البحث في ... الدرس اللغوي الحديث ذا اهمية في الكشف عن جوانب مهمة من رقيّها ... نالت العربية ، لغة الكتاب المعجز المبين ، نصيباً أوفى من هذه السمة أو تلك .

وبه نختم حديثنا عن اللهجات العربية ، بعد أن منحناه ماهو جدير به ... والتحقيق ، ليكون القارئ والدارس ، على علم بذلك التراث العريض الذي خلفه ... الأجداد .

[1] اللسان (حرر) و(سرق) .

[2] وقد شهد لهما بذلك يونس بن حبيب . وينظر : الزبيدي : طبقات النحويين واللغويين ... المباحث : اللغوية في سيرة ابن هشام ص ٢٨١ مجلة آداب المستنصرية العدد ٩ ، لسنة ١٩٨٤

[3] البيان والتبيين ١/ ١٩ .

# الفصل السّادِس

# نِمو العَربية وقدرتها عَلى مواكبَة العَصْر

## تمهيد :

ليست اللغة العربية في طفولتها وبداية نشأتها ، كحالها في شبابها وقوتها وليست العربية بدعا من اللغات في هذا الجانب ، بل هي واحدة من لغات العالم التي مرت بأطوار متعددة ، ورافقتها أحوال متباينة ، انتهت بها إلى أن تصبح أكثر اللغات ثروة ، وأقدرها على النموّ والاتساع والتطور في الألفاظ والأساليب.

ولقد عقد القدامى من علماء العربية فصولاً مستفيضة في مصنفاتهم لبحث عدة أمور تدور حول هذا الموضوع ، موضوع نمّو اللغة ، والوسائل المؤدية إليه . ولسنا واجدين لدى القدامى كتاباً جامعاً لهذه الوسائل كلها ، ولكنا نجد هنا وهناك شذرات من هذه الوسائل ، قد بُحثت بحثاً يتسم بالجد والدقة في أكثر جوانبه ، وأن يعْوزه كثير من الحقائق التي توصل إليها المعاصرون نتيجة لتطور الدراسات اللغوية في هذا العصر ، ونتيجة لظهور دراسات اللغات التي يطلق عليها اسم اللغات السامية ، وما انتهت إليه هذه الدراسات من معرفة الوشيجة التي تربط هذه اللغات بعضها ببعض ، وانتقال طائفة من ألفاظها وأساليبها ، من لغة إلى أخرى من تلك اللغات .

وقد ألف العالم الأمريكي (وتني) " **Whitney** " سنة ١٨٧٥ م كتاباً في موضوع نمو اللغة ، سماه : ( حياة اللغة ونموها ) :

**"life and growth of language"**[1]

وكانت نتيجة تلك الوسائل ، أن صارت لغتنا العربية ــ منذ القدم ــ قادرة على مواكبة كل عصر . وما يجد فيه من مظاهر الحياة الجديدة ، والحضارة المتطورة . فلم تقف لذلك عاجزة عن تلك الحيوية ، ولا بدت عليها يوماً علائم الشيخوخة أو الاكتهال . بل كانت ــ وما زالت ــ حية متطورة متميزة ، بكل ما فيها من خصائص ، ذكرناها في الفصل الرابع ، وما لديها من وسائل للنمو والاتساع . فليس من شك في أن " اللغة كائن حي ينمو ويتّسع لمسايرة الفكر والحضارة "[2] .

---

[1] - دي سوسور : علم اللغة العام ص ٢٢ – ٢٣ . وجسبرسن : اللغة : طبيعتها ونموها وأصلها ص ١٥ .

[2] - أنيس فريحة : نظريات في اللغة ص ٨٠ .

وهذه السِمة تكاد أن تكون عامة في كل لغة ، وإن تباينت من حيث إنها تأخذ منه بنصيب كبير أو ضئيل . يقول ستيفن أولمان[1] : " هناك طرائق عدّة لتجديد التراث اللفظي للغة ، أهمها : أبتكار المفردات ، وصوغ كلمات جديدة من أصول قديمة ، والإقتراض من لغة أخرى ، وتغير المعنى . وهذه الطرائق جميعاً إلى جانب النمو في الثروة اللفظية " .

ومراده من ( ابتكار المفردات ) : ما يسمى بالارتجال في اللغة ، ومن (صوغ كلمات جديدة من أصول قديمة ) : الاشتقاق ، ومن (الاقتراض) : ما يسمى لدى القدامى والمحدثين من العرب باسم التعريب . وأما تغير المعنى فهو ما يطرأ على الألفاظ من تطور في الدلالات عبر العصور المختلفة .

وإذا أردنا أن نحدد وسائل نمو العربية ، ألفيناها خمساً ، هي : القياس والاشتقاق، والاقتراض (التعريب) والنحت والارتجال .

وسنتحدث عنها واحدة واحدة ، مع بيان قدرتها الفائقة المستمرة على مواكبة العصر، بل العصور المختلفة ، وذلك جليّ في المراحل التي مرّت بها ، حتى آلت إلى ما آلت إليه من الثراء في المفردات والتراكيب والدلالات. ويختلف أثر هذه الوسائل في اللغة بحسب طواعية اللغة له ، والحاجة إلى هذه الوسيلة أو تلك بحسب العصور المتباينة والظروف الموضوعية المتعددة .

---

[1] - دور الكلمة في اللغة ص ١٨٨ .

# القياس

القياس لدى القدامى أساس نبني عليه كل ما نستنبطه من قواعد في اللغة، أو صيغ في كلماتها ، أو دلالات في طائفة من ألفاظها . فعلماء اللغة في القرن الثاني خاصة ، جعلوا التراث اللغوي الذي استقوه من فصحاء العرب، أساساً يبنون عليه ما يَعِنُّ لهم ، لأن العربية ليست لغة الأدب فحسب ، بل هي ، قبل كل شيء ، لغة القرآن .

والقياس إنما هو " استنباط مجهول من معلوم "[١] ، وهو في تحديد القدامى من النحويين له : " حمل غير المنقول على المنقول ، إذا كان في معناه "[٢] ، أو "حمل فرع على أصل بعلّة ، وإجراء حكم الأصل على الفرع"[٣] . ولقد قاس علماء اللغة الأوائل من بصريين وكوفيين ، وإن اختلفت مناهجهم فيه ؛ إذ كان البصريون يقيسون على الكثير الشائع من اللغة . على حين أجاز الكوفيون القياس على القليل ، بل النادر منها .

غير أن ذلك ليس بمطّرد ، فربما قاسوا على القليل ، ورفضوا فيما هو أكثر ورودا في اللغة . قال ابن جني[٤] في الباب الذي عقده لما قلّ أو كثر من القياس ، وسماه : (باب في جواز القياس على ما يقلّ ، ورفضه فيا هو أكثر منه ) : " هذا باب ظاهره – إلى أن تعرف صورته – ظاهر التناقض إلا أنه مع تأمّله صحيح . وذلك أن يقل الشيء وهو قيس ، ويكون غيره أكثر منه ، إلا أنه ليس بقياس .

الأول قولهم في النسب إلى شَنُوءة شنئيّ ، فلك – من بعدُ – أن تقول في الإضافة إلى قتوبة : قَتَبيّ ، وإلى رَكوبة : رَكَبيّ ، وإلى حلوبة : حلَبيّ ، قياساً على شنئي ، وذلك أنهم أجروا فعولة مجرى فعيلة ، لمشابهتها إيّاها من عدة أوجه" . ثم بيّن أوجه التشابه بين المقيس والمقيس عليه ، وهي : أن كلاً من فعولة وفعيلة ثلاثي ، وثالث كل منهما

---

١ أنيس : من أسرار اللغة ص ٩ .

٢ الأنباري : الإغراب في جدل الإعراب ص ٤٥ ، وينظر : السيوطي : الاقتراح ص ٦٤

٣ الأنباري : لمع الأدلة في أصول النحو ص ٩٣ .

٤ الخصائص ١/ ١١٥ .

حرف لين يجري مجرى صاحبه ، كجواز حركة كل من اليـــاء والـــواو دون الألـف ، وكوجود تاء التأنيث في كل منهما .. فلما كان بينهما هذا التشابه جرت واو كلمة (شنوءة) مجرى ياء (حنيفة) ، (فكما قالوا : حَنَفيّ قياساً ، قالوا شَنَئيّ أيضاً قياساً ) . وأما ما هو أكثر من باب شنئي ، ولا يجوز القياس عليه فمثل ثقفيّ نسبة إلى ثقيف[1] والسبب أنه لم يكن على قياس ؛ فلا يقال في سعيد سعديّ قياساً عليه .[2] إلا أن صنيع البصريين يجعل اللغة أكثر انسجاماً ، من حيث إن الكوفيين يفتحون باب القياس على مصراعيه . فيؤدي ذلك إلى تكثير قواعد اللغة وتشعبها وتقليل انسجامها .

ومهما يكن من أمر ، فإن القياس في العربية ركن من أركان نمائـــها . حتى إذا انتصف القرن الثالث للهجرة ، وجدنا أبا عثمان المازني (ت ٢٥٤ هـ) ينادي أن " ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب[3] " . ويضرب لذلك مثلاً قيـاس فعـل غير مسموع على فعل آخر مسموع ، ومستعمل في الكلام . فإذا سمعت : (قامَ زيدٌ) ، أجزت (ظرُفَ بشرٌ) و(كرُمَ خالدٌ) ، مع أنك لم تسمع من قبل بهذين الفعلين : كـرُم وظـرُف . وإنما سمعتَ بالوصف منهما ، وهو الصفة المشبهة (كريم) و (ظريف) . وقـاس النحاة واللغويون كذلك ماضي (يَذَرُ) و(يَدَعُ) على نظائرهما مثل (وقَع) ، و (وصَل) ، فقالوا فيه (وذَرَ) و(ودَعَ) . وأجمعوا تقريباً على أن هذين الفعلين غير مستعملين لسبب من الأسباب . وقد علّل سيبويه[4] ذلك باستغناء العرب عنه بالفعل تَرَكَ .

حتى إذا كان الربع الأخير من القرن الرابع ، وجدنا أبا علي وتلميـذه ابـن جني ينديان بما نادى به أبو عثمان المازني من قبل ، وهو أن ما قيس على كلام العرب من كلام العرب . وقد عدّه ابن جني[5] من دقيق الموضوعات اللغويـة وأعلاهـا . كما عد القياس وسيلة من وسائل نمو اللغة وثرائها بعد نشأتها ، سواء أكانت تلك النشأة توقيفاً أو اصطلاحاً . وحكى أن هناك من يذهب إلى أن اختلاف لغات العرب ، يرجع إلى أصل

---

١ [illegible] إلى قريش وسليم ، الخصائص ١/ ١١٦ .
الخصائص ١/ ١١٦ .
٢ - الخصائص ٢/ ٣٥٧ .
٣ الكتاب ٤/ ٦٧ .
٤ - الخصائص ١/ ٣٥٧ .
٥ - ١/ ٢٨ .

... أي: إلى بدايتها ونشأتها، فهي على هذا الرأي مختلفة منذ البداية، ثم أضيف إليها شيء تحتاجه إلى تلك الأشياء[1] غير أنها على قياس ما كان وُضع[1].

واختار ابن جني – بعد حكاية هذا الرأي – أن يكون الموضوع نوعاً واحداً من ... ثم رأى من جاء بعد ذلك أن يخالف القياس إلى قياس آخر غير الأول، ولكنه يجري في الصحة مجرى ذلك الأول[2]، فنمت بذلك اللغة، وازدادت ثروتها.

إلا أن ابن فارس – معاصر ابن جني وشيخه أبي علي – يخالف في ذلك – فيما ... يذكر في الباب الذي سماه: (القول في لغة العرب، هل لها قياس ...)؟ أن ... اللغة أجمعوا – إلا من شذ عنهم –:

أن للغة العرب قياساً[3]، ولكنه يقطع هذا القياس ويوقفه عند العرب أنفسهم، دون من جاء من بعدهم، يقول: "وليس لنا اليوم أن نخترع ولا أن نقول ما قالوه، ولا أن نقيس قياساً لم يقيسوه لأن في ذلك، فساداً للغة، وبطلان حقائقها. ونكتة الباب أن اللغة تؤخذ قياساً نقيسه الآن نحن"[3].

فالقياس عند ابن فارس إذاً، ما جاء في لغة العرب الفصحى على قياس ما هو موضوع متكلم به نحوهم، وليس لمن خلفهم حق في ذلك. وهذا يعني أنه يسد باب القياس اللغوي في عصره – لقوله الآن – فكيف بالعصور التي تلته؟ لا شك أنه لا يبيح ذلك من باب الأولوية.

وهذا في الواقع فيه حجر على اللغة، وصدٌّ عن روح التوسع فيها. والتوسط في ... خير من المبالغة فيه بفتحه على مصراعيه، وخير من سده إلى الأبد؛ إذ هو ... من وسائل نمو اللغة وتطورها ورقيها.

وهو فوق ذلك مما تحتاج إليه لغة الضاد في العصر الحديث لتواصل مسيرتها في ... الإنسان العربي، وكل من ينطق بها، بما يحتاج إليه من مفردات وتراكيب..

وقد قسم النحاة واللغويون الظواهر اللغوية على أربعة أقسام:

---

(1) الخصائص ١/ ٢٩.

(2) الخصائص ١/ ٢٩.

(3) الصاحبي ص ٦٧.

الأول : المطرد[1] في القياس ، والاستعمال ، ويراد بالاستعمال ما يطلق عليه أيضاً اسم السماع . وهو أكثر اللغة ، والدائر على ألسنة المتكلمين ، ولا جدال في ترسمه نحو : قام زيدٌ ، وأعنتُ هنداً ، وأثنيتُ على سعيدٍ . قال ابن[2] جني : " وهذا هو الغاية المطلوبة والمثابة المنوبة " ، يريد أنه الأكثر والاساس في اللغة .

والثاني : المطرد في الاستعمال ، الشاذ[3] في القياس . ويمثل هذا النوع قدر كبير من الاساليب المروية عن فصحاء العرب ، وهو الذي تعاهده البصريون حيناً بالتأويل ، فإن لم يقبل التأويل ، نعتوه بالشذوذ . وهم يقفون من هذا النوع عند حد السماع ، فلا يقيسون عليه[4] ، وشعارهم المعروف في هذا : " يُحفَظُ ولا يُقاسُ عليه " . فمن ذلك ، قولهم استصوبتُ الأمرَ ، روى أبو بكر الزبيدي عن ثعلب أنه لا يقال : استَصَبْتُ الأمر . مع أنه هو القياس .

ومنه استَحْوَذَ ، في مثل قوله عزّ وجلّ : { استَحوذَ عليهم الشيطانُ فأنساهُمْ ذكر الله } (المجادلة : ١٩) ، وكذلك : استَنْوَقَ الجَمَلُ ، واستَتْيَسَ الجَمَلُ[5] ، إذا صار كالناقة وكالتيس . فأنت في هذا كله لا تقول : استَقْوَمَ ولا استَبْيَعَ ، قياساً على مامرّ ، بدلاً من أن تقول : استقام واستباع[6] .

والثالث : المطرد في القياس ، الشاذ في الاستعمال ، وذلك نحو ماضي يَذَرُ ، ويدع فهو فيما يرى اللغويون غير مسموع من العرب .

[1] ... مادة ( طرد ) في كلام العرب ، على ( التتابع والاستمرار ) ومنه مطاردة الفريسة ، ومطاردة ... فالمطرد في اللغة ما تتابع ولم يختلف ، ينظر الخصائص ١/ ٩٦ ، واللسان ( طرد ) والقاموس المحيط ... ( شذذ ) على التفرق والتفرد ، الخصائص ١/ ٩٦ ، فالشاذ في اللغة ما تفرد ، وليس له ... أو أكثر ...

[3] - الخصائص ١/ ٩٧

[4] إبراهيم ... من أسرار اللغة ... ٣

[5] الخصائص ١/ ٩٨ .

[6] - الخصائص ١/ ١١٧ .

قال ابن جني : ".ومما رفضوه استعمالاً ، وإن كــان مسـوغاً قياسـاً وذر وودع استغني عنهما بترك "[1] ، ولذلك عدّوا قول أبي الاسود الدؤلي (وَدَعَ ) شاذاً ، وهو ما جاء في بيته الشعري :

ليـت شعري عن خليلي ما الذي غــالَهُ الحـبُ حتى ودَعَــهُ[2]

كما عدّوا قراءة من قرأ[3] : { ما ودَعك ربُك وما قلى } مـن الشـواذ . والقـراءة المجمع عليها بالتشديد : { ما ودَّعك ربك وما قلى } (الضحى : ٣) .

ومما عدوه مطّرداً في القياس شاذاً في الاستعمال ، وورود خـبر (عسـى) اسـماً صريحاً ، بدلاً من جملة فعلية فعلها مضارع ، نحو : عسى زيدٌ قائماً . قال ابن جني[4] : " هذا هو القياس ، غير أن السماع وَرَدَ بحظره[5] ، والاقتصار على ترك اسـتعمال الاسـم هنا . وذلك قولهم : عسى زيدٌ أن يقوم، و(عسى أن يأتي الله بالفتح ) . وقد جـاء عنـه شيء من الأول ، أنشدنا أبو عليّ :

أكثَرتَ في العَـذلِ مُلِحّـاً دائما لاتَعـذِلَنْ إني عسَيتُ صـائما

ومنه المثَل : " عسى الغويرُ أبؤُساً " .

قال الزمخشري[6] : " وانتصابه بعسى على أنه خبره ، على ما عليه أصل القياس ". وهذا التقدير مبني على ما يقتضيه ظاهر الكلام ، وما يوجبه القياس من النصـب بعسـى نفسه ، لا بحملها على كان ، كما قدَّر سيبويه ، ولا بتقدير فعل بعدها يكون هو والفاعل المضمر فيه خبراً لها ، ويتعدّى فينتصب (أبؤساً) كما ذهب إلى ذلك أبو عبيد القاسم بـن سلام ، إذ قال[7] : "كأنه أراد : عسى الغُوير أن يُحدث أبؤُساً ، وأن يأبؤُس ، فهذا طريـق

---

خصائص ١/ ٣٩١ أسفل .

خصائص ١/ ٩٩ . في المحتسب ٢/ ٣٦٤ قال إنها " قليلة الاستعمال " .

مختصر في شواذ القرآن ص ١٧٥ ، والمحتسب ٢/ ٣٦٤ .

خصائص ١/ ٩٨ .

حظره : أي منعه ، وعدم جوازه .

الفائق في غريب الحديث ٣/ ٧٩ .

غريب الحديث ٣/ ٣٢١ – ٣٢٢ .

النصب " . فقدر – كما ترى – فعلاً متعدياً بنفسه ، أو متعدياً بالواسطة وهو الباء .

واحتج للتقدير الثاني بقول الكميت بن زيد :

عسى الغُويرُ بإبآس وإغوارِ

وهو رأي تفرد فيه – في ما تبيّن لنا – أبو عبيد ، إذ لم نجد من النحاة الذين سبقوه كسيبويه والخليل من ذهب إليه ، ولا النحاة الذين تلوه .

ومهما يكن من أمر تأويل هذا الأسلوب النحوي المتعلق بعسى ، فإنه لدى النحاة مطّرد في القياس ؛ من حيث إن الأصل في عمل عسى نصب الخبر مفرداً كان أو جملة .. وهو عندهم أيضاً شاذ في الاستعمال والسماع ؛ لأن الكثيرَ من أمثلته وقوع خبر عسى جملة فعلية مقترنة بأن تارة ، ومجردة منها تارة أخرى ، والأول منهما عليه التنزيل ، من مثل قوله تعالى { عسى اللهُ أن يتوبَ عليهم } (التوبة : ١٠٢) ويتضمن هذا النوع من الأساليب ، وهو الذي أطلقوا عليه المطرّد في القياس الشاذ في الاستعمال ، كل ما يعنّ للمولّدين من اشتقاقات جديدة لم تُسمع من قبلُ في الأساليب المروية عن الفصحاء ، وقد أجازه طائفة من قدامى اللغويين ، ورفضه آخرون . ويبدو من كلام لابن خالويه أن (أَنهُر) و(نُهُر) اللذين هما جمع (نهار) ، مما قيس على نظائره من كلام العرب ، وليسا من المُسوّغ في اللغة ، يقول : " النهار الذي هو ضدُّ الليل ، العربُ لا تجمعه ، وإنما جمعه النحويون قياساً لا سماعاً "[1] . وهذا الذي ذكره ابن خالويه من الاختلاف في جمع نهار ، يرجع إلى اختلاف اللغويين . فابن الأعرابي محمد بن زياد (ت ٢٣١ هـ) يرى أنه (أَنهر) ، وغيره يرى أنه (نُهُر) كثعلب أحمد بن يحيى . وفصّل الجوهري[2] (ت ٣٩٥ هـ) في هذا الخلاف بأن جعل (نُهُر) للقليل ، وذلك مثل سَحاب وسُحُب ، أو قُلْ : جعله من جموع القلة ، قياساً على نظيره ، فيكون (أَنهُر) – على هذا – من جموع الكثرة .

ومما قاسه المولّدون ، ولم يكن مسموعاً من العرب ولا مستعملاً في كلامهم قولهم (الفطرة) ، بدلاً من (الفطر) في صدقة صيام شهر رمضان . قال البغدادي[3] : " ولحن

[1] - إعراب ثلاثين سورة ص ٤٠ .

[2] - الصحاح ٢/ ٨٣٩-٨٤٠ مادة ( نهر ) . وينظر : اللسان ٧ / ٩٦ ( نهر ) .

[3] - ذيل الفصيح

صدقة الفطر، هكذا كلام العرب ، فأم الفُطرة فمولَّد، والقياس لا يدفعه ؛ لأنه كالغُرفة والنُغبة ، لمقدار ما يؤخذ من الشيء " . وهذا الذي ذكره[1] البغدادي صحيح ، إذ ورد في الحديث بالصيغة التي نبّه عليها ، وهو (أدوا صدقة الفطرِ عن كل منفوس) .

فأنت ترى أن اللغويين قاسو (الفُطرة) على أمثلة لها في اللغة ، وردت على (فُعلة)، فأحدثوا هذه اللفظة بهذه الصيغة في اللغة ، ملاحظين في هذا القياس ، ما يجمع بين المقيس والمقيس عليه من أن كلاً منهما " مقدارُ ما يؤخذ من الشيء " كما قال البغدادي .

والرابع : الشاذ في القياس والسماع ، وهو ما أجمع اللغويون على رفضه ، كإتمام وزن (مفعول) فيما عينه واو ، نحو مَصْوُون ، ومَدْوُوف[2] ، ومقْوُود. بدلاً من : مصُون ، ومَدُوف ، ومقُود . قال ابن جني[3] : " وكل ذلك شاذ في القياس والاستعمال ، فلا يسوغ القياس عليه ، ورد غيره إليه " .

ومنه كلمة (هَدَاوَى) التي قَبِلها الأخفش الأوسط ، وعدّها مناظرة لكلمة (هَدايا)[4] التي هي جمع (هديّة) .

ونجد أن سيبويه ينكر على النحاة قولهم (أعطاهُوكَ) ، بدلاًمن أعطاهُ إياك ، ويذكر أنه لم يرد في سماع ، وإنما هو قياس منهم ليس له ما يقاس عليه من كلام العرب . يقول : " وأما قول النحويين : قد أعطاهوك وأعطاهوني ، فإنما هو شيء قاسوه لم تَكلّم به العرب . فوضعوا الكلام في غير موضعه . وقياسُ هذا ــ لو تُكُلّم به ــ كان هيّناً "[5] !

وهكذا تعد صيغة (أعطاهوك) شاذة في القياس والاستعمال ؛ لأنها لا أساس له تقاس عليه . فالأصل في القياس أن يبنى على شيء سابق في اللغة، وارد في السماع

---

[1] ينظر : طلبة الطلبة ص ٢٦ .
[2] الخصائص ١/ ٩٨-٩٩ .
[3] الخصائص ١/ ٩٨-٩٩ .
[4] من أسرار اللغة ص ١٤ .
[5] الكتاب ١/ ٣٨٣ .

والاستعمال . وهو ما يذهب إليه المحدثون من اللغويين أيضاً . يقول ج فندريس ... القياس على العملية التي بها يخلق الذهن صيغة أو كلمة أو تركيباً لأنموذج معروف ...

## القياس في العصر الحديث :

نال القياس في العصر الحديث عناية المهتمين باللغة أيضاً ، فبحثت فيه ... اللغوية العربية في جلساتها ، على نحو ما نرى ذلك في مجمع اللغة العربية في مصر ... والمجمع اللغوي العراقي، الذي صار اسمه اخيراً : المجمع العلمي العراقي ... تسمية اليوم .

وكان لكل من المجمعين ، موقف من القياس ، بناه على دراسة ونقاش ... حركة التأليف والترجمة وتنشيطاً لهما ، ومواكبة للنهضة الحديثة في العلوم و... والفنون وما إليها ، وإكمالاً لجهود اللغويين القدامى . وقد لخص الدكتور إبراهيم أنيس ... القياس المؤدي إلى نمو اللغة واتساعها بالآتي :

١- إذا ذكرت كتب اللغة المصادر ولم تذكر أفعالها ، أو ذكرت الأفعال ولم تذكر المصادر . أو حين يذكر الفعل الثلاثي ولا يذكر بابه ، فيستطيع المرء هنا الالتجاء إلى القياس ليستنبط مجهولاً من معلوم . وبذلك يمكن أن يكمل هذا القياس نقصاً في المعجم ...

٢- يمكن تعريب الدخيل ، وذلك بجعله نحو الكلمات العربية ونسجها ، قياساً على ... القدماء من العرب في كلمات فارسية ويونانية .

٣- إعمام المعنى بعد أن كان خاصاً ، قياساً على ما فعله العرب في كلمات و... من القدامى من كان لا يذهب إلى القياس كأبي عمرو بن العلاء والأصمعي وابن ... فإن من المعاصرين من كان على رأيهم . ومع ذلك استطاع المجمع المصري ...

---

- اللغة ص ٢٠٥

مصطفى جواد : المباحث اللغوية في العراق ص ٨١ . وكان قد سُمّي أولاً المجمع العلمي ... صار اسمه ... اللغوي ، وذلك في سنة ١٩٢٧ م .

من أسرار اللغة ص ١٥ . وينظر أيضاً : الدراسات اللغوية في العراق ص ٢٩٥-٢٩٦

في عدد من قراراته للقياس في مسائل معينة ، رأى الحاجة ماسة إليها . وكان من قراراته[1] :

(أ) جعل المصدر الصناعي كالجاهلية واللصوصية والرهبانية ... الخ ، مصدراً قياسياً، وذلك لشدة الحاجة إلى هذا المصدر في التعبير عن كثير من حقائق الفلسفة والعلوم والفنون ، وذلك بأن يزداد على الكلمة ياء النسب والتاء . غير أن هذه التسمية في رأي الدكتور مصطفى جواد يجب أن تكون اسم يائي أو (نسبيّ)[2] . ومعلوم أننا اليوم نستعمل هذا النوع من المصادر في تعابيرنا المختلفة . فنحن نقول مثلاً : طبيعية ، وحقيقية ، ووجودية ، وجدّية ... وإنما الخلاف بين المرحوم مصطفى جواد وغيره في التسمية فحسب .

(ب) يصاغ فعّال للمبالغة ، من مصدر الفعل الثلاثي اللازم والمتعدي ، للدلالة على صاحب الحرفة مثل : بحّار ، وزجّاج ، وحدّاد ، وجزّار . وهذا القرار نجده مطبقاً في كثير من أسماء الحرفيين ، كالسبّاك ، والبرّاد ، والقلّاص، والخرّاط ، والعلّاف .

(جـ) جعل المجمع صياغة اسم الآلة قياسية ، مثلما جعل المصادر الدالة على الحرفة قياسية .

فمن أسم الآلة ما يرد في العربية على وزن (مِفعال) مثل : مفتاح ، وميزاب ، ومحراث ، فقاس عليه المعاصرون كلمات وردت في العلم الحديث ، مثل محرار ، وهو الآلة لقياس الحرارة ، وهو ما يعرف (بالثرمومتر) ، كما وجدوا من أسماء الآلة ما هو على وزن (مِفْعَل) مثل : مِنْجَل[3] ، فاشتقوا على قياسه من كلمة (جهر) : (مِجْهر) ، وهو المسمى (بالميكروسكوب) . كما اشتقوا على مثل مِكْنَسة : مِقْدَحة .

أما المصادر الدالة على الحرف مثل النجارة والحياكة والقِصارة[4] والدباغة ، فقد اشتقوا على قياسها عدة ألفاظ مثل : الخراطة ، والسباكة .

---

[1] من أسرار اللغة ص ١٦ .

[2] الباحث اللغوية في العراق ص ٢٢ .

[3] قال الفيروزابادي في القاموس المحيط ٤/ دد ( نجل ) : " الناجل : الكريم الأصل ، ومِنْجَل : حديدة يُقضب بها ... أي تقطع . وهو معروف .

[4] القصارة : مهنة تتعلق بتغيير ألوان الثياب ، والقائم بها : قصار ، القاموس ٢/ ١١٨ ( القصر ) .

( د ) جعل المصادر الدالة على التقلب والاضطراب قياسية ، كالغليان والخفقان والدالة على المرض كالسقَم والبَرَص والبَجَل ، والسُعال والزُكام والدُوار . أي ما كان على وزن (فَعَل) و (فُعال) مما يعد داء ، فالأدواء إذا كانت على (فعال) أتت بضم الفاء، وقد تأتي على فَعَل[2] ، وغيرهما .

( هـ ) ورأى المجمع أن تعدية الفعل الثلاثي اللازم بالهمزة قياسية مثل : خرج وأخرج وذهَبَ وأذهَبَ[3] .

( و ) أقر المجمع قياسية صيغة (فِعّيل) كِسكّير وشِرّيب ، مع أن معظم العلماء القدامى يرون أنها سماعية ، ويلح ابن دريد في أنها لا يصح القياس عليها لسماعيتها . ولكن المجمع نظر فرأى كثيراً من أبناء العصر الحديث يأنسون إلى هذه الصيغة ، وإن كانوا يفتحون أولها في عدد من الأقطار العربية، فكان لذلك قراره بقياسيتها على اساس ما ذكره ابن قتيبة في (أدب الكاتب) من أن هذه الصيغة كثيرة ، وعلى أساس ما أدى إليه الإحصاء من وجود أكثر من سبعين مثلاً لهذه الصيغة ، رويت عن العرب ، واستعملتها العرب في تحاورها . وأخيراً على أساس أن أبناء العرب في العصر الحديث يأنسون إليها في كلامهم العادي[4] .

وبذلك وضع المجمع اللغوي المصري ــ مجمع اللغة العربية ــ أساس قياسه على ثلاث دعائم هي[5] :

١ـ الرجوع إلى ما قاله العلماء القدامى ، لنهتدي برأيهم في هذه الظاهرة اللغوية المهمة. فإذا وجد خلافاً بينهم في مسألة من المسائل استفاد من هذا الخلاف ليصل إلى صلاحية الكلمة الجديدة التي يريد قياسها ، آخذاً برأي القلة إن كان يلائم ما يهدف إليه.

---

[1] ابن قتيبة : أدب الكاتب ص ٤٦٩ .

[2] - أدب الكاتب ص ٤٧٠ .

[3] من أسرار اللغة ص ١٦

[4] - من أسرار اللغة ص ٣٣-٣٤ .

[5] - من أسرار اللغة ص ٣١-٣٢

٢ـ إعادة الاستقراء وإحصاء الأمثلة المتعلقة بالظاهرة اللغوية ، التي يبحثها المجمع . إذ كان استقراء القدامى أحياناً ناقصاً . واكتفى الذين جاءوا من بعدهم بما قال اولئك دون أن يقوموا هم باستقراء جديد ، فقصروا عملهم في كثير من الحالات على هوامش وشروح وتعليقات على أقوال المتقدمين .

والمسلك العلمي السليم في العصر الحديث أن يعيد الباحث تجارب الذين سبقوه ، فإذا وصل إلى نفس النتيجة أكد عمله تلك الحقيقة العلمية . أما إذا وصل إلى شيء جديد في تجربته تلك ، كان قد أسهم بهذا الصنيع في الكشف عن علمية جديدة ، وحقق شيئاً حسناً في البحث العلمي .

٣ـ والدعامة الثالثة التي يستأنس بها المجمع في قياسه ، هي موقف أبناء العروبة المعاصرين من الصيغة أو اللفظة التي يراد قياسها ، هل يستسيغها حسّهم اللغوي فيقبلون عليها ، أو ينفر منها ويعافها . فإذا كانوا يقبلون عليها ويأنسون إليها ، فقد صار ثم مسوّغ حسن لقبولها وصياغتها ، ومن ثم ضمّها إلى هذه اللغة الكريمة التي ننطق بها ونسعى لنموها وتطويرها . ولذلك نرى في مجلة المجمع قرارات توضح هذا الاتجاه ، على نحو ما قرره المجمع من قياسية صيغة (فعّال) كنجّار وبرّاد وسبّاك ، بعد أن وجد ابناء العروبة يقبلون عليها إقبالاً كبيراً ويستنبطون بحسّهم اللغوي كلمات كثيرة من هذه الصيغة دالة على صاحب حرفة .

وهذا واقع فعلاً في قطرنا العراقي أيضاً ، فنحن نسمع هذه الصيغة جارية على ألسن المتعلمين وغيرهم في حرف كبيرة متنوعة ، مثل (بلّام) ، لصاحب (البلم) أي السفينة الشراعية ، (وكوّاز) لصانع الأكواز ، و(علاّف[1]) لبائع الحنطة والشعير وغيرهما. و(جمّال) للمكاري بالجمال ، و(جسّار) للعامل في الجسور والقائم على شؤونها . و(صفّار) لمن يصنع الأواني . ومثل ذلك كثير لو أردناه حصره واستقصاءه . فهذا مما قرره مجمع اللغة العربية في مصر .

---

(١) العلاف هذه الدلالة مما يستعمله أهل الموصل ، وهو عند غيرهم ( العلوجي ) كما هو معروف في بغداد وبقية المدن .

## أما في العراق :

فقد مرّ البحث في موضوع القياس بمراحل ، إذ ابتدأ بآراء لبعض لغويينا في بداية النهضة الأدبية الحديثة ، واستمر على ذلك حتى تم تأسيس المجمع اللغوي العراقي ، الذي كان انبثاقه في وسط تلك الجهود اللغوية الفردية ، حدثاً مهماً في تاريخ فقه اللغة الحديث .

ويعد شهاب الدين أبو الثناء الآلوسي (ت ١٢٧٠ هـ) من أوائل الباحثين اللغويين في هذا العصر ، عصر النهضة الحديثة ، فهو أول من ألف في البحث اللغوي الخاص بالمفردات من معانيها الأصلية[1] . وذلك في كتابة " كشف الطُرّة عن الغُرّة " ، وهو ترتيب جديد على حروف المعجم لشرح دُرّة الغوّاص في أوهام الخواص ، تأليف أحمد بن محمد الخفاجي المصري (ت ١٠٦٩ هـ) ، مع زيادات للآلوسي عليه تدل ـ كما يذكر الدكتور مصطفى جواد رحمه الله ـ " على سعة علم السيد الآلوسي بالعربية ، وطول باعه في النقد اللغوي " . وكتاب (درة الغوّاص) لأبي محمد الحريري صاحب المقامات الحريرية الشهيرة (ت ٥١٦ هـ) .

وقد تضمّن (كشف الطُرة) ، في جملة ما تضمّن ، كلاماً على طائفة من المصطلحات التي استعملت في عصر مؤلفه الآلوسي رحمه الله . ومنها لفظة (دستور) ، التي ينبغي أن تصاغ على وزن (فُعلول) جرياً على ما هو شائع ومألوف في العربية ، مثل زنبور ، وعُصفور ، وثُؤلول[2] ، وخُرطوم ، وصُنبور ... ولم يَرد على (فَعلول) بفتح الفاء إلا كلمة واحدة ، صعفوق ، في قولهم : " بنو صعفوق "[3] .

إلا أن الفتح أخف على الألسنة من الضم ، والفتحة كما هو ثابت في الأصوات اللغوية أخف الحركات . والضم فيه جهد في النطق ، ومن هنا أبدلوا الفتحة بالضمة في كلامهم الدائر في عصر السيد الآلوسي ، فقالوا :

[1] مصطفى جواد : المباحث اللغوية ص ٥١ .

[2] الثؤلول : بثور ... في الجلد ، ويعد اليوم مرضاً جلدياً ، وهو الذي يسمى بالعامية أحياناً (الثالول) بإبدال الثاء تاء وتسهيل الهمز واواً ، ثم إبدالها ألفاً بعد فتح الثاء المبدلة ، لتلائم ذلك الفتح .

[3] أدب الكاتب ص ٤٧٧ .

(دستور) بدلا من (دستور) . وهذا ما حدا به أن يصلح من هذا الغلط معولا في ذلك إلى حقيقة لغوية ثابتة ، وهي مخالفته للقياس . إذ قد تبين أن الفتح في مثل هذا الوزن نادر ، بل هو في رأي سيبويه غير موجود[1] . ومن هنا انبرى الآلوسي يقول :

" ويقولون : دَستور، بفتح الدال ، وقياس العرب أن يضم كخُرطوم وعُرقوب وجمهور إلى ما لا يحصى " .

ثم بين بعد ذلك أن هذه اللفظة قد استعملت قديماً مضمومة الأول وأنها لفظة معرّبة عن الفارسية ، والأصل فيها الاستئذان ، وهي " دستوري دارن"، ثم عُرّبت بعد ذلك . ونقل عن حواشي أحد الكتب أنه بضم الدال ، ومعناه : الوزير الكبير الذي يرجع إليه في الأمور ، وأصله : الدفتر الذي تجمع فيه قوانين الملك وضوابطه ، فسمّي به الوزير ، لأن ما فيه معلوم لديه، أو أنه في يده [2].

وقد نشط بعد ذلك القياس الفردي ، على أيدي عدد من اللغويين العراقيين، وكان أول من تكلم على المصطلحات العلمية بالعراق أيام النهضة، أحد الرهبان ، وهو الأب أنستاس ماري الكرملي ، الذي أصدر في بغداد سنة ١٩١١ م مجلة عربية أطلق عليها " لغة العرب " ، عالج فيها موضوعات شتى : في اللغة والأدب والمصطلحات والتاريخ العراقي .

وكان من نشاطه اللغوي المتصل بالقياس ، اقتراحه وضع كلمة (معلمة)، ترجمة كلمة " **Encyclopedie** " الفرنسية ، مرجحاً هذه الترجمة على "دائرة المعارف" . وقال: " المراد بالمعلمة المعجم الذي يحوي العلوم والفنون . هو من الصيغ التي تدل على المكان الذي يكثر فيه الشيء . والمكان قد يكون وعاءً أو أداة ، ووعاء العلم الكتاب، كما لا يخفى . وقد تكسر الميم حملاً على معنى الوعاء ، كما قالت العرب سابقاً: (المقلمة) لوعاء أقلام الكتابة ، لأنها تكثر فيه ، ويجوز فيها الفتح ، كما لا يخفى تبعاً لرأي سيبويه.

---

[1] أدب الكاتب ص ٤٧٧ .

[2] المباحث اللغوية في العراق ص ١٠٠

والمعلمة هي التي سماها بعضهم (دائرة المعارف) ، وهو تعريب لفظي لكلمة (اسكلوبيدية) ، وسماها بعضهم (كتاب موسوعات) مصحفاً إياها لكلمة (كتاب موضوعات علوم) وهو اسم كتاب طاشكبري زادة ... "[1].

وهكذا وجد الكرملي أن (المعلمة) هي اللفظة المناسبة لمعنى هذه الكلمة الفرنسية قياساً على لفظة عربية فصيحة هي (المقلمة) .

وقد اعترض الدكتور مصطفى جواد على هذه الترجمة ، فرأى أن المفعلة اشتقها العرب للماديات لا للمعنويات ، والمعلمة التي ذكرها الكرملي تدل على ذلك ؛ إذ الأقلام مادية ، ولم يستطع أن يخرج عن الشاهد المذكور وهو المقلمة . وجاء بها بكسر الميم على وزن اسم الآلة.

ثم رأى مصطفى جواد أن الصحيح أن يستشهد بـ (المظنة) ؛ إذ هي أقرب إلى المعنويات ، ولكنها لم تستعمل قديماً لغير الماديات . واحتج بقول الجوهري "مظنة الشيء : موضعه ومألفه الذي يظن كونه فيه ، والجمع مظان".

وقال : إنهم اشتقوا المظنة من فعل معنوي ــ يقصد ظنّ ــ ولكنهم استعملوه للأشياء المادية على الأصل .

ثم قال : "أما دائرة المعارف ، فهي عندي الاسم الصحيح " ، واحتج لذلك باستعمال كبار علماء المسلمين لكلمة (الدائرة) كالإمام شمس الدين الذهبي في وصفه ابن الجوزي بـ " كثرة اطلاعه وسعة دائرته "[2] .

وفي سنة ١٩١٩ م نقد الكرملي على يعقوب صروف جمعة (السديم) على (سدائم) متابعة منه للدكتور فان دايك . ورأى أن الصواب أن يقال : (سُدُم) "على حسب القياس "[3] .

ومراده من ذلك أن (فعيل) ينبغي أن يحمل على نظائره ويقاس عليها ، فيكون جمعه على (فعُل) بدلا من (فعائل) مثل : طريق و طُرُق ، وسبيل وسُبُل ، وحبيكة وحُبُك .

[1] المباحث اللغوية في العراق ص ٦٣
[2] المباحث اللغوية ص ٦٤ .
[3] نفسه ص ٦١

وذكر الكرملي مرادفات خزانة الكتب ، فذكر أنها : الكتبخانة ، ودار الكتب ، وبيت الكتب ، والمكتبة . وأجاز استعمال المكتبة ، وقال : إن هذه الكلمة لا تتعدى مئة سنة من عمرها بيد أنها قياسية الوضع ؛ لأن النحاة قد صرحوا أن ما جاء من الألفاظ على مفعلة يدل على مكان كثرة الشيء ، كما قالت العرب في فصيح كلامها : مسبعة ، ومأسدة ، ومبطخة ، للمكان الذي يكثر فيه السبع والأسد والبطيخ [٢] ...

ومعلوم أن هذه اللفظة (مكتبة) هي التي استقرت بعد ذلك ، فاستعملت وشاعت إلى يومنا هذا ، إذ لم نعد نستعمل غيرها من تلك الكلمات التي رآها الكرملي مرادفة لها . وذكر مصطفى جواد أنها متباينة ، فدار الكتب يقول عنها إنها : " دار تشتمل على بيوت وغرف أحيانا ، فتوضع خزائن الكتب في بيت من البيوت في الدار أو غرفة منها ....

وعندما نشطت حركة الترجمة ، كان للكتب المدرسية نصيب منها . وقد صحب الحركة العلمية المباركة . ظهور مصطلحات علمية جديدة بني طائفة منها على أساس القياس اللغوي . وقد تجلى ذلك في نقل عزالدين التنوخي كتاب (مبادئ الفيزياء) للفرنسي ... إلى اللغة العربية ، مترجما كلمة " **Physique** " بـ (الفيزياء) ، حملا على (الكيمياء) .

وقد اعترض على هذه الترجمة الكرملي ، ذاهبا إلى أن التعريب الصحيح لكلمة (فيزيك) هي (فوسيقى) قياسا على كلمة (موسيقى) [٣] . والحق أن تعريب التنوخي أقرب إلى القياس ، فيما نرى ، وأولى بأن يؤخذ به ويصار إليه ؛ إذ أن الفيزياء ألصق بالكيمياء من الموسيقى ، بل هما كما لا يخفى من واد واحد ، يجمع بينهما صفة العلم البحت ، وليس تلك للموسيقى في شيء .

وقد تلقى الناس في العراق هذا المصطلح وتداولوه ، وما زال مستعملا إلى يومنا هذا في معاهدنا العلمية المختلفة .

---

... العراق ، ومنه قوله تعالى : { والسماء ذات الحُبُك } ، ينظر : الراغب : مفردات القرآن (حبك) ، وقال ...
... : هي طرائق النجوم ، والحبيكة واحدتها : القاموس المحيط ٣/ ٢٩٧ (حبك) .
المباحث اللغوية في العراق ص ٦٨ .
المباحث اللغوية ص ٧٧ – ٧٨ .

وفي سنة ١٩٢٦ أسست (وزارة المعارف)[1] المجمع اللغوي العراقي ، واختير لعضويته عدد من اللغويين المعروفين ، كالكرملي والرصافي والتنوخي وطه الراوي ورستم حيدر. وقد وضع المجمع الجديد باستشارة وزارة المعارف منهجاً لعمله سماه: تعليمات لجنة الاصطلاحات العلمية في وزارة المعارف " . أهم ما فيه أمران[2] :

**أحدهما** : أن اللجنة تنظر في الاصطلاحات العلمية والأدبية ، وكل ما يجد ويحدث من الألفاظ في اللغة ، وخاصة الاصطلاحات المدرسة والكتب الدراسية. وتسعى إلى كل ما يؤدي إلى أصلاح اللغة وتوسيعها ، ورفعها إلى مستوى لغات العلم والأدب المعاصر.

**والآخر** : أن اللجنة تستشير في المسائل المهمة والمصطلحات الجديدة التي تضعها، المجامع العلمية في مصر وسورية ليحيطوا بها علماً ، ويبدوا فيها رأياً. ثم تعيد النظر بعد تلقي آرائهم . لتقرر قرارها النهائي .

وقد اختط هذا المجمع خطة علمية جعلها أساساً لعمله في وضع الألفاظ والمصطلحات العلمية ، وكان مما قرره في هذا الشأن :

" أن الاشتقاق قياسيّ في اللغة قياساً مطلقاً في أسماء المعاني التي هي عرضة لطروء التغيرّ على معانيها ، ومقيداً بمسيس الحاجة في الجوامد "[3] . فهذا ما يتعلق بالقياس من قراره ، وسنشير إن شاء الله إلى ما يتعلق بالتعريب والاشتقاق عند الكلام عليهما.

ومما أوضحه : الشاعر معروف رصافي عضو المجمع ، من خطة المجمع ، أن عدم السماع ليس حجة في منع القياس والاطراد في طائفة من الألفاظ، ولو سلمنا في كلمة من المشتقات أنها غير مسموعة وغير واردة ، لاكتفينا بسماع نظائرها المطردة ، ذلك أن العرب لم تقل (حابّ) من (حبّ)، فقد قالت (سابّ) من سبَّ ،و (عادّ) من عدَّ، و(رادّ) من ردّ إلى غير ذلك من الألفاظ التي جرت في كلامهم باطّراد . فيكون منع استعمال (حابّ) بحجة عدم السماع تحكُماً في اللغة وتهكُماً بسماع نظائرها المطردة، ورَميا للغة بالجمود[4] .

[1] - هذه التسمية القديمة لوزارة التربية اليوم . وقد غيرت بعد ثورة ١٤ تموز سنة ١٩٨٥ .

[2] - المباحث اللغوية في العراق ص ٨٢ .

[3] - المباحث اللغوية ص ٨٣ .

[4] - المباحث اللغوية ص ٨٤ .

ويبدو أن روح الرصافي الشعبية جعلته يألف ما يألفه عامة أبناء الشعب، ويحرص على أن يختار من الألفاظ المعرّبة ما يلائم أذواقهم ، ويلقى لديهم قبولاً واستساغة . فإن كان فيها تجافٍ وحُيود عن أساليب العربية وقوانينها في التعبير ، عمد إلى تغييرها بما يلائم تلك الأساليب والقوانين . ولهذا فهو يذكر أن كلمة (أتوموبيل) التي هي لفظة غربية، قد غيّرها إلى (تُوْمبيل) قياسا على (صوقرير) ، وأنه استعملها في شعره ، فقال :

بتُومبيلٍ جرى في الأرض منسرحاً    كما جرى الماء من سفح الأهاضيب[1]

والذي تقرره اللغة أن (الصوقرير) : " حكاية صوت طائر يُصوقِرُ في صياحه "[2] يقول الخليل[3] : " تسمع هذه النغمة في صوته " . ولسنا ندري لِمَ اختار شاعرنا الكبير الرصافي هذه اللفظة مقيساً عليه ؟ مع أن هناك ما هو أولى منها ، ذلك أن الصلة بين هذا الاسم المنقول من لغة الغرب كما هو تقريباً، إلى العربية وبين الصوقرير ، لا تبدو متحققة لديهم إلا إذا جعل وجه الشبه بينهما الصوت ، وهو أمر بعيد إلا بضرب من التجوّز بإطلاق صوت هذا الطائر على صوت السيارة ! وإلا أن نفترض أن الشاعر أراد أن يجد اسماً عربياً فصيحاً قريباً من هذه الكلمة (تومبيل) التي هي أخف في النطق والسمع من الأصل الذي أخذت منه (أتوموبيل ) .

ومهما يكن من أمر ، فإنها محاولة جادة من الرصافي الشاعر ، في أن يقيس ويقدم لأبناء شعبه وأمته لفظة جديدة مبتكرة ، اقتطعها من لفظة ظن أنها تنبو عن أسماعهم وتحيد عن أذواقهم . غير أن ما رآه من تحكيم الذوق العامي في اختيار اللفظ الاصطلاحي ، لا يسلم له ، ولا نحسب أنه من مهمات المجمع ومنهجه ، ولكنها كما يبدو روح الرصافي التي تقرب من روح الشعب كثيراً ، إذ الحكم في ذلك للذوق الأدبي واللغوي ... ومن هنا وقع الاختيار كما هو معلوم على (السيّارة) ترجمة لهذه الكلمة (الأوتوموبيل) ، التي استعملها الخاصة أولاً ، وهم الكتاب والادباء ، ثم صارت بعد ذلك هي المختارة لدى العامة أيضاً ، إذ تابعوا فيها الخاصة ، ونبذوا تلك اللفظة الأعجمية ... (أتوموبيل) ، بعد أن وجدوا ما لا غنى لهم عنه من اللفظ العربي الفصيح ...

---

[1] ... المعرب في العراق ص ١٥ .
[2] ... ص ٥/ ٦٠ ( صقر )
[3] ... ص ٥/ ٦٠ (صقر )

أن كلمة سيارة قرآنية[1] وإن جاءت بدلالة أخرى . ومن هنا وجد الدكتور مصطفى أن هذا الظاهر في متابعة العامة من أبناء الشعب للخاصة منهم ، علامة صحة ، وهي جديرة بأن تُنمى في أنفسهم ، فكان له في ذلك تعليق[2] على ما ذهب إليه الرصافي من مراعاة الذوق العامي في الاختيار اللغوي .

والكلام يسلم هنا إلى جهود الدكتور مصطفى جواد اللغوية في مسألة القياس ، ليس القصد الحديث عن تلك الجهود عموماً ، لأنها ليست موضوعنا في هذا المبحث المتعلق بالقياس اولاً ، ولأن صاحبها له من الآثار اللغوية ما استحق أن تؤلف فيه رسائل جامعية وكتب ثقافية .

ونعل أهم مايلفت الباحث ، من نظراته وآرائه في القياس اللغوي ، تلك الضرب الذي يتصل من قريب بحركة الإصلاح اللغوي في العصر الحديث ، وهي التي كان الدكتور مصطفى جواد أحد حاملي راياتها ، بل هو من أكبرهم وأكثرهم تأثيراً في محبي هذه اللغة الكريمة والذائدين عنها والحريصيين على حمايتها وسلامتها وليس أدل على ذلك من نبوغ أحاديثه المعروفة بـ (قل ولا تقل) التي جمعها بعد ذلك في كتاب بهذا الاسم صار دليلاً لكثير من الباحثين والأدباء والمذيعين والصحفيين وغيرهم .

ونستطيع أن نتبين الوشيجة التي بين القياس في نظره وبين الإصلاح اللغوي في حديثه عن الوهم الذي وقع فيه بعض النحويين في النسبة إلى (فعيلة) غير مضعفة ولا معتلة العين بالواو ، كابن الحاجب وشارح شافيته الرضي الاسترابادي ، إذ كانا يذهبان إلى وجوب حذف الياء والواو من فعيلة وفعولة ، نحو حنيفة وشنوءة . فيقال حنفي وشنئي . وعدّ الاسترابادي سليقي ، وهو الذي يتكلم على طبيعته ، شاذاً[3] .

---

[1] وردت في سورة يوسف ١١ و ١٩ ... كقوله تعالى : { وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى بدلوه } ... وفي المائدة : ٩٦

[2] ينظر الحاشية المرقمة ( ١ ) من ص ٨٥ من المباحث اللغوية في العراق .

[3] – المباحث اللغوية ص ٢٢ .

فبين الدكتور مصطفى جواد أن القاعدة خاصة وليست عامة ، وأنه يشترط في هذه الأسماء المنسوبة : العلميّة والشهرة أيضا إن كانت على فعيل أو فعيلة، فإذا كانت أسماء مصغرة منسوباً إليها فيها ياء أو ليس فيها ، وكانت مشهورة الفيت الياء منها .

فمن النوع الأول : ربعيّ ، وبجليّ وحنفيّ ، وعتكيّ ، من ربيعة وبجيلة وحنيفة وعتيك .

ومن الثاني : جُهنيّ ، ومزنّي ، وقُرشيّ ، وسُلميّ ، من : جُهينة ، ومزينة وقريش وسُليم .

واحتجّ لذلك بما ذكره ابن قتيبة في كتابه (أدب الكاتب) من وجوب الشهرة إلى جانب العلَمية . ونقد على طائفة من الكتاب المعاصرين إعمامهم لهذه القاعدة ، مع أنها كما ذكر ، خاصة . إذ صرنا نسمع قولهم بَدَهيّ نسبة إلى بديهه ، وطَبَعيّ نسبة إلى طبيعة، وقبليّ نسبة إلى قبيلة ، وغَرَزيّ نسبة إلى غريزة ، إلى غير ذلك من تشويه للغة العرب ، أو مسخ لها ، على حد تعبيره . والصحيح في هذا كله أن يقال : بديهي ، طبيعي ، وقبيليّ ، وغريزيّ . وعلى هذا يكون قول الشاعر (سليقيّ) صحيحاً ، وليس ضرورة شعرية كما ظنّ ابن الحاجب .

ثم بيّن أن كل من أتى بشواهد لحذف الياء ، لم يأت بغير الأعلام ، أما الشواهد المصنوعة فلا يُعوّل عليها أو يُركَن إليها . واحتج بقول أبي حيان : "ما أبعد شبه معدنك من المعادن الطبيعية " ، وبيّن انه لم يقل : " الطبعيّة " . كما احتجّ بقول الجاحظ : " الكرم الغريزي " ، دون " الغرزيّ "[1] .

ومعنى هذا أن هؤلاء الذين قاسوا غير الأعلام على الأعلام من هذه الأسماء التي جاءت على فعيلة أو فُعيلة ، إنما قاسوا قياساً خاطئاً. والقياس الخاطئ[1] False Analogy مما يقع لدى الصغار والكبار ، فإن طرائق اللغة كثيرة وأساليبها متعددة لذلك لا يمكن أن يكون المتكلم قد أدرك كل صيغة وكل أسلوب مثل الإدراك الذي لدى النحاة واللغويين ، إنما هو يختزن في ذاكرته مجاميع مبوّبة ، فإذا دعت الحاجة إلى قياس أمور جديدة على

[1] المباحث اللغوية في العراق ص ٢٣ - ٢٤ .

[1] ... : من أسرار اللغة ص ٣٩ وما بعدها . ومجلة مجمع اللغة العربية في مصر العدد الصادر سنة ١٩٦٤ ١٩٦٤ .

ما في حافظته من أمور قديمة ، قاس ما لم يسمع من قبل على ما سمع ، واستنبط من ظواهر اللغة ما لم يعرف بالتلقين[1] .

فيمكن على هذا أن يقال إن هؤلاء الذين قالوا في مثل طبيعة : طَبَعِيّ ، وغريزة : غَرَزِيّ ، إنما قاسوا قياساً خاطئاً على ما هو مخزون في ذاكرتهم من ألفاظ على هذه الصيغة ، مثل جُهينة وجُهَنِيّ ، دون أن يلحظوا الفارق بين القبيلين ؛ من حيث إن الألفاظ التي قاسوها ليست أعلاماً ، ولذلك لا تحذف الياء منها . أو بعبارة أخرى : إن إدراكهم لتلك الألفاظ التي حذفت منها الياء عند النسب ، إنما كان إدراكاً عاماً ليس فيه هذا التفصيل الذي يدرك بالدرس والبحث .

وهذا النوع من الغلط المبني على القياس الخاطئ اليوم شائع ، بل إن كثيراً من المتأدبين والكتاب يخطِّئون من لا يقيس هذا القياس الذي يذهبون إليه . فإذا قال مثلاً من البديهي أن يكون الأمر كذا وكذا " ، قالوا له ، عليك أن تقول "من البَدَهِيّ " ظناً منهم أنه هو الصواب .

وللدكتور مصطفى جواد آراء في القياس اللغوي ، أهمها :

١- النسبة إلى الجمع قياسية وصحيحة ، وهو مذهب الكوفيين مطلقاً ، ومذهب البصريين في العَلَم كالأوزاعي ، أو ملحقاً بالعلم كالأعرابي ، وإذا كان للحرفة كالأمشاطي والمحاملي .

ورأيه أن النسبة إلى الجمع قد تجلت في كلام الفصحاء كما تجلت النسبة إلى المفرد، وليس هناك ما يوجب النسبة إلى أحدهما دون الآخر ، لأن الأمر متصل بنوع المنسوب إليه إن كان مادة أو معنى أو لوناً أو مكاناً أو حزباً أو حرفة أو شيئاً ، فيقال عربي ، وتميمي ، وسليقي ، وعبقرِيّ ، ومكّي ، وانصاري ، وشُعوبي ، وملوكي ، وأمشاطي .. وإن التغيير في المنسوب إليه لا يوضح المنسوب ، فيؤدي إلى ضياع الفائدة من النسبة . ولذلك قالوا : الملوكي والأنصاري والأصولي ونحوها[2] .

---

[1] - من أسرار اللغة ص ٣٩- ٤٠ .

[2] - المباحث اللغوية في العراق ص ٢٥ وما بعدها .

ثم بين الدكتور مصطفى جواد أن هناك من يزعم بأنه يجب ردّ الجمع المنسوب إلى المفرد حتى إن جماعة من شداة الصرف أوجبوا أن يقال للانترناشنال " International " الإنجليزية : " دَولي " و " دُوليّ " ، يقول: "مع أن المراد هو النسبة إلى الجمع لا إلى المفرد ، كقول العرب قديماً فلان الشعوبي ، نسبة إلى الشعوب لا إلى شعب واحد ، وكقولهم حديثاً (الحقوقي) نسبة إلى مجموعة الحقوق ، وكقول القدماء من الكتّاب كالجاحظ : (الملوكي) ، ومنه كتاب (التصريف الملوكي) لإمام الصرفيين ونابغتهم ابن جني "[1].

وبيّن الدكتور مصطفى جواد بعد ذلك ، هدفه من هذا الإصلاح اللغوي ، وهو أنه أراد بذلك خدمة العربية في عصرها الحاضر لتواكب الحياة المتجددة وتأخذ ما تراه ضرورياً لها ، فقال : " ولم أرد بما قلت لفظاً بعينه ، وذلك واضح ، وإنما قصدت إلى جعله قياساً لما تحتاج العربية إليه في عصرها الحاضر ، كالآثاريّ للمشتغل بالآثار ، والتذاكريّ لبائع التذاكر في السواقل الآلية[2] ، والآدابي للتلميذ الدارس للآداب ، والطبيعياتي ... وعلى هذا يقال : الأزهاريّ لبائع الأزهار . وقد قالوا : الكتُبيّ قديماً "[3] .

وبذلك تصبح النسبة إلى الجمع على هذا الأساس قاعدة مطّردة ، وقياساً لا يتخلف منه شيء .

٢- إذا وقع الفعل على المفعول بتسلط أو علو ، جاز تعديته بنفسه أو بحرف الجر (على) مثل : عَلاهُ ، وعلا عليه ، وقَبَضَه ، وقبض عليه . وعضّه ، وعضّ عليه ، وداسه . وداس عليه ، واحتوى عليه ... واحتج له بجواز قولهم: " ظَفَر عليه " ، ونقل عن مختار الصحاح قولهم : ظفر به وظفره عليه[4] .

وهذه القاعدة مطردة عنده كما ترى ، في كل فعل له هذا المعنى وهو التسلط والعلو ، وبذلك يكون قول من قال " حاز على الشروط " ، و " حاز الشروط " فيه صحيحاً على كلام العرب المار ، على أساس أن الاحتياز ضرب من التمكن والعلو

١ المصدر نفسه ص ٢٥ .
٢ المباحث اللغوية ص ٣٠ .
٣ المباحث اللغوية ص ٣٠ .
٤ المباحث اللغوية ص ٤٣ ، ٤٤
٥ المباحث اللغوية ص ٤٤ .

٣- ومن ذلك أن الأفعال المشتركة إذا أدت إلى الاختلاط ونحوه ، حلت ...
محل (واو) العطف أو التثنية ، ثم حلت (الباء) محل (مع) . مثل : اجتمع ال...
واجتمع معه ، واجتمع به . واتّحد الشيئان ، واتّحد معه ، واتّحد به ، واختلط ال...
واختلط معه ، واختلط به .. إلى أمثلة كثيرة من هذا القبيل .

ويمكن القياس على هذا ، بشرط أن يتوفر معنى الاختلاط ، وإلا ف...
خاطيء " كما سماه المحدثون ، وسمّاه الدكتور مصطفى جواد : قياسا باطلا ، ...
اصطدم به . وعلّل هذا البطلان بأن " الاصطدام لا يؤدي إلى الاختلاط ...
الالتحام "[١] .

وربما وهم بعض من لا يدرك حق الإدراك المسؤولية التي يحسّ بها عالم ...
من أمثال الدكتور مصطفى جواد ، فحمل أقواله وتحقيقاته على التشدد والتزمت ...
الترخص والتيسير . فهذا إنما يبتعد عن الجادّة لأن التشدد والتزمّت شيء ، والغيرة على
لغة الضاد وحمايتها شيء . وكان مصطفى جواد يرى أن العربية متطورة ...
تستعصي على الثراء المستمر المتجدد ، وذلك باشتقاقها الواسع ومجازها العريض ...
يمكن أن يستجد لها من ألفاظ عن طريق القياس الصحيح .

ومن هنا صحّح[٢] كلمة (عُملة) المستعملة في التعبير عن النقود ، وبيّن أن (فُعلة) -
بضم الفاء وإسكان العين — من أوزان اسم المفعول ، مثل : الحُفرة بمعنى المحفورة
والنُقطة بمعنى المنقوطة ، والحُزمة بمعنى المحزومة .. ثم قال : " وعلى ذلك يجب
يقال : (الفُتحة) للجزء المفتوح من الشيء ، والفُرجة ، لا الفَتحة ، كما يقول أكثر ...
العصر " ثم قال : " وبالقياس اهتدينا إلى صحة الكلمة "[٣] . أو بعبارة أخرى أن القياس
السماع هو الذي أدى إلى هذه القاعدة .

غير أن مصطفى جواد اللغوي ، يعوّل على المعجمات أيضاً ليدرك الفرق ...
قياساً صحيحاً ، يقول : " فإذا راجعنا (المصباح المنير)[٤] مثلاً وجدنا مؤلفه ...

---

١ المباحث اللغوية ص ٤٤ .
٢ أي إنها صحيحة ، وهو التعبير الفصيح ، وقد استعمله علماء الحديث بهذه الدلالة .
٣ - المباحث اللغوية في العراق ص ٤٩ .
٤

والفتحة في الشيء : الفرجة ، والجمع فُتَح ، مثل غرفة وغرف " . ثم يقول : " وعلى هذا قاس الناس العُملة للنقد والورق اللذين يتعاملون بهما ، وهو قياس صحيح "[1] .

وبذلك فرّق مصطفى جواد بين نوعي القياس : الخاطيء ، أو كما سماه الباطل ، وبين القياس الصحيح ، ونبه على صور من كل منهما ، ووضع أيدي الناس عليه .

٤- وقرر أن وزن (افتَعَل) قياسي لاتخاذ الفاعل للفعل واستعماله مثل : اغتسل وامتشط واختار واكتال واقتَدر ـ اتخذ قدراً للطبيخ ـ وعلى هذا وجد أن من القياس الصحيح أن يقال في العصر الحديث : (اقتهى) ، من القهوة البُنّيَة ، أي اتخذ قهوة شربها، و(اشتاء) من الشاي ، و(التَمَن) اتخذ شراب الليمون[2] .

ولسنا هنا نريد استقصاء كل ما للدكتور مصطفى جواد من آراء وتحقيقات متعلقة بالقياس اللغوي قديماً وحديثاً ، وإنما أوردنا مُثُلاً ونماذج منها . وقد نالت طائفة من مقترحاته إقرار مجمع اللغة العربية لها في مصر أيضاً ، إذ كان رحمة الله عضواً فيه . كما كان عضواً في مجمعنا العراقي ، وقد ذكر ذلك أمين المجمع الدكتور إبراهيم مدكور حين جاء العراق لتأبين مصطفى جواد ، فذكر في كلمته أنه رحمه الله قدم إلى مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الثالثة ، سبعة مقترحات ، شاركه في عدد منها مجمعيون آخرون ، وهي ترمي " إلى تيسير الاستعمال العصري " وقد أقرّ المجمع منها ثلاثة ، هي :

١- جواز لحوق التاء بصيغة فعول بمعني فاعل ، وجمعها جمع تصحيح للمذكر والمؤنث . فيقال : فخور وفخورون ، وفخورة وفخورات . فهذا من المقيس الذي يسوّغه مطرد القياس .

٢- إباحة جمع صيغة فَعْل على أفعال ، فيقال : مجد وأمجاد ، وبحث وأبحاث .

٣- قياس صيغة فعيل للدلالة على المشاركة ، مثل جليس ، وخليل ، وأكيل ، ووكيل وهذا من القياس المطرد أيضاً كما هو واضح .

---

1- المباحث اللغوية في العراق ص ٤٩ .

2- المباحث اللغوية في العراق ص ٤٩ .

3- إبراهيم مدكور : مصطفى جواد العضو ، مجلة مجمع اللغة العربية بمصر العدد ٢٧ ص ١٤ ـ ١٥

وبعد هذا كله ، قد يرد على الخاطر سؤال ، هل يحق لكل منا أن [illegible] القياس مكان في اللغة التي نستعملها اليوم ؟ .

والجواب : إن القياس لدى المحدثين من علماء اللغات لا يعدو أن [illegible] عقلية يقوم بها كل منا كلما احتاج إلى كلمة من الكلمات أو صيغة [illegible] الإقرار بهذا القياس ومشروعيته منوطان بصحته وسلامته . وليس هناك من [illegible] عليه كائناً من كان ، وإنما ذلك متروك للهيئات العلمية كي تقره . كما أن الذوق [illegible] والحس اللغوي كفيلان أيضاً بنبذ كل ما ينبو عنهما من ألفاظ وصيغ . وكم [illegible] ظهرت ، ثم ماتت . كما أن هناك ألفاظاً وصيغاً تستحدث ، مجاراة لروح العصر [illegible] لمسيرة الحضارة ، يعزز ذلك قدرة هذه اللغة على النمو والاستيعاب ، وقدرتها على [illegible] والطرح . وقد طرحت العربية قديماً بعض الصيغ التي قيست قياساً خاطئاً [illegible] شذوذاً عجيباً عن المجمع عليه من لغة العرب ، مثل لفظة (شَياطون) التي وردت [illegible] منكر سالم في قراءة الحسن البصري[1] ، إذ قرأ الآية ٢١٠ من سورة الشعراء : ﴿ وما تنزلت به الشياطون ﴾ بدلاً من (الشياطين) الذي هو جمع تكسير . فهذا يعد لدى [illegible] ضرب من الوهم في الجمع ، قال ابن جني : "هذا مما يعرض مثله للفصيح [illegible] الجمعين عليه ، وتشابههما عنده"[2] ، وبعد أن ذكر له نظائر في كلام العرب ، قال : "وعلى كل حال فـ (الشياطون) غلط"[3] .

ونحن اليوم ، بل غداً أيضاً لا نجد من يعمد إلى هذه الصيغة وهذا الجمع ، [illegible] الجمع الذي أجمع عليه ، وورد به التنزيل ، ودل عليه خط المصحف المجمع عليه [illegible] نفى هذا الخط كل قراءة لا يحتملها لفظاً أو تقديراً[4] .

١ [illegible] اللغة ص ٤٢
٢ [illegible] : مختصر [illegible] ص ١٠٨ ، وابن جني المحتسب ٢/ ١٣٣ .
٣ المحتسب ٢/ ١٣٣ .
٤ مكي [illegible] : الإبانة عن معاني القراءات ص ٢٠ و ٨٠ .

الاشتقاق وسيلة أخرى مهمة من وسائل نمو العربية ، فعربيتنا توصف بأنها لغة اشتقاقية . وليس الاشتقاق بمنأى عن القياس ، بل بينهما وشيجة وثيقة ؛ ذلك أن الاشتقاق: " هو استخراج لفظ من لفظ أو صيغة من صيغة"، والقياس هو الاساس الذي تبنى عليه هذه العملة ، ليصير مقبولاً معترفاً به لدى علماء اللغة .

وقد بحث علماء اللغة العرب في أصول الألفاظ العربية ، والزيادة التي تطرأ عليها، فتأكدت ملاحظاتهم بعد ذلك حين بحثه المعاصرون من المستشرقين والعرب ، إذ تأكد لهم أن هذه اللغة ، مثل بقية اللغات التي تسمى بالسامية ، من حيث إنها تعتمد على جذر أو أصول تعد الأصل في كل اشتقاق، وإن أكثر هذه الجذور شيوعاً هو الثلاثي ، ضرب ، وذهب ، وأخذ .

ولقد أدرك علماء اللغة القدامى أهمية الاشتقاق في نمو العربية واتساعها، فهذا أبو بكر السراج (ت ٣١٦ هـ) ، وهو من كبار النحاة ، يصوغ ذلك في صورة سؤال وجواب ، فيقول في رسالته التي ألفها في ( الاشتقاق ) : " ما الغرض في الاشتقاق ؟ ولم وقع في الكلام ؟ وما الحاجة إليه ؟ " ، ثم يجيب قائلاً : " الغرض في الاشتقاق أن به اتسع الكلام ، وتُسلِّط على القوافي والسجع والخطب ، وتُصُرِّف في دقيق المعاني ... ولو جمدت المصادر ، وارتفع الاشتقاق في كل الكلام ، لم يوجد في الكلام صفة لموصوف ولا فعل لفاعل . وفضل لغة العرب على سائر اللغات بهذه التصاريف وكثرتها ، وإن بالحركة

من الحركات التي هي الضمة والفتحة والكسرة ، وبالحرف نفرق بين معان، لولا هذه الأبنية لاحتيج إلى كلام كثير "[1] .

ثم بيّن ابن السراج بعد هذا أن تفقّد الأراجيز والتأمل فيها يشعرنا بـ "عناء الاشتقاق واتساع القوم به" ، بل إن ذلك لا يخلو منه القصيد " لأنك ربما وجدت الشاعر

---

[1] ابن السراج : الاشتقاق ص ٣٩ .

من القدماء الفصحاء يُخرجه الوزن إلى قلب البناء أو يحتاج إلى المعنى [illegible]
يلتئم به شعره . ولهذا ما وقعت الزوائد في كلام العرب بغير معنى [illegible]
لذلك ببيت الأعشى الذي يقول فيه " وفُضّل أقوامٌ عليك مراهصــا [illegible]
الأعشى ولم يجئ في شعر غيره[1] "[2].

وكأنه أراد : أن الأعشى اشتق هذا الجمع (مراهص) جمعاً لكلمة (مرهصة) التي هي الدرجة والمنزلة . فهو إذاً مما ورد من الجموع على مفاعل جمعاً لمفعلة [illegible] مسألة ومسائل ، ومرتبة ومراتب . وهذا الاشتقاق متعلق بالقياس من ناحية [illegible] أمثلة سابقة في كلام العرب ، كما هو واضح . وذلك يعزز ما قدمناه آنفاً من أن [illegible] بين الاشتقاق والقياس وثيقة.

وهكذا نرى أن البحث في الاشتقاق وماهيته وأهميته فـي نمـو اللغـة وتطورها واتساعها ، قد نال عناية اللغويين في بحوث منفردة في مطلع القرن الرابع للهجرة . كما رأينا ذلك في رسالة السراج ، وكما نراه أيضاً في كتاب (الاشتقاق[3]) لأبي بكر ابن دريد صاحب الجمهرة ، وإن اختلف منهج كل منهما، من حيث كان الأخير أشبه بمعجم [illegible] لاشتقاق صنوف متعددة من الأسماء والأعلام والنبات والجماد ، وما إليها[4] .

حتى إذا انتصف القرن الرابع للهجرة نما البحث في الاشتقاق ، واستقر على [illegible] أقرها جمهور العلماء ، وأصبح الاشتقاق عندهم يعني " استخراج لفظ من لفظ متفق معه في المعنى والحروف الأصلية " . فإذا اتفق المشتق والمشتق منه في ترتيـب الحروف سمي (الاشتقاق العام) ، وسماه ابن جنّي (الاشتقاق الأصغر ) ، وإن لم يكن فيـه [illegible] الاتفاق في الترتيب . فهو الاشتقاق الكبير أو الأكبر[5] .

[1] الاشتقاق : المكان نفسه . وهذا هو النص في ( الاشتقاق ) ، والبيت في ديوان الأعشى : وفضّل أقوام [illegible] مراهصاً [illegible] إذ ان ( مراهصاً ) نعت لأقوام ، وهو منصوب في القافية [illegible] مراهصاً [illegible]

[2] طبع هذا الكتاب في القاهرة سنة ١٩٥٨ بتحقيق عبد السلام محمد هارون .

[3] طبع هذا الكتاب في القاهرة سنة ١٩٥٨ بتحقيق عبد السلام محمد هارون .

[4] - ابن دريد : الاشتقاق ص ٣ .

[5] - من أسرار اللغة ص ٦٢ .

## الاشتقاق العام ، أو الاشتقاق الصرفي :

هو أن تشتق من الفعل ( علِم ) مثلاً الفاظاً أخرى نحو : يعلم وأعلَم وعالم ومعلوم وعليم وعلاّم وتعليم واستعلام ... الخ .

وهو الذي سماه ابن جني ، كما أشرنا ، بالاشتقاق الأصغر أو الصغير.., قال : " الاشتقاق عندي على ضربين : كبير وصغير . فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم ، كان تأخذ أصلاً من الأصول فتتقرّاه فتجمع بين معانيه ، وإن اختلفت صيغة ومبانيه ، وذلك كتركيب ( س ل م ) ، فإنك تأخذ منه معنى السلام في تصرفه نحو : سلم ويسلَم وسالم وسلمان وسلمى والسلامة والسليم " .

وبيّن أن هذا الضرب من الاشتقاق إنما يجري في أصول أخرى من اللغة ، أو قل: مادة أخرى ، مثل (ض ر ب ) و ( ج ل س ) ... فهذا الاشتقاق الأصغر[1] .

ثم نوّه بعد هذا برسالة أبي بكر السراج في الاشتقاق ، ووصفه بأنه : " لم يألُ فيه نصحا ، وإحكاماً ، وصنعه ، وتأنيساً "[2] .

ويلحظ أن طائفة من الصيغ اشتقها اللغوين ، وليس لها وجود في نص صحيح من نصوص اللغة . إذ ليس من اللازم أن يكون لكل فعل مصدر مثلاً، أو وصف : كاسم الفاعل أو المفعول أو الصفة المشبهة . ولذلك نجد أن الاشتقاق وسيلة من وسائل استكمال اللغة ، والسير بها نحو الأكمل ؛ إذ كثيراً ما يسدّ هذه الثغرات ، أي : النقص في صيغ المواد اللغوية . يقوم به فرد أو جماعة ، أو تلجأ إليه المجامع اللغوية للتعبير عما يستحدث من معان. مما يساعد اللغة على مسايرة التطور الاجتماعي[3] .

ومذهب جمهور العلماء أن هذا الاشتقاق العام ، لا يقوم به أحد إلا حين يكون له سند من نصوص اللغة ، يبرهن على أن العرب قد جاءوا بمثله أو نظيره ، وأن هذا النظير كثير الورود في كلامهم المروي عنهم .

---

1- الخصائص ٢ / ١٣٢ — ١٣٤ .

2- الخصائص ٢/ ١٣٤ .

3- من أسرار اللغة ص ...

وكما أشتقوا من الاسم العربي الحسّي فعلاً أو مصدراً ، على خلاف بينهم
أيهما الأصل[1] ، مثل الشجر الذي اشتقوا منه الشجار ، فقالوا :

اشتجر القوم وتشاجروا :إذا اقتتلوا ، فكذلك جوّز بعض اللغويين اشتقاق فعل من
الاسم المُعَرَّب ، وهو ما كان أعجميَّ الأصل ، ثم عرَّبته العرب بألسنتها ، على
أساليبها في الأبنية والنطق بالأصوات والتذوّق اللفظي. فأجاز الخليل[2] بن أحمد أن
من (الباشِق) الذي هو الصقر الصغير ، الفعل (بَشَقَ) ، قال : " ولو اشتق من
الباشق : بَشَقَ ، لجاز . وهي فارسية عُرِّبَت للأجدل الصغير " ..

وهذا في ما يبدو مبني على ما جاء في كلام العرب من اشـــتقاقهم من الاسم
المعرَّب لأنه بدخوله في العربية صار جزءاً منها .

ونستطيع أن نتبين هذه الظاهرة ، التي هي الاشتقاق من المعرّب عملياً، من
قول العرب : دَرْهَمَتِ الخُبّازى ، إذا استدار ورَقُها وصار عريضاً، حتى كأن له
الدرهم . فهذا الفعل (دَرْهَمَ) مأخوذ من (الدِرهَم) ، الذي هو اسم أعجمي ومعرّب
اشتقوا منه اسم المفعول ، فقالوا : رجلٌ مُدَرْهَمٌ . أي كثير الدراهم[3] .

وقد عدّ سيبويه[4] الدِرْهَم مما ألحقته العرب ببناء كلامها ، ألحقوه ببناء (هِجْرَع)
واشتقوا من (اللِّجام) وهو اسم معرّب[5] ، الفعل ألجَمَ والفَــرَسَ ، والفَــرَسُ مُلْجَمٌ
استعملوه استعمالاً مجازياً ، فقالوا : ألجم فلانٌ فلاناً ، إذا منعه من الكلام وقطعه عن

وكان البصريون يذهبون إلى أن المصدر أصل المشتقات والفعل مشتق منه
لأن الفعل " يتضمن معنى المصدر وزماناً "[6] كما يقول الســـراج[7] ، أو قبل: متضمن
للحدث والزمن . وهذه الزيادة تقتضي أن يكون متأخراً عن المصدر وتاليا له
عندهم شرط في المشتق ، أن ينضمّ اليه شيء غير موجود في المصدر . فكما انه

[1] - فالبصريون يرون المصدر هو الأصل ، والكوفيون يرون الفعل هو الأصل .

[2] - العين د/ ٤٦ ( بشق ) .

[3] - الخصائص ١ / ٢٥٨ .

[4] - الكتاب ٤ / ٣٠٣ ، والتعريب لابن كمال باشا زاده ص ٢٧ .

[5] - لسان العرب ١٦ / ٦ ( لجم ) .

[6] - في الأصل : وزمان ، ضبطها المحقق بالجر ، ولا وجه له ، لأنه معطوف على مفعول الفعل : يتضمن .

[7] - الاشتقاق ص ٣٦ .

شرط في المشتق ، أن ينضمَّ اليه شيء غير موجود في المصدر . فكما انضمَّ الزمان إلى الحدث في الفعل ، فإن الحمرة تنضمّ إلى الجسميّة في مثل قولهم أحمر[1] .

ويذكر السراج من قواعد الاشتقاق ما يدل على دقة في التفكير اللغوي ، وانقياد إلى طبيعة الاشتقاق . وذلك أنه يجعل الحسي سابقاً للمعنوي ، أو قل: اسم الذات سابقاً للمصدر ، وهذا هو الذي يقرره علم اللغة الحديث ، لأنه يمثل المعنى الأصلي الحقيقي الذي يتفرع عنه عادة عن طريق المجاز ما يشيع من معنويات[2] . واللغة تنتقل في تطورها ونموها من الإشارة إلى العبارة ، ومن التجسيد إلى التجريد[3] .

فالسراج يقول : " وأعلم أنه متى تجاذب لفظاً واحداً جنسان ، فكان أحد الجنسين جسماً ، والآخر عَرَضاً ، فالأولى أن تجعل الأصلَ الجسم ، وذلك نحو قولهم : النبت والنبات ، وقالوا : أنبتَ يُنبتُ نباتاً . فإنما ينبغي أن تجعل أنبتَ ينبت مشتقاً من النبت ، لأن العرب قد تشتق أفعالا من أسماء غير المصادر " .

ثم ضرب لاشتقاق العرب من أسماء الذات ، أو كا سماها (الجسم) ، قولهم: استحجَرَ الطينُ واستلْحموا ، وبيّن أنه " مأخوذ من اللحم والحَجَر " ، وأن ذلك في كلامهم أكثر من أن يُحصى[4] .

ومع أنه – انطلاقاً من بصريّته – يعد المصدر أصلاً للمشتقات كما بينا سالفاً ، إلا أنه في مثل هذه الحال ، التي يتنازع فيها الأسم والفعل والمصدر، أو كما قال يتجاذب " ، يجعل الاولوية في الاشتقاق للفعل على المصدر ويجعل اسم الذات الحسي سابقاً لهما جميعاً[5] . وهذا الترتيب هو الأرجح في الوضع والاشتقاق في اللغة ، لما بيّناه من سبق الحسيات للمعنويات ، لأن الحسيات أول ما يعرض للانسان ، ثم يأتي بعدها المرحلة الأخرى ، مرحلة إدراك المعنويات ، التي هي أكثر تطوراً من سابقتها ، لأنها تحتي ضرباً من التجريد .

---

1- الاشتقاق ص ٣٦ .
2- إبراهيم أنيس : اللهجات العربية ص ١٤٤ .
3- مصطفى جواد : المباحث اللغوية في العراق ص ١٣-١٤ .
4- الاشتقاق ص ٣٦ .
5- الاشتقاق ص ٣٦-٣٧ .

ثم يغير بعد ذلك في اشتقاق أسماء الآلة كالمُكحلة والمَخَدة ، ويسميها الآثار

المصنوعة ؛ من حيث إنها من صنع الانسان . فيرى أنها مشتقة من أسماء الذوات

وهي التي أطلق عليها اسم ما هو خلقة ، مثل الكحل والخد ، فرأى أن المكحلة من

الكحل والمخدة من الخد . ولكنه وقع في وهم حين عدّ السقاء مشتقاً من السقي ، لأنه

بناه على وزن فِعال ، والسقي مصدر . وبذلك نقض ما بدأ به ولم يعمّ القاعدة ، إذ

على كل حال جعل اسم الآلة مشتقاً ، اما من اسم الذات أو من المصدر ، كما تبين لنا

ذلك .

ولمعاصره الزجّاج (ت ٣١٠ هـ) مثل هذا النظر الصحيح في الاشتقاق، إذ ذكر

بعد (الشجر) أصل الاشتقاق شجر وتشاجر ونحوهما[2] .

## الاشتقاق الكبير :

وهو الاشتقاق الأكبر عند ابن جني ، وقد صرح بأن التسمية له ، وأن أستاذه أبا

علي النحوي كان يشير إلى هذا النوع من الاشتقاق . وعرّفه هو بقوله : "أن تأخذ أصلاً

من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى عاماً نحو (ك ل م) (ك م ل)

(م ك ل) (م ل ك) (ل ك م) (ل م ك) ، وبيّن أنها "حيث تقلّبت فمعناها الدلالة على القوة

والشدة . والمستعمل منها خمسة أصول ... وأهملت منه (ل م ك)[3] ".

وهذه التقليبات تذكرنا بصنيع الخليل بن أحمد في معجمه (العين) ، إذ كان يتوخى

به حصر المواد اللغوية لمعرفة المستعمل منها والمهمل وقد تابعه في هذا المنهج ابو

الشرح . فأوضح في رسالته (الاشتقاق) هذه التقليبات وأثرها في تكثير الصيغ المختلفة

في المادة اللغوية الواحدة .

فهو يبدأ بالثنائي ثم الثلاثي ... ثم يجري التقليبات عليهما ، فيقول اولاً: واعلم أن

... إذا كان على حرفين . فإنك تخرج منه ببناءين ، مثل: (بل) اذا قلب صار

(لب) . وإذا كان على ثلاثة أحرف خرج منه ستة أبنية . فربما كانت الستة مستعملة كلها

---

- الاشتقاق ص ٣٠ .
- الزاهر ... ويظر مقدمة معاني القرآن وإعرابه للزجاج ص (ل) للدكتور عبد الجليل شلبي .
- الخصائص ... .

وربما كانت مهملة في بعض الحالات . وذلك لالتقاء الحروف القريبة المخارج في تأليف وكذلك الثنائي ربما أهمل أحد الوجهين . فإذا كان على أربعة أحرف ، كان منها أربعة وعشرون بناء ، مهملة كلها إلا ستة ، أو أقل : من ستة أوجه مستعملة . وإذا كان على خمسة أحرف خرج منها مئة وعشرون بناء مهملة كلها إلا بناء واحداً مثل فَرَزدق وشمرذل ، وما أشبه[1] ".

وهو عين ما قاله الخليل في (العين)[2] ، وإنما التباين بالأمثلة وقد تلقف ابن جنّي هذه الحقيقة اللغوية ، فجعل الاشتقاق الذي سماه بالأكبر دائراً عليها. إلا أنه اضاف أمراً مهماً ، لم ينبه عليه ، وهو أن هذه التقليبات المتعددة ، التي تشترك في ثلاثة أصول ، تشترك في معنى عام واحد ، على نحو ما بيّن في المادة التي ذكرناها سالفاً من دلالتها على القوة والشّدة .

وذكر ابن جني بعد ذلك تراكيب ( ق و ل ) الستة بنفس الطريقة الأولى من الترتيب، ثم قال : " وهذا أعْوَصُ مذهباً ، وأخزنُ مضطَرَباً ، وذلك أنّا عقدنا تقاليب (الكلام) على القوة والشّدّة ، وتقاليب (القول) الستة على الإسراع والخفّة"[3]. أو قال : إن تراكيب ( ق و ل ) تدل على هذا المعنى . ولكن ابن جني لا يزعم أن هذا الاشتقاق (الأكبر) ممكن التطبيق في اللغة كلها ، وكذلك الأصغر ، وإنما يرى أن منه ما يستعصي على الاعمام[4] .

ونظراً لمرونة اللغة العربية ، وقدرتها الفائقة على الاشتقاق ، فقد أطلق عليها " اللغة الاشتقاقية " ، إذ هي تلجأ كثيراً إلى هذه الظاهرة اللغوية ، التي تعد أقدم وسائل نمو اللغة العربية ، وأكثرها قدرة على التوليد وتكثير الصيغ من جذر واحد ، أي أصل واحد ثنائياً كان أو ثلاثياً ، كما مثّل سيبويه و السراج في كلامهما الذي اوردناه سالفاً .

---

[1] الاشتقاق ص دد .

[2] ١ . ٩ . د .

[3] الخصائص ٢/ ١٣٤-١٣٥ .

[4] الخصائص ..

## رأي المحدثين في الاشتقاق :

لا خلاف بين المحدثين في أن الاشتقاق وسيلة مهمة جداً من وسائل نمو اللغة العربية وتطورها ومواكبتها للحضارة والحياة المتجددة . فالدكتور على عبد الواحد يذكر مثالاً من (الاشتقاق العام ) هو : علم ، أعلم ، نعلمُ ، اعلمْ، اعلمي ، علّم ... الخ . بعد أن عرّفه بانه : ارتباط كل أصل ثلاثي في اللغة العربية بمعنى عام وضع له ، فيتحقق هذا المعنى العام لـ ( العلمْ ) مثلاً ، وهو إدراك الشيء وظهوره ووضوحه ، في كل كلمة توجد فيها الأصوات الثلاثة مرتبة حسب ترتيبها في الأصل الذي أخذت منه وهو ( ع ل م ) .

ثم قال : " وعلى هذه الرابطة يقوم أكبر قسم من متن اللغة العربية "[1] .

ويسمّي الاشتقاق الأكبر : ( الاشتقاق الكبير ) ، ويعرّفه بأنه : ارتباط مجموعات ثلاثية من الأصوات ، ببعض المعاني ارتباطاً مطلقاً غير مقيد بترتيب ؛ فتدل كل مجموعة منها على العنى المرتبط بها كيفما اختلف ترتيب أصواتها . وضرب لذلك مثلاً ( ج ب ر ) و ( ق س و ) و ( ن ج د ) . وبيّن أن ج ب ر تدل على القوة والشدّة كيفما اختلف ترتيب أصواتها في الكلمة[2] . وهو في هذا يستمد من ابن جني[3] . وهناك أيضاً ما سمّاه : (الاشتقاق الأكبر ) ، وهو ـ كما عرّفه ـ ارتباط بعض مجموعات ثلاثية من الأصوات ببعض المعاني ارتباطاً غير مقيد بنفس الأصوات ، بل بنوعها العام وبترتيبها فحسب سواء بقيت تلك الأصوات على حالها أم استبدل بها أصوات أخرى متفقة معها في النوع ، أي : أن يتفق الصوتان في المخرج أو يتحدا في جميع الصفات ما عدا الإطباق.

فمن أمثلة التقارب لديه في المخرج تناوب الميم والنون في مثل قول العرب امتُقع لونه ، وانتُقع ، واللام والنون في مثل :حالِك وحانك ... ومن مثل الاتفاق في الصفات ما عدا الاطباق تناوب الصاد والسين في مثل قولهم: ساطع وصاطع ، والصراط والسراط[4]...

---

[1] - علي عبد الواحد : فقه اللغة ص ١٧٢ .

[2] - فقه اللغة ص ١٧٤ ١٧٥ .

٣ ـ الخصائص ٢/ ١٣٥ ـ ١٣٦ .

[4] - فقه اللغة ص ١٧٨ - ١٧٩ .

فهذا عنده من الاشتقاق الأكبر . وبذلك نرى أنه جعل الاشتقاق ثلاثة أنواع: عام ، وكبير وأكبر . وواضح أن الأخير هو الإبدال اللهجي الذي أشرنا إلى أمثلة منه في الكلام على ما يتعلق بالأصوات من اللهجات ، وليس اشتقاقاً بالمعنى المتعارف عليه في الاصطلاح .

أما المستشرق المعروف برجشتراسر " G . Bergatrasser " فقد خص الاشتقاق في العربية بحديث واف في كتابه ( التطور النحوي ) ، فبعد أن بيّن كثيراً من خصائص العربية وطرائقها في الاشتقاق ، أشار إلى هذه السمة السامقة للغة الضاد ، وهي سمة الاشتقاق ، مبيناً أهميتها وظهورها فيها أكثر مما في اللغات الأخرى التي تشاركها في التقسيم الأسري للغات ، وهي لغات الجزيرة القديمة التي يسمونها السامية وسميناها الجزرية ، فيقول :

" وأكثر اللغات السامية أمسكت عن اشتقاق الاسماء الجديدة في زمان قديم جداً ، إلا على القليل من الأوزان ، كالمصادر والأنساب . فأصبحت جملة أسمائها محدودة ، لا يزاد عليها إلا القليل في المدة الطويلة . فاشتقاق الأسماء فيها ميت أو قريب من الميت . واللغة العربية دامت تشتق الأسماء الجديدة الكثيرة ، على الأوزان المتنوعة . وكل شاعر من الشعراء المتقدمين، كل يجوز له أن يرتجل الأسماء الجديدة على الأوزان المعروفة[1]..."

وعندما بدأت الترجمة تزدهر في العصر الحديث ، كان التعويل على أساليب الاشتقاق في العربية ، يكوّن الحجر الأساس في ترجمة المصطلحات العلمية .

وكانت مبادرة عز الدين التنوخي إلى ترجمة كتاب في الفيزياء عن الفرنسية ، ذات نسبة واضحة في ظهور طائفة من المصطلحات العلمية في العراق ، ومن ثمّ شيوعها في القطر وفي أقطار أخرى ، فقد استطاع هذا اللغوي وضع مصطلحات عربية بإزاء المصطلحات العلمية في العراق ، ومن ثمّ شيوعها في أقطار أخرى .

---

[1] برجشتراسر : التطور النحوي ص ١٠١

فقد استطاع هذا اللغوي ان يضع مصطلحات عربية بإزاء المصطلحات المذكورة ، معتمداً في ذلك على قواعد الاشتقاق في العربية ، وقد تجلى ذلك في اشتقاقه صيغاً لأسماء آلات وردت في الكتاب المترجم ، بانياً إياها على الصيغ الواردة عن العرب في اشتقاق اسم الآلة . فكان مما عمد إليه من صيغ الاشتقاق لهذا الاسم صيغتا (مِفعال) و(مفعلة) .

فمن هذه المصطلحات : " مكثاف " وهو في الفرنسية " **Densimetre** " وفي الإنجليزية " **Density- meter** " ، " ومحرار " وهو في الفرنسية : **Thermometer** " ، وفي الإنجليزية " **Thermometer** " ، وهو الذي يسميه كثير من الطلبة والمدرسين "ترمومتر " ، و " محماض" . وهو في الفرنسية " **Acidimetre** " وفي الإنجليزية " **Acidimeter** "[1]. وقد اعترض انستاس الكرملي على هذه المصطلحات ، لأنها في ما يرى مشتق أغلبها من الفعل الازم ، وأن ذلك لم يرد في كلام العرب على كثرة استعمالهم لأسماء الآلات .

وقد ردّ على هذا الاعتراض مصطفى جواد ، مبيناً أنه ليس بصحيح ؛ لأن المروحة مشتقة من الريح ، والمصباح من الصبح ، والمِمْطر من المطر ، لا من الأفعال، فإن جاز أن يشتق اسم الآلة من الأسماء ، فهو أولى بأن يشتق من الأفعال الازمة " .

ثم قال : " وكيف يدّعي الأب أنستاس ، أن اسم الآلة لم يرد في لفظ واحد من الفعل اللازم ، وهذه (المصفاة) أي الراووق ، من الفعل صفا يصفو، اللازم؟ والمِعراج من عرج ، والمرقاة من رقى ، وهذا المِحراك من حرك يَحْرُكُ اللازم . وهذا يصح إذ عددناها من أفعالها[2] الثلاثية " .

ثم بيّن رأيه الخاص في ماهية المشتق منه ، قائلاً : " والصحيح عندي أن اسم الآلة هذا ، يشتق أحيانا من الاسم ، وأحياناً من الفعل الثلاثي ، وأحياناً من الرباعي . لذلك جاء على وزن ما استعير[3] من الصفات مثل (المطعام) من أطعم ، والمِفضال من أفضل ؛

---

[1] - المباحث اللغوية في العراق ص ٧٩ .

[2] - في الأصل : عددناهما من أفعالهما . ويبدو أنه غلط مطبعي ، إذ لا وجه للتثنية ، مع أن الحديث عن عامة أسماء الآلة .

[3] - في الأصل : ما استعرف ، وهو غلط مطبعي ، يدل عليه ما بعده .

والشياع من أذاع . فهذا أسماء آلة استعيرت للأوصاف [1] .

ومهما يكن من أمر ، فإن هذه المصطلحات وأمثالها مما ورد في الكتاب الذي ترجمه عز الدين التنوخي ، قد لقيت قبولاً لدى المثقفين من الطلبة والمدرسين وآية ذلك في تراها شائعة بيننا اليوم ؛ وقد امتدّ أثرها إلى أقطار عربية أخرى . ونظرة في مجلدات مجلة ( اللسان العربي )[2] المعجميّة ، تشعرنا بهذا الذي نقول ، فمن معجم " مصطلحات الآلات والأدوات والأجهزة " . الذي وضعه عبد العزيز بنعبد[3]الله في العربية والفرنسية والإنجليزية ، نجد كلمة " مكثاف "[4] و " محرار "[5] . وغيرهما من الألفاظ الدالة على اسم آلة.

وممن تحدث في الاشتقاق ساطع الحصري في مجلة (التربية والتعليم ) التي كانت تصدر في بغداد ، فوضع عدداً من القواعد والمبادئ المتعلقة بتعريب المصطلحات العلمية، منها : أن المصطلحات التي تبقى محدودة الأستعمال ، لا يستعملها عادة إلا طبقة خاصة من الاختصاصيين ، يمكننا أن نستعمل لها الألفاظ الأجنبية ، على أن لا نبقيها على هيأتها الأصلية ، بل نعمد إلى تعريبها بما يوافق أوزان العربية . أما المصطلحات التي ليست لها تلك الصفة من الخصوصية ، فلا بد أن نختار لها ألفاظاً عربية ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، وإذا اضطررنا إلى إستعمال كلمة أجنبية من هذا النوع ، فإن علينا أن نعرّبها تعريباً تاماً ، وذلك بأن نفرغها في قالب عربي يسهل به لفظها على الناطقين بالضاد[6] وعلى هذا فإن النوع الثاني من هذه الصطلحات ، وهي التي تتسم بالشمول والعموم ، ولا تتوقف على إستعمال الاختصاصيين، ينبغي أن تنقل إلى العربية بطريقة الاشتقاق ، أي

---

[1] المباحث اللغوية ص ٧٩-٨٠ .

[2] من المجلات اللغوية المشهورة في الوطن العربي وغيره . يصدرها في الرباط مكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

[3] مدير مكتب تنسيق التعريب ، وله أبحاث ومعاجم علمية كثيرة ، نشرها في مجلة . واسمه كما هو مذكور ... كلمة ( ابن ) ممزوجة باسم الأب بعد اسقاط الألف منها .

[4] مجلة ( اللسان العربي ) المجلد ١٦ ، الجزء الثاني ، ص ٣٢٠ .

[5] اللسان العربي " المجلد والجزء أنفسهما ، ص ٣٥٣ .

[6] المباحث اللغوية ص ٨٧-٨٨ .

بوضع اللفظ العربي إزاءها، وإلا فلا بد من تعريب المصطلح الأجنبي تعريباً ...
وفق أساليب العربية وصيغتها .

ويكاد أن يكون هذا الرأي عموماً هو السائد اليوم . فعربيتنا ليست عاجزة عن التوليد اللفظي ، مثلما لم تكن عاجزة عن التوليد الدلالي . ولو بحثنا في بطون المعجمات وكتب اللغة والآداب والتاريخ والفلسفة والكلام لوجدنا فيها فيضاً من الألفاظ التي تصلح للمصطلحات . ولكننا في كثير من الأحيان لا نبحث عنها بكفاية ، وإذا بحثنا فغالباً ... في بطون المعجمات ، مع أن بطون كتب اللغة لا تعدم مالا تحتويه المعجمات .

أما الألفاظ التي تدور في نطاق كلام المختصين ، ولا تكاد تتجاوزهم إلا قليلاً مثل (النيوترون) و (البروتون) ، والتي يصعب إيجاد اللفظ العربي الدال عليها بدقة فالمختصون يفضلون إبقاءها كما هي . و لا بأس من أن نقبل بذلك إلى حين إيجاد ... المؤدي بمعناه للفظ الذي نريد ترجمته . إذ أن زج الألفاظ العربية بلا تريث وتحقق بازاء الألفاظ الأجنبية ، بقصد الترجمة ، فيه من الضرر ما لا يخفى ، من الناحية العلمية لأن هذا الفظ الذي وضعنا واشتققناه قد يكون قاصراً عن إعطاء الدلالة العلمية الكاملة لذلك اللفظ الأجنبي ، فيؤدي إلى عكس الغرض الذي نريد .

واليوم نجد نهضة لغوية مستمرة ومتصاعدة تجلت في نشاطات المجامع اللغوية العربية كمجمع اللغة العربية في القاهرة والمجمع العلمي العراقي والمجمع السوري وفي المجلات والكتب العلمية التي تصدر في أقطار متعددة من أرض العرب . وقد ... الاشتقاق من عنايتها ما ينبغي أن ينال في عصرنا الحاضر ، وخاصة أننا نشهد ... نهضة علمية واضحة ، وفيضاً من الكتب والبحوث المعرّبة .

وقد تحدث أمين مجمع اللغة العربية في مصر في دورته الحادية والثلاثين ... سنتي ١٩٦٤ و ١٩٦٥ ، فأشار إلى عناية المجمع الكبيرة باللغة العلمية وإقراره ... القواعد التي تيسّر هذه المهمة ، فنادى بإحياء المصطلحات القديمة والإفادة منها ... " وتوسّع في القياس والاشتقاق ، فترخّص كما ترخّص القدامى في الاشتقاق من أسماء الأعيان والجواهر "[1] . أي إن المجمع أقر مبدأ الاشتقاق من أسماء الذات ... الأشياء والموجودات التي تقع تحت حس الانسان ، وهو مبدأ قديم أحياه هذا مجمع ...

[1] -إبراهيم مدكور : في مجلة مجمع اللغة العربية بمصر سنة ١٩٦٤-١٩٦٥ ص١٠ . قسم ( البحث والمحاضرات )

قد مرّ علينا سالفاً قول أبي بكر السراج في رسالته (الاشتقاق) إن المكحلة مشتقة من الكحل ، والمِخدّة من الخد . وهذا يكفي لأن يصار إليه ويؤخذ به ، لأن السراج من أكبر النحاة واللغويين .

ثم بيّن أمين المجمع أن المجمع " استحدث أوزاناً لأداء دلالات خاصة ، كالآلة والحرفة والداء "[1] . وانتهى إلى القول : " ويضيف المؤتمر كل عام إلى هذه القواعد الرخص الجديد والمفيد . وإن لغة تقوم على القياس والاشتقاق - كالعربية - لا يعز عليها أن تجد من الألفاظ ما تدعو اليه الحاجة "[2] .

فالاشتقاق إذاً وسيلة مهمة من وسائل نمو اللغة ، تسهّل مهمة الهيئات العلمية واللغوية في استحداث المصطلحات الجديدة وتيسير العربية وتطويرها لمواكبة كل جديد لا يمسّ حياة الناطقين بها بسوء . وفي هذا يقول أحد الباحثين وهو الدكتور وجيه حمد عبد الرحمن : " ربّما سهّل هذا النظام الاشتقاقي الذي تتمتع به العربية مهمة الهيئات التي تشرف على وضع المصطلحات ، عن طريق الاشتقاق ، من جذور عربية مع الالتزام بالقوالب التي تسمى في علم اللغة الحديث ( المورفيمات ) " **Morphosemathems** " التي تملك العربية منها مائتين وأربعة وخمسين قالباً ، لم يخصّص منها حتى الآن سوى القليل ، ما لا يتجاوز ثلاثين قالباً .. "[3] .

ومراده من هذه القوالب ، أو كما سماها هو وغيره[4] : المورفيمات ، الأوزان العربية المتعددة ، وهي كثيرة . كما ذكر هذا الباحث ، وينبغي أن نستفيد منها في حياتنا اللغوية المعاصرة .

ثم أورد الدكتور وجيه بعد ذلك عدداً من الأوزان التي استعملت في ترجمة مصطلحات حديثة عن الانجليزية أو الفرنسية . وشاعت الألفاظ التي بُنيت عليها في عدة من حياتنا اليوم : كالطب والعلوم والآداب ونحوها . فمن ذلك :

---

[1] ... : في مجلة مجمع اللغة العربية ... ١٩٦٤ ... ١٩٦٥ ص ١٠ ...
... ص ١٠ ، ١١ .
[2] ... : اللغة ووضع المصطلحات الجديدة ص ٧١ . مجلة اللسان العربي م ١٩ ج ١ ... ١٩٨٢
[3] ... السعران وغيره من المعاصرين ، في ... : علم اللغة ص ٢١٣ مثلاً

١- مصطلحات على وزن (فُعال) الذي يدل على المرض ، كما ... وهو المسمى بالشيزوفرينيا ترجمة لكلمة " Schyzophrenia" ، منها : ... مرض يصيب شغاف القلب ، وهو الجزء الرقيق الذي يغلفه ، ... " Endocarditis" .

٢- مصطلحات على وزن (فِعالة) الذي يدل على الحرفة (المهنة) ... وراقة ترجمة لكلمة " Stationary " ، وصحافة ترجمة لكلمة " Journalism " وسِفانة في مقابل " Shipping " .

٣- مصطلحات على وزن (مِفعال) الذي يدل على اسم الآلة مثل : مجهر " Microscope" ومِحرار " Thermometer" .

٤-مصطلحات على وزن (مَفعَل) للمكان ، مثل : مرفأ " Port " مسرح " Theatre" و مَنْجَم " Mine"[1] .

وفي ختام هذا الكلام نقول كما قال هذا الباحث من أن المصطلحات المستحدثة في معاجم الطب والتشريح ، التي يبلغ عددها ثلاثين ألفاً ، والتي اشتقت من مئة وخمسين جذراً ، وأسماء أعضاء الجسم لا غير ، إنما تدل "على الطاقة التوليدية الهائلة التي تتمتع بها العربية "[2] . وهي طاقة الاشتقاق.

أن أهم ما يميز النظام الأشتقاقي في العربية في ما انتهى إليه المعاصرون يرجع إلى :

١- الالصاق " Affication "

هو أن يزاد حرف على الأصل (الجذر) . وهذا الحرف إما أن يكون تصديرا ، أو توسطاً ، أو إلحاقاً . أو بعبارة أخرى : إما أن يكون في أول الصيغة أو وسطها أو آخرها. فالأفعال العربية التي تصاغ على وزن (أفعل) مثل : أكمَل وأنجَز ، تتكون من الجذر (فعل) الثلاثي + حرف البدء وهو الهمزة. ويسمي بعضهم هذه الحروف التي تسبق الكلمة (سوابق)[3] وقد يكون التصدير حرفاً آخر غير الهمزة كالنون أو دالاً ، كما في

١- اللغة ووضع المصطلح الجديد ص ٧١ .
٢- اللغة ووضع المصطلح الجديد ص ٧١ .
٣- حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم ص ٢١ .

نَبْذَرَ بمعنى بذر ، ودحثر بمعنى حثر . ونحن اليوم نستعمل هذا التصدير في عاميتنا ، فنقول في كلامنا العراقي الدارج : شَقْلَبَ ، بمعنى : قَلَبَ .

أما التوسط فيمكن أن نمثل له بمثل (فَيْعَلَ) و (افْتَعَلَ) ، مثل : سَيْطَرَ ، واقْتَصَرَ ، أو (فَعْلَلَ) مثل : زَحْلَفَ ، مِن زَحَفَ . او (فَنْعَلَ) مثل : شَنْبَكَ من : شَبَكَ[2] . وبعضهم يسمي هذه الحروف (مقحمات)[3] .

وأما الإلحاق ، أو كما يسمى : الكَسْع **Suffication** ، فهو زيادة حرف في آخر الصيغة . وهو في العربية كثير . وربما أريد بزيادته على الجذر الثلاثي للفعل أو الاسم المبالغة في المعنى ، نحو : بَلَعَ وبَلْعَمَ ، وصَلَدَ وصِلْدِم. فكلمة بَلْعَمَ فيها زيادة معنوية على ما في الأصل ، وهو بَلَعَ ، وإن كانت المعجمات لا تعطينا هذه الدلالة ، فصاحب القاموس يهمل اللفظة ، وصاحب اللسان يكتفي بالقول : " وبَلْعَمَ اللقمة أكَلَها "[4] ، مع أنه ذكر بعد ذلك ما يوحي بدلالة هذا الفعل التي وصفناها ، إذ قال : " والبلعم : الرجل الكثير الأكل "[5] . ونحن اليوم نستعمل افعل (بلعم) للدلالة على المبالغة ببلع الريق وتكراره . وهذا كما ترى ملموح به الدلالة الفصيحة .

وأما صِلْدم ــ فتدل على شدة الصلابة . فالشيء صلْدٌ ، فإذا زادت قساوته وصلابته زيادة كبيرة قيل صِلْدم ــ يقال : رأس صِلدم وصِلادِمٌ : صُلب[6] . فمعنى الشدة والصلابة هنا مستفاد من زيادة الميم على ما في الأصل الثلاثي ، بل إنهم زادوا في وسطه حرف مدّ هو الألف ، فقالوا : صلدام . قال ابن منظور : " والصِلْدام : الشديدُ كالصِلْدِم " . ونحن نقول : بل إننا لا نستبعد أن يكون في هذه اللفظة دلالة على الشدة تفوق لفظة صلدم، لما فيها من هذا المدّ ، وننطلق في هذا الاحتمال من أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى في كثير من كلام العرب .

---

[1] ... : الفلسفة اللغوية ص ٩٨ ٩٩ .

[2] الفلسفة اللغوية ص ٩٦ .

[3] ... : الساميون ولغاتهم ص ٢١ .

[4] لسان العرب ١٤/ ٣٢٢ ( بلعم ) .

[5] لسان العرب ١٤/ ٣٢٢ ( بلعم ) .

[6] لسان العرب ١٠/ ٢٣٤ ( صلدم ) .

وقد وهِمَ ابن فارس[1] حين عدّ (بلعم) منحوتاً من ... 

الحلق ، وذلك في معجمه (مقاييس اللغة) ، كما وهِمَ في عدّه : ضبطر من ...

ذاهباً في ذلك إلى النحت ، على وفق نظريته فيه، وهي التي أشرنا إليها في ...

كتبه . وسيأتي الحديث عنها إن شاء الله في مبحث النحت ، من هذا الفصل ...

ومثل ذلك يمكن أن يقال عن جعله (صلدم) منحوتاً من صلد وصدم ... يكون مكسوعاً بإضافة الميم إليه للدلالة على المبالغة في المعنى على ما ... كما ذهب إليه في نظريته هذه من أن " الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف ... منحوت "[2] .

١- التضعيف " Reduplication " :

هو أن يضعف الحرف الثاني من الفعل الثلاثي لأداء معانٍ[3] وأغراض ... من قرائن السياق والحال ونحوهما . فمن هذه المعاني والأغراض : (التكثير) ... غلّقَ، وقطّعَ ، وكسّرَ . ومنه قوله تعالى : {وَغَلَّقَتِ الأبوابَ وقالت هيتَ لكَ} (يوسف ٢٣) .

ومن هذه المعاني (النسبة) ، أو كما سماها ابن عصفور (ت ٦٦٩ هـ) ... كقولك : جبّنتُهُ وكذّبته وصدّقتُهُ ، إذا نسبته إلى الجُبن والكذب والصدق ورميته ...

ومنها (الجعل) ، مثلا فطّرتُهُ فأفطر . و(الإزالة) مثل : قذّيتُ عينه ... عنا القذى .

وقد يكون التضعيف للدلالة على شدة الاضطراب ، فيكون بتضعيف ... وتكريره في حشو الكلمة مثل : زلْزَل وبلْبَل ، وأصلهما : زلّ وبلّ ، فكررت ... الأول والباء في الثاني حشواً ، وكانت بدءاً . وقد يكرر الحرف الثاني ... المعنى ، كقولهم : قلقل ، والأصل : قلق ، فكرر اللام . وهو ثانٍ في ...

---

[1] - الصاحبي ص ٢٧١ .

[2] - الصاحبي ص ٢٧١ .

[3] - ابن عصفور : الممتع في التصريف ١ / ١٨٩ .

وللتضعيف أثره في نماء العربية وتطورها ، إذ تـؤدى بـه المعـاني المختلفـة، والأغراض المتعددة ، التي يقصدها المتكلم ، وقد اوضح ذلك بجلاء الدكتـور مصطفـى جواد في بحثه الذي سماه : " أثر التضعيف في تطور العربية " الذي نشـره فـي مجلـة مجمع اللغة العربية المصري[1] .

## ٢- التحوّل الداخلي :

ويحدث عند اشتقاق الأوصاف من الفعل الثلاثي ، كاسـم الفـاعل ، مثـل لَعِـب لاعِب، وكَتَبَ وكاتب . ومثل صيغة المبالغة : فَعول نحو : ضَحوك وصبور وشـكور . أو بعبارة أخرى : إن التحوّل يعني زيادة في حشو الوصف.

وقد تجتمع صفتان في لفظة واحدة كالتضعيف والتحول الداخلي ، كما في صيغـة المبالغة (فعّال) مثل : كفّار ومنّاع ، قال تعالى : {والله لا يحبُ كُلَّ كفّارٍ أثيم} (البقـرة : ٢٧٦) ، وقال تعالى : { منّاعٍ للخير معتد أثيم } (القلم : ١٢) فاجتمع في هاتين اللفظتيـن تضعيف عين كل منهما ، وزيادة حرف المد وهو الألف ، ليتأدّى بذلك معنى المبالغة فـي الصفة .

ومن ذلك قولنا : تقدّم وتَدَرّبَ ، إذ اجتمع في كل منهما حرف الالصاق : التـاء في أولهما ، وحرف التضعيف .

---

[1] - العدد ١٩ ص ٥٧-٧٠ لسنة ١٩٦٥ .

المبحث الثالث :

## التعريب (الاقتراض)

اتصل العرب قبل الاسلام بالأمم المجاورة بهم ، اتصالاً مادياً وثقافياً ، وقد نتج عن هذا الاتصال ، وعن التطور الطبيعي للحضارة العربية ، ظهور ... مستخدمة لم تكن للعرب ولا للغتهم عهد بها من قبل ، في ميادين الاقتصاد ... والزراعة والتجارة والعلوم والفلسفة والآداب والدين ، ومختلف نواحي الحياة الاجتماعية والسياسية .

فقد كانت العلاقات المادية والسياسية وثيقة منذ أقدم العصور بين العرب وجيرانهم الآراميين في الشمال عن طريق التجارة والهجرة والرحلات . وكان من نتيجة ذلك ... طائفة من الألفاظ الآرامية إلى العربية[1] .

وبالمثل كان لعرب الجنوب في اليمن روابط متينة منذ أقدم العصور بالأحباش تتمثل في عدة ميادين ، وبخاصة السياسية والثقافية والاقتصادية فأتيح للشعبين ... للاقتراض اللغوي عن طريق تبادل كثير من ألفاظ الحضارة والحياة المختلفة . فانتقل ... العربية عدد غير قليل من مفردات اللغة الحبشية.

وكانت صلات العرب ببلاد فارس قبل الإسلام ، جعلت طائفة من مفردات اللغة الفارسية تنتقل إلى العربية ، وخاصة تلك التي تتعلق بالأدوات والملابس ونحوها مما يستعمله الإنسان في حياته المادية اليومية . لما كانت الجزيرة العربية محط القوافل الشرقية والغربية ، ومعبراً لقوافل متجهة إلى اليمن . وكانت كل قافلة تحمل بضائع وأسماء لهذه البضائع ، فتحل في الجزيرة ، أو يبقى أثرها في لغتها[2] .

وقد تلقف الشعراء والرجاز كثيراً من هذه الكلمات ، وأدخلوها في أشعارهم وأراجيزهم ، فنرى الأعشى ميمون بن قيس يكثر في شعره من ذكر الأرندج ، والدبابيز ...

---

[1] - علي عبد الواحد : فقه اللغة ص ١٢٣ .

[2] - محمد التونجي : دور أساتذة اللغات الشرقية في قضية التعريب ، بحث في مجلة اللسان العربي ع ٢٠ ص ٢٤ السنة ١٩٨٣ .

والإسفنط ، والبستان ، والبنفسج وغيره من الأزاهير ، كالياسمين والبهار والآس والخيري والجلنار ، وأوصاف للخمرة، كالخندريس والباذق . الأمر الذي استرعى انتباه النقاد . فجعلهم يشكّون في صحة نسبة هذا الشعر ، الذي وجدت فيه مثل تلك الألفاظ . إلى الأعشى . ويضطرون إلى عدّه من المدسوس على هذا الشاعر العربي الكبير [١] .

غير أن الدكتور محمد التونجي استطاع أن يتلمس صحة شعره هذا ، إذ تبين له أن هذه الألفاظ كثيرة في ديوانه ، وهي أنفسها موجودة في دواوين غيره من الشعراء الذين كانوا على صلة بفارس كعَدي بن زيد العبادي ، أو كانوا بالحيرة كالنابغة الذبياني . في شعر عديّ تشيع ألفاظ أخرى ليست عربية الأصل .

وقد أدى كثرة استعمال الناس لهذه الألفاظ المقترضة ، وتطاول الزمن عليها في كلامهم ، وصوغ أكثرها بأساليب العربية وأوزنها ، إلى أن تصبح جزءاً من العربية . وربما تنوسي أصلها الأجنبي .

ويطلق على هذا النوع من الألفاظ اسم (المعرَّب) . وهو الذي طوعته العرب بألسنتها ، وغيرّت فيه بالزيادة أو النقصان والإبدال في الأصوات، ليجري بحسب أبنيتها ، ويوافق أصواتها ، حتى يغدو على صورة شبيهة بصورة الألفاظ العربية .

وليست العربية في ذلك بِدْعاً من اللغات ، بل إن هذا قانون عام ؛ " إذ تخضع في لغالب الكلمات المقتبسة للأساليب الصوتية التي اقتبستها ، فينالها كثير من التحريف في أصواتها ، وطريقة نطقها ، وتبعد في جميع هذه النواحي عن صورتها القديمة " [٢] .

واستعمل العرب ـ إلى جانب المعرَّب ـ ألفاظاً أعجمية كما هي في لغتها الأصلية، فلم يغيرّوا فيها التغيير الذي وصفنا . وهذه الألفاظ قليلة ، وقد أطلق عليها اسم "الأعجمي الدخيل" [٣] . وربما اكتُفي بتسميتها بـ " الدخيل " وكأنهم أرادوا بهذه التسمية استبعادها من العربية ، وتمييزها مما هو معرّب أو عربيّ . ذلك أن المعرّب قد صار بعد تغييره عربياً .

---

[١] محمد التونجي : دور أساتذة اللغات الشرقية في قضية التعريب ص ١٢٦ .

[٢] علي عبد الواحد : علم اللغة ص ٢٢٩ ، وينظر : فصول في فقه العربية ص ٣١٤ .

[٣] من أسرار اللغة ص ١٢٥ .

عرف اصطلاح (معرّب)[1] و(تعريب)[2] في كتابات القدامى.. غير أن المتأخرين من المؤلفين لم يلتزموا بهذا التمييز بين النوعين : المعرب والدخيل، في التسمية . فأطلق على المعرّب اسم الدخيل أيضاً ، على نحو ما نجد في كتاب شهاب الدين الخفاجي (ت ١٠٦٩ هـ) الذي سماه : "شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل" . وقد سمّى عدد ممن ألف في فقه اللغة المعرّب دخيلاً ، مثل الدكتور علي عبد الواحد[3] والدكتور محمد خضر[4] .

وهناك من جعل الفارق بين المعرب والدخيل زمنياً يتعلق بالعصور ، فالدخيل ما أخذته العربية من لغة أخرى في مرحلة متأخرة من حياتها عن عصر العرب الخلص الذين يحتج بلسانهم ، سواء أكانت الكلمة الدخيلة قد أخذت كما هي أم بتغيير طفيف فيها على حين يجعل المعرّبَ اللفظَ الذي استعارته العرب الخلص في عصر الاحتجاج باللغة واستعملوه في لسانهم . وليس هذا التفريق هو الصحيح ، لأن مدار الأمر في الفرق بين النوعين على طبيعة اللفظ وصورته ، إن كانت قد غيرت أم بقيت على حالها ، وليس للزمن دخل في ذلك . وهذا التفسير الذي ذكرناه تعضده دلالة الدخيل والمعرّب في اللغة أيضاً .

. . .

وقد دلت البحوث على أن العرب قد اقترضت قبل الإسلام من اللغات الشرقية كالآرامية ، والفارسية والحبشية ، والعبرية والهندية ـ أو السنسكريتية ـ كما اقترضت من اليونانية ـ الرومية[5] ـ .

وهذا إن دل على شيء ، فإنما يدل على قدرة العربية الفائقة على استيعاب الجديد من الألفاظ وهضمه ، ليكون جزءاً منها ، معبراً عن شؤون الحياة المختلفة .

---

[1] - خذ مثلاً : غريب الحديث لأبي عبيد ٤/ ٢٤٣ ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ص ٣٨٧ و ٣٨٩ .

[2] - أدب الكاتب ص ٣٨٩ .

[3] - فقه اللغة ص ١٩٣ .

[4] - فقه اللغة ص ١٨٥ .

[5] - وقد بينت ذلك كتب اللغة والتفسير والنحو والأدب . ونظرة في كتاب المعرّب لأبي منصور الجواليقي توضح ذلك .

فهذا في الأسماء الدالة على الحضارة المادية والمعنوية . فأما الأعلام فلا تعرّب ، بل قد يحدث فيها شيء من التغيير ولكن دون ان يأخذ سمة التعريب وخصائصه ، التي تتعلق بتغيير اللفظ الأجنبي بما يلائم اوزانها وأصواتها . وقد نبه على ذلك من قدامى اللغويين ابو الفتح بن جنّي ، إذ بيّن ان الأعلام العربية لا ينالها التحريف في شيء منها بل تؤدى بأعيانها كما ينطق بها ، ثم قال : " فأما الخلاف الذي في باب إسرافيل وميكائيل، ونحو ذلك . فالعذر فيها أنها أسماء أعجمية ، ولام التعريف لا تدخلها فبعدت عن كلام العرب ، واجترَأتْ عليها وتَلعَّبَت بها لفظاً ، تارة كذا ، وأخرى كذا "[1] .

ولما كانت الألفاظ المعرّبة جزءاً من العربية ، فقد جوز اللغويون الاشتقاق منها . فالخليل[2] يبيح اشتقاق فعل من اسم ذات معرّب هو (الباشق). الذي يفسره بالصقر الصغير، ويذكر أنه فارسي الأصل ثم عُرّب ، يقول : " ولو اشتقَّ من فعل الباشق : بشقَ لجاز ، وهي فارسية عُرِّبت للأجدل الصغير " .

وقد مرّ علينا سالفاً قولهم : دَرْهمتِ الخُبّازى ، ورجلٌ مُدَرْهَم ، مع قولهم بأن الدرهم من الأسماء المعرّبة .

وللتعريب تأثير في تغيير الأبنية والأصوات في الكلمات المعرّبة ، فكثير من هذه الكلمات كانت في لغتها الأصلية مكونة من لفظتين ، فهي أشبه بالمركب . فلما عُربت زال منها التركيب ، وصارت كلمة واحدة بعد أن اقتطع منها بعض الأصوات ، وأبدل منها بعض آخر . فمن ذلك (سِه مرّة) في الفارسية ، ومعناها : ثلاث مرات ، وأريد بها : استخراج الخراج ثلاث مرات. فلما عرّبت صارت : (سَمَرّج)[3] ، واستعملها العرب الفصحاء بهذه الصيغة ، فكأنها صارت بزنة (فَعَلّ) وهي صيغة معروفة في العربية ، مثل: سفرجل ، وفرزدق وقد وردت في أرجوزة للعجاج ، يقول فيها :

يومَ خَراجٍ يُخرجُ السمرّجا[4]

---

[1] - ابن جني : المحتسب ٢/ ٢٤٩ .

[2] - العين : ٥/ ٤٦ ( بشق ) .

[3] - فصول في فقه العربية ص ٣١٦ .

[4] - فصول في فقه العربية ص ٣١٦ .

ومثل ذلك (التَخدار) بمعنى الثوب ، فهو في الفارسيه (تَخت دار) ، أي يُمسك التخت ! ، فلما عُرِّب صار بهذه الصيغة وكأنه جاء بزنة (فَعلال) . وقد عرفت العربية مفتوح الفاء مثل : بَلْبال[1] . واستعملها الكميت بن زيد في شعره فقال :

تَجلو البوارقُ عنها صَفحَ دَخدارِ[2]

أما إبدال الأصوات فهو كثير ؛ إذ لا تخلو لفظة منه ، فالهاء في كثير من الكلمات الأعجمية ، وخاص الفارسية تبدل حرفاً آخر عند التعريب . وكأنهم أرادوا بذلك الدلالة على صورتها العربية الجديدة بعد أن عرّبوها ، وتمييزها من الأصل الأعجمي الذي كانت عليه .

ومن تأثير التعريب في التغيير الصوتي أن (الجَوْز) كان ينطق (كَوْز) كما ذكر أبو عبيدة[3] . ويبدو أنهم كانوا ينطقونها بصوت بين الجيم والكاف (كـ) ، وهو الكاف الثقيلة المماثلة لـ (G) في الإنجليزية ، فأخذت العرب فيها هذا التغيير ليُستدل بذلك على تعريبهم لها[4] . كما أبدلوا الباء المهموسة التي تماثل الحرف (P) بفاء أو باء مجهورة ، فقالوا : فِرِنْد ، والأصل : بِرِنْد: وأبدلوا الفاء المجهورة المماثلة للحرف ، إلى واو ، وغير ذلك من الأمثلة[5] .

ولاحظ العرب عند التعريب طبيعة وضع الأصوات في لغتهم ، واتصال بعضها ببعض . فغيّروا منها ما لم يجدوا له نظيراً في كلامهم ، فقالوا في (مُهَنْدِز) : (مُهَندِس) ، وهي اللفظة التي نستعملها اليوم أيضاً . قال البغدادي في ذيل فصيح ثعلب : " المُهَندِس مشتق من الهنداز ، فصيرت الزاي سيناً ؛ لأنه ليس في الكلام ــ يقصد العربي ــ زاي بعد الدال "[6] .

---

[1] - ادب الكاتب ص ٢٨٦ .

[2] - الممتع في التصريف ١/ ٧٠ باب ( الخماسي المجرد ) .

[3] - مجاز القرآن ١/ ١٨ .

[4] - ومثل ذلك في جَورب ، أصلها : كَورب ، من أسرار اللغة ص ١٢٨ .

[5] - صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة ص ٣١٩ ، ومن أسرار اللغة ص ١٢٨-١٢٩ .

[6] - البغدادي : ذيل فصيح ثعلب ص ١٧ .

وهناك علائم وسمات وضعها اللغويون ، والذين ألفوا في المعرّب ، تميز المعرّب والدخيل من العربي ، وتفرق بين نسج النوعين ، منها :

١- قال الخليل : يَعْرى الدخيل الخماسي أو الرباعي من حروف الذلاقة[1] (ل، ر، ن ، ف ، ب ) ومعنى ذلك أن الخماسي والرباعي الذي فيه واحد من هذه الأصوات الذلقة عربي ، وليس دخيلاً . فمثل العسجد ليس بعربي[2] .

٢- وقال : ما فيه (نر) فليس بعربي ، مثل : النرجس ، والنَرْد .

٣- وقال : القاف والكاف لا يجتمعان في كلمة واحدة ، إلا أن تكون معرّبة. وكذلك الجيم مع القاف لا يأتلفان ، إلا بفاصل لازم .

" وغير هذه الكلمة المعرّبة ، وهي الجوالق والقَبَجُ ، ليستا بعربية محضة، ولا فارسية " ، يقصد بذلك أنهما غير عربيتين ولا دخيلتين ، بل هما معرّبتان[3].

٤- وقال[4] : الأقلش اسم أعجمي ، وليس في كلام العرب شين بعد لام مع القاف إلا دخيل .

٥- وقال الذين الفوا في المُعَرّب[5] كالجواليقي وغيره : لاتجتمع صاد وجيم في كلمات عربية ، مثل صَوْلجان ، وجَصّ ، فهما مما اقرضته العرب .

٦- ولا تجتمع زاي وذال مع السين في كلمة عربية ، وجاءت في لفظة معرّبة مثل (ساذج) وأصلها : سادة ، فغيَّرت العرب في صوتين منها .

٧- لا تكون طاء مع جيم في لفظ عربي . فكلمة (طاجن) تعد أعجمية ، ومعناها: شيء يقلى عليه .

---

[1] الذلاقة في اللغة : الحدة ، وحروف الذلاقة قد سميت بذلك لخفتها على اللسان

[2] العين ١/ ٥١-٥٢ .

[3] العين ٥/ ٦ .

[4] العين ٥/ ٤١ .

[5] ينظر : المعرب للجواليقي ص ١١ـ ١٢ ، والمزهر ١/ ٢٧٠ ـ ٢٧١ . ومن أسرار اللغة ص ١٢٦ـ ١٢٧ ، وفصول في فقه العربية ص ٣١٨ .



الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٨- إذا خرجت الكلمة عن الأوزان العربية ، فليست من العربية ، مثل (الكسير) و (إزميل) ، و (إبريسم) إذ ليس في العربية وزن إفعيل أو افعيلل. وجعلوا من النوع الأول (إنجيل) فيمن ذهب إلى ذلك ، ولم يعدها عربية كالزمخشري وغيره .

٩- اجتماع الباء والسين والتاء ، كما في (البستان) ، و (البست) .

١٠- ليس في كلام العرب اسم مفرد ثالثه ألف بعدها حرفان مثل : (سرادق) ، (جوالق)[1] .

إلى غير ذلك من ضوابط وسمات ميزوا بها الدخيل والمعرب من العربي . وقد عامل العرب اللفظ المعرّب معاملة العربي في التصرف فيه ، فاشتقوا فيه في حالات كثيرة . فأخذوا من ( المُصْطَكى ) ، وهو عِلْكٌ ، كلمة: مُمَصْطَك . قال الخليل[2] المُصْطَكى : عِلْكٌ رُوميّ ، وهو بخيل ، ودواءٌ مُمَصْطَكٌ ، جُعِلَ فيه المُصْطكى" . وقد اشتقوا من الدرهم ، وهو لفظ رومي على الصحيح[3]، دَرْهَمَتِ الخُبازى ونحوه ، واشتقوا من اللِّجام : ألجمتُ الفَرسَ ، كما بينا ذل سابقاً . وقد سبق ما بيّنا من تجويز الخليل اشتقاق الفعل بَشَقَ من الباشق .

وكان أبو بكر السراج[4] يمثّل ذلك ـــ على جهة التبعيد ـــ بمن زعم أن الطير ولد الحوت ، ويحذّر من القول بذلك غاية الحذر ، أي " أن يُشتق من لغة العرب لشيء قد أخذ من لغة العجم"[5] .

وقد غلطوا أيضا في قولهم إن (إبليس) لفظ لا نظير له في كلام العرب ؛ ذلك أنه وارد فيه كقولهم : إزميل للشفرة ، وإغريض للطَّلع وإحريض لصبغ أحمر أو للعصفر ، وقالوا سيفٌ إصليتٌ ، أي : ماضٍ ، وثوبٌ إصريحٌ ، أي: مشبع بالصبغ[5] ... الخ . ولكن إبليس وإن كان على هذه الزنة ، إلا أنه مثل إنجيل ، معرّب غير مشتق ، على رأي من

---

١ - السُّرادق : خيمة كبيرة ، والجوالق : وعاء من قماش توضع به الأشياء .
٢ - العين ٥/ ٤٢٥ .
٣ - مجلة مجمع اللغة العربية في مصر ١/ ٣٣٩ . وأصله : دراخما ، نظريات في اللغة ص ٧١ .
٤ - الاشتقاق ض ٤١ .
٥ - التبيان ١/ ١٥٤ ، ومجمع البيان ١/ ١٧٩ .

ذهب إلى أنه كذلك ، على نحو ما مر .. من ترجيح أبي العلاء المعري لهذا الرأي .. وإليه أيضاً ذهب من المفسرين الطوسي[1] والطبرسي[2] وغيرهما .

ومثل هذا الخلاف نجده بين الخليل وبين غيره من علماء العربية الذين سبقوه أو عاصروه . فهو يقرر في معجمه (العين) أن كلمة المَنْجَنيق ليست من محض العربية ، ومعنى ذلك أنها معرّبَة . ثم يحكي بعد ذلك قولين لغيره يذهبان إلى أن أصل هذه الكلمة عربي ، ويفترقان في ذلك الأصل الذي اشتقت منه .

فمنهم من يراها بوزن فَنْعَليل ، والميم فيها من قولك : مَنْجَقْتُ مَنْجَنيقاً ومنهم من يذهب إلى أنها بوزن فَنْعَيل ، والميم والنون زائدتان من قولك جَنَّقت[3] .

ومع أن العربية اقترضت من عدة لغات كا بيّنا ، إلا أنها أقرضت كثيراً من اللغات كذلك . كما أنها دخلتها مواد ذات أصول جزريّة (سامية) ، أخذتها الفارسية أو غيرها من إحدى اللغات الجزرية ، ثم عادت بعد ذلك إلى العربية ، " ذلك أن أسرة هذه اللغات الجزرية جميعها مشتركة في الذي تشتمل عليه من أصول "[4] . وبهذا ربما أمكن تفسير التقارب بين لفظة فارسية أو غيرها ، وبين لفظة عربية . فقد يظهر أن تلك اللفظة التي استعارتها العربية من هذه اللغات أصلية في تلك اللغات ، على حين ليست هي كذلك ؛ لأنها قد تكون من تلك الألفاظ الجزرية ، التي اقترضتها تلك اللغات من إحدى اللغات الجزرية .

أما تأثير العربية في غيرها من اللغات ، فظاهر في كثير من اللغات الشرقية، وخاصة الفارسية ، والتركية ، والأردية[5] ، والكردية ، والأرمنية[6] ، وغيرها . وتأثيرها

---

[1] التبيان ١/ ١٥٤ .

[2] مجمع البيان ١/ ١٧٩ .

[3] العين ٥/ ٢٤٣ ( جنق ) .

[4] السامرائي : فقه اللغة المقارن ص ١٦٥ .

[5] ينظر بحث المبارك الباكستاني : الكلمات العربية في اللغة الأردية ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق العدد ٢٩ لسنة ١٩٥٤ ص ٢٥٣ .

[6] ينظر البحث الموسوم بـ (ألفاظ عربية في اللغة الأرمنية ) في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق العدد ١٢ لسنة ١٩٢٢ ص ٤٣٩ _ ٤٤١ .

في اللغات الأوربية واضح أيضا ، يتجلى في عدة لغات مثل : الإنجليزية[1] ، والإسبانية[2] ، والبرتغالية[3] ، والألمانية[4] ، والألبانية وغيرها . وقد أثرت العربية في اللغات الأفريقية ، ولا سيما (السواحلية) ، التي يتحدث بها سكان القرن الأفريقي الساحليّون[5] .

## التعريب في عصر النهضة :

يمكن القول إن النهضة اللغوية الحديثة ، واكبت النهضة الأدبية الحديثة ، التي بدأت في الربع الأخير تقريباً من القرن التاسع عشر للميلاد . والدليل على ذلك أن بوادر تلك النهضة اللغوية ، بدأت في تلك الفترة . ويتجلى ذلك في النقد اللغوي الذي مارسه أبو الثناء محمود الآلوسي من خلال كتابه (كشف الطُرّة ) الذي كان نقداً لشرح (درة الغواص في أوهام الخواص) للحريري . وقد اشرنا إلى شيء من ذلك في كلامنا على القياس في جهود العراقيين المحدثين .

وظهرت بعد ذلك حركة للترجمة والتعريب ، وخاصة فيما يتعلـق بالمصطلحات العلمية . وأول من تكلم عليها أيام النهضة اللغوية الحديثة الأب أنستاس ماري الكرملي فاصدر سنة ١٩١١م مجلة (لغة العرب) ، بيّن في الجزء الأول منها ما يتعلق بـالتعريب في منهج تلك المجلة ، فقال :

" ثم إننا لا نَدَع ديواناً من دواوين هـذه المجلـة ، إلا ونـورد فيـه شـيئاً من المصطلحات الحديثة ، والأوضاع العربية الطريفة ، مما يوسّع لغتنا الشريفة، ويحدو بها إلى مجاراة الأقوام المتقدمة في الحضارة المنيفة ، بما يستحدث فيها مـن الموضوعات العصرية ، والمدلولات العقلية ، والأدوات الفنية أو الصناعية الخيالية ، والأفكار العلمية

---

[1] ينظر كتاب : **عشرة آلاف كلمة إنجليزية من أصل عربي** ، لسليمان أبو غوش ، الكويت ، مطابع مؤسسة فهد المرزوق .

[2] نوال العلاف : **مفردات إسبانية عربية في الأصل** ، بغداد سنة ١٩٦٢ . وبحث : **أثر اللسان العربي في اللغة الإسبانية** ، مجلة اللسان العربي م ٧ ج لسنة ١٩٧٠ ص ١٥٥ – ١٥٧ .

[3] – ينظر بحث الأب أ . دي ساس : **أثر اللغة العربية في اللغة البرتغالية** مجلة المجمع المصري العدد ١٨ لسنة ١٩٦٠ .

[4] – عبد الرزاق الحميري ، **بين العربية والألمانية** ، مجلة المورد العدد ٤ ج لسنة ١٩٧٥ .

[5] – ينظر بحثنا : **أثر الإسلام في نشر العربية في افريقيا** ، مجلة ( الدراسات الإسلامية ) ، بيت الحكمة ، بغداد ، العدد ١٠ ، لسنة ٢٠٠٢ م .

التي لا مقابل لها ولا مرادف في لساننا، في هذا العهد ... فهذا أملنا الكبير ، ومن الله العون والتيسير "[1] .

وسار على أثر الكرملي من كتّاب مجلته ، المعلم الباحث العراقي أيضاً رزوق عيسى . فمن مباحثه اللغوية (المنحوت العامي واللفظ الدخيل في لغة بغداد الذي نقد فيه على من سمّاهم " كبار حملة الأقلام " من معاصرين ، استعمالهم ألفاظاً أجنبية فشت على ألسنة العوام ، مع أن لها نظيراً في لساننا العربي يغنينا عن استعمالها بصورتها الأعجمية الدخيلة ، وأنك لو أسمعتهم تلك الكلمات العربية الأصيلة ظنوا أنك تضحك منهم وتستهزئ بهم ! ، لأن عباراتهم الدخيلة هي التي أصبحت مالكة أفئدتهم والحاكمة على ألسنتهم ، ولأنها هي الدائرة والمتداولة في المدارس والمقاهي والأندية[2] ...

ثم قال : " وقد دعانا حبنا لها المفرط ، أن اتخذناها هي وأسماءها الافرنجية، غير ملتفتين إلى ألفاظ تقوم مقامها ، وغير مكترثين لها . من ذلك كلمة (شمندوفير) الفرنسية للسكة الحديدية ..."[3] .

وهذا البيان من هذا الباحث ، يعبر في الواقع عن وعي لغوي عال . وثقافة لغوية ذاتية ، وحرص على أن يبقى للعربية في حياتنا اللغوية الحديثة، وجهها الأصيل الناصع ، وألا تطغى عليها موجة الألفاظ والمصطلحات الأجنبية ، مع أن فيها ما يغنيها عنها .

وممن عني بترجمة المصطلحات العلمية عز الدين التنوخي ، وقد تحدثنا في كلامنا على القياس عن جهوده الرائدة في هذا المضمار متجلية في ترجمته لأول كتاب فيزياء في العراق ، واختياره هذا المصطلح بإزاء المصطلح الغربي الفرنسي " **Physique** " ، كما أشرنا إلى جهوده في ترجمة كثير من المصطلحات الأجنبية التي وردت في الكتاب المذكور ، مما يتعلق بالآلات والمخترعات الحديثة ، على وزن مفعال ومفعلة ، نحو : مدرار ، ومضغطة .

---

1- المباحث اللغوية في العراق ص ٥٤ .

2- المباحث اللغوية ص ٥٥ ـ ٥٦ .

3- المباحث اللغوية ص ٥٦ . وقد علق الدكتور مصطفى جواد في الحاشية بأن الصحيح السكة الحديد .

كما قام بترجمة " الألواح التشريحية " وغيرها مما جلب من اوربة ، لايضاح الدروس في المدارس ولا سيما في دار المعلمين الابتدائية ودار المعلمين الأولية ببغداد وكان أستاذاً فيهما ، وذلك في سنة ١٩٢٤ م[1] .

وبعد تاسيس المجمع اللغوي العراقي ، كان من مقررات لجنة الاصطلاحات في مايأتي[2] :

١- إن وضع الكلمات الحديثة في اللغة يجري إما على طريقة الاشتقاق ، وإما على طريقة التعريب ، ولا مانع من الجمع بينهما ، كما في "مُسِرّة" وتلفون ...

٢- يجوز تعريب كلمة أعجمية مع وجود اسم لها في العربية ، كما الشأن في أكثر المُعَرّبات الموجودة في اللغة .

٣- يشترط في الكلمات التي تختار من كتب اللغة ليعبّر بها عما حَدَث وتجدّد أن تكون مأنوسة غير نافرة ، إلا وجب تركها والذهاب إلى طريقة الاشتقاق أو التعريب وهذا كما ترى مبني على مبدأ التيسير على الدارسين والمتعلمين .

٤- لا يشترط في المعرّب ردّه إلى وزن من أوزان الكلمات العربية ، ولكن يستحسن ذلك إن أمكن ، كما يستحسن تغييره بما يجعله قريباً من اللهجة العربية ، كما في "شهنشاه" المغيرة من "شاهانشاه" .

وهذا الأخير شبيه بما كانت تحدثه العرب من تغيير في الألفاظ الأجنبية المركبة وذلك بحذف صوت أو اكثر منها ، لتلائم النطق العربي ، كما في (تخت دار) التي صارت (تخدار) بمعنى الثوب . وقد ذكرنا ذلك سالفاً .

أما في مصر ، فقد اتخذ مجمع اللغة العربية قراراً يختص بالتعريب ، أجاز فيه تعريب اللفظ الأعجمي عند الضرورة ، بشرط أن تُسلك في ذلك طريقة العرب في تعريبهم . وهذا نص القرار :

" يجيز المجمع أن تستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم "[3] . وهو الرأي الذي يراه الدكتور مصطفى جواد أيضاً[4] وعلى

---

[1] - المباحث اللغوية ص ٧٧ .

[2] - المباحث اللغوية في العراق ص ٨٣ .

[3] - من أسرار اللغة ص ١٣١ .

[4] - المباحث اللغوية في العراق ص ١١٦ .

الموازنة بين قراري المجمع العراقي والمجمع المصري ، يتبيّن لنا أن المجمع العراقي ترخّص في التعريب ، حتى مع وجود الاسم العربي الدال على اللفظ الأجنبي ، وهذا تسمّح منه واضح . على حين قيّد المجمع المصري ذلك بالضرورة . ولا شك أن التقييد بالضرورة في مسألة تعريبِ اللفظ الأجنبي ، هو الأرجح ؛ لأنه مرهون فقط ، بحالة فقدان البديل العربي المؤدي لمعنى ذلك الأجنبي . أما حين يتوفر اللفظ العربي ، فالحفاظ على العربية من طغيان العجمة يوجب الا يُعدل عنه إلى الأجنبي . وهذا المبدأ عليه جمهرة اللغويين ، والمختصين باللغة وخبراء التعريب في قطرنا[1] وفي غيره أيضاً . فلا ينبغي مثلاً أن يعدل عن مثل : ذاتي أو تلقائي ، وحركي ، إلى (أوتوماتيكي) و (داينميكي) ترجمة لكلمتي :" Automatic " , " Dynamic " , إذ أن اللفظتين العربيتين المذكورتين تفيان بالغرض ، وتؤديان المعنى المراد من تينك اللفظتين الأجنبيتين .

ومهما يكن من أمر ، فإن قرار المجمعين أباح التعريب ، وخطا بذلك خطوة مهمة في قبول العربية للمصطلح الجديد . ولكن تقييد المجمع المصري له بالضرورة هو المختار كما بيّنا .

وقد أباح هذا المبدأ تعريب " Television " بكلمة (تلفاز) جرياً على طريقة العرب في صوغ اسم الآلة . إذ هو يرد في كلامهم – في جملة ما يرد – بوزن مِفعال ، كقولهم : ميزان ، ومكيال . مع إبدال الـ (V) الأجنبية بالفا العربية ، وإبدال الـ ( ژ ) بتاء ، على طريقة العرب أيضاً في إبدال الأصوات التي لم ترد في لسانهم . عند تعريبهم الألفاظ . وقد مرّ علينا سالفاً إبدالهم (الـ ـ ـواء) المهموسة ، بالباء العربية المجهورة. وإشارتنا إلى أنهم يبدلون الـ (القاء) الى واو .

وليس من الصحيح ترك اللفظة الأجنبية بعامة دون تعريب لها أو ترجمة ، فإذا تعذرت الترجمة ، فيصار إلى التعريب ، ولا يترك اللفظ الأجنبي على حاله ويبكر دون ما يقابله إلا عند الاضطرار. ذلك أن لغتنا مليئة بالالفاظ الدالة على الألفاظ والمصطلحات الأجنبية ، يعين على ذلك قاعدتا القياس والاشتقاق وغيرهما من قواعد النماء اللغوي .

---

[1] خبراء التعريب . يراد بهم هنا : الخبراء اللغويون للكتب المترجمة أو المؤلفة . وقد الزمت الجامعات والمؤسسات العلمية والأدبية المترجمين بوجوب عرض مؤلفاتهم على خبير . وقد قام قسم اللغة في كلية الأدب في جامعة الموصل وغيرها كذلك للمهمة لكتب الجامعة المعربة .

فقد اشتق المحدثون مثلاً كلمة (هاتف) أو (مُسِرة) للكلمة الأجنبية : Telephone

" ، وبرقية لكلمة " Telegraph " ، وسلك لكلمة " wire " ، ولا سلكي لكلمة

" wireless ، ومنظار أو ناظور لـ " Telescope " ، وعمود لـ " Tell " ، ...

لـ Motor caer " ، وقطار لـ " Train " ، وتذكرة لـ " Ticket " ، ومجهر لـ

" Microscope ، والموجات القصيرة لـ " Microwave " .

ومكبر الصوت لـ " Microphone " ، إلى ألوف الكلمات العلمية والطبية والفنية والأدبية ... الخ . وهذا يرجع إلى غناء اللغة العربية ، ووفرة مفرداتها ، وقدرتها الفائقة على الاشتقاق والتوليد والقياس ...

ومع ذلك نجد عدداً من المترجمين ، أو كما يطلق عليهم أيضاً : المعربين لا يزالون يستمسكون باللفظ الأجنبي ، مع وجود البديل العربي ، عامدين إلى التعريب غير المضطرب تارة ، وإلى قبول اللفظ الأجنبي كما هو تارة أخرى ، مع اختلاف غير يسير في كثير من الأحيان ما بين قطر وآخر بل بين مترجم وآخر .

فكلمة " Machine " تعني (الآلة) ، ولكن كثيراً من المترجمين يعدلون عن الكلمة العربية ، إلى كلمات مقاربة للأجنبية مضطربين في ذلك اضطراباً غير قليل لا يكادون يستقرون على صيغة معينة ، فمرة يكتبونها (ماكنة) وأخرى (ماكينة) و (مكينة) ! ، وهذه الأخيرة مقترضة من العامية ! . وقد لاحظت ذلك بنفسي عند مراجعتي لعدد من الكتب المعربة خبيراً لغوياً . وهناك من يعدل عن كلمة (مُحرِّك) إلى (موتور) في مقابل كلمة " Motor " ويستعمل بعضهم كلمة التوربينات في ترجمة " Torbines " مع أن لها بديلاً عربياً هو (مُوَلِّدات) .

واستعمل بعض المترجمين كلمة (بَلْمَرَة) ترجمة لكلمة " Polymezation بديلها العربي (تجمع الجزيئات) ، ولا بأس بهذا البديل ولو كان مؤلفاً من كلمتين خير ألف مرة من تلك الكلمة الأعجمية التي حاول المترجم جاهداً أن يعربها ، صيغة مصدرية ، كما هو واضح .

ولسنا هنا بصدد عرض كل ما هو من هذا القبيل ، فذلك أمر يطول لكثرته ، عرضنا أمثلة منه .

على أن من المترجمين من يبحث عن اللفظة المقابلة للأجنبية ، كما في كلمة (كمات) التي أوردها بعضهم ترجمة لكل "Photone" ، على حين يوردها الأكثرون كما هي ، فيقولون : (فوتون) . وهذه تعتمد لاشك على وجود البديل العربي أولاً ، سواء أكان مما قررته المجامع اللغوية والعلمية والهيئات والمؤسسات اللغوية الأخرى ، أم مما اشتقه أحد المبرّزين في اللغة والترجمة . على نحو مانجد في المعجمات التي تنشرها مثلاً مجلة (اللسان العربي ) وقد ترجم مصطفى الشهابي الكلوروفيل باليخضور فشاع اليوم في الكتب .

على أن الذي ينبغي التنبيه عليه ، هو أن اختلاف الترجمات في المصطلحات وغيرها ، قد يسبب فوضى في الترجمة ، إذ ترد على القارىء عدة مصطلحات في كتب وبحوث ومقالات متنوعة ، أو أحاديث يسمعها من المذياع أو التلفاز . ومن هنا لا بد من توحيد هذه المصطلحات في الأقطار العربية ، ولا بد أن تأخذ المجامع اللغوية والعلمية العربية هذه المهمة على عواتقها . وإن كان هناك من يرى أن تترك هذه المصطلحات تدور في أقلام الباحثين والمترجمين ، بما فيها من اختلاف ؛ لأن الذوق العام والخاص كفيلان بانتقاء الأصلح منها وطرح ما سواه فلقد ظهرت مصطلحات كثيرة

في مطلع هذا القرن ثم أميتت بعد ذلك بفعل الذوق الخاص والعام ، وسهولة المصطلح ، وقربه من نفوس الناس ، ومدى انسجامه مع روح العربية وخصائصها البنيوية والدلالية .. إلى ما هناك من أسباب ، قد تختلف من جيل إلى جيل وعصر إلى عصر .

وهناك ترجمات تشيع في قطر عربي ، وتعمّ على أبناء القطر الآخر لعدم اتسامها بالشمولية ، ولانحصارها في الاستعمال بدلالة معينة في قطر أو قطرين فحسب . والدليل على ذلك مثلا كلمة (الشدّ) التي يستعملها المصريون وربما غيرهم بمعنى التوتر والجذب من طرفين أو عدة أطراف ، ولذلك يترجمون المصطلح العلمي " Tenssion " بالشد السطحي . وقد تسرّب هذا الى بعض مترجمينا الجامعيين في قطرنا العراقي ، فاستعملوه في التعريب . مع أن في ذلك إضراراً على طلبتنا من حيث فهم المعنى . لأننا نستعمل الشد بمعنى عقد الشيء ، كعقد الحبل أو غيره . فينبغي أن يلاحظ المترجم إذا شيئاً مهماً ، وهو ألا يكون اللفظ محلياً يتعلق بمنطقة أو مدينة أو قطر ، ولو كان له وشيجة بالفصيح .

بل ينبغي أن يختاره ذا صفة شمولية ، يفهمه أبناء العروبة جميعاً بل غيرهم ممن ينطق بلغة الضاد تعلماً .

والبديل لهذه الكلمة هو (التوتر السطحي) ، إذ لا يخفى أن كلمة (توتر) لها هذه الصفة من الشمولية في الاستعمال العربي الفصيح .

ومن ذلك كلمة (فيزياء) ، فهي في قطرنا بهذا اللفظ ، ولكنها في ترجمة مجمع اللغة العربية في القاهرة (الفيزيقيا) ، وكأنهم بذلك قاربوا في هذا الاصطلاح ما كان يراه الكرملي من أنها ينبغي أن تصاغ على أوزان الموسيقى لتكون فوسيقى ، كما بينا ذلك في كلامنا على القياس . ولهذا كان من لجان مجمع اللغة العربية بالقاهرة (لجنة الفيزيقيا) .

ولا نشك في أن كلمة (الفيزياء) أيسر على السمع واللسان من كلمة (الفيزيقيا) ، وخاصة أنها تقترن في الذهن والنفس بالكلمة القديمة والحديثة الكيمياء ، فهي من واديها ؛ لكونها علماً بحتاً مثلها ، وعلى قياسها في الزنة. وقد أسلفنا القول في أن الذي اشتقها هو اللغوي العراقي عز الدين التنوخي ، في سنة ١٩٢٦ ، حين ترجم كتاباً في هذا العلم عن الفرنسية .

ولا شك أن ظاهرة الإنتقاء ما تزال حية في اللغة ، على أساس أن اللغة ظاهرة إجتماعية . ومن هنا اختار الذوق العام والذوق اللغوي الخاص كلمة (سيارة) ، دون كلمة (أوتوموبيل ) أو (تَوْمَبيل) التي صاغها الرصافي ، في شعر له . على زنة كلمة عربية فصيحة هي (صَوْقَرير) ، وهو طائر . وقد أميتت هذه الكلمة الأجنبية ، واستبدلت بها كلمة قرآنية فصيحة جداً هي (سيَّارة) ، التي نستعملها اليوم في فصحانا وعاميتنا ، بعد أن طرح الناس الكلمة الأجنبية . فسار العوام في هذا في مسار الخاصة . وبالمثل طرح العوام كلمة (ريل) التي كانت شائعة إلى وقت غير بعيد ، واستعملوا مكانها اللفظة العربية الفصحة (قطار) الذي كان يطلق في الأصل على قطار الإبل فاستعير لهذه العربات التي يتبع بعضها بعضاً في السير ، كما تتبع الابل بعضها بعضاً فيه . وهو ما يعرف لدى المعاصرين بالتوليد ، أي " إسباغ معنى جديد على كلمة قديمة فصيحة تتضمن معنى آخر "[1] .

---

[1] - نظريات في اللغة ص ٧ .

ولا شك أن الزمن كفيل بإماتة كلمات أجنبية نسمعها هنا وهناك ونقرؤها في كتاب أو بحث ، وذلك بفضل الوعي اللغوي ، الذي أساسه الثقة بقدرة العربية على مواكبة الحياة المتطورة المتجددة ، وعدم عجزها عن الوفاء بمتطلبات هذه الحياة من ألفاظ . وها نحن نرى مثل كلمة (النَرْفَزة) تكاد تموت وتحل محلها اللفظة العربية المشتقة (العصبية) ترجمة لكلمة " Nervous " . وهي مهمة تقع على عاتق أبناء الضاد كافة، وبخاصة الطبقة المثقفة منهم ؛ لأن اللفظة تشيع ثم تثبت إذا ترددت على الألسن ، وتكررت في الكتابات ، بدلاً من تلك اللفظة المعرّبة .

وربما تساهل بعض المعاصرين ، فلم ير بأساً في استعمال مثل هذه الألفاظ ، ولكن الحق عكس ذلك تماماً ، إذ ينبغي ألا نهجر العربي ، ونركض وراء الأجنبي . وكان موقف مجمع اللغة العربية في القاهرة متشدداً عن هذه القضية ، فلم يُجز إلا تعريب الألفاظ الفنية والعلمية التي يُعجَز عن إيجاد مقابل لها في العربية ؛ إذ في بطون معجماتنا الألوف من الكلمات المهجورة الحسنة النغم والجرس ، الكثيرة الاشتقاق ، مما يصلح أن يوضع للمسميّات الحديثة [1]، ورأي استاذنا الدكتور رمضان عبد التواب : أن اللغة لا تفسد بالدخيل ، بل حياتها في هضم هذا الدخيل ؛ لأنها تهضمه وتصوغه حسب قوالبها[2] .

والرأي في ما بيناه آنفاً من أن باب الترجمة مفتوح ليس دونه شيء ، ما دام وراءه هدف علمي أو فني أو لغوي .. أما التعريب ، فينبغي ألا نلجأ إليه إلا عند الضرورة ، حفظ للغتنا وجهها العربي المشرق كما حفظه أسلافنا ، إذ لم يعرّبوا إلا ما لا بدّ منه .

---

[1] المدخل في فقه اللغة العربية ص ٣٢٢ .

[2] المدخل في فقه اللغة العربية ص ٣٢٢ .

## المبحث الرابع :

### النحت

إذا كان الاشتقاق في أغلب صوره عملية إطالة لبنية الكلمات ، تصديرا أو تـ... أو إلحاقاً . كما بيّنا ذلك في كلامنا على الاشتقاق ، فإن النحت عملية اختصار واختـ... في الكلمات والعبارات . إذ يعمد المتكلم إلى نحت كلمة واحدة من كلمتين أو أكثر بإحد... اختزال في عدد من حروفها ، كقولنا: (سَبْحَلَ) ، من (سبحان الله) ، و (حوقل) مـ... حول ولا قوة إلا بالله) .

وتستخدم الإنجليزية هذه الوسيلة في نحت ألفاظ ، مثل : **Brunch** . من كلمتـ... **Lunch , Breakfast** .[1]

والنحت صورة ومظهر لطبيعة اللغة العربية بخاصة ، واللغات بعامة . ذلك أ... اللغة بطبيعتها تميل إلى الاختزال والإيجاز في بنية الكلمات ، كما تميل إلى تركيب العبارات والأساليب .

ومعلوم أن أهم خصيصة للعربية هي (الإيجاز) ، الذي يتجلى في عدة ظواهر بلاغية ولغوية ونحوية ، كحذف المضاف ، وحذف الحرف ، وحذف الفعل ، وحذف أحد طرفي التشبيه ، وما إليها . فجاء النحت ليكون صورة أخرى لهذا الإيجاز ، ومظهراً مـ... مظاهره .

وقد فطن إلى علاقة النحت بخصيصة الايجاز في العربية أبو منصور الثعـ... فقال في الفصل الذي عقده للكلام على النحت في كتابه (فقه اللغة):

"العرب تنحت من كلمتين وثلاث كلمة واحدة ، وهو جنس من الاختصار ، كقو... رجلٌ عبشميّ ، منسوب إلى عبد الشمس "[2] .

---

[1] – ستيفن أولمان : دور الكلمة في اللغة ص ١٤١ .

[2] – الثعالبي : فقه اللغة ص ٥٧٨ .

وأقدم من تحدث عن النحت الخليل بن أحمد في معجمه (العين) . إذ عرّفه بأنـــه : أخذُ كلمة من كلمتين متعاقبتين[1] . وضرب لذلك مثلا قولهم : عبشـــميّ . وأنشـد قـــول الشاعر :

وتضحكُ مِنّي شيخةٌ عَبْشَمِيَّـــةٌ كأن لم تَرَيْ قبلي أسيراً يمانيـــا

ثم قال : " نسبها إلى عبد شمس ، وأسقط الدال والسين ، فبنى من الكلمتين كلمـــة واحدة ، فهذا من النحت " .

وأشار الخليل إلى العلاقة بين النحت والاشتقاق ، مبيناً أن العرب ، ربما اشتقوا من الاسم بعد نحته اسماً أو فعلاً ، فقالوا : حَيْعَلَةٌ ، وحَيْعَلَ . وأنشد في ذلك ثلاثة أبيات شاهداً لما يقول ، كقول الشاعر :

أقولُ لها ودمـــعُ العيـــن جـارٍ ألم يحزُنْكِ حَيْعَـلَةُ المنـادي

وقول آخر:

فبات خيالُ طيفِكِ لي عنيقـــاً[2] إلى أنْ حَيْعَلَ الداعي الفَلاحـــا

ثم قال : " فهذه كلمة جُمِعَت من (حَيَّ) ومن (على) ، وتقول : حَيْعَلَ يُحيعلُ حَيْعَلَةً. وقد أكثرت من الحيعلة ، أي : من قولك (حيَّ على) . وهذا يشبه قولهم : تَعَبْشَمَ الرجـــلُ وتَعَبْقَسَ ، ورجلٌ عبشميٌّ ، إذا كان من عبد شمس أو من عبد قيس فأخذوا مـــن كلمتيـــن متعاقبتين كلمة واشتقوا فعلاً " .

وبهذا فإن الخليل قد بيّن القاعدة في هذين التعبيرين : عبد شمس ، وحـــيَّ علـــى ، هي إسقاط حرف من إحدى الكلمتين ، ثم دمجها بكل واحدة .

ويلحظ أنه لم يشر إلى ياء النسبة في التركيب الأول : عبد شمس ، وكأنـــه وجـــده شيئا واضحا لا يحتاج إلى التنبيه عليه ، فضلاً عن أنه ليس مطـــرداً فـــي كـــل كلمتيـــن منحوتتين ، كما هو ظاهر في مثاله الآخر : حيّ على.

---

[1] العين ١/ ٦٠ .

[2] عنيقاً : أي عانقاً ، فهو فعيل بمعنى فاعل ، والفلاح : الصلاة .

وكذلك الحذف الذي أشار إليه الخليل ، لا يتعلق بحرفين فحسب في كل تركيب يراد نحته بل قد يزيد على ذلك ، بحسب التركيب الذي يراد نحته .

فكلمة (حوقل) مثلاً كانت قبل نحتها (لا حول ولا قوة إلا بالله ) ، فجرى نحتها بإسقاط عدة حروف وكلمات كما هو ظاهر ، لا بإسقاط حرف أو حرفين. فأسقطت (لا) التي في أول العبارة وحشوها ، و(إلا) الاستثنائية وغيرهما . وإنما ذكر الخليل ما يتعلق بالمثالين اللذين أوردهما ، دون أن يتعمد الحصر . وبذلك نستطيع القول : إنه ليس هناك قاعدة عامة مطّردة لكيفية النحت ، وإنما هو سماعي . وكل يمكن أن يقال فيه إنها اختزال واختصار لصيغ وتراكيب ، متباينة من حيث عدد كلماتها .

وقد غالى ابن فارس في القول بالنحت في العربية ، فلم يكتف بالأمثلة المروية القليلة المذكورة في كتابه (الصاحبي)[2] ، وإنما ابتدع طريقة النحت . إذ ذهب إلى أن الألفاظ الزائدة على ثلاثة أحرف أكثرها منحوت . مثل قول العرب : صَهْصَلق للصوت الشديد ، فهو عنده منحوت من كلمتي : صَهَلَ ، وصَلَقَ . والصِّلَّدِم ، للشديد الحافر منحوت من صلَّد ، والصَّدْم[3] .

وقد بنى معجمه (مقاييس اللغة) على هذا الأساس من التصور والفرض في كل مادة رباعية أو خماسية ، استطاع أن يلحظ فيها ظاهرة النحت . وقد انتهى به هذا الصنيع إلى التكلف في طائفة مما أورد . وتابعه على هذا غير واحد ممن تلاه ، كالثعالبي[4] والزمخشري في الكشاف ، إذ ذهب إلى أن قَرْضَبَ آتٍ من قَرَضَ وقَضَبَ[5] .

وقد نقد الدكتور مصطفى جواد على ابن فارس مذهبه هذا في النحت ، فقال: " ما ذكره ابن فارس في مقاييس اللغة وفقه اللغة ، لا يعدو الظن والتخمين والتأويل البعيد وكل ما ثبت عندي منه عدة رموز جُمْلِيّة ، مثل سَبْحَلَ فلان ، أي : قال سبحان الله ، وحوقل ، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله. وطَلْبَقَ ، قالَ : أطال الله بقاءه ... " .

[1] - العين ١ / ٦٠ - ٦١ .

[2] - ص ٢٢٧ ، باب ( النحت ) .

[3] - الصاحبي ص ٢٢٦ .

[4] - فقه اللغة ص ٥٧٨ .

[5] - السامرائي : فقه اللغة المقارن ص ٧٣ .

وقد أثار هذا الرأي اعتراض الدكتور صبحي[1] الصالح ، فلم يرتضِ نقد الدكتور مصطفى جواد على ابن فارس منهجه في اعتبار النحت ، ولا إنكاره لكثير مما عدّه منحوتاً من كلمات كالذي مثّلنا له .

ولسنا نرى مبرراً لهذا الاعتراض . إذ إن لهذا اللغوي المعاصر مصطفى جواد رأيه في هذا المجال . وخاصة أن ما ذهب إليه ابن فارس في نظريته هذه. لم يكن مقبولاً من غير واحد من اللغويين المعاصرين . ومنهم الدكتور رمضان عبد التواب[2] ، بل والدكتور الصالح[3] نفسه ؛ إذ لم يكتم أن من أمثلة البحث لديه لم يكن مقبولاً .

ووقع الدكتور الصالح في وهم حين ظن " أبن فارس إمام القائلين بالنحت بين اللغويين المتقدمين "[4] . إذ بيّنا آنفاً أن الخليل كان أول من قال به وعرّفه ومثّل له . ولكن بأمثلة مسموعة من العرب ، ولم يبنها على الفرض كما فعل أبن فارس . وإن كان الذي أورده الأخير من أمثلة النحت التي افترضها يدل على ذكاء أيضاً ، وعلى قدرة على التحليل اللغوي البنيويّ للمفردات العربية.

على أن ابن فارس نفسه كان منصفاً وأميناً حين ذكر أن الخليل قد سبقه إلى هذا الرأي . وأنه يسير على منهجه في ذلك . وكأنه يعطي نظريته مشروعية ، حين يعد إمام النحاة واللغويين أول قائل بها ، وإن أخذ عليه أنه جعل من الرباعي والخماسي ما ليس منحوتاً ، بل موضوع وضعاً لا مجال له في طرق القياس[5] ومع ذلك فقد رجع إلى قول الخليل بعد ذلك ، نقضاً قوله من أن الرباعي والخماسي كله منحوت ، إذ بيّن أن منه ما هو منحوت، ومنه ما يوضع وضعاً[6].

ويختلف النحت عن التركيب في مثل قولنا : رجل اعمال " Business man " ، لأن الثاني يحتفظ بالكلمتين المركبتين كاملتين : (رجل) ، و (اعمال) ،على حين يصنع

---

[1] دراسات في فقه اللغة ص ٢٦٦ – ٢٦٧ .

[2] فصول في فقه العربية ص ٢٠٧ .

[3] دراسات في فقه اللغة ص ٢٦٧ .

[4] نفسه ص ٢٤٤ .

[5] مقاييس اللغة ١/ ٣٢٩ .

[6] مقاييس اللغة ١/ ٥٠٥ .

منهما النحت شيئاً واحداً لا يمكن تمييز الأصلين المنحوتين فيه ، لأنه ضرب من الاختصار كما قدّمنا ، يتم فيه حذف عدد من الحروف .

**وينقسم النحت في اللغة على أربعة أقسام**[1] :

١- **النحت الفعلي** : وهو أن تنحت من الجملة أو التركيب فعلاً مثل (حيعل ... القائل : حيَّ على الصلاة ، أو حيَّ على الفلاح . و(بسمل) ، من قولنا : بسم الله الرحمن الرحيم . ومثله : حَبْرَم ، من حبّ الرمّان[2] .

٢- **النحت الوصفي** : وهو أن تنحت من كلمتين كلمة واحدة ، تدل على صفة بمعناها أو بأشد منها ، مثل (ضِبَطْر) ، للرجل الشديد ، فهي على رأي ابن فارس ... تابعه ، منحوتة من ضَبَطَ ، وضَبَرَ . وفي ضَبَرَ معنى الشدة والصلابة ، ولكن ضبط أكثر دلالة على ذلك .

٣- **النحت الاسمي** : وهو أن تنحت من كلمتين اسماً مثل : جلمود من : جمد ، ... والجلمود : الصخر ، فهو اسم إذاً . و(أيش) ؟ من أي شيء ؟ .

٤- **النحت النسبي** : وهو أن تنسب شيئاً أو شخصاً إلى مثل بلدتي : " طبرستان " خوارزم " ، فتنحت من اسميهما اسماً واحداً على صيغة المنسوب ، فتقول " طبرخزي " ، ونحو ذلك . أو تنسب اسماً إلى آخر على سبيل العلمية ، مثل " عبد شمس " ، " وعبد الدار " و " تميم اللات " و " وعبد الله " . فتقول بعد النحت : عبشمي وعبدري ، وتيملي . وعبدلي .

ويلحظ أن الكلمات المنحوتة أغلبها رباعي بعد النحت مثل : بسمل ، ... ومشكن[3] ، وجعفل[4] .ومنها ما هو أكثر من رباعي مثل : عبشميّ ، وعبدريّ .

ومثل ذلك كلمة : طبرخزيّ . والأكثر منها ما كان أقل عدداً في حروفه، فالرباعي أكثر في اللغة ، وما زاد عليه أقل .

---

[1] ينظر : الاشتقاق والتعريب ص ١٣ ١٤ ، وينظر : **فصول في فقه العربية** ص ٢٧٦

[2] حبرم : انحلال مرقه حب الرمان ، ومنه المحبرم . قال الراجز : لم يعرف السكباج والمحرما . اللسان ... ولعلّه المصحح (حبرم) . والقاموس ٤/ ٩٣ .

[3] مشكن : قال : ما شاء الله كان .

[4] جعفل : قال : جعلت فداك .

وإذا نظرنا في الكلمات المنحوتة من حيث اللفظ ، وقارنا كل واحدة منها بأصولها، لتبينا تأثير النحت عليها غير متساو . ويمكن تلخيص هذا التأثير في ما يأتي[1]

١- يحدث اختزال في الكلمتين ، ويكون متساوياً في كلتيهما ، فيحذف من كل منهما حرف كما في عبشميّ ، من عبدَ شمس ، أو حرفان ، كما في سبحل من سبحان الله .

٢- يحدث اختزال غير متساو في كلتيهما ، كأن يحذف من الأولى حرف ومن الثانية حرفان كما في : أيش ، إذ هي من : أيِّ شيء ، فحذف من الأولى حرف التضعيف (الياء) ، ومن الثانية حرفا (الياء) و (الهمزة) . ومثله : عبشميّ من عبد شمس ، إذ حذفت الدال من الأولى والسين من الثانية .

٣- يحدث اختزال في إحدى الكلمتين دون الاخرى ، بحيث تبدو إحداهما كاملة في الصيغة المنحوتة ، كما في تيمليّ ، من : تيم اللات ، إذ حدث الحذف من الثانية (اللات) دون الأولى . ومثلها : حبْرِن ، من حبّ الرمان ، إذ حدث الحذف في الثانية دون الأولى أيضاً .

٤- يكون الاختزال كلمياً لا حرفياً في كثر من الصيغ المنحوتة ، كما في: مشكن ، من ما شاء الله كان. إذ حذف لفظ الجلالة . ومثل : حوقلَ ، من لا حول ولا قوة إلا بالله، إذ حذفت عدة كلمات هي : لا ، وإلا ، ولفظ الجلالة. فضلاً عن حذف عدد من الحروف في العبارة الأولى ، وهي الألفات في (ما) و (شاء) و(كان) والهمزة أيضاً . ويرى ساطع الحصري[2] أنه قد لا يعتري أياً من اللفظتين تغيير ، بل تلتصق إحداهما بالأخرى لتصبحا كلمة واحدة . فلا يحذف منهما أي حرف من حروفهما أوتتغير حركة حركاتهما . ويضرب لذلك مثلاً " اللاأدرية " و " بينما " .

ولسنا معه في هذا الرأي ، إذ لا نحت في هاتين الصيغتين ، بل هما من نوع المركب ؛ لأن النحت ــ كما هو ثابت في الاصطلاح لدى القدامى والمحدثين ــ يعني الاختزال ، ولا اختزال في مثل اللادرية ، كما بيّن الدكتور مصطفى جواد نفسه ، وكذلك في بينما .

---

[1] انظر في المباحث اللغوية في العراق ص ٦١ - ٦٢ ، وراي ساطع الحصري في المباحث اللغوية ص ٩٣ .

وهذا ما يسميه المحدثون من علماء اللغة[1] بـ ( التركيب ) " Composition

وهو يختلف عندهم عن النحت " Hopology " ، أو كما يسميه بعضهم المزج . على ما

سنرى بعد قليل إن شاء الله .

ولم يقف النحت عند عصر الفصاحة والعصور اللغوية الأولى ، بل تجاوزه إلى عصر المولّدين ، فانتعش النحت من جديد ، ليستجيب لمتطلبات الحياة الجديدة ، الثقافية والعقيدية ، والفلسفية .. فظهرت كلمات جديدة لا عهد للقدامى بها ، ولم ترد في كلام العرب ، كالحَبرمة ، والماهيَّة ، والهذيّة ، والتّلاشيّ ، والبَهشَميَّة ، وما إليها . وهذه الألفاظ ظهرت في العصر العباسي عند ازدهار الحضارة العربية الإسلامية ، وانبثاق علم الكلام في الجدل الفكري العقيدي بين المسلمين وغيرهم ، وبين المدارس الإسلامية الفكرية كالأشاعرة والمعتزلة والشيعة والمرجئة والجهمية وغيرهم .

ويحدثنا في ظهور طائفة من هذه المصطلحات العلمية والفلسفية المنحوتة أبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) ، مبيناً عنصر الإبداع والابتكار في صنيع المتكلمين ، وجاعلاً إياه سنناً وطريقاً لمن يأتي من بعدهم ، فيقول : " ... وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم ، فصاروا في ذلك سلفاً لكل خلف وقُدوة لكل تابع . ولذلك قالوا : العَرَض ، والجَوهَرُ ... وفرّقوا بين البُطلان والتلاشي وذكروا الهذيّة والهُوِيّةِ والماهيّة ، وأشباه ذلك " [2].

وكلمة " التلاشي " منحوتة من كلمتين هما " لا شيء" ، وكلمة البَهشَميَّة منحوتة من أبو هاشم " . وهي فرقة من فرق المعتزلة[3] ، وأبو هاشم هو : عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجُبّائي (ت ٣٢١ هـ) ، وكان من كبار متكلميهم . وأما الماهية فمنحوتة من: ما هو ، فحذفت الواو اختزالاً ، وجيء بياء النسبة . وكذلك الهذية مأخوذة من هذا .

ويبدو من كلام الجاحظ أنه يرى جواز النحت لأهل عصره ولمن جاء من بعدهم من المولّدين فقد ذكر في كلامه الذي أسلفنا بيانه ، أن هؤلاء المتكلمين قدوة في هذا الصنيع الذي هو النحت ، لمن من خلَف هذه الأمة .

---

[1] ستيفن اولمان : دور الكلمة في اللغة ص ١٣٦ .

[2] البيان والتبيين ١/ ١٣٩ .

[3] - القاضي عبد الجبار : فرق وطبقات المعتزلة

## رأي المعاصرين في النحت :

عند تأسيس المجمع اللغوي العراقي . ذهب معظم أعضائه إلى قبول النحت[1] وسيلة من وسائل لنمو العربية وتطورها في تلبية حاجات العصر، وما يتطلبه من اصطلاحات عربية أو معرّبة في العلوم والآداب والفنون وغيرها .

وقد اعترض على هذا القرار الأب أنستاس ماري الكرملي ، وقال في هذا الاعتراض : لا أرى حاجة إلى النحت ، لأن علماء العصر العباسي مع كل احتياجهم إلى ألفاظ جديدة ، لم ينحتوا كلمة علمية واحدة . هذا فضلاً عن أن العرب لم تنحت الألفاظ التي يكثر ترددها على ألسنتهم ، فلم يحلموا بنحتها . ومثلها عندنا الآن : " أيش ، وليش ، ومؤشي ، أي ما هو شي ، وشنو ، أي : أيُّ شيء هو[2] ؟ إلى غيرها[3] " .

وهذا الرأي فيه نظر ؛ إذ قد تبيّن لنا من قول الجاحظ ، الذي أوردناه آنفاً، ومما هو معروف في كتب المنطق والكلام والفلسفة ، أن هناك ألفاظاً منحوتة في العصر العباسي ، وإن كانت قليلة . وإلى جانب هذه الألفاظ ألفاظ أخرى غير منحوتة نشأت في ذلك العصر أيضاً ، كالعرَض والجوهر ، والتسلسل والدَور ، والبسيط والمركب ، وما إليها من ألفاظ الفلسفة والمنطق.

وقد صَوّب الدكتور مصطفى جواد رأي الكرملي ، وبيّن أنه قد ذكر في محاضرته التي ألقاها في مؤتمر الأدباء في بيت مري من لبنان سنة ١٩٥٤ عند الكلام على ترجمة لفظ النفسي الجسمي " **Psychosmatic** " : " ولا يصح النحت في هذا الاسم خشية التفريط في الاسم بإضاعة شيء من أحرفه، كأن يقال : " النفَسَجيّ " ، أو " النفسجسميّ " ، مما يبعد الاسم عن أصله ، فيختلط بغيره وتذهب الفائدة المرتجاة منه "[4] .

وليس هذا التصويب والتأييد لرأي الكرملي ، رفضاً من مصطفى جواد للنحت ، إذ ذهب إليه في حدود ، وإنما فيه احتراز واحتياط في الأخذ به. ورأيه فيه بيّنة بقوله :

البحوث اللغوية ص ٨٥ .
... أنه سلط مطمي ، وليس وهماً من الكرملي أو مصطفى جواد .
البحوث اللغوية ص ٨٥ .
البحوث اللغوية ص ٨٦ .

وعلى ذكر النحت ، أود أن أشير إلى أني لا أركن إليه في المصطلحات الجديدة إلا نادراً ... لأنه نادر في العربية ويشوّه كَلِمها[1] " .

وكان ساطع الحصري أحد أعضاء المجمع اللغوي العراقي يذهب إلى عكس ما كان يذهب اليه الكرملي . فقد نشر في مجلة (التربية والتعليم ) سنة ١٩٢٨ ، رأيا له في أساليب تعريب المصطلحات وصوغها ، وهو أن تتصف ألفاظها بالقصر والسهولة ، ولن نقدم على النحت والاختزال بمقياس واسع " . وأضاف : " ونحن نعتقد أن التوسع في النحت أصبح من أهم حاجات اللغة العربية ، ونظن أيضاً أنه لا سبيل بدون ذلك إلى إغنائها بما تحتاج إليه من الاصطلاحات العلمية المتنوعة الجديدة "[2] .

وبيّن الحصري بعد هذا القول منهجه في النحت وتصوّره له ، فبين أنه لا يقصد بالنحت " تركيب الكلمات العربية من بعض الجذور الأعجمية كما يقترحه بعض الكتاب بل يقصد بذلك : " النحت الأصولي الذي ادخل في اللغة العربية عددا غير قليل من الكلمات والتعبيرات المختزلة مثل (شقحطب) و (بسملة) و (ملاشاة) و (حبرمة) ، تلك الكلمات والتعبيرات المختصرة التي تفتقر العلوم الحديثة إلى أمثالها افتقاراً شديداً " .

ويتضح من هذا أن رأي الكرملي خلاف رأي الحصري في النحت ؛ إذ أن الأول يرفضه في نهضتنا الحديثة ، على حين يبيحه الثاني ، ولكن في الحدود السليمة ، وهي الحدود التي رسمها العرب الفصحاء ، واللغويون القدماء في العصر الذهبي ، العصر العباسي ، وما قبله من عصور .

وبيّن الحصري بعد ذلك إن علماء اللغة المتأخرين بحثوا عن النحت باهتمام وعرفوا أهميته في تكوين اللغة ، وعدّوه من وسائل توسعها وسوّغوا الاستفادة منه لتكوين المصطلحات العلمية عند الضرورة ، ونحن اليوم في حاجة ماسة إليه .

ثم وضع قاعدة عامة للنحت ، وهي : " أننا نعبّر عن كثير من المعاني العلمية بتراكيب متنوعة . فإذا كانت هذه التراكيب قصيرة وسهلة ، يمكننا أن نستمر في

---

[1] - المباحث اللغوية ص ٨٦ .

[2] - المباحث اللغوية ص ٩٠-٩١ .

نستعملها على حالها . أما إذا كانت طويلة وصعبة ، فمن مصلحة العلم واللغة أن ننحتها؛ لأجل تسهيل استعمالها وانتشارها "[1] .

وذكر الحصري بعد ذلك " أن (لا) النافية أعطتنا كثيراً من الاصطلاحات الرشيقة " ، وأن المتقدمين استعملوا " لا متناهي " و " لا ضروري " و " لا موصوفية " وما إليها ، وأننا لا نستطيع اليوم أن ننسج على هذا المنوال ، مثل هذه الطريقة في النحت، فنقول : لا أخلاقي " Anormal " ، ولا اجتماعي " Asocial "[2] .

وليس هذا من النحت في شيء ، بل هو من التركيب ، إذ أن حد النحت هو أن يكون فيه اختزال . وقد نقدنا على الحصري سالفاً رأيه في كلمات أخرى من هذا القبيل مثل : (اللاأدرية ) ، و (بينما) .

واقترح الحصري بعد ذلك طائفة من المنحوتات ، منها : " عَنمركزي " أو " عَمَرْكزي " ، من قول المؤلفين والمدرسين : " القوة الطاردة عن المركز" أو " القوة الدافعة عن المركز " أو " القوة عن المركزية " في مقابل المصطلح الأجنبي : Forse centifuge . ومنها " قبتاريخ " من التركيب : "قبل التاريخ " و " القبمدرسي " من التراكيب : " قبل المدرسي " ، و "الإنسان القبتاريخى " ، من عبارة : " الإنسان قبل التاريخ " ، وهلم جرا .

ورأى الحصري في نهاية هذه الأمثلة " أن هذه الكلمات المنحوتة تمكننا من المعاني العلمية بسهولة كبيرة ، كأن نقول : إن عقلية الأطفال مثل عقلية الأقوام الابتدائية عقلية قبمنطقية "[3] .

ومما اقترحه الحصري الاستفادة من الظروف الدالة على المكان في النحت ، مثل، خارج ، وفوق ، وتحت ، واختزالها على شكل : خا ، وفو ، وتح ، فنقول : خا مدرسي Exstrasscolaire ، وفوسَوي Surnormal ، وتحشعوري Subconscient وهلم جرا .

---

[1] - المباحث اللغوية ص ٩٦ .

[2] - المباحث اللغوية : نفس المكان .

[3] - المباحث اللغوية ص ٩٧-٩٨ .

والحق أن الاسترسال على هذا المنوال من النحت ، و التوسع فيه يشوّه اللغة ، ويجعلها غريبة بين أهلها ، إذ تبدو الكلمات المنحوتة أشبه بالألفاظ الأعجمية الدخيلة أو المعرّبة . ولا بأس مثلاً من أن تكون الكلمات منحوتة المراد منها ، وفي نطاق العلوم البحت كعلم النبات و الحيوان ، دون الاسراف فيها الامكان . وقد اقترح الحصري مثلاً أن نقول : (حيثومة) من حيوان و جرثومة في المصطلح الاجنبي Sporoyoaire و (عفنبات) من عفن ونبات في Saprophyto، إلى ألفاظ أخرى ، قد تكون مقبولة في نطاق الاصطلاحات العلمية ما اقترحه من مثل (السّرْمنة) ، بدلاً من السير في المنام Somnmbutism، يبدو مما لا يلقى قبولاً لدى السامعين له . و الأحسن في مثل هذه المصطلحات بترجمتها لا نحتها ؛ لأن التعبير عنها بعبارة أو تركيب أقرب إلى استساغة السامع هذا الذي يقترحه الحصري هنا . وبمثل ذلك نقول في مثل : (حلقظة) نحتاً من أحلام اليقظة Day dream[1] إذ لا يخفى أنها مما ينبو عن الاسماع من جهة ، ولا ينسجم في أصواته مع دلالة (أحلام اليقظة ) في الاصطلاح النفسي ، لما فيها من الغرابة الصوتية و الشدة في صوتين منهما وهما القاف و الظاء .

فهذا يبين جهود اللغويين المحدثين ، من العراقيين ، في الحديث عن النحت، وسيلة من وسائل نمو العربية في هذا العصر ، وتلبيتها لحاجاته من المصطلحات .

وتكلم على النحت في أقطار عربية ، غير واحد من الباحثين في اللغة ، من أقدمهم جرجي زيدان في مصر ، وذلك في كتابه (الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية ) ، إلا أنه لم يأت بشيء يستحق الذكر والدراسة ، لأنه قصر حديثه عن النحت في عدد من العاميات في أيامه ، وخاصة العامية اللبنانية . فانبرى يحلل ألفاظاً منحوتة من هذا القبيل ، ويحاول أن يردها إلى أصولها التي كانت عليها قبل النحت ، من مثل (شلُوْن) و (شُوْ) و (ليش) و(إيش)[2] ونحوها .. ثم راح يوازن بين عدد من اللغات الشرقية و لغربية كالسنسكريتية والقبطية و اللاتينية و الألمانية والإنجليزية ، بما لا صلة له بالنحت .

---

[1] المباحث اللغوية ص ٩٨_٩٩ .

[2] – جرجي زيدان : الفلسفة اللغوية ص ٧٢ وما بعدها .

بل إن نظرته إلى النحت تبدو مبنية على أنه مضر باللغة . وليس وسيلة لنموها وازدهارها ، على ما فهمه القدامى والمتأخرون والمعاصرون . ويدلنا على ذلك قوله : " النحت ناموس[1] فاعل على الألفاظ ، وغاية ما يفعله فيها إنما هو الاختصار في تصغير سهيلاً للفظها ، واقتصاداً في الوقت بقدر الإمكان . وهذا الناموس لم تنج من فتكه لغة من لغات البشر أدناها وأسماها، بل جرى منها على السواء من أول نشأتها ، ولم يزل حتى الآن ولن يزال إلى ما شاء الله ... " [2].

وممن تكلم على النحت أنيس فريحه ، فعرّفه بأنه " دمج كلمتين ، بعد حذف وصقل لتكوين كلمة جديدة ذات معنى جديد "[3] .

ثم تساءل قائلاً : " هل تلين العربية للنحت " ؟ وزعم أن الكلمات المنحوتة في العربية قليلة جداً ، ومثّل لها بـ "ماهية " . " مال " المركبة من " ما " الموصولة وحرف الجر "اللام " . ثم قال : " ولا تقعنّ في الوهم الذي يقع فيه بعض الناس من اعتبار كلمة " حوقل " وأشباهها أنها كلمات منحوتة .هذه مختصرات لعبارات وجمل ، وليست نحتاً بالمعنى اللغوي ".

والحق أن " مالِ " ليست من النحت في شيء ، لأنها خالية من الاختزال، وشرط النحت وسِمَتُهُ الأساس طرح بعض الحروف أو الكلمات اختصاراً وإيجازاً ، كما رأينا في أمثلة مثيرة نحتتها العرب في عصورها الأولى ، وأمثلة نحتتها في عصورها العلمية الذهبية ، وخاصة العصر العباسي .

ولسنا ندري لِمَ أعرض عن الأمثلة الكثيرة القديمة وجاء بمنحوت متأخر عنها وهو " الماهية " و " الهذية " ؟ إلا أن يكون منكراً لكل ذلك التراث العريق من المنحوت ، ويبدو أنه كذلك ! فقد أنكر أن تكون " حوقل " كلمة منحوتة . والذي يدعو إلى العجب زعمه من القائلين بأن هذه وأمثالها ملحوتة ، هم " بعض الناس " . ومع أن بعضهم على حسب ما يوجبه الاستعمال الفصيح الصحيح لها بمعنى (واحد) ، إلا أنه مع ذلك لو زعم بها فئة قليلة من الناس ، لما أصاب كبد الحقيقة ، إذ إن القائلين بذلك هم الأكثرون

---

[1] الناموس : القانون .

[2] الفلسفة اللغوية ص ٧١ .

[3] أنيس فريحة : نظريات في اللغة ص ٧٩ .

وحوقل وأمثالها من الكلمات إنما هي من ... منحى النحت .
فكيف يكون القول بذلك وهما من " بعض الناس " ؟! والأغرب من ذلك أن أنيس فريحه بعد أن مثّل للنحت في كلام الغرب بـ (بيولوجيا) و (جغرافيا) و (تلسكوب) ، وقال إنها كلمات منحوتة من لفظين بعد حذف وصقل ، فالأولى من Bios ومعناها : الحياة ، و Logos أي الكلمة ، وتعني العلم أيضاً ، والثانية من gea أي الأرض و Graphien ومعناها الصورة والهيئة وقد نقلها العرب بمعناها فتكلموا على هيئة الأرض... ، فهو بعد أن مثّل لها بذلك ، قال :

" أما رأينا فهو أنّ الجذور العربية تأبى النحت ؛ لأنك إذا حذفت حرفاً من الحروف الأصلية أفسدت المعنى ، وإذا كان أحدهم وُفّق إلى وضع كلمة (برمائي) أي الحيوان الذي يعيش في الماء وعلى اليابسة ، أو كلمة (المدرحيَّة) أي تفسير التاريخ على أسس مادية روحية ، فليس معناه أننا نستطيع أن نستفيد من هذه الخاصة اللغوية "[1]

وهكذا سدّ أنيس فريحه باب النحت في العربية بهذه الحجة الضعيفة ، وهي أن حذف حرف من الحروف الأصلية من جذر الكلمة يفسد المعنى .! وكأنه نسي ما كان قد قدّمه من القول بأن النحت دمج كلمتين بعد حذف وصقل . وهل كان الذي رآه هذا الباحث غائباً عن أفكار المتقدمين ، كالخليل وابن فارس والثعالبي وغيرهم ؟! أو عن أفكار كثير من المحدثين ، ومنهم مجامع علمية ولغوية ، كالمجمع اللغوي العراقي ومجمع اللغة العربية المصري ؟! .

إن النحت كان وما يزال من وسائل نمو العربية ، وإذا كان يجري في عصور الفصاحة الأولى – قبل ظهور الإسلام وعنده – رهين السليقة ، ولم يخضع لصنعة أو تصنع وإذا كان قد خضع في العصر العباسي ، لسلطان الفكر العربي الإسلامي ومعطياته الجديدة في الفلسفة والكلام ونحوهما ، فإننا اليوم أحوج ممن سلف إلى ضرورة الاستفادة منه ، بعد أن أخذنا على أنفسنا الاستفادة من التطور العلمي بأنواعه . ولكن بشرط مهم جداً ، وهو عدم الإسراف فيه ، مع توخّي السهولة والبعد عن الغرابة عند النحت .

---

[1] - نظريات في اللغة ص ٧١-٧٢ .

هذا ما ينبغي أن نراه اليوم وإلا لحكمنا على لغتنـــا بـــالجمود ، وأوقفنـــا عجلـــة تطورها المطردة النامية ، نحو الثراء والاتساع . في جانب له أهميته وهو النحت . وهو جانب يتصل بعوامل النمو أخرى كالاشتقاق والتعريب على ما رأينا سالفاً .

ولم نجد من اللغويين الذين يعتد بهم من ينكره ، إلا ما عُرف عن الكرملي، ولكـــن منهم من يضيق استعماله ويحدده بالضرورة ، مثل الدكتور مصطفى جواد لسببين عنده ، أحدهما : أنه نادر في العربية ، والآخر : أنه يُشوّه كلمها ، على ما بيناه سالفاً . فهو لـــم يقل : يشوّه معناها ، كما قال أنيس فريحه ، وإنما ذهب إلى اللفظ وحده .

وذهب الدكتور إبراهيم أنيس إلى " أن ما نسميه بالنحت ليس إلا مظهراً من مظاهر الاختزال في مقاطع الكلام " ؛ أي أنه يؤيد ما يدعو إليه المحدثون من اللغويين في بـــلاد الغرب والعرب . وهو الذي يطلق عليه الغربيون اسم Haplology[1] . أما مجمع اللغـــة العربية في القاهرة ، فإن موقفه من النحت فيما يذكر إبراهيم أنيس[2] ما يزال متردداً فـــي قياسيته ، وما يزال أكثر أعضائه يرون الوقوف منه عند حد السماع ، على الرغـــم من أن قلة من هؤلاء الأعضاء قد برهنوا في بحوثهم على ضرورة جعل النحـــت قياســـياً نستخدمه في مصطلحات العلوم الحديثة ، ولا سيما المصطلحات الطبيـــة . علـــى نحـــو البحث الذي ألقاه الدكتور رمسيس جرجس في مؤتمر المجمع سنة ١٩٥٧ . وكان المجمع قد أجاز النحت عند الضرورة[3] في أحد قراراته القديمة . والحق في هذا ما ذكره الدكتـــور إبراهيم أنيس ، من أن " الذين يرون قياسية النحت قد غالوا في أمثلته بعض المغالاة . فقد حسبوا أن كل الكلمات الكثيرة البنية لم تنشأ إلا عن طريق هذا النحت . وقد تكلفوا فـــي ذلك وتعسفوا حين ادعوا أن (البرقَع) من الفعل (بَرَقَ) ، ومعه (رقْعَـــة) أي : خرقـــة ، و (البرنقش) من الفعلين (برق) و (نَقَش) ... "[4] ، وهلّم جراً .

ويذكر الدكتور إبراهيم أنيس يشير هنا إلى مذهب ابن فارس ، الذي بيّنـــاه ســـالفاً . ويمضي الدكتور إبراهيم إلى قوله : " وظهرت مغالاتهم واضحة جلية حين عمـــدوا إلـــى

---

١ من أسرار اللغة ص ٨٩ — ٩٠ .

٢ من أسرار اللغة ص ٨٩ — ٩٠ .

٣ في الجلسة الثالثة ... ، شباط ١٩٤٨ ، تنظر مجلة المجمع ٧/ ١٥٨ .

٤ من أسرار اللغة ص ٩٠ .

تلك الكلمات المنتهية بالميم مثل : بلعوم ، خرطوم ، حلقوم ، فتصوروا أنها منحوتة من بَلَعَ ، وطَعِمَ . خَرَطَ و طَعِمَ . الحَلْق والطَعْم ) على الترتيب غير مدركين أن الميم هنا هي علامة التنوين في اللغة الحِميرية القديمة ، وأن هذا الأصل قد تُنوسِيَ في هــذه الكلمات وأمثالها ، واستعملتها لهجات الشمال على توهّم الأصالة في الميم " .

وانتهى هذا اللغوي المعاصر إلى الرأي الصواب ، وهو الاعتدال ، فقال: " ومع ما تقدم نشعر أن النحت في بعض الأحيان ضروري ، يمكن أن يساعدنا على تنمية الألفاظ في اللغة . ولذا نرى الوقوف منه موقفاً معتدلاً ، ونسمح به حين تدعو الحاجة الملحة إليه، ولا سيمّا حين يجري على نَسَق من الأمثلة القديمة "[1] .

وأجاز بعد هذا أن ما يقال مثلاً : " دَرْعَمِي " نسبة إلى كلية " دار العلوم "[2]. قياساً على قول القدامى : " دَرِيخِيّ " نسبة إلى محلة " دار الطبيخ " في بغداد. كما لم ير بأساً في أن يقال : " أنفَمِيّ " للصوت الذي يتخذ مجراه من الأنف والفم معاً ، وهو النون والميم كما سنرى[3] .

ولقد أشار المحدثون من علماء اللغة إلى ظاهرتين متبابيتين هما : التركيب الذي أشرنا إليه سالفاً والمزج .

فالتركيب : **Composition** ، ينشأ من انضمام كلمة إلى أخرى لتكوين كلمة جديدة كما في كلمة **Black bird** التي لا يراد بها كل طائر أسود ، وإنما يطلق على نوع معين من الطيور . ويرتبط اللفظان المركبان ارتباطاً قوياً بحيث ينطقان دفعة واحدة دون فصل بينهما ، ولكن من غير أن يقضي ذلك على ذاتيتهما . ثم تأتي المرحلة الثانيــة للتركيب عندما يبدأ الادماج بينهما في القضاء على ذاتيتهما الصوتية كما في **Breakfast**، وقد يتأثر المعنى وقواعد النحو بهذا التغيير الذي يصيــب الاســتقلال الصوتــي لعنصـر الكلمة المركبة[4]. أما المزج **Contamiuation** فيعني في الاصطلاح اللغوي عندهم : أن تتداخل كلمتان فيما بينها تداخلاً تاماً عن غير قصد من المتكلم بحيث تفقد كل من الكلمتين أصولها ، وتغدوان كلمة واحدة وهم يضربون لذلك مثلاً : **Brunh** التي تتكون من Break

[1] – من أسرار اللغة ٩٠-٩١ .

[2] – نفسه ٩٠-٩١ .

[3] – سيرد بيان ذلك في الفصل الثامن إن شاء الله عند الكلام عل مخارج هذين الصوتين .

[4] – ستيفن أولمان : دور الكلمة في اللغة ص ١٣٦ – ١٣٧

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتغدوان كلمة واحدة وهم يضربون لذلك مثلاً : **Brunch** التي تتكون من **Break**[1] fast – lunch.

ويقول ستيفن اولمان[2] : " وبالرغم من أن الكلمات المكونة بطريقة المزج، ليست ذات شأن كبير في عملية الابتكار اللغوي ، فلها جوانب أخرى مهمة " . وبيّن أنه قد يعمد المتكلم لسبب من الأسباب عمداً إلى طريقة المزج هذه وأن علم النفس الحديث حاول أن يستفيد من هذه الظاهرة اللغوية ، عن طريق التحليل النفسي ، على أساس أنها كاشفة عن اللاشعور . كما استفاد منها النقد الأدبي ، بعد أن حاول عدد من الكتاب والأدباء المزج ، أسلوباً من الأساليب ، وكذلك المسرح والرواية الهزلية إذا عمدا إلى مزج الكلمات مزجاً مضحكاً .

وهذا لاشك ضرب من العبث بالألفاظ ، استغل لغير ما ينبغي أن يستغل له هذا الأسلوب اللغوي .

ولقد استفاد المعاصرون – فيما يبدو – من هذه الظاهرة ، كما استفادوا من طريق التركيب ، فقالوا لحيوان الماء واليابسة (برمائي) **Aniphibia** ، آخذين ذلك من كلمتي : بر ، وماء . وهم يعدون هذا من النحت[3] ، مع أنه تركيب . إذ حدّ النحت كما بينا مزج مع اختزال في الأصوات ، أو الكلمات. وكل ما هو من هذه الشاكلة التي يتكون فيها لفظ من لفظين دون اختزال ، فهو تركيب ، وليس نحتاً .

---

[1] ستيفن أولمان : دور الكلمة في اللغة ١٤٠ – ١٤١ .
[2] نفسه ص ١٤١ .
[3] المباحث اللغوية ص ٩٨ .

## المبحث الخامس

# الارتجال

قد يبدو على كلام القدامى في الارتجال شيء من الاضطراب[1] ، الذي منشؤه عدم التحديد . إلا أن الذي يُحصَّل من كلامهم فيه ، أنهم يعنون به غالباً الاختراع اللفظي أو المعنوي . وذلك بأن ينطق المتحدث بكلمة جديدة لم يُسمع منه من قبل ، أو يستعمل لفظة معروفة ، ولكن بدلالة جديدة غير معروفة ونظرة في كتب اللغة القديمة تدلنا على الذي قلناه . وقد سماه ابن جني الارتجال[2] ونبه عليه أبو بكر[3] السراج وسماه (اختراعاً)، قال : "ويجوز عندي أن يخترع المُسَمِّي أسماً لم يسمعه " . وذلك في حديثه عن الأعلام .

وكان بعض الفصحاء من الرواة واللغويين يرتجلون ألفاظاً أو صيغاً لم تعرف في كلام العرب ويخترعونها . وقد عقد ابن جني لها في (الخصائص) باباً سماه "باب في الشيء يسمع من العربي الفصيح لا يسمع من غيره " ، فحكي عن أحمد بن يحيى ثعلب . قال: " حدثني بعض أصحابي عن الأصمعي أنه ذكر حروفاً من الغريب ، فقال : لا أعلم أحداً أتى بها ، إلا ابن أحمر الباهليّ، منها (الحبَر) ، وهو الملك . وإنما سمي بذلك أظن – لأنه يجبر بوجوده ، وهو قوله :

إسلَمْ براووقٍ حُبِيتَ بِهِ     وأنعِم صباحاً أيُّها الجَبَرُ[4]

فيتضح من هذا أن ابن أحمر استعمل (الجَبَر) بدلالة أخرى . وهذا ما يصح أن نسميه " الارتجال المعنوي " . ومثله " المأنوسة " استعملها للدلالة على النار ، وذلك قوله

كما تطاير من مأنوسةَ الشرر[5] .

---

1 - من أسرار اللغة ص ٩٥ .

2 - الخصائص ٢/ ٤٢ .

3 - الأشتقاق ص ٣٦ .

4 - الخصائص ٢/ ٢١ .

5 - الخصائص ٢/ ٣٢ .

على أن ابن دريد[1] ينقل عن قوم من أهل العلم أن ملكاً من ملوك كندة كان يقال له أبو الجبر. فهل كُنّي بهذه الكنية لأنه يجبر بجوده ، كما احتمل ابن جني، أم إنه اسم وليس بصفة ؟ إننا لا نستبعد أن تكون صفة سمّي بها هذا الملك لكثرة ما يجبر من حاجات الناس وغوائلهم بجوده .

وهناك ارتجال الألفاظ والصيغ ، وهو الذي تسميه " الارتجال اللفظي " ، وذلك نحو : " كاسٌ رَنوناةٌ " أي دائمة وذلك قوله :

بَنَتْ عليه الملكَ أطنابَها كاسٌ رَنَوناةٌ وطِرفٌ طِمِرّ

ومنها : " الديدبون " بمعنى : اللهو ، و " ماريَّة " أي لؤلؤيّة ؛ لأنها بلون اللؤلؤ ، " الحيزم " وهو البقر . قال الأصمعي : ما جاء به غيره[2] . يعني بذلك ابن أحمر الباهلي .

وقد احتمل ابن جني لذلك احتمالين : أحدهما : أن يكون ابن أحمر الباهلي قد أخذ هذه الألفاظ عمّن ينطق بلغة قديمة ، وأنه تفرّد بالسماع منه ، فلم يشاركه في أحد . والآخر : " أن يكون شيئاً ارتجله ابن أحمر ، فإن الأعرابي – يقول ابن جني – إذا قويت فصاحته ، وسمت طبيعته ، تصرّف وارتجل ما لم يسبقه أحد قبله " .

وبذلك انتهى التحليل والتعليل بابن جني إلى حقيقة لغوية ، هي كالقانون اللغوي بعد . ثم احتج له بصنيع رؤبة بن العجاج وأبيه ، إذ كانا " يرتجلان ألفاظاً لم يسمعها ولا سبقا بها " .

ورجع ابن جني بعد هذا إلى قاعدة أبي عثمان المازني التي سبقت الإشارة إليها عند الكلام على القياس ، وهي : " ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب " .

بل إن أبا علي النحوي بن أحمد بن عبد الغفار شيخ ابن جني أجاز الارتجال في مثل هذا النوع وهو : " أن تبني اسماً وفعلاً وصفة ونحو ذلك، من ضرب ، فيقول : ضربب زيدٌ عمراً ، وهذا رجلٌ ضربببٌ " . أو قل : إنك تستطيع أن تصوغ فعلاً رباعياً من ذلك الفعل الثلاثي ، يكون على وزن فعلل، وتصوغ صفة على وزن فعللٌ .

---

[1] الاشتقاق ص ٣٠٥ – ٣٠٦ .
[2] الخصائص ٢/ ٢٢ – ٢٣ .

وقد حمل هذا الكلام ابن جني على أن يسأل شيخه أبا علي سؤال المتحير المتعجب : " أفترتجل اللغة ارتجالاً " ؟ وكان لأبي علي جواب في ذلك[1] . وهذا الجواب ذكره ابن جني في موضع آخر من كتابه (الخصائص)، وهو أن أبا علي كان يرى هذا الكلام مبنياً على القياس لا على الارتجال .

وقد تساءل الدكتور إبراهيم أنيس[2] عن مراد ابن جني من سؤاله هذا ، بعد أن سؤالاً إنكارياً ، أيريد بالارتجال " الاختراع من العدم ، أم يعني فقط ذلك الاشتقاق المقيس على شيء معهود مألوف " ؟ . فاحتمل بعد هذا التساؤل أنه " كان يقر حق الارتجال ، قاصراً هذا الحق على الفصحاء من العرب " ، دون غيرهم من المولدين من أمثال شيخه أبي علي .

وضرب الدكتور لذلك مثلاً بما ذكره ، من أن الأصمعي روى كلمات غريبة عن ابن أحمر الباهليّ ، وهو ما بيّناه سالفاً . وضرب له الأمثلة من كتاب الخصائص .

على أن الدكتور إبراهيم أنيس كان يرى أن ابن جني " خلط بين الكلمات المخترعة والمستعارة من لغة أخرى والمشتقة اشتقاقاً جديداً قياسياً على كلمات مألوفة الصورة ورأى أن من تلك الكلمات التي وصفها ابن جني بالاختراع، ما يمكن إرجاعه إلى الفصيلة ( السامية ) ، وذلك مثل كلمة ( الجبر ) بمعنى الملك ، التي استشهد لها ببيت من الشعر إذ رجح أنها في العبرية والسيريانية والآرامية ، ففيها جميعاً بمعنى الرجل ونسب والصاحب القوة والنفوذ . ورجح أيضاً أن إجادة البحث في أصول تلك الكلمات التي يقال إنها مخترعة سيوصلنا إلى أنها تنتسب إلى لغة من اللغات ، أو لهجة من اللهجات ، و ليست من الارتجال في شيء[3] .

على أن ما ذهب إليه ابن جني في الارتجال ، ذهب إليه أيضاً معاصره ابن فارس إذ كان لا يرى لأهل عصره الحق في الارتجال ، بل كان يقصره على العرب الفصحاء

---

[1] - الخصائص ٢/ ٢٥ .

[2] - من أسرار اللغة ٩٦ .

[3] - من أسرار اللغة ٩٦ - ٩٧ .

الأوائل . يقول : " وليس لنا اليوم أن نخترع ، ولا أن نقول غير ما قالوه "[1] ، وهو مذهب يرتبط بالقياس عنده .

ومهما يكن من أمر ، فإن الذي يبدو من كلام القدامى أنهم لـم يقصـروا عمليـة الارتجال اللغوي على العصر الجاهلي ، وإنما رأوه ممكناً في العصور الإسلامية الأولـى التي يصح الاحتجاج بما ورد فيها من آثار اللغة ونصوصها.

وقد اجازوا أن يكون القرآن عَلَماً مرتجلاً لهذا الكتاب المعجز المبين المنزل علـى النبي محمد (ﷺ) ، في جملة ما قالوا من أقوال في دلالته اللغوية، مثل كونـــه مصـدراً مرادفاً للقراءة ، وهو الأقوى ، أو مشتقاً من القَرْء، أي : الجمع ، أو من القرائـن جمـع قرينة[2] ... إلى ما هنالك من أقوال.

ومعلوم في كتب النحاة ما يعرف بالعلم المرتجل ، وهو ما لم يكن قبل العَلَمية كلمة من كلمات اللغة ، مثل : سعاد ، وأدد ، وهو عكس العَلَم المنقول ، وهو : ما أفاد بصيغته معنى في اللغة قبل استعماله للعلمية ، كفَضْل وأسد ، على ما ورد في شرح ألفيـــة ابـن مالك[3] .

ومعلوم أيضاً أن القرآن نزل بلغة العرب ، وأن الألفاظ التي فيه كـانت معروفـة لديهم . ولم يكن ثَمّ تغاير إلا في دلالة طائفة من الألفاظ التي عرفت بالألفاظ الإسـلامية ، أو الأصطلاحية ، كالصلاة والصوم والربا والزكاة والإيمان والكفر والنفاق ، وما إليـها ، فإنها وإن كانت مستعملة في كلام العرب قبل نزول القرآن ، إلا أن القرآن منحـها دلالات جديدة ، كما هو معلوم.

فالرأي السائد لدى العلماء أن ليس هناك ألفاظ غريبة على العرب ، يصح أن يقـال إنهم لم يستعملوها . وإنما خفي على عدد منهم دلالة طائفة من الالفـاظ ، لكونـها علـى الأصح لهجات . فلم يكن عدد من الصحابة على علم بها ، من مثل (فاطر) و (بديـع) و (الرقيم) و (حنانا) التي روي فيها عن ابن عباس (رضي الله عنه) انه ما كان يعرفها حتـى سمع

---

[1] - الصاحبي ص ٦٧ .

[2] - الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن ١/ ٧ .

[3] - ١/ ١٠٩ ، ط ١٣ .

بعض الأعراب تتحدث بها ، فعرف من فجوى كلامهم دلالاتها[1] . ومثل ذلك روي عن عمر وابي بكر (رضي الله عنهما) في معنى (الأبَ) من قوله تعالى : { وفاكهةً وأبًّا } (عبس : ٣١). إذ روي أنهما حين خفيت عليهما دلالتها ، لم يتكلفا تفسيرها[2] . فهذا مما لم يعرفوه لأنه إما لفظ مشترك وإما من اللهجات .

إلا أن احد المستشرقين وهو نولدكة زعم أن (التَسنيم) الوارد في قوله تعالى { ومزاجُهُ من تَسنيمٍ * عيناً يشربُ بها المُقرَّبون } (المطففين : ٢٧ – ٢٨) من الألفاظ التي جاء بها القرآن ، ولم تعرفها العرب قبله ، على أساس أنها غير موجودة في الشعر الجاهلي واللغات الجزرية القديمة[3] . مع أن هذه اللفظ عربي في رأي الأقدمين ، وقد جعله الفراء دالاً على العلو ، فقال : " من تسنيم : من ماء يتنزل عليهم من مَعالٍ "[4]. وهذا شبيه بقولنا : تسنَّم فلان كذا ، أي ارتقاه وعلاه . وقال الراغب الاصفهاني[5] : " قيل هو عين في الجنة رفيعة القدر " . وبيّن أن السياق فسّره بذلك ، وهو قوله تعالى بعده مباشرة { عيناً يشرب بها المُقرَّبونَ } .

وبذلك يصبح قول نولدكة متروكاً ، لأنه لا دليل عليه . فكلمة تسنيم يمكن أن تكون لفظة مشتقة من مادة (س ن م ) الدالة في صيغتها المختلفة على معنى العلوّ ، فسَنام كل شيء : أعلاه ، وتَسنَّمَه علاهُ ، وأسْنَمتَ النارُ إسناماً : إذا ارتفع لهبـــها[6] . وقال الزجّاج : ومن تسنيم : أي من ماءٍ مُتَسَنِّم ، عيناً تأتيهم من عُلُوٍّ تتسنّم عليهم في الغرف

## رأي المحدثين في الارتجال :

حاول عدد من اللغويين الأوربيين في القرن التاسع عشر أن يعرفوا مــدى تأثير انعزال الأطفال ــ انعزالاً تاماً أو شبه تام عن المجتمع ــ في ارتجالهم اللغة ، غير

---

١ ابو عبيد : غريب الحديث ٤/ ٤٠١ ٤٠٢ . وتفسير الطبري عند تفسير هذه الألفاظ .

٢ – الزركشي : البرهان ١/ ٢٩٥ .

٣ السامرائي : فقه اللغة المقارن ص ١٧٥ .

٤ – الفراء : معاني القرآن ٣/ ٢٤٩ .

٥ – الراغب : مفردات الفاظ القرآن ص ٢٥١ ( سنم ) .

٦ – اللسان ١٥/ ١٨٩ ( سنم ) .

٧ – من أسرار اللغة ص ١٠٣ .

نتائج محاولاتهم لم تؤدِ إلى نتيجة واضحة يمكن أن يقال عنها إنها علمية . غير أن جسبرسن Jesperson يؤكد أن الطفلين لو عُزلا في مكان لنشأت لهما لغة مستقلة ذات أصول وقواعد . وقد استنتج ذلك من طفلين توأمين تركتهما أمهما عند عمة لهما صمّاء لا تنطق . فنشأت لديهما عبارات وألفاظ غامضة سمعها منهما جسبرسن نفسه . فوجد أنها تتصل اتصالاً وثيقاً بلغة البيئة، إلا أنها مبتورة ممسوخة ، حذفت منها أصوات ، وعوض عنها بأخرى . ووجد بعضها مما يمكن أن يسمى : تقليد الأصوات "Onomatopoeia"[1] . فهذا ما يذهب إليه اللغويون المحدثون .

أما أصحاب علم النفس ، فقد أبوا أن يعترفوا بشيء اسمه الارتجال في لغة الأطفال. وكان زعيم هذه الطائفة العالم النفساني وونت Wumdt، الذي يقول : " ليست لغة الطفل إلا أثراً لبيئته . والطفل في هذا الأمر لا يعدو أن يكون أداة سلبية " . وهذا صحيح ؛ إذ إنّ اللغة تطرق الأسماع ، فتُتَعلّم بالسماع . ولا يرتجل الأطفال إلا ألفاظاً محدودة عامة ، هي التي ينطق بها الأطفال في كل العالم ، مثل : (بابا) و (ماما) و (دادا)، ولا ينطق بغيرها إلا بالسماع والتعلم ممن حوله .

وبذلك انقسم المحدثون في موضوع الارتجال على فريقين : فريق يؤيده بالتجارب الخاصة والأمثلة ، وفريق يرفضه رفضاً تاماً ، زاعمين أن ما يراه المؤيدون للارتجال ، ليس إلا نوع من عبث الأطفال باللغة المألوفة المعهودة[2] .

وإذا بحثنا عن حقيقة الارتجال في ضوء ما تقدم ، ألفينا الدكتور إبراهيم أنيس يرد سرّ ذلك الخلاف بين الفريقين إلى اختلافهم في تحديد المراد من كلمة الارتجال والاختراع في اللغة .

فالذين رفضوه فهموه على أنه الخلق من العدم ، وبذلك ضيّقوا من دائرة معناه ، وقصروه على تلك الكلمات الجديدة في لفظها ومعناها .

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أيضاً ، أنه ليس من المفيد أن نتناول البحث عن أثر الارتجال في نشأة الكلام الإنساني الأول ، لنعرف هل كان الإنسان الأول يلجأ إلى

---

[1] من أسرار اللغة ص ١٠٣ .

[2] من أسرار اللغة ص ١٠٤ - ١٠٥ .

لأن البحث عن تلك النشأة اللغوية قد كاد الآن يشبه البحث الإرتجال في وضع الكلمات ، في ما وراء الطبيعة . ومن العسير الوصول في شأنها إلى رأي مؤكد أو مرجح ، كذلك لا تكفي تلك الأمثلة التي رويت عن ارتجال الأطفال واختراعهم الكلمات اختراعاً ، وإمكان نشأة لغات مستقلة من مثل هذا في البيئات المتعددة . فهذا لا يكفي في التدليل على حدوث[1] الارتجال .

إلا أن ستيفن أولمان[2] يذكر في إطار التصور بأن الانسان هو الذي وضع اللغة ، إن تخميننا قد يكون صادقاً إذا افترضنا أن حاجة الانسان إلى الافصاح عن ذاته قد لعبت دوراً مهماً في خلق اللغة ، وابتكار الكلمات . على الرغم من أن الدافع الأول إلى هذا الخلق ، قد يكون ناتجاً عن الحاجة إلى الاتصال ، والتبادل الاجتماعيين . ويذكر أن المشكلة الحقيقية تكمن في المرحلة التي تقع ما بين ابتكار الكلمات بدافع الحاجة ، وبين صيرورتها عرفية تقليدية مستقرة في الكلام .

ويذكر ستيفن أولمان[3] أيضا أن ابتكار كلمات جديدة ، إنما هو إحدى الوسائل التي يسلكها المتكلم كي يسدّ بها النقص الذي في الثروة اللفظية للغة ، حين تدعو الحاجة إلى ذلك .

ويرى أن " تقليد الأصوات ومحاكاتها هو المصدر الضخم لابتكار الكلمات " وأن هذه المبتكرات الجديدة قد تبقى مقصورة على إطار الاستعمال الفردي ، الذي ظهرت فيه أول ما ظهرت . وقد ينتشر عدد منها في مناطق محدودة ، وربما ينتقل عدد منها إلى اللغة ليستقر فيها .

وهذا التصور كما ترى قائم على نظريات نشأة اللغة عند الغربيين المحدثين وهي التي أشرنا إليها في المبحث الخاص بنشأة اللغة ، إذ كان فريق منهم يذهب إلى أن مبدأها يتعلق بمحاكاة الأصوات الطبيعية ، أو انطلاق الأصوات التعجبية ، وما إلى ذلك .

ويذكر أيضاً ـــ أنه مهما تكن أهمية المصادر التي يأتي منها الارتجال ، فإن من الصعب أن تسد هذه المصادر النقص الذي لا ينقطع عن الظهور في الكلام الإنساني دائما

---

[1] - من أسرار اللغة ص ١٠٤ – ١٠٥ .

[2] - دور الكلمة في اللغة ص ٨٨ .

[3] - درو الكلمة في اللغة ص ١٣٤ – ١٣٥ .

وابداً . وأن مجال هذه المصادر ضيق ، تكاد تكون محصورة في الانطباعات الحسية ، وما ينتج عنها من كلمات ، وفي الكلمات ذات الألوان العاطفية أو الصبغة الفكاهية . لذلك كان من الضروري في العصر الحديث البحث عن أساليب وطرق أخرى غير طريق الارتجال ، تكون أكثر تنوعاً ودقة لمقابلة حاجة التقدم العلمي والفني والعقلي في الحياة . ورأى أن أسهل هذه الطرق وأوضحها " استغلال المادة الموجودة في الفعل في خلق كلمات جديدة"[1] أو بعبارة أخرى : استغلال طريق الاشتقاق لخلق تلك الكلمات الجديدة . وهو ما تحدثنا عنه في المبحث الثاني من هذا الفصل، وبيّنا أنه من أهم طرق نمو اللغة وتطورها ، ومواكبتها للحياة الجديدة بكل معطياتها العلمية وغير العلمية .

لقد لاحظ الغربيون المحدثون أن طائفة من الكلمات تستعمل في اللغات الاوربية استعمالاً خاصاً ، ثم تصبح هذه الألفاظ المرتجلة بعد فترة من الزمن جزءاً من العامية ، فيسمى عندهم إذ ذاك " **Slang** " ، على نحو ما نجد مثلاً في انجلترا وغيرها من الدول . وقد تصبح تلك الكلمات جزءاً من الفصحى بعد أن تنال احترام الناس وقبولهم . فذلك هو التطور الطبيعي ــ فيما يذكر الدكتور إبراهيم أنيس[2] ــ الكلمات المرتجلة ، وهو أنها تمر في مراحل ويتعاقب عليها ظروف ، ثم لا يرقى منها إلى لغة المعجمات إلا القليل أو أقل من القليل .

غير أن هذا لم يحدث في العربية ، لأن اللغويين العرب أحاطوها بسياج حصين في كل العصور . ولذلك قنعت تلك الكلمات المرتجلة بالشيوع في لهجاتنا الحديثة ، وصارت جزءاً مما نسميه بالعامية أو الدارجة ، ولم ترتق إلى لغات المعجمات : اللغة العربية الفصحى .

وعلى هذا ، فإن الارتجال حقيقة في اللغة لا يمكن إنكارها ، ولكنه في الواقع محدود الأثر ، قليل الحدوث ، إذ قد يمر جيل أو جيلان قبل أن نظفر بكلمة أو كلمتين ، يمكن أن نعزوهما إلى الارتجال . وهذا حدث في عربيتنا الفصحى في عصورها الأولى ، ولا مجال لحدوثه اليوم ؛ إذ أن عصر تلقي اللغة من مظانها قد ذهب . وليس للرواية عن سبيل ، لأن عصرها انتهى . وكل ما يمكن أن يحدث في أيامنا هذه ضربٌ من الافتراض

---

[1] ــ دور الكلمة في اللغة ص ١٣٦ .

[2] ــ من أسرار اللغة ص ١٠٦ ــ ١٠٧ .

والاشتقاقات والقياس ، والنحت أحياناً ، والتجوز البلاغي الذي نجده في كلام علماء أدبائنا وشعرائنا المجيدين ، والكتّاب البارعين . على حين أن الارتجال : " ابتداع الكلمة على الأنماط القياسية " ، كما عرفه لغوي عربي معاصر هو الدكتور تمام حسان[1] .

فهذا في الواقع ليس ارتجالاً ، لأن الارتجال يعني وضعاً لغوياً لم يسبق إليه المتكلم. ولندرة الكلمات المرتجلة في اللغة ، يرى معظم الباحثين من المحدثين - كما مرّ علينا في كلام ستيفن اولمان — أن الارتجال أضعف طرق الوضع اللغوي ونمو اللغة[2]. إذ أنه لم يكن أوسعها انتشارا ولا أكثرها أثراً[3].

---

[1] - الأصول ص ٢٨٥ .

[2] - نفسه ص ١٠٨ .

[3] - تمام حسان : الأصول ص ٢٨٦ .

Tele: @Borsippa_Library

# الفصل السّابع

## الدعوة إلى العَاميَة و نَبذ الفصحى

المبحث الأول :

# العاميّة والدعوة إليها

يقصد بالعامية : اللغة اليوميّة التي يتحدث بها الناس في حياتهم اليومية المعتادة للتعبير عن شؤونهم المختلفة . فهي على هذا تقابل اللغة الفصحى . وتصدق هذه الصفة على اللغات كلها . فليس ثمَّ لغة من لغات العالم ليست منشعبة إلى هذا الانشعاب ، من العامية والفصحى .

أما الفصحى فهي اللغة التي يصطنعها الناس في كتاباتهم الأدبية والعلمية، وفي مقالاتهم وبحوثهم في الصحف والمجلات ، وفي أحاديثهم في المذياع والتلفاز ، ونحو ذلك من وسائل النشر والاعلام .

كما تستخدم في الشعر والقضاء والتدريس والمحاضرات ... وما إليها . وتنظر كل أمة من أمم الأرض ، وكل شعب من شعوبها إلى اللغة الفصحى نظرة اعتزاز بها ، وإجلال لمكانتها ؛ لأنها تعبّر بها عن أسمى ما تريد التعبير عنه واوسعه وأتمه ، وهو الأدب والعلم والفكر والفن ...

ويطلق على الفصحى بناء على ذلك اسم " لغة الكتابة " أو " لغة الآداب"[1].

وقد عدّ فريق من الناس هذه "الازدواجية " اللغوية في العربية مشكلة ينبغي أن تحل. مع أننا نعرف أن هذه الظاهرة ليست جديدة في لغة الضاد ، بل هي قديمة ترجع إلى ما قبل ظهور الإسلام . إذ كانت هناك لغة فصحى أدبية ، وهي اللغة التي تسمى اليوم : " المشتركة " أو " الموحّدة " ، كما بينا ذلك في الحديث عن الفصحى في فصل سابق . وكان إلى جانب هذه اللغة المشتركة العامة لغات أخرى خاصة ، وهي اللهجات التي كانت تتحدث بها القبائل العربية المختلفة في أنحاء الجزيرة العربية وبلاد اليمن ، للتعبير عن شؤونها اليومية العادية فإذا أرادوا أن ينظموا شعراً ويلقوا خطابة في موسم أو حفل ، عدلوا عن تلك اللغة الخاصة بالقبيلة ، إلى تلك اللغة العامة المشتركة والفصحى الموحدة ، دون أن يكون في ذلك إخلال بحياتهم ، أو إحداث مشكل لهم .

---

[1] علي عبد الواحد : فقه اللغة المقارن ص ١٤٧ .

واستمرت هذه الحال إلى عصرنا الحاضر ، إذ أن لنا لغة أدبية فصحى وأخرى عامية . غير أن العامية صارت تبتعد عن الأصل الفصيح بمرور الأيام، إلى الحد الذي جعلها تختلف اختلافاً واضحاً عن الفصحى ، وذلك نتيجة لعوامل كثيرة : أحدها : دخول ألفاظ أعجمية وعبارات وتراكيب ليست عربية ، مستقاة من لغات غربية وشرقية . فمن الغربية : الإنجليزية والفرنسية والإيطالية . ومن الشرقية : الفارسية والتركية ، وغيرهما. والآخر : تفشي العامية في العصور المتأخرة ، مما جعل طائفة كبيرة من الألفاظ الفصيحة ، تتحرف على ألسنة كثير من العوام إلى غير صيغتها الصحيحة ، وإلى غير دلالتها الفصيحة ، دون أن تجد من يرد الناطقين بها إلى جادة الصواب ، أو يعنى بالاصلاح .

وفي هذا يقول الدكتور إبراهيم أنيس[1] مشيراً إلى ما حدث في العصور الأخيرة من أنحراف في الكلمات : " ... فنحن ننكر الآن كثيراً من كلمات الهجات المصرية ، غير مدركين أن لها أصلاً عربياً صحيحاً ، وأنها تطورت في الأفواه دون عناية بإصلاحها من بادئ الأمر . إذ اتجهت كل العناية إلى لغة الكتابة . وكان المشتغلون بها قليلين جداً ، وتركت الكثرة الغالبة من الناس يتخبطون في حديثهم ، فتنقل الكلمات من صورة إلى أخرى، دون أن تستقرّ على حال ، كل ينطبق كما يهوى ، ويقيس ما لم يعرف على ما عرف . وتتوارث الأجيال أخطاء من سبقوهم " .

وهو كلام يدل على وعي تام لهذه المشكلة اللغوية التاريخية ، مشكلة ابتعاد الكلام اليومي حيناً بعد حين عن صورته التي كان عليها في اللهجات العربية القديمة ، وفي اللغة المشتركة أيضاً .

وقد استغل الاستعمار ودعاته هذه الظاهرة التي تتسم بها العربية ، ــ مثلما تتسم بها بقية اللغات ــ استغلالاً سيئاً ، وحاولوا أن يبعدوا العرب عن لغتهم السامقة الكريمة (الفصحى) ، ولكن مساعيهم بائت بالخيبة والردّ من لدن الشعب العربي في الأقطار العربية كافة ، بعد أن أدرك وجه الباطل والسوء في هذه الدعوة المشبوهة .

---

[1] إبراهيم أنيس : اللهجات العربية ص ١٧٢ . وينظر بحثنا : عاميّتنا والفصيح في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة في مجلة آداب المستنصرية العدد ١١ لسنة ٨٥ ، ص ٩٤ .

وإذا أردنا أن نصنّف اتجاه الناس في هذه (الازدواجية) اللغوية ، واختلافــهم فــي حلها ، وجدناهم على قسمين :

١- فريق يرى أن نسمو بلغة الحديث إلى لغة الكتابة ، فنسعى بشتى الوســائل إلــى أن يتكلم الناس باللغة الفصحى ، مستفيدين من الوسائل التعليمية والاعلامية . أو أن نهذب ـ في الأقل ـ من لغة العامة ، حتى تقرب من العربية الفصحى ، وبذلك تتوحد لغة الكتابــة ولغة الحديث أو تكادان . فإذا حققنا ذلك صارت الفصحى تنتقل من السلف إلى الخلــف ، كما كان من قبل ،

وصار الطفل يأخذها عن أبويه ، دون أن يعاني صعوبه تذكر فــي تعلمــها فــي المدرسة أو غيرها . وبذلك نوفّر جهداً ومالاً ووقتاً ، نقضيه في تعلمها الآن[1].

٢- ويرى الفريق الآخر أن نهبط بلغة الكتابة إلى لغة الحديث ، فنستخدم العاميــة فــي الشؤون التي تستخدم فيها الفصحى الآن .

وقد تبنّي هذا المذهب عدد من الغربيين المرتبطين بالمصالح الاستعمارية للغرب ، ثم ردده معهم عدد من المنتسبين إلى هذه الأمة الكريمة ، الأمة العربية .

فكان من القائلين بهذا المذهب والمنتصرين له الكونت كرلوري لندركك الإســوكي في تقريره الذي تلاه بمجمع اللغويين في مدينة ليدن بألمانيــا ســنة ١٨٨٣ م ، والســور دفرين السياسي الإنجليزي ، في تقريره الذي رفعه إلى وزير خارجية انجلــترا بشــأن لهجة مصر العامية ، ومنهم ولهلم سبتا الألماني، مدير دار الكتب بالقــاهرة (ت ١٨٨٣ م) الذي " مهّد لهذا المشروع باستنباط حروف افرنجية تكتب بها لهجــة مصــر العاميــة ، وتأليف كتاب الماني في قواعد الصرف والاشتقاق التي تسير عليها هذه اللهجة "[2].

وبذلك صحب الدعوة إلى العامية ، أو سبقها ، الدعــوة إلــى الكتابــة بــالحروف اللاتينية ، وهي الحروف التي تكتب بها اللغات الحديثة المتشعبة عن اللغة الأم، اللاتينية وسنتحدث عن ذلك بعد قليل .

---

[1] فقه اللغة ص ١٤٩ .
[2] فقه اللغة ص ١٤٩ ـ ١٥٠ .

وقد تذرّع الدعاة إلى العامية من الغربيين وغيرهم بحجج واهية لا أساس لها من الصحة . فزعم أحد هؤلاء وهو السير (وليام ولكوكس) في كلمة ألقاها في نادي الأزبكية بالقاهرة سنة ١٨٩٣ م ، أن الفصحى سبب في تخلف المصريين — إذ ذاك عن الابتكار والاختراع ! ، وقد جعل عنوان كلمته تلك : " لِمَ لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين " . ؟ ! وذكر أن استخدام العربية الفصحى في الكتابة والقراءة العامل الأساسي في ذلك . ونصحهم باتخاذ اللغة العامية أداة للتعبير الأدبي ، اقتداء بالأمم الأخرى واستشهد بالإنجليزية ، وقال: إنها أفادت فائدة كبيرة منذ هجرت اللاتينية التي كانت لغة الكتابة والعلم يوماً ما[1] .

وواضح أن الدجل عمدة كلام هذا الغربي ، إذ ليس هناك أية وشيجة بين تخلف أمة ولغتها ، إلا ما عرف في قوانين اللغات ، من أنّ اللغة تسمو بسمو أهلها وتتقدم بتقدمهم وتضعف كذلك بضعفهم وتأخرهم ؛ لأن اللغة ظاهرة اجتماعية ، ترتبط ارتباطا عضويا بحالة الأمة التي تتحدث بها . فالأمر إذاً بعكس ما يزعمه وليام ولكوكس ، وليس معنى ذلك أن اللغة تتأثر بحال الأمة وأوضاعها الاجتماعية والنفسية والفكرية والعلمية ، وليس العكس . فكيف إذاً تكون أداة في تأخر القوم ، وعدم قدرتهم على الابتكار والتقنية والاختراع ؟ !

إنها لا شك مزاعم باطلة مكشوفة ، أراد بها أن يوهم الناس بأن فصحاهم ينبغي أن تهجر ، وتحل محلها العامية . وهذا يدل على حقد عليها وعلى الأمة التي تتكلم بها . قال الأستاذ عمر الدسوقي[2] : " وكان هذا الرجل من أشد أعداء اللغة الفصحى ، وقد بذل كل جهده لمحاربتها والقضاء عليها . وقد مكنته الظروف من أن تؤول إليه مجلة الأزهر في أواخر سنة ١٨٦٢ م . واتخذها منبراً يتهجم فيه على لغة القرآن " !

ولم يكتف هذا الدجال بما قال . وإنما عمد إلى حيلة أخرى أخبث من الأولى وهي إيهام المصريين بأنهم ليسوا عرباً . وأن اللغة التي يتكلمونها ليست من العربية في شيء . ولا تمت إليها بصلة، بل هي تمت — بزعمه — إلى اللغة الفنيقية أو (البونية) ...

---

(١) عمر الدسوقي : في الأدب الحديث ٢/ ٤٠ .

(٢) في الأدب الحديث ٢/ ٤٠ .

سماها . وأنها انحدرت إليهم منذ عهد الهكمسوس بمصر . وراح يتلمس لدعواها الأدلة والحجج ، ولكن كانت أدلته سخيفة مضحكة ، في كتابه الذي سماه :

**Syria, Egypt, North Africa, and Malta, speak Ponic not Arabic.**

أي : (سوريا ومصر وشمال أفريقية ومالطة تتكلم البونية لا العربية ) . وقد نشره في سنة ١٩٢٦ .

ودعا وليام ولكوكس هذا إلى أن يكون التعليم بالعامية . بل لم يكتف بذلك، وإنما ألف بها ، فترجم قطعاً من بعض روايات شكسبير إلى العامية المصرية ، قطعة من (هاملت) ، وأخرى من (هنري الرابع )[1] .

غير أن ترجمته هذه " جاءت ترجمة سخيفة ، وفقدت هذه الآثار الأدبية قيمتها وجمالها ؛ لأن العامية لم تسعفه بالتعبير الصحيح ، ولم تستطع أن تنهض بتلك المواقف الخالدة العنيفة ، بل جاءت عبارتها سوقية مبتذلة ".

وترجم من الانجيل فصولاً إلى العامية ، فكانت إساءته أكبر ، " لأن عبارته فيه كانت تتهالك ركاكة وغثاثة وسوقيّة " ! . وألف كتاباً علمياً ، ليبرهن على أن اللغة العامية صالحة للتأليف العلمي ، " فخانته العامية ، ولجأ في كثير من تعابيره إلى الفصحى ، تمده بالكلمة الصحيحة "[2] !

وكل هذه المحاولات لم تُجدِ نفعاً ، ولم تغنه شيئاً ؛ إذ لم يستجب المصريون لها ، بل قابلوها بالازدراء والاستهجان والإعراض . واستمسكوا باللغة الفصحى ، لغة القرآن والمجد العريق لهذه الأمة[3] .

وفي سنة ١٩٠١ أصدر (ويلمور) أحد قضاة مصر كتاباً ، تناول فيه هذه المسألة ، وراح يغري المصريين بهجر الفصحى ، واتخاذ العامية أداة للتعبير والكتابة . وقد أثار هذا الصنيع ضجة في الصحف المصرية ، وتصدى للرد عليه غير واحد من الكتاب . وكانت مجلة الهلال ميدان هذا الرد . إذ أيدت اللغة الفصحى ودافعت عنها . وبعده بسنة

---

١- في الأدب الحديث ٢/ ٤١ .

٢- في الأدب الحديث ٢/ ٤١- ٤٢ .

٣- في الأدب الحديث ٢/ ٤٢ .

واحدة (١٩٠٢) أصدر اللغوي الألماني كارك كرمباخر كتاباً عن اليونانية المتوسطة في
عصره ، دعا اليونان فيه والعرب إلى استعمال العامية[١] .

هؤلاء أشهر من خاض في موضوع استعمال العامية بدلاً من الفصحى من
الغربيين ، وقد كانوا في مصر إبان وجود الإنجليز فيها ، وتصرفهم في شؤونها
والخارجية ، وهيمنتهم على أكثر مرافق الحياة فيها .

وخاض في هذا الموضوع أيضاً عدد من المنتسبين لهذه الأمة ، وكن
الدعوة مقلدين لأولئك الاجانب ، ومرددين أقوالهم ودعاواهم وتهميم النهضة الفصحى

ومن هؤلاء اسكندر معلوف ، الذي جاء مصر من سورية ، " وحاول
أن يوهم الجمهور المصري بأن من أهم أسباب تأخره في الحقيقة هو تمسكه باللغة
الفصحى " . واحتج لذلك بأن الحكومة المصرية قد تركت تدريسها وأحلت محلها
الإنجليزية ، وانثنى ثناء مستطاباً على صنعها هذا . ورأى أن الخطوة الثانية التي يجب
يخطوها المصريون في هذا الصدد ، هو أن تترك الصحف والمجلات هذه اللغة
بالعامية ، ثم تأتي الخطوة الثالثة، وهي تدوين العلوم والآداب باللغـة العاميـة
الكتاب المصريين والعلماء على أن يخطوا هذه الخطوات من أجل رقي أمتهم

ومن المصريين الذين أيدوا ولكوكس في دعوته إلى العامية ، حين نشر
يزعم فيه أن المصريين يتحدثون البونية لا العربية الكاتب سلامة موسى . فقد
دعوى ذلك الغربي ، وحث على اتخاذ العامية لغة الكتابة بدلاً من الفصحى
الفصحى فيها صعوبة يعانيها الخاصة أكثر مما يعانيها العامة ! ، وأنها تعجز
الرسالة الأدبية والعلمية . وزعم أيضاً أن الفصحى تبعثر الوطنية المصرية وتجعلها
في القومية العربية، يقول " فالمتعمق في اللغة الفصحى يتشرب روح العرب ، ويعجب
بابطال بغداد ، بدلاً من أن يشرب الروح المصرية ، ويدرس تاريخ مصر فنظره
أبداً نحو الشرق . وثقافته كلها عربية شرقية ... وليس من مصلحة الأمـة المصرية
ينزع شبابها نحو الشرق "[٢] .

[١] د . محمد راجي زغلول : إزدواجية اللغة ، نظرة في حاضر العربية ، وتطلع نحو مستقبلها في ضوء
اللغوية . مجلة اللسان العربي م ١٨ ج ص ٢١ لسنة ١٩٨٠ .
[٢] في الأدب الحديث ٢/ ٤٣ .

وهكذا كشف سلامة موسى عن هدفه الهدّام ، في دعوته إلـى العاميـة ، وتـرك الفصحى . إذ بين بجلاء أن هذه اللغة العامية ، تبعد مصر والمصريين عن صف العـرب بخاصة ، والشرق بعامة . وأنّ الفصحى تصل مصر بأقطار الشرق العربية ، وتحيي فـي نفوس أبنائها عزة المجيد ، والحضارة العريقة العريضة التي كانت عليها هـذه الأمـة . وهكذا صار هذا الكاتب بوقاً من أبواق المستعمرين ، وداعياً من دعاتـهم . وهـو أمـر يدهش له الإنسان ، لولا هذا الانسياق الموقوت ، إذ كان ينبغي أن يكون أبعد الناس عـن هذه الدعوة الهدّامة؛ لأنه كاتب وأديب معروف منذ ذلك الحين ، وهـو ـ كمـا يقتضـي المفروض ـ من أكثر الناس علماً بخصائص الفصحى وميزاتها الكثيرة . التي اختصت بعدد من دون أخواتها (الجزريات) ، ولا سيما الإعراب الذي يعد أعظم صفاتها . كمـا أنـه يعرف جيداً ثروتها اللغوية ، وموسيقاها وإيقاعها الرائعين ، ويعلم دون شك ما لها مـن قدرة على النمو المستمر عن طريق الاشتقاق والتوليد والقياس والتعريب ، ومـا إليـها . وهذا ما يجعلنا نشكّ في صدق نواياه . ونرى أنه لم يكن إلا مردداً لصيحة منكَـرة مـن الغرب نعب بها ناعب هناك . ولكنها لم تُسمع، بل سُدّت دونها الاسماع ، بعـد أن تبيّـن الغرض الذي يستتر خلفها .

ولكن سلامة موسى كان يعرف جيداً أن دون مطمحه هذا خَرْط القتاد ، ولذلك رأى أن الانتقال إلى العامية يكون تدريجياً ، فاقترح عدة اقتراحات عجيبة حقاً ، تـؤدى فـي مجموعها إلى تشويه الفصحى ، من مثل :

- إلغاء علامة التثنية (الألف والنون) من المثنى ، وعلامة الجمع (الواو والنون) مـن جمع المذكر السالم .
- إلغاء التصغير ، وجمع التكسير .
- إلغاء الإعراب ، والاكتفاء بتسكين أواخر الكلمات .
- إدخال الكلمات الأعجمية الأوربية ، كما هي[1] .

---

[1] نشرت في مجلة الهلال لسنة ١٩٦٢ ، بعنوان : " اللغة الفصحى واللغة العامية ، ورأي السير ولككس " . ... منها في الأدب الحديث المرقمة (٢) في ٢/ ٤٣ .

ومن العجيب أن المقترحين الأولين من هذه المقترحات لا يؤذيان الفصحى وحسب، بل يؤذيان العامية نفسها ، لو أراد تطبيقهما عليها ؛ لأن العامية في أي قطر عربي تحتفظ بعلامات التثنية والجمع والتأنيث ، وما إليها ، إذ يقول القائل مثلاً : أشتريت الحدى الفلانية بدينارين ، كما يقول : أولاد فلان مهندسين وإنما يسكّن العوام وغير العوام نص أواخر الكلمات ؛ لأن العامية ليست معربة ، كما هو معلوم . والحق ما قاله المرحوم الأستاذ عمر الدسوقي[1] بعد إشارته إلى هذه الإقتراحات : " وهذه اقتراحات تدل على كراهية مقيتة للغة العربية ، وكل ما تحمله من تاريخ وأدب ودين وقومية . وهذا ما كان يريده المستعمرون ؛ حتى يتقطع ما بيننا وبين تراثنا الفكري الخالد ، وبيننا وبين ديننا . ومن ثم نمسخ ـ لا سمح الله ـ مسخاً ، ونقبل على الثقافة الإنجليزية ، ونتشرب روح وروح الانجليز ، فنرضى بالاستعمار والمذلة والعار في فرح ومسرة واطمئنان . بدلاً من تشرب روح العروبة والإسلام ، وحب العرب والعربية في أي قطر ومكان .

إن هذه الدعوة مُنيَت بالخيبة ؛ إذ هَيَّ الغيارى من أبناء مصر يذودون عن لغة القرآن ، واستطاعوا أن يعملوا على تحويل التعليم باللغة العربية في المدارس الابتدائية ابتداء من سنة ١٩٠٨ . فلما حلّ عام ١٩١٢ صار التدريس باللغة العربيـة في جميع المدارس الابتدائية ، واستمر بعد ذلك حتى صارت العربية لغة التدريس في الثانوية بل وفي الكليات ، حتى العلمية منها ؛ إذ كان التدريس في عدد منها بالعربية ، وفي بعض المواد بالإنجليزية. أو الإنجليزية والفرنسية . فهذا ما كان في مصر .

ومع كل هذا التحول ، فإن دعاة العامية كانوا لا يَهدأون ولا يفترون ، ومنهم بعض آل تيمور ، وهم أسرة علمية وأدبية ، منهم العالم المحقق أحمد تيمور ، إلا أن منهم من كان ينادي باصطناع العامية بدلاً من الفصحى . وأقدمهم في هذا محمد تيمور الذي

---

[1] في الأدب الحديث ٢/ ٤٣ ، ٤٤ .

إلى الدعوة إليها سنة ١٩٢١ ، وألف بها قصصا ومسرحيات ، ظهر ذلك في كتابه (وميض الروح) الذي نشره سنة ١٩٢٢[1] .

وجاء بعده القاص محمود تيمور ، فدعا إلى كتابة المسرحية بالعامية لا بالفصحى . وبرر ذلك بعدة مبررات لا تثبت للنقاش ، منها : أن التمثيل متعة ذهنية ولهو بريء ، وإن كان مع هذا يحمل رسالة تهذيبية في مغزاه . ومن حسن الكياسة ألا يكدر الكاتب المسرحي صفاء تلك المتعة ، ورقة ذلك اللهو ، بأن يقدم للجمهور شيئاً يستغلق عليهم فهمه ، وتخفى معانيه " . وعلى هذا فإن العامية في رأي محمود تيمور هي البديل .

ثم يضيف سبباً آخر ، هو أن الكاتب لكي يصل إلى الإقناع بالمغزى الاجتماعي أو النفسي أو العاطفي الذي يريده ، لا بد أن يعرض موضوعه في سرعة " ولن يتم ذلك إلا بأن يُنطق الأشخاص بلغتهم " . حتى يصل المعنى توّاً إلى الإفهام ، أي أن ينطقوا باللغة اليومية التي يتحدثون[2] بها .

ويتساءل محمود تيمور بعد هذا : " وهل تعجز الفصحى عن التعبير الناصع في الموضوع الذي يتناوله كاتب المسرحية ؟ " ويجيب قائلاً : " لا تعجز أبداً ، ولكنها لغة الكتابة لا لغة الحديث فهي ــ بهذه الصفة ــ لا تستطيع أن تبلُغ رسالة المسرحية إلى شتات الطبقات التي تشهد دُور التمثيل".

وأضاف إلى ذلك أسباباً أخرى ، منها : قرب الحوار من نفوس السامعين للمسرحية إذا سمعوه بالعامية ، لأنه لغتهم اليومية . ومنها أن استعمال العامية يقرّبها من الفصحى؛ لأن الكاتب يسجل لغة الكلام المهيمنة في عصره ، ولذلك فهو يلتقط ألفاظاً من لغة الكتابة شائعة على ألسنة الجماهير ، ليجعلها في معية حوار المسرحية ، ويستمد كثيراً من العبارات ليجعلها ضمنها . يقول : " فالعامية ربيبة الفصحى تلتمس منها الغذاء والنماء ، والراجح أنهما ستتقابلان على قليل من الفوارق " فتصبحان لغة واحدة " هي ملتقى العامية والفصحى " .

---

[1] - في الأدب الحديث ٢/ ٤٨ .
[2] - محمود تيمور : دراسات في القصة والمسرح ص ٢٧١-٢٧٢ .

وهذا الذي ذهب إليه هذا القاص الكبير ، يتسع لكثير من النقاش والاعتراض على

الرغم من أنه محصور في لون واحد من ألوان الفنون الأدبية، وهو المسرحية . وعلى

الرغم من أنه محصور في لون واحد من ألوان الفنون الأدبية ، وهو المسرحية . وعلى

الرغم من أن صاحبه ليس عموماً من دعاة العامية ، إذ أنه يرى أن الفصحى لا غنى

عنها في لغة الكتابة ، كما مرّ آنفا. نقول : مع كل هذا ، فإن ما ذهب إليه قابل للاعتراض

عليه . فمن ذلك أن المسرح ينبغي ألا يكون وسيلة للهو والمتعة التافهة ، بل له رسالة

ينبغي أن يؤديها بجدّ . وقد ترد فيه الفكاهة عرضاً لأجل السخرية. وإنما تتحقق المتعة

عن طريق الشعور النفسي والرضى العقلي ، بأن العمل الأدبي المسرحي نافع ذو مغزى

والوصول إلى ذلك عن طريق الجد ؛ أولى من الوصول إليه عن طريق الهزل . فكيف

إذا كانت المسرحية خاوية من كل مضمون من هذا القبيل، وليس لها هدف

الإضحاك ؟ !

وأما اصطناع العامية بدل الفصحى تحقيقا لسرعة الإفهام ، فإن ذلك لا ينبغي

إعمامه على كل مسرحية ، بل إن ذلك متوقف على طبيعة الموضوع

والجمهور . فالمسرحيات التاريخية التي تمثل تاريخ العرب والمسلمين و...

وفتوحهم أو عدلهم وسموّ أخلاقهم ، ينبغي أن تكتب بالفصحى ، ويدور حوارها بها ...

يمكن أن يتحقق اعتماد الفصحى في المسرحيات الاجتماعية أو الفكرية، حين تتناول

موضوعات دقيقة . إذ يكون لهذا اللون من المسرحيات جمهوره الخاص ، وهو جمهور

يتصف بقدر مناسب من الثقافة . وهذا لا يخفى على كل متأمل .

ولما كان إشاعة الفصحى ونشرها هدفاً وطنياً ودينياً ، فإن في الإيغال في استعمال

العامية بدلاً منها في المسرحيات ، يفوت هذا الهدف النبيل ، ويحرم جمهور المثقفين من

الاستمتاع بلغة الضاد الأصلية السامقة . وهو أمر لم يعزب عن بال هذا القاص الرائد

ولذلك قال بعد كلامه الذي قدمناه : " وليس من حقّ أنصار الفصيح أن يتخوفوا من كتابة

المسرحيات بلغة الشعب، فإن ذلك لا يضرّ بالفصحى ، ولا يعوق خطاها . فأمامها ميادين

الأدب والثقافة شتى متراحبة[1] . وتلك هي الأزجال والأغاني تصابحنا وتماسينا بالعامية

---

[1] شتى : مختلفة ، ومتراحبة : متسعة ، يقال : هذا مكان رحب ، أي واسع .

لمحض ، لم تقف عقبة في سبيل الفصحى ، ولم تلحق بها أي ضير . ولتطمئن الفصحى إلى أن العامية وليدتها وربيبتها التي تحرص دائما على الاتصال بأمها الرءوم[١] .

وانتهى محمود تيمور إلى معنى ما قدمناه ، من أن التأليف بإحدى اللغتين العامية والفصحى في المسرح ، إنما يقرره موضوع المسرحية وطبيعتها ، وإن كان الهدف الأسمى الذي نتوق إليه هو إشاعة الفصحى ذات الاسلوب السهل الذي يمكن أن يفهمه كثير أبناء الشعب ، دون الفصحى التي قد لا يفهمها إلا الخواص ، قال : " ومهما يكن الأمر ، فإن فرض اتجاه لغوي على الكاتب المسرحي ضرب من التعسف والعنف ، وفيه ... حدٌ من حريته في اختيار أبين الوسائل للترجمة عما يريد الترجمة عنه من أغراض، وفي سلوك أيسر السبل إلى قلوب الجماهير التي يكتب لها . واللغة ــ في أول الأمر وآخره ــ ما هي إلا أداة مجردة للتعبير "[٢٥] .

على أن محمود تيمور رجح الكتابة بالفصحى في المسرحيات التي تكتب لتقرأ ، لا لتمثل . ودعا إلى كتابتها بالعامية ، إن كانت قد كتبت من اجل أن تمثّل .

وعلّل ذلك بقوله : " وذلك لأننا في حياتنا العامة تتنازعنا لغتان : فللعامية سماعنا ... ، وتخاطُبنا متحدثين . وللفصحى أعيُننا قُرّاءً ، وأقلامنا كتّاباً. فلو قدمنا المسرحية للقراءة مكتوبة بالعامية ، لأقذينا العين بما لا تألف. ولو قدمنا المسرحية للتمثيل مكتوبة بالفصحى ، لأذينا الأسماع بما تنبو عنه . وما دامت هاتان اللغتان تتنازعان على هذا ... ، فلا بد لنا من الإذعان لما يقتضيه ذلك التنازع من مراعاة التفريق بين ما يقدم من المسرحيات للمشاهدة على المسرح ، وما يقدم منها للقراءة والاطلاع " .

بل إنه قطع بضرورة استعمال الفصحى في المسرحيات التاريخية ، وكذلك في المسرحيات المترجمة ، على أساس أن صياغتها بهذه اللغة لا تفقدها أية مزية من المزايا ... تكدرها للعامية . ولم يكتم في ختام حديثه عن هذه القضية، أن المسألة نسبية ، وأنها تختلف من عصر إلى عصر ، والمستقبل هو الكفيل بإملاء إرادته على العصر الجديد، حسب ما عليه الجمهور ، من الرغبة في هذا اللون من اللغة أو ذاك[٣] .

---

[١] دراسات في القصة والمسرح ص ٢٧٥ .

[٢] دراسات في القصة والمسرح ص ٢٧٥-٢٧٦ .

[٣] نفسه ص ٢٧٦-٢٧٧ .

ومع هذا فإن من كتاب المسرح ... من كتب مسرحياته بالفصحى، ... من جعل الحوار فيها أحياناً بالعامية ، على أساس أنه أداة للتعبير عن ثقافة بعض الشخوص وعقلياتهم وبيئاتهم . والاعتراض على هذه الحجة ، هو أن المعبر عن ... الصفات ليس لغة الحوار ، بل الأفكار الواردة فيه ، والمفاهيم التي تدور على ... الشخوص في حوار بعضهم لبعض . فللفلاح مثلاً تعابيره الخاصة من الناحية الثقافية والفكرية عن الحياة والكون ، وللطبيب والمهندس والأستاذ الجامعي مفاهيمهم ، أفكارهم الخاصة، المنبثقة من ثقافاتهم وتجاربهم الحياتية . وهذا لا تجليه لغة الحوار من حيث كونها عامية أو فصحى، وإنما تجليه الأفكار والمفاهيم التي يتضمنها ذلك الحوار بالعامية كان أو بالفصحى وهذا الرأي هو السائد اليوم في النقد المسرحي .

على أن هناك مسرحيات يدور حوارها بالعامية الخالصة ، إلا أنها ليست ذات ... أدبية ، كالتي هي للمسرحية التي يدور حوارها بالفصحى ، إذا أردنا وزنها بميزان النقد السليم من هذه الناحية ، ناحية اللغة ، وإلا فإن للمسرحية موازين أخرى ، ونعني ... المقروءة لا الممثلة .

# المبحث الثاني

بواعثها ومخاطرها :

تبيّن لنا في ماتقدم أن الدعوة إلى استعمال العامية بـدل الفصحى فـي الكتابـة والنشاطات الأدبية و العملية ، لم تكن مبنية على أسس علمية موضوعيه ، بل كانت مبنية على أغراض خاصة ليست من الموضوعية في شيء . تشعرنا بذلك الحجج الواهية التـي تذرّع بها الداعون إلى هذه اللغة ، والأساليب الملتوية التي سلكوها من أجل أن يصلوا إلى هذا الهدف ، والدعاوى العجيبة الباطلة التي أطلقوها من أجل أن يشككوا الأمة بكـل مـا يوثّق الوشيجة بينها وبين لغتها السامقة : الفصحى . وقد فعلوا من أجل ذلك الافـاعيل ، ثم لم يفلحوا ، فكان من جملة ذلك أنهم حاولوا إيهام الشعب العربي في مصر بأنهم لا صلـة لهم بالعروبة ، وأن اللغة التي يتكلمون بها لا تمت إلى العربية بصلة ، بل هي ذات صلـة باللغة اليونانية . وقد مرّ علينا ذلك .

كما أن هذه الدعوة لا تخلو من الغرض السياسي الدنيء ، وهـو محاولـة عـزل الأقطار العربية بعضها عن بعض . ومن هنا كانت الدعوة موجهة لعزل مصر عن بقيـة الأقطار العربية والإسلامية ، على نحو ما رأينا في صيحة سلامة موسـى الباطلـة فـي ضرورة اتجاه مصر نحو الغرب ، لا نحو العرب والشرق . وهذه لا شك دعـوة هدّامـة غرضها تفتيت وحدة الأمة العربية ، مع أن هذه الأمة كانت تتوق إلى التقارب والتواصـل والتوحيد .

واستهدفت هذه الدعوة الكتاب الخالد والتراث الإسلامي بأجمعه ، بمـا فـي ذلـك الحديث والفقه والتفسير ، وكذلك التراث اللغوي والأدبي والفني والعلمي والفلسفي ... لأنه [illegible] باللغة الفصحى . وهو تبرير باء بالخيبة ؛ لأنه اصطدم بالصخرة الصماء . وهـي [illegible] التراث العريق العريض . فنحن لو اتخذنا العامية لغة للقـراءة والكتابـة ، وتعلمـها [illegible] في مدارسهم وعلّموا من ثَمّ بها ابناءهم لنشأت أجيال لا تعي من أمـر فصحاهـا [illegible] لا تعلم ذلك البناء الضخم العظيم الذي شاده الآباء والأجداد من لبنات هـذه اللغـة [illegible] بها الكتاب المجيد ، وكتب بها التراث الأدبي قبل الاسلام وبعـده . وعنـد ذلك

يحقق للاستعمار ما كان يريد ، وهو قطع الصلة بهذا التراث الذي هو في الواقع سر نهوض الأمة العربية وعزها ومن ثمّ نهوض الأمة الإسلامية بأجمعها وعزها .

وبذلك جدَّ الغيارى من أبناء هذه الأمة في محاربة الدعوة إلى العامية ، بعد أن أدركوا بوعي تام ما تخفي وراءها من دسائس وكيد .

ولا شك أن هذه الدعوة استهدفت بناء على ذلك عقيدة هذه الأمة ، وهي الإسلام لأن الصلة إذا انقطعت بالقرآن المجيد الذي هو كتاب الإسلام الأكبر ، كما أنه كتاب العربية الأكبر ، وانقطعت أيضاً بالآثار الإسلامية من الحديث والفقه والتفسير وما إليها بسبب جهل الناس باللغة التي كتبت بها ، وهي الفصحى ، فسوف تنقطع الصلة بلا أدنى ريب بالعقيدة الدينية السمحة . وهي العقيدة التي قادت العرب والمسلمين إلى الازدهار الحضاري في العصور الزاهية .

ولذلك لا يجد المرء مناصاً من القول بأن هذه الدعوة قد ارتبطت بشكل أو بآخر بروح صليبيّة حاقدة على العروبة والإسلام ، إذ لم يدع بهذه الدعوة إلا غربيون لهم مطامع في بلاد العرب ، وخاصة في مصر ، وآخرون كانوا على منوالهم ينسجون وبما يصدر من أفواههم ينطقون ، كما مرّ علينا سالفاً .

وارتبطت الدعوة إلى العامية في بعض الأقطار العربية بفتح المدارس الأجنبية فيها، وإرسال الإرساليات التبشيرية ، فكان الصراع بين الثقافتين ، الإنجليزية والفرنسية قد بلغ أشدّه في مصر في تلك الفترة ــ فكان الإنجليز "قد ملأوا المدارس الثانوية وكان من الطبيعي أن تُحوّل الكتب من العربية إلى الإنجليزية ، بل إنهم فرضوا على تلامذة المدارس الابتدائية أن يتعلموا اللغة الإنجليزية ، وجعلوا إتقان هذه اللغة شرطاً للتوظيف في الحكومة "[1] .

وقد تعالت صيحات أبناء مصر ، ملحّين في عودة اللغة العربية إلى المدارس المصرية ، ولكن الإنجليز كانوا يصمون آذانهم . ومن هنا ندّد المفكرون بهذه السياسة بعد أن أدركوا ما وراءها من سوء النية في تفتيت الوطنية المصرية والروح العربية والإسلامية . فانبرى أحدهم ، وهو عثمان (باشا) غالب يقول : "عرف الإنجليز أن أنه

[1] - في الأدب الحديث ٢/ ٣٥ .

ومقوماتها وجود الشعب واستقلاله ، أي تفتته أيضاً ، فهو يدعو ... لد يعرف تلك الإنجليز المحبّون للتوسع في العالم من لغة ... ولغة ... عروبة .

وسعت الدعوة إلى العامية في إضعاف شخصية الإنسان العربي ... إثارة مشاعر ضعيفة في نفسه ، بطريقة تفصله فيها عن تاريخه والعادات ... وزعم سلامة موسى أن " التخصص بالعربية يورث أصحابه ضيق الأفق ... ويحملهم على النظر إلى العربية على أنها لغة مقدسة ، لا ينبغي ... تغيير " ! [٣]

وزعم أيضاً أن العربية " لغة مجتمع زراعي ، لا يجد أهله في معجمها ... حضارة ومصطلحات العلوم " [٤] .

والحق أن التبلد والرجوعية يبدوان في تفكير سلامة موسى في هذه القضية ... رفض استعمال كلمتي " راتب " أو " أجر " وهما فصيحتان ، وارتضى كلمة " ماهية " ... عامية ، دون أن يدرك أن من مفردات العامية كهذه اللفظة ، ما ... ترتبط بأحوال ... وسياسية " انقضى عليها المجتمع ، وتخلص منها . فكلمة (ماهية) التي انتصر لها سلامة موسى ، وفضلها على كلمة (أجر) ، هي من رواسب عهد متخلف . كان الإنسان ... لا يعرف ماهيته إلا بأجره ! ، وماهية الإنسان حقيقته " [٥] .

وعندما اتهم سلامة موسى اللغة العربية بأنها لغة جامدة ، وأنه لم يشعر بتطورها ... منذ بدأ يقرؤها إلى اليوم ، أجابه الدكتور زكي مبارك ، منتقداً ما قال ، وكاشفاً عن ... الغرض الذي يتستر وراءه ، فقال : " وهذا خطأ ؛ فاللغة العربية في تطور مستمر ، فهي ... لا يعترف بالتطور إلا إذا انعدمت الصلة بين الماضي والحاضر ، فيعرف أن ...

---

[١] ... ويكرر .
[٢] الأدب الحديث ٢ / ٣٥ .
[٣] ... العراوي : سلامة موسى واللغة العربية ، جريدة الجمهورية ببغداد ، ... ١٩٨٦ ص ...
[٤] المصدر نفسه : المكان نفسه .
[٥] المصدر نفسه : المكان نفسه .

أمل بعيد . وليتذكّر أن الغاية المستورة التي يسعى لها بعض الناس ، لم تعد تخفى على أحد " [1].

وإذا أردنا أن نضيف إلى مابيّناه آنفاً من بواعث الدعوة إلى العامية ، ومخاطر ... وجدنا أنفسنا أمام أمور تجعل الأمية لا تقرن بالفصحى بحال ولا يمكن أن تحل محلها ... حياتنا الأدبية والعلمية :

**أولهما** : أن العامية لغة فقيرة في مفرداتها ، إذ لا يشتمل متنها إلا على ... ضروري من تلك المفردات في الحديث اليوم العادي . وهي فضلاً عن ذلك مضطربة أشد الاضطراب في قواعدها ، وأساليبها ، ومعاني ألفاظها ، وربط الجمل بعضها ببعض . فهي لذلك قاصرة كل القصور عن مكانة اللغة الفصحى ، وقيمتها ... والأسلوبية والدلالية ، وقيمتها من ناحية ضبط القواعد والصرف ودقتهما .

ومن هنا فإن العامية عاجزة بسبب هذا الفقر والنقص الذي فيها ، إذا قورنت بالفصحى ، عن أن تعبر عن دقائق الفكر والشعور ، وعن حقائق العلم ، وجمال ... والفنون ، " ولا أدل على ذلك من أننا في حديثنا العادي نفسه كثيراً ما نضطر إلى استخدام العربية الفصحى ، عندما نكون بصدد التعبير عن حقائق منظمة وأفكار ... مضطرين إلى ذلك اضطراراً ، دون أن نقصد به التباهي أو إظهار الذات ، بعد أن ... العامية قاصرة ، بل عاجزة عن أن تمدنا في مفرداتها وقواعدها ، بما يجعل تفكيرنا ... وينقله نقلاً صحيحاً إلى الأذهان [2].

فلو لم نجد – لا سمح الله – إلا العامية للتعبير عن شؤوننا الفكرية والتربوية والأدبية والعلمية ، " لتقطعت بنا أسباب الثقافة ونكصنا إلى الوراء قروناً عديدة ، ولقضي على نشاطنا الفكري قضاء مبرماً ؛ لأن الفكر إذا لم تسعفه أداة مواتية في التعبير ... جذوته ، وضعف شأنه وضاق نطاقه ، واقتصر نشاطه على توافه البحوث و... التأملات . فاللغة هي القالب الذي يُصب فيه التفكير ، فكلما ضاق هذا القالب واضطربت أوضاعه ، ضاق الفكر واختل إنتاجه " [3].

---

[1] – نعمة رحيم العزاوي : **سلامة موسى و اللغة العربية** ، المصدر نفسه و المكان نفسه .
[2] – **علي عبد الواحد** : فقه اللغة ص ١٥٠ .
[3] – نفسه ص ١٥٠-١٥١ .

والثاني : أن العامية في أي قطر من الأقطار العربية غير ثابتة على حال واحدة ، بل هي أبداً عرضة للتغيير والتطور والتبديل ، سواء أكان ذلك في المفردات من حيث أبنيتها أصواتها ودلالاتها ، أم في الجمل والتراكيب ، وما يتعلق بهما من قواعد وأساليب. فعامية اليوم في كل قطر ليست كعامية الأمس. ولا نقصد بذلك الأمس البعيد ، بل نقصد ما لا يتجاوز في كثير من المدن والبيئات العشرين أو الثلاثين عاماً . إذ ماتت كثير من الألفاظ بموت الأجيال التي تتحدث بها ، ودخلت ألفاظ أخرى ، بعضها فصيح ، نتيجة لانتشار التعليم في المدن والأرياف ، والبعض الآخر غير فصيح ، نتيجة لظهور مصطلحات وألفاظ أجنبية نثرتها بين الناس أيدي التوسع في دراسة اللغات الأوروبية والعلم الحديث والتقنية المتطورة ، حتى إن طائفة من المتعلمين وأساتذة الجامعات يستعمل كلمة "Off" بدلاً من بديلها العربي مثل "عطلة " أو "راحة " ، ويقصد به اليوم الذي يرتاح فيه عن العمل .

كما أن منهم من عَدَّ طائفة من الكلمات الأجنبية جزءاً من لغته العادية ، فراح يتصرف فيها تارة بالاشتقاق منها ، وأخرى بالتغيير ، حتى كادت أن تنطلي عجمتها على عدد غير قليل من المتعلمين . فاستعمل الناس كلمة (البريك) مثلا **Brake** بدلاً من الكلمة العربية التي يصح أن تدل عليه ، وهي كلمة (المُوقِف) ، أو (الكابح) ، وكلاهما مقبول . ويستعمل آخرون الفرامل للدلالة على هذه اللفظة ، على نحو ما نجد في القطر المصري مثلا . واشتقوا منها الفعل الماضي (فَرْمَلَ) . وكل ذلك غريب ناب عن جسم العربية وروحها، لأننا نملك العربي البديل الذي تتقبله بشغف ، وتضيفه إلى مفرداتها الثرة الضخمة ؛ لأنه إنما صيغ على وفق قواعدها الصرفية ، ودلالات موادها اللغوية . فالكابح مثلا: اسم فاعل من قولهم : " كَبَحَ الدّابة : جَذَبَ لِجامَها لتَقِف "[1]. وأما المُوقف ، فمعناه واضح وكذلك اشتقاقه ؛ لأنه اسم فاعل من الفعل الثلاثي المزيد : أوقَفَ.

وبهذا نجد أن العامية ليست خالصة العروبة والعربية ، بل هي ما تزال تنوء بثقل ألفاظ كثيرة أعجمية . ناهيك عن تلك الألفاظ التي دخلت إليها من التركية والفارسية والكردية ونحوها . وإن كانت هذه العامية مليئة أيضاً بالألفاظ الفصيحة ، أو التي تمت

[1] - القاموس المحيط ١/ ٢٤٤ (كبح) .

إلى الفصيحة بصلة[1] ، وخاصة العامية العراقية.

والثالث : أن العامية ليست واحدة في الأقطار العربية ، بل هي مختلفة فيها ، لكل قطر عاميته التي يتميز بها من غيره ، بل إن القطر الواحد له عدة لهجات ، بتعدد المناطق المتعددة فيه بعاميات . بل قد يكون للمدينة الواحدة عدة لهجات ، على نحو ما نجد مثلاً في مدينة الموصل من العراق ؛ إذ لكل محلة ومنطقة منها لهجة خاصة ، نحو خرزج ، وباب سنجار ، وباب (اجديد) وما إليها . وهذا يتضح لمن لاحظ ذلك في المدينة العريقة . ونحن إذا نظرنا على هذه الظاهرة بطريق الموازنة وجدنا أن كل قطر لا يكاد يفهم من لغة القطر الآخر إلا القليل . وفي هذا يقول الدكتور علي عبد الواحد : " فعامية العراق لا يكاد يفهمها المصريون والمغاربة ، وعامية المصريين لا يكاد يفهمها العراقي ولا المغاربة ، وعامية المغاربة لا يكاد يفهمها العراقيون ولا المصريون ... وفي البلد الواحد تختلف اللهجات العامية باختلاف طوائف الناس وباختلاف المناطق ، فعامية المنيا – يقصد في مصر – غير عامية جرجا " [2].

ثم يبين أن الذين يدعون إلى رفع الازدواجية في اللغة ، باستعمال العامية ... يلقوننا وسط بحر من العاميات المتعددة المختلفة ، " وبذلك يصبح في البلاد العربية ... من لغات الكتابة بمقدار ما فيها من مناطق ومدن وقرى". ويقول : " ولا أظن عاقلاً ... بمثل هذه الفوضى " [3].

---

[1] - ينظر بحثنا : عاميتنا والفصيح في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، مجلة آداب المستنصرية العدد ...

[2] - فقه اللغة ص ١٢٥ .

[3] - فقه اللغة نفس المكان .

# المبحث الثالث

**موقفنا منها :**

أما موقفنا من هذه الدعوة ، فهو موقف كل عربي مسلم وغيور على لغة أمته ، ولغة الكتاب المجيد الذي يعظمه : وقد تمخضت مشكلة العامية والفصحى عن ثلاثة حلول تبنتها ثلاث فئات من الناس :

فريق يرى أن نرتفع بالعامية إلى الفصحى. وهذا في رأي بعض الباحثين، وإن كان نزوعاً وهدفاً سامياً ، إلا أن تحقيقه ، في رأيهم ، يتعذر لسببين.

الأول : إن لغة المحادثة لا تفرض فرضاً ولا يمكن النكوص بها إلى الوراء ولا رجوعها إلى حالتها التي كانت عليها في أدوارها القديمة ، لأن من سنتها التبدل والتطور والاختلاف في كل عصر ، عما كانت عليه في العصر الذي سبقه . ولأنها لا تسير في هذا التطور وفق الرغبات والطموحات ، بل تسير وفق قوانين وسنن ثابته ، لأن اللغة ظاهرة اجتماعية .

والثاني : أننا لو استطعنا جدلاً أن نجعل هذه التجربة والمحاولة تنجح ، بحيث تسود في الأقطار العربية كلها لغة واحدة فصحى أو قريبة من الفصحى، فإن هذه اللغة التي اصطنعناها ستخضع لجميع القوانين التي تخضع لها اللغات ، وهي أن تختلف بعد ذلك باختلاف أبناء الشعب في القطر العربي الواحد ؛ لأن هناك تبايناً بين الفرد والآخر في العادات والتقاليد والقوى الإدراكية والوجدانية[1] . مما يؤثر في اللغة حيناً بعد حين من ناحية المفردات والأصوات والدلالات والقواعد ... وبذلك تنتهي إلى نفس النتيجة التي انتهت إليها ، وهي عودتها ثانية لهجات متعددة متباينة . فهذا رأي هذا الفريق.

وهناك من يرى أن الطريقة المثلى هي ترك الأمور تجري على مجاريها الطبيعية ، دون تدخل مقصود منا . " فللغة قوانينها ، وللظواهر الاجتماعية نواميسها التي تسير

[1] [illegible] ص ١٥٢ ١٥٣

عليها ، ومن ضياع الوقت في غير جدوى أن تحاول تغيير مجرى هذه القوانين أو صد عن عملها ؛ إذ لا نستطيع إلى تغييرها سبيلاً ، ولن نجد لسنتها تحويلاً " [1].

وإلى هذا الرأي يذهب الدكتور علي عبد الواحد وافي .

ويرى أصحاب هذا الرأي ، أن هذه الازدواجية ما بين لغة الكتابة ولغة التخاطب ليست حالة شاذة ولا طارئة في اللغات ، لكي نتلمس لها حلاً أو نجد لها علاجا . وإنما هي حالة طبيعية ، أن تكون هناك لغة للكتابة والأدب والعلم، وأخرى للحياة اليومية العادية . فاللغة اللاتينية كانت لغة لكثير من الشعوب الأوربية ، ثم انشعبت إلى عدة لهجات كالفرنسية والايطالية والإسبانية والبرتغالية ، وصارت كل لهجة من هذه اللهجات تختلف اختلافاً كبيراً في المفردات والأصوات والقواعد عن اللغة الأم اللاتينية واختلاف عنها في هذه الشؤون قد بلغ في العصور الحديثة مبلغاً لا يذكر بجانبه اختلاف العامية عن العربية الفصحى ، حتى إن الفرنسي مثلاً الذي لم يكن قد تعلّم اللاتينية ما كان يستطيع أن يفهم شيئاً يعتد به من اللغة التي كان يكتب بها الناس في بلده ... اللاتينية " [2].

ومع هذا ، فإن نظرتنا ــ نحن العرب والمسلمين ــ إلى لغتنا الفصحى ليست في الواقع نظرة إلى لغة نتحدث بها فحسب ، بل هي نظرة مزدانة بالاجلال والاعتزاز لأنها ينطق بها أقدسَ كتاب ، وأكرم تراث ، ولأنها لغة الفكر والأدب والفن والعلم في العصور وطارفها . وإذا كان الغربيوّن قد تخلّوا تقريباً عن لاتينيتهم بعد تخلّيهم عن كثير من عقائدهم وقيمهم في خضمّ حياتهم المادية ، وتجافيهم المعروف في العصر الحديث عن كثير من القيم الروحية ، فإن هذه الأمة لن ترتضي لنفسها أن تهجر لغتها الرائعة : الفصحى ، لما بيّناه سالفاً من تغلغلها في كيانها وامتزاجها بفكرها وقيمها الروحية ..

والذي يبدو لكل من يحرص على عزّ هذه الأمة ، أن السعي في الارتقاء بالعامية إلى الفصحى بالطرق العلمية والتربوية السليمة أمر لا مناص منه . غير أنه لا ينبغي

---

[1] - فقه اللغة ص ١٥٤ .

٢ــ فقه اللغة : المكان نفسه .

طريق إليه اعتسافاً ، ولا يتحقق بمجرد القول ، وإثارة الضجة ، والجدال الذي لا طائل فيه ، بل يتحقق بالعمل الدؤوب ، والأساليب المجدية ، المؤدية إلى هذا الهدف النبيل . ولا شك في أن ذلك يحتاج إلى جهد ووقت . فالارتقاء بالعامية إلى الفصحى ليس بالأمر اليسير ، ولكنه ليس بالأمر المستحيل أيضاً ، إذا تكاتفت الجهود ، وعملت بدأب وإخلاص .

ولسنا هنا مع أولئك الذين يدعون إلى ضرب من التسوية بين أنصار العامية وأنصار الفصحى ، كالذي سماه أحمد لطفي السيّد " التسامح اللغوي"[١] ، وهو تطعيم الفصحى بألفاظ عامية وأخرى مقترضة من اللغات الأجنبية ، واستعمال هذا (الخليط) في الكتابة الأدبية[١] .

لسنا مع هؤلاء وغيرهم من دعاة (الفرعونية) ، وهي الحركة التي ظهرت بعد ثورة سنة ١٩١٩ في مصر ، والتي وسمت بأنها حركة استعمارية ، كان وراءها الإنجليز[٢] . إذ إن هذا الاقتراح المبني على هذه الدعوى من التسامح ، سيؤدي بلا شك بعد جيل أو جيلين في الأكثر إلى تقويض الفصحى شيئاً فشيئاً ، بما يخالطها من ألفاظ عامية وأخرى أعجمية ! وهو أمر لا يرتضيه الذين يحرصون على سلامتها .

- ورأى عدد من الباحثين ، أن الفصحى لا بد منها في لغة الكتابة والأدب ونحوهما . وأن العامية لا تغني غناءها ، ولا تؤدي دورها ، لأنها قاصرة عنها من عدة نواح ، أما في التخاطب اليومية ، فينبغي أن تصطنع فيها " اللغة الوسطى " . وهي لغة بين العامية والفصحى ، تتخذ وسيلة للتفاهم بين المثقفين في الأقطار العربية . فهي إذاً لغة الخاصة اليومية . ومن أقدم الداعين إليها اللغوي العراقي طه الراوي فقد قال :

" والذي نراه ويراه كل عربي مخلص لقومه وتاريخه وللعلم والأدب ، أنه يجب الاعتصام باللغة المعربة في التدوين والاذاعة والنشر ، وأن يتخذوا من اللغة الوسطى أداة للتفاهم بين أهل المعرفة من أبناء العروبة في مشارق الأرض ومغاربها ؛ لأنها اللغة الجامعة على الوجه الذي أشرنا إليه آنفاً . فإن التفاهم بالمُعْرَب – يقصد الفصحى – ممن لم يتمرن قد يعسر اليوم على جمهرة المتعلمين ، بلْه من دونهم من أبناء هذه اللغة . فعلينا أن نستعمل اللغة الوسطى في سبل المشافهة والمحادثة في حلقات الدرس وفي مجالس

---

(١) ازدواجية اللغة ص ٣٠ .

(٢) محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ص ١٢٤-١٤٤ ، وينظر : ازدواجية اللغة ص ٣٠ .

المتعلمين الخاصة ومنتدياتها ؛ لقربها من أمها المُعرَبة ، ولسهولة التفاهم بها بين البعيد والقريب من أبناء العرب " [1].

وبيّن المرحوم الراوي بعد ذلك أنه جرّب هذه اللغة الوسطى في التفاهم بينه وبين أبناء عدد من الأقطار العربية ، كالمغاربة والتونسيين والمصريين ، فتأكد له جدواها وصلاحها لإيصال ما يريد من أفكار وكلام إلى سامعيه ، بحيث يفهمون منه كل شيء بوضوح. وقال : " وقد تأكد اليوم وجوب العناية بهذه اللغة ، بعد أن زويت الأرض وطُويت المسافات بين بلدان الضاد " [2] .

وهذا الذي ذهب إليه المرحوم الراوي مطمح مشروع ، وهو فعلاً وسيلة ناجعة بين أقطار العروبة من المتعلمين ؛ لأن اللغة التي سمّاها : الوسطى ، تقلل كثيراً من اختلاف العاميات ما بين قطر وآخر . وذلك أن المتحدث بها يُطعِّمها بعدد غير قليل من الألفاظ العربية الفصيحة . وبذلك يضيق هُوّة هذا الخلاف اللهجي الذي نراه بين قطر وآخر ومن ثم يدع مجالاً للتفاهم والفهم أوسع مما لو كان الحديث بالعامية .

فهذا مما لا يختلف فيه مع المرحوم الراوي ، لأنه قصر استعمال هذه اللغة على لغة التخاطب بين المتعلمين ، دون لغة الكتابة . إلا أنه مع ذلك يخالف في أمر مهم وهو جعله هذه اللغة الوسطى وسيلة للتعبير في التدريس ، أو كما سماه : " لغة الدرس " . إذ أن اللغة التي يجب أن تتخذ في هذا الوسط ، إنما هي الفصحى ، وإن ساغ – على سبيل الفرض – استعمال الوسطى في مراحل التعليم الأولى كالابتدائية فلسنا نراها صالحة للمراحل التي تليها ، وخاصة في المدارس العليا ، من معاهد والجامعات ، إذ هي أحرى بأن تكون لغتها الفصحى . وقد قيل في المثل القديم : " من شبّ على شيء شاب عليه " ، وهذا يعني أن التبكير في تعلم الفصحى الميسّرة الفصيحة التعبير – وهي السهلة الخالية من الألفاظ الغريبة – على النشأة الناشئين ، له آثاره النافعة في أساليبهم حين يكبرون . وقد وجدنا عدداً من أبناء الأقطار الأفريقية العربية كالموريتانيين مثلاً ، يتحدثون العربية الفصحى بلا تكلف ولا عناء . ويتحدثون بها في قاعات الدرس بطلاقة يغبطهم عليها الطلبة العرب من أقطار أخرى في الجامعة ، ومن

---

[1] طه الراوي : نظرات في اللغة والنحو ص ٦٢ .

[2] - نفسه ص ٦٢-٦٣ .

طلبتنا . وكان المتفوق الأول في قسم اللغة العربية عندنا في إحدى السنين القريبة طالباً موريتانياً ، كان مثالاً حياً لما وصفنا آنفاً . وإذا سألناه عن ذلك ، أجاب بأنهم ينشأون على تعلم الفصحى والتحدث بها في الدروس ، دون أن يخلطوها بشيء من العامية أو غيرها . فهذا ما وجدناه من هؤلاء الطلبة ، حين كنا في جامعة الموصل .

وعلى هذا ، فإن اصطناع العربية الفصحى في التعليم أمر لا بد منه . وينبغي أن يتواصل ذلك في مراحل التعليم المختلفة . فلا يصح أن تكون البداية في المراحل التعليمية السابقة للجامعة بالفصحى ، ثم لا تستمر على هذه الحال حين يدخل الطالب الجامعة . كما ينبغي أن يكون العكس .

على أن الفصحى لها أثر إيجابي في نفوس الطلبة ، لأنهم ينظرون إليها بإكبار واحترام . فإذا اتخذها المدرسون أداة ووسيلة لإيصال المادة الأدبية أو اللغوية أو العلمية أو الفنية إلى طلبتهم ، كان ذلك أدعى لانتباه الطلبة وتشوقهم لسماع الدرس وتفهمه . وهو خلاف ما قد يُظن ، من أن الطلبة يؤثرون العامية في سماع الدرس ، أو تلك اللغة التي تسمى : الوسطى .

على أن الذي لا شك فيه تربوياً وعلمياً أن اللغة تطرق الأسماع وأنها تتعلم بالسماع المتواصل ، أكثر مما تُتعلم بالقواعد والتلقين . فإذا عوّدنا أسماع طلبتنا وأنفسنا على هذه اللغة الرائعة الموسيقية الثريّة ، وهي الفصحى ، حصدنا ما زرعنا بعد حين ؛ إذ تصبح هذه اللغة جزءاً من حياة الطلبة اليومية في قاعات دروسهم ، ومحافلهم وخطاباتهم . وبذلك نؤدي خدمة جليلة للغة القرآن . والذي لا نشك فيه هو أن المرحوم الراوي ، لم يدعُ لاتخاذ لغة وسطى في التعليم ، لولا ما رآه من إهمال أكثر المعلمين والمدرسين للغة الفصحى فيه ، وركونهم إلى العاميات المختلفة . ولَشدّ ما عانى الطلبة في قطرنا وأقطار عربية أخرى من استخدام المدرسين الموفدين من أقطار أخرى للّغة العامية الخاصة بهم . وخاصة أبناء المدن الصغيرة والنواحي ، الذين لم يعتادوا على سماع العامية المصرية مثلاً ، بالقدر الذي يناله ابن المدينة . وذلك لأنه سمع ذلك في الاذاعة و ( الخيالة ) — السينما — ويراه في ( التلفاز ) وما إليها من وسائل ومع أن هذه الوسائل الاعلامية والفنية لا تنال أبناء الريف في أيامنا هذه نصيباً غير قليل منها، إلا أن العامية غير العراقية تبقى

مع ذلك مغلقة الفهم على كثير من الناس ، وخاصة سكان الريف ، كما تبقى غير يسيرة على أبناء أقطار أخرى .

وقد تبنى هذا الرأي الذي ذهب إليه المرحوم الراوي بعض من يُعنى باللغة من بعده . فنرى انيس فريحة ينادي بلغة وسطى في كتابه : (نظريات في اللغة) . فيقول بعد حديثه عن العامية والفصحى وازدواجية اللغة في العصر الحديث : " إن المشكلة اللغوية ستبقى معنا زمناً إلى أن تنشأ لغة بدأت ملامحها تظهر في المحاضرة ، وفي قاعات الدرس وفي الاذاعات . هي لغة وسطٌ لا بالمتقعرة المثقلة بالأحكام ، ولا هي باللهجة الاقليمية المتبذلة. إن حلّ هذه القضية اللغوية رهن بالمستوى الثقافي لدى الأم في البيت ، والمعلمّ في المدرسة" [١].

وهذا الذي يقوله أنيس فريحة لا اعتراض عليه ، إن كان يقصد باللغة "الوسط" ، اللغة التي سمّيناها " الميسرة " البعيدة عن الغرابة اللفظية ، والتعقيد في التراكيب والمعنى . وهي ما يسم أحياناً بـ " العربية الحديثة " **Modern Standard Arabic** ، فذلك ما لا اعتراض عليه ، وإن كان يريد بها: اللغة الوسطى التي وصفها طه الراوي بأنها بين العامية والفصحى [٢] ، فلسنا معه في ذلك. لأن هذه اللغة ليست هي الفصحى الميسّرة أو غير المُيسّرة ، إذ هي كما وصفها الراوي : " تشارك العامية بفقد الاعراب ، والاعتماد على التسكين في أواخر الكلم ، وتشارك المعربة بعربية الألفاظ وصحة التراكيب على الأعم الأغلب " [٣] . فيفهم من كلامه وجود تراكيب فيها ليست صحيحة ، وإن لم تكن هي الأعم الأغلب . وهذا يعني أنها ليست الفصحى ، لأن الفصحى معربة وسليمة التراكيب أيضاً .

نقول : لسنا مع أنيس فريحة إن أراد بهذه (اللغة الوسط) هذا النوع من اللغة ، وذلك لأنه إنما يجعلها لغة للتخاطب والتعليم كما اقترح الراوي . ونحن نرى جواز استخدامها للتخاطب دون التدريس والتحاضُر ــ ويطلق على هذه اللغة الوسطى في اصطلاح الغربيين المعاصرين : " لغة المثقفين " وإن شئت الترجمة الدقيقة للمصطلح :

---

[١] نظريات في اللغة ص ١١١ .

[٢] نظرات في اللغة والنحو ص ٦٠ .

[٣] نظرات في اللغة والنحو ص ٦٠ .

لغة المتعلمين " Educated Arabic . وكلا هذين المصطلحين : العربيـــة الحديثـــة ، وعربية المثقفين ، من ابتداع دارسي العربية والمعنيين بالظواهر اللغوية في الغرب[1] .

ومع أننا ينبغي ألا ندعو إلى نمط من العربية صعب في مفرداته وقواعده وتراكيبه ودلالاته ، بل ندعو إلى جعل الأساليب على دارسي العربية ، الشُداة خاصة ، واضحـــة ، خالية من كل ما يغُم عليهم . إلا أننا نرى أن مصطلح "العربية الحديثة" فيه شـــيء مـــن اللبس والإبهام . ذلك أن اللغة العربية واحدة في جميع العصور ، من حيث إنها لغة أمـــة معلومة . وإنما تختلف أساليبها ما بين عصر وآخر . إذ تتطور هـــذه الاســاليب ، فـــي المفردات والصيغ والدلالات وما إليها . فهذه اقرب إلى واقع اللغة ، وضبط المصطلحات. وفي هذا يقول أحد الباحثين وهو الدكتور محمد راجي الزغلول[2] ، بعد إشارته إلـــى هـــذا المصطلح الجديد : " إن مفهوم مايسمى بالعربية الحديثة غريب عن العالم العربي ، والكل يفترض أن هذا النمط هو الفصحى بعينها . ومن غير المتخصصين الذين تلقوا تعليمهم في بريطانيا أو امريكا ، هناك القليل ممن يعلمون بوجود هذا النمط إن وجد فعلاً . بـــالرغم[3] من ذلك فقد بالغ بعض الباحثين في تقدير هذا النمـــط خطـــوة نحـــو تحديـــث العربيـــة وتسهيلها " .

وقد ألف الباحث " جارسلوف ستيتكفيتش " كتاباً باللغة الإنجليزية ، سمّاه: العربيـــة الحديثة ، وصف بأنه " من أوسع الدراسات " فيها .

غير أن هذا المؤلف يجعل (العربية الحديثة) هذه حصيلة التفكير الغربي ونتيجة من نتائج تأثيره في الفكر العربي الحديث ، بل إنه ليخرجها بناء على هذا التصور من سلالتها الأصلية (الجزرية) أو كما يسمّونها (السامية) إلى سلالة غريبة عنها هي اللغات الاوربيـــة الحديثة ! ، يقول : " وإنها قد دخلت ، بصِلة الفة ، مُضماراً لغوياً حضارياً مـــع عائلـــة جديدة ــ فوق سلالية ـــ من اللغات الأوربية الحديثة " . ثم يقـــول : " والعقـــل العربـــي الحديث يتحول إلى استمرار للعقل الغربي . ولهذا فإنه يحتفظ بأقل وأقـــل مـــن عـــادات التفكير السامية المتصلّبة، وكذلك بأقل وأقل من قوالب الكلاسيكية والخصائص التركيبية ،

---

[1] إزدواجية اللغة ص ٢٧ .

[2] إزدواجية اللغة ص ٢٨ .

[3] الصحيح أن يقال : على ( الرغم من ) ، أو : ( برغم ذلك ) .

وإنّ روحاً لغوية ثقافية حديثة مشتركة تتطور الآن تكـــون العـــامل المعــرّف للعربية الحديثة "[1].

ولا شك في أن ستيتكفيتش قد بالغ كثيراً في نتائجه بتأثير اللغات الأوربية في العقل والتفكير العربي من خلال التأثير اللغوي . ذلك أننا لا ننكر تأثير العلم والتقنية الأوربية وتأثير الآداب والفنون في مفردات اللغة العربية ، عن طريق الترجمة والتعريب ، وهو الذي بيّناه في كلامنا على التعريب والاقتراض. ولا ننكر ايضاً دخول طائفة من الأساليب والتعبيرات المستعملة في لغات أوربية كالإنجليزية والفرنسية ، فـــي الأســاليب الحديثة للعربية . نتيجة لاطلاع المثقفين العرب على ثمرات النتاج الغربي في اللغات التي كتب بها . فصارت هذه الأساليب جزءاً من العربية المعاصرة ، ولم يقتصــر استعمالها في الصحف والمجلات ، بل تعداها إلى المقالة الأدبية الحديثة [2].

وليس هذا عيباً على العربية ، ولا خضوعاً منها لفكر ، بل هو ضرب مــن الاستجابة التي عرفت بها لغتنا قديما وحديثاً ، والتي ساعدتها في مختلف العصور على التوسع والنماء . ومع أن طائفة من هذه الأساليب لم تستفد منها العربيـــة فـي إغناء ثرائها اللغوي ، لأنها حُشِرت فيها ، جهلاً ممن تصدى للترجمة بأصول العربية وفن القول فيها[3] . فإن ما كان منها موائماً لروح العربية وأساليبها الفنية في التعبير قد لا يخلو من فائدة ، من حيث إنه صورة لثرائها الجديد وتطورها المعاصر . " ومن صفات اللغة الحية أن تقبل من غيرها فتزدهر وتنمو "[4] . والعربية واحدة مـــن أكــبر اللغــات التي استجابت لهذه الظاهرة ، ظاهرة النمو والاتساع . وهو ما قرره مجمـــع اللغــة العربية المصري، إذ أجاز نقل هذه الأساليب الغربية الحديثة إلى العربية ؛ لأنها " كلمات عربية محضة ، ركبت تركيباً خالصاً ، ولكنها تفيد معنى لم يسبق لأهل اللسان أن أفـــاده بتلك الكلمات "[5] فلا ضير ولا ضرر على العربية إذاً منها ، لأنها وإن لم ينطق بها العرب إلا أنها جارية على وفق طرائق كلامهم وأساليبه في المجاز، سواء أكــان هــذا المجاز استعارة أم كناية أم نحوها . وكان الدكتور مصطفى جواد يعد من وسائل نمو العربية في

[1] - إزدواجية اللغة ٢٨-٢٩ .
[2] - علي عبد الواحد : فقه اللغة ص ٢٢٦ .
[3] - نفسه ص ٢٨٤ .
[4] - نفسه ص ٢٨٤ .
[5] - علي عبد الواحد : فقه اللغة ص ٢٢٦ .

كتابة أم نحوها . وكان الدكتور مصطفى جواد يعد من وسائل نمو العربية في كل العصور "مجازها العريض" فضلاً عن قدرتها على الاشتقاق والتوليد والقياس والتعريب، على ما بيّناه بالتفصيل في فصل "نمو العربية وقدرتها على مواكبة العصر".

وقد انعقد إجماع الثقات من العلماء ــ كما يقول الدكتور علي عبد الواحد ــ على قياسية المجاز . وهو إباحة " استعمال اللفظ في غير ما وضع له على طريق المجاز ، أو نقله من معناه الأصلي إلى معنى اصطلاحي ، متى تحقق بين المعنيين علاقة من العلاقات المقررة في علم البيان التي جرت عادة العرب بأن يعتمدوا عليها في تعبيرهم المجازي ". وعلى هذا سار القدامى ، وكذلك المحدثون ، " وبفضل هذا المنهج اتّسع فنّ البيان العربي، وحرزت اللغة ثروة كبيرة ، واتسعت للعلوم والفنون ومختلف مظاهر الحضارة "[1] . فعدم قياسية المجاز إذاً جمود لا يلائم روح العربية وقدرتها الفائقة على التطور والتجديد والتوليد ، لأنه لا يصح على رأي هؤلاء الذين لا يجيزون قياسيته أن نقول مثلاً: " وكان القمر يسبح في بحيرة صافية من الماء " ، للدلالة على انعكاس صورته في بحيرة ، إلا إذا ثبت أن العرب استعملوا هذا الأسلوب وهذا المعنى للتعبير عن ذلك الانعكاس الجميل. وهذا بالطبع لا يقره الذين يريدون لهذه اللغة الكريمة النمو والتجديد.

فاستعمال هذه الأساليب الجديدة المقترضة من الغرب لا يضير العربية إذاً ، بل على العكس من ذلك يثريها وينميها . ولكن اللغويين المعاصرين اشترطوا أنه إذا وجد لأسلوب من هذه الأساليب نظير في كلام العرب الفصحاء ، كان الأفضل والأصح العدول عنه إلى ذلك الذي يماثله من كلامهم[2] . وذلك لانتفاء عنصر مهم للاقتراض وهو الحاجة .

فمن هذه الأساليب التي تتردد في الصحف والمجلات والكتب الحديثة ، ما هو مقترض من الإنجليزية والفرنسية . وهانحن نورد طائفة منها ، مع ما هو أصل لها في الإنجليزية ، بناء على استقراء الدكتور إبراهيم السامرائي[3] لها :

[1] فقه اللغة ص ٢٢٧ ، وينظر ما كتبناه في ص ٢٢٤ .
[2] فقه اللغة ص ٢٢٧ .
[3] ينظر كتابه : فقه اللغة المقارن ص ٢٨٦ وما بعدها .

١- " ابتسامة هادئة " . "Calm smile "

٢- " هو يمثّل الرأي العام " . "He represents public opoinion"

٣- " ذَرّ الرماد في العيون " . "He throw the dust in the eye "

٤- " لقتل الوقت " " To kill the time "

٥- " هو يلعب دوره " "He plays his part "

٦- " أعطى وعداً " "He gave a promise "

٧- " هو مع رفيقه على قدم المساواة " "He is on equal footing with his friend "

٧- " هو يلعب بالنار " " He play with fire "

٨- " بكل معنى الكلمة " " In the full sense of the word "

وما إلى ذلك من اساليب .

فما ذكره ستيتكيفتش إذاً أمر مبالغ فيه ؛ إذ إن هذه الأساليب قد ذابت في أسـ العربية وامتزجت بها ، حتى إن من لم يطلع على أصلها العربي ، أو يسمع أن نـ صـ غربياً لا يظن أنها مقترضة . اللهم إلا أن يكون ممن اطلع على العربية اطلاعـ وسـ جداً ، بحيث يفرق الأصيل في أساليب العربية من غير الأصيل . وهذا لا يتأتى لـ ـد بل لا يكاد يحيط به إلا القليل ، لأن ألفاظها عربية ، وتركيبها عربي ، وليـ فيـ المعنى الجديد المبني على ضروب من المجاز . وقد نبه على ذلك برأي معـارض ـ الباحث الأجنبي ، باحثٌ عربي هو نجم البزركان ، أستاذ الأدب العربي والفلسفة ـ في جامعة تكساس بأمريكا ، في مقاله . إذ بيّن أن هناك تياراً جديداً في الكتابة العر يمثل الميل إلى الكتابة باسلوب مشابه لأساليب الكتاب العـرب فـي الفـترة الوسـ ويستشهد هذا الباحث بأقوال بعض من كتب في هذا الموضوع: بأنه علـى الرغـ التغيرات التي اعترت العربية الحديثة في نحوها وأسـلوبها ، فـهي استمرار لعر الفصحى . ولذلك فإنها " تشهد بانتصار دعاة الفصحى على خصومهم أبطال العامية ـ المعركة التي بدأت في نهاية القرن التاسع عشر ، واستمرت للعقود الثلاثة الأولـى ـ القرن الحالي "[١] ، وذلك في كتابه " Languge and reality in the Arab world "

---

[١] - ازدواجية اللغة ص ٢٩ .

ولا شك بعد كل ما قيل ويقال أن الحفاظ على الفصحى وإنماءها ونشرها أمور لا بد منها . ولا ينبغي أن ينساق من يعتز بماضيه وحاضره مع بعض الجهلة أو ذوي النوايا السيئة ، فيزعم أن العامية يمكن أن تحل محل الفصحى، وأنها أقرب إلى الذات ، أو لأنها لغة الشعب ، وما إلى ذلك من دعاوى أكثرها محفوظ ، لم يصدر عن دراسة موضوعية ، بل عن هوى وذاتية ، أو عن تقليد لمن نادى به من بغاث الغرب ومقلديهم من أهل الشرق. ولقد قال طه الراوي[1] فأصاب : " وقبل اليوم نعب ناعب من الغرب، وتبعه ناعق من الشرق ، ينصح للعرب أن يعتمدوا في دراستهم وتدوين علومهم وآدابهم على هذه اللغة . ولو فعلوا لتقطّعت أوصالهم وأصبحوا متدابرين متباعدين ، ولانقطعت الصلة بينهم وبين تراث أجدادهم العلمي والأدبي ... " .

وبعد أن بيّن ما وراء هذه الدعوة من دسيسة وغدر ، وتحدث عن (اللغة الوسطى) التي أشرنا إليها وإلى حديثه عنها سالفاً . قال : " ومع هذا يجب علينا أن نشُدَّ عضُد العربية المعربة ــ يقصد الفصحى ــ ونيسّر تعلمها وتعليمها على الناشئة بوسائل عصرية نظرية وعملية . ويمكن إجمال هذه الوسائل بما يأتي :

١- وضع كتبٍ سهلة التناول على الناشئة مبنية على الأساليب العلمية الحديثة وتجنب الطرق الوعرة الملتوية .

٢- جعل التعليم الابتدائي اجبارياً في جميع الطبقات .

٣- توسيع نطاق التعليم بمراحله المختلفة .

٤- توسيع نطاق النشر بوساطة الصحافة والإذاعات ... وغيرها .

٥- توجيه الأغاني توجيهاً أدبياً رفيعاً ، وإخضاعها لخدمة قومية مثمرة يجعلها تعتمد على المختار من فصيح الكلام ، الذي تتذوقه النفوس وتَهَشّ إليه العواطف . ويسمو بالأخلاق إلى مستوى رفيع .

٦- تَسانُد المجامع اللغوية والعلمية في الأقطار وتعاوُنها تعاونا تاما ، على رفع مستوى هذه اللغة ، وتوحيد مصطلحاتها ، وتيسير تعليمها وتعلُّمها .

---

[1] نظرات في اللغة والنحو ص ٦١ .

٧ـ الإكثار من تنظيم المحاضرات العامة ي كل بلد من بلاد العرب ، ليسمع جما[هير] الناس فيعوا وينتفعوا . وهذه المحاضرات ... تذاع للناس في مشارق الأرض ومغار[بها] بوساطة الاذاعة ؛ ليعم النفع بها العديد من السامعين .

٨ ـ تنشيط حركة الطباعة باحياء الآثار الأدبية و العلمية ...

٩ ـ الإكثار من المكتبات العامة ، وتسهيل ارتيادها على جميع ابناء طبقات الشعب عامتهم وخاصتهم .

١٠. عقد المؤتمرات الأدبية الدورية في الأقطار العربية ، لبحث أجدى الوسائل في ر[فع] مستوى اللغة ، وتهذيبها وتقريبها من أفهام أبنائها ، وتوسيع نطاق الانتفاع بها ، في ضو[ء] ما يجدّ في ديار الحضارة من علم وأدب[1] .

فهذه مقترحات هذا اللغوي الغيور على أمته ، وهو المرحوم طه الراوي، الذي [كان] من مؤسسي مجمع اللغة العربية العراقي ، الذي أطلق عليه في أول تأسيسه اسم المجمـ[ع] اللغوي ، ثم صار اليوم باسم المجمع العلمي .

ولا شك أن أكثر هذا الذي اقترحه ، إن لم يكن كله ، قد صار اليوم حقيقة وتعـ[...] حتى إن التعليم الالزامي ، الذي كان حلماً ، صار الآن معمولاً به . بل حدث أكثر [...] وأهمّ ، وهو صدور " قانون سلامة اللغة العربية " في قطرنا العراقـي ، وهو [...] المرقم ٦٤ لسنة ١٩٧٧ ، الذي ألزم المؤسسات الرسمية وشبه الرسمية بالتخاطب [...] العربية الفصحى ، ونص على حمايتها من كل ما يشينها . وفي سنة ١٩٧٩ صدر [...] المرقم ٧٣ ، الخاص بتأليف اللجنة العليا بشؤون اللغة العربية ، من عشرة أعضـ[اء] [...] الأكثر . وكانت الفقرة الثالثة من هذا القانون تنص علي " المحافظة على أصالـ[ة] [...] العربية وجوهرها وسلامتها من الألفاظ العامية والأجنبية باستثناء تلـك التي [...] الضرورات القصوى العملية والعلمية والفنية " . وهذا يتعلـق بالألفـاظ التي [...] الضرورة القصوى إدخالها في اللغة الفصحى ، نتيجة لتعريب العلـوم والفنـون و[...] والكتابة فيها .

---

[1] انظرات في اللغة والنحو ص ٦٣ ـ ٦٤ .

ويمكن أن يضاف إلى مقترحات المرحوم الراوي ، ما يأتي :

١. استعمال الفصحى في التعليم ، والتحدث بها في أثناء الدروس : الأدبية والعلمية والفنية على سواء .

٢. العمل على الحفاظ على صورة العربية الفصحى ، وذلك بتخليصها من اللحن الذي وقع قديماً وحديثاً . وجعل مكافآت لمن يؤلف في هذا الموضوع ويأتي بجديد ، ونشر ذلك وإعلانه بوسائل الإعلام المختلفة .

٣. إشاعة اللغة الفصحى في الفنون : المسرحية والتمثيلية ، وفي الأذاعة والتلفاز ، وتشجيع المسرح المدرسي ، والخطابة المدرسية .

٤. تخصيص يوم للغة الفصحى من كل عام ، يُتحَدّث فيه عن اهميتها في حياة هذه الأمة الأدبية والعقيدية والعلمية ... ويحتفى فيه ببيان ما لهذه اللغة من أهمية في العالم القديم والحديث ... وتبيَّن فيه خصائصها التي امتازت بها من سائر اللغات ، وخاصة تلك التي تشاركها في السلالة ، وهي اللغات الجزريَّة .

٥. العناية اللغوية الكافية بأساليب التعريب ، وعرض كل كتاب يؤلف أو يترجم على خبير لغوي متمكن من العربية ، لإصلاح ما قد يكون فيه من ضعف في الأسلوب ، أو غلط في تعريب المصطلحات ، أو لحن في الألفاظ والتراكيب .

وقد أتخذت الجامعات العراقية قراراً يقضي بوجوب عرض كل كتاب يؤلف أو يترجم على خبير من أقسام اللغة العربية . وكذلك الرسائل الجامعية كالماجستير والدكتوراه ، وطبق هذا القرار منذ عدة سنين ، وما يزال إلى اليوم. وتتلقاه جامعاتنا العراقية بكل جد وعناية .

٦. مراقبة اللافتات والإعلانات التي في الشوارع والأسواق والتلفاز ووسائل النقل المختلفة ، لتكون سالمة من الأغلاط اللغوية والنحوية والإملائية . وعدم السماح بها إلا بعد عرضها على خبير لغوي في مؤسسة من المؤسسات اختير لهذا الغرض .

٧. تشجيع الأدباء والشعراء والكتاب ، وتعيين جوائز ومحفزات للمتفوقين منهم .

## المبحث الرابع

### الفرق بين اصطناع العاميّة ودراستها :

هناك فرق كبير بين الدعوة إلى اصطناع العامية في الكتابة ، وبين دراسة العامية، فالأولى دعوة ضارة وهدّامة كما بينا في البحوث الثلاثة التي تقدمت من هذا الفصل . أما الثانية فنشاط علمي يتصل باللغة ، وله أثره في تفهم الفصحى تأريخياً ووصفياً بل وفهم كثير من ألفاظها دلالياً وصوتياً . ومن هنا كان لدراسة اللغة الدارجة التي نطلق عليها العامية ، أهمية في الدراسات اللغوية المعاصرة ، ذلك أنها تضع أيدي الباحثين في هذه الدراسات على عدة أمور . فالفرق بين النوعين إذاً كبير ، والاختلاف بينهم شاسع . كما أن الهدف متباين تماماً .

ولذلك فان دراسة العامية في كل قطر ليست دعوة لاصطناعها في لغة الكتابة ، ولا ينبغي أن تكون في يوم من الأيام ، بل هي في الواقع خدمة للفصحى التي نعتز بها ، لأننا بدراسة الظواهر اللفظية والصوتية والدلالية التي تتسم بها العامية ، ندرك كثيراً من الظواهر المتعلقة بالفصحى .

كما أن علاقة اللهجات المحلية التي هي من صلب العامية ، بالعربية الفصحى لم تعد خافية على الباحثين في اللغة ، وهي في الواقع امتداد لكثير من تلك اللهجات العربية الفصحى القديمة[1] ، التي هي أحد شطري العربية الفصحى، والشطر الآخر : العربية المشتركة . على ما بيناه في كلامنا على اللغة العربية في الفصل الثالث . وقد تبيّن لنا في الفصل الذي عقدناه لدراسة اللهجات العربية القديمة ، أن آثار هذه اللهجات تظهر في كثير من لهجاتنا العراقية مثلاً ، على نحو ما رأينا في قلب الجيم ياء ، وقلب كاف المؤنثة صوتاً مزدوجاً مماثلاً لـ (ch) الإنجليزية ، وهي الكشكشة ، وقلب العين الساكنة في (اعطى) نوناً ، وذلك هو الاستنطاء ، وكذلك الوكم والوهم في لهجات الموصل المعاصرة التي هي امتداد للهجة ربيعية ، وهي القبيلة التي ما تزال مضاربها وديارها في منطقة نينوى حتى الآن ، وما إلى ذلك من لهجات قديمة بقيت آثارها إلى اليوم في كلامنا الدارج: العامية . ولعلنا في الموصل لا نكاد ننسى أثر هذه اللهجات الواسع في ظاهرة

[1] - قارن بالتطور اللغوي التاريخي ص ٣٨ .

(الإمالة ) من الألف إلى الياء ومن الفتحة الى الكسرة ، لأننا حيثما ذهبنا في هذه المدينة العريقة الثرية باللهجات ، نسمع من يقول : ويحِد ، وقيعد ، واثلاثي ، بدلاً من : واحد ، وقاعد ، وثلاثة .. فيذكرنا ذلك بتلك اللهجات العربية التي كانت تتسم بالامالة ، في بيئة نجد . مثلما يذكرنا قول أهل جنوب العراق وقبيلة عربية في بعض مناطق الموصل ، وهي قبيلة (زوبَع) : شيرة ، بدلاً من شجرة ، يذكرنا بتلك اللهجة العربية القديمة الفصيحة. فهي لهجة جمعت بين ريف الجنوب وبيئة بدوية ، أو قل : سكان البادية[1] ، إذ هم عامة يتكلمون بها . وقد قال شاعرنا القديم :

إذا لم يكن فيكُنّ ظِلٌّ ولا جَنيٌّ فأبعدكُنّ الله مِنْ شَيَراتِ[2]

إن دراسة العامية تفيدنا في معرفة التطور اللغوي التأريخي للغة الفصحى ، والصور التي كانت عليها ، ثم ما طرأ عليها من تغير وتبدل بسبب الظروف المتنوعة التي مرت بها الأمة العربية الإسلامية ، وأثرت فيها، من اجتماعية وثقافية وعقيدية ، وما إليها[3] . فظاهرة (القلب المكاني) التي تحدثنا عنها في الفصل الخاص باللهجات العربية، من الظواهر اللغوية المعروفة لدى العرب كقولهم : صاعقة ، وصاقعة واضمحلّ، وامضحلّ وجذب ، وجبَذ .. ولكن اللغويين القدامى اختلفوا في طبيعته ، أهو ضرب من أساليب الكلام ، يتجاوز الأطر اللهجية الخاصة ، إلى الحد الذي يصبح فيه ظاهرة عامة في لسان العرب ، وإن لم يتناول بالضرورة كل كلمة من كلماتها ، أم هو لهجة من لهجاتهم المحددة بقبيلة معينة أو منطقة واحدة ؟ فابن فارس كان يرى أنه من سنن العرب[4] ، فهو إذاً عنده ظاهرة لغوية عامة وليس لهجة ، وكذلك كان ابن دريد ، إذ كان ينكر أن تكون لغات[5] ، وإلى هذا ذهب ابن جني فسماه قلباً ، وذكر في الباب الذي عقده للأصلين " يتقاربان في التركيب والتقديم والتأخير " أنه في كلام العرب كثير[6] . على

---

[1] - ارن بالتطور التاريخي ص ٣٨ .

[2] - نفسه ص١١٦ .

[3] - ينظر بحثنا : عاميتنا والفصيح في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ص ٨٩ من مجلة ( آداب المستنصرية ) العدد ١١ لسنة ١٩٨٥ .

[4] - الصاحبي ص ٢٠٢ . وينظر بحثنا : عاميتنا والفصيح في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة .

[5] - المزهر ١/ ٤٧٦ .

[6] - الخصائص ٢/ ٧٠ — ٧٣ .

حين خالف في ذلك آخرون منهم ابن درستوريه ؛ إذ كان ينكر القلب المكاني ظاهرة لغوية عامة ويراه لغات . حتى إنه ألف في ذلك كتابا[1] ، وإلى ذلك ذهب أبو جعفر النحاس ، وبيَّن أنه قول البصريين[2] .

وقد وجد بعض لغويينا المعاصرين ، وهو الدكتور إبراهيم السامرائي في هذه الظاهرة ما يجعلها صورة معبرة عن اللهجات الحديثة . ومعنى ذلك أن هذا الوجود صار قرينة ومرجحاً لكونها لهجة ، وليست ظاهرة عامة لدى العرب . يقول :

" والذي نراه أن الألفاظ المقلوبة موجودة في الألسن الدارجة ، ووجودها فيها يشعرنا أنها من الاختلافات الإقليمية اللغوية . يقول كثير من العراقيين : إن هذا الشيء يساوي نظيره الآخر ، في حين أن جماعات أخرى في جهات معينة تقول : إن هذا يواسي[3] " ، وانتهى إلى أن هذه الاختلافات في الألوان العامية كثيرة ربما اتخذنا منها دليلاً في أن الألفاظ المقلوبة في فصيح العربية ترجع إلى السبب نفسه"[4] .

فهذا الذي انتهى إليه الدكتور السامرائي من الموازنة بين القلب الحديث والقلب القديم الذي من هذا النوع ، أي المكاني ، ينتهي إليه كل باحث واعٍ مدرك لقوانين اللغة وسننها ، ومدرك للوشائج التي تصل حديثها بقديمها . فما اللهجات العربية المعاصرة إلا الطرف القريب إلينا من ذلك الحبل الممتد في أعماق تاريخ هذه الأمة ، الذي يبدأ طرفه الأول قبل ظهور الإسلام ، حيث اللهجات العربية الفصيحة بظواهرها اللغوية المتعددة الثرية . فإذا عرفنا أن هذا القلب المكاني لهجة من لهجاتنا اليوم في مناطق من قطر ، أو من أقطار عربية أخرى ، كان لنا أن نقول بناء على ذلك واستنتاجاً منه ، إن ذلك القلب المكاني القديم الذي اختلف في طبيعته القدامى ، إنما هو اختلاف لهجي .

---

[1] - المزهر ١/ ٤٨١

[2] - المزهر ١/ ٤٨١ .

[3] - السامرائي : التطور اللغوي التاريخي ص ٧٣ - ٧٤ .

[4] - السامرائي : التطور اللغوي التاريخي ص ٧٣ - ٧٤ .

وهذا القلب ظاهر في عدة مناطق من القطر . فأهل الموصل يقولون مثلاً (دَحْـق) بدلاً من (حَدَق) ، وأهل ميسان يقول الريفيون منهم : (صِكِـد) بدلاً من (صَدَق)[1] ، وغيرهما يقلب ألفاظاً أخرى .

ولعل ظاهرة الإمالة المعروفة في الموصل وتكريت ، خير مايدلنا على أن هذه الظاهرة اللغوية كانت لهجة معروفة من لهجات العرب ، ولم تكن ظاهرة مطـردة في كلامهم ؛ إذ لو اطّردت اليوم وشاعت شيوعاً كبيراً كأية ظاهرة عامة من ظواهر اللغـة . انحصرت في مناطق معينة في قطرنا وأخرى في بعض الأقطار ، كلبنان ، أمكننا أن نقول إن الإمالة لهجة من لهجات العرب القديمة ، وإن كانت كتب اللغة والقـراءات لم تهمل الاشارة إلى ذلك ، إذ تعدّها لغة نجد ، التي تقابل التفخيم في لغة الحجاز ، أو قـل : لهجة الحجاز .

ودراسة العامية ذات أهمية في الارتقاء بها إلى الفصحى ، وهو مطمـح كـل ذي غيرة على هذه اللغة الكريمة : العربية . أو قل ذات أهمية في العودة إلى الفصحى . وهذا يقتضي تسجيل العامية ، فتستقصى منها الألفاظ الأعجمية الدخيلة ، كالفارسية والتركيـة والكردية والإنجليزية والفرنسية والسريانية وما إليها ، ثم يشرع بعد ذلك بدراسة ما يؤدي البحث إليه أنه عربي ، أو يمت إلى العربية بصلة ، وإنما طرأ عليه تغير في الصيغـة أو الصوت أو الدلالة . وعندئذ يتوصل عن طريق الدرس والبحث إلى الأصـل الفصيـح . ويجب يمكن أن يصحب هذا التسجيل اللغوي نقد لغوي ، يوقف فيه علـى بيـان العربـي وتمييزه من الأعجمي ، تمهيداً لاستبعاد ذلك الأعجمي ، ارتقاء بالعامية إلى الفصحـى . هذا النقد اللغوي يوقف الانحراف في اللفظ عن جهته العربية الصحيحـة ، مـن حيـث الصيغة أو الأصوات أو الدلالة ، ويدعو إلى الاستمساك بالعربي الأصل من الكلام العامي في لغة التخاطب اليومية . تمهيداً للخطوة الحاسمة المؤملة التي ستتعاهدها الأجيال القادمة بالرعاية أيضاً ، وهي العودة إلى الفصيح في لغة التخاطب اليومية ، بعد أن تتـهيأ لـها الظروف الموضوعية من ثقافية نفسية واجتماعية ... التي تحقق نجاحها .

ولقد دعا أحد الباحثين اليوم في اللغة ، إلى إحياء كل كلمة لـها أصـل فصيـح ، والعمل على إعمامها في الوطن العربي . غير أن هذه الدعوة مشروطة في رأينـا بعـدم

---

[1] - أي : صدَق ، وهو ما يضاد الكذب .

أنحراف تلك الألفاظ عن صورتها الأصلية في الفصيح من حيث الصوت أو الدلالة أو الصيغة ، لأن إعمامها يعني : جعلها جزءاً من اللغة ، وهذا لا نجيزه في اللغة الفصحى ما لم يكن فصيحاً تماماً .

ولسنا هنا بصدد تبيان كل ما يتعلق بهذا الموضوع المهم ، موضوع أهمية دراسة العامية في الدراسات اللغوية ، وقيمتها في فهم القديم . ولكنا ذكرنا منه شذرات[1] توضح مقصدنا .

وبذلك يتبين لنا أن لا علاقة بين الدعوة إلى استعمال العامية في الكتابة ، وبين دراستها . لأن الأولى دعوة غير مشروعة ، والثاني عمل لغوي مشروع، بل مفيد في الدراسات اللغوية الحديثة ، من أجل الارتقاء باللغة الفصحى والمحافظة عليها ، وبيان أسرارها وقوانينها . ومثل ذلك يمكن أن يقال في دراسة الاختلاف الصوتي بين نطق وآخر عند النطق بالفصيح .

وفي هذا يقول الدكتور محمود السعران[2] : " إن التغيرات التي أصابت الكلام العربي الفصيح ، لم تصب أصول التركيب اللغوي في كثير ، فلن يضر رصدها وتسجيلها المحافظة على كتاب الله العلي القدير ، ولا على آثارنا الأدبية والفكرية ، بل إن رصدها فضلاً عن كونه واجباً علمياً ، سيوسّع آفاق فهمنا للغتنا ولتاريخها . وإن الفهم الصحيح للغة وتاريخها من أول الخطوات اللازمة عند النظر في (صونها) أو (الارتقاء بها ، أو (تطويعها) لتجاري مقتضيات العصر الحديث وحضارته " . ويستمر الدكتور السعران في حديثة عن دراسة اللغة بصورها اللهجية في الأقطار العربية ، بعد حديثه عن الاختلافات الصوتية ومواضع (النبر)[3] في الكلام العربي الفصيح في الأقطار العربية . فيذكر أن نظرتنا إلى العامية مشوبة بالازدراء ، وملابَسَة بالوهم ، وأن مفهوم العلاقة بين اللغة واللهجات ومفهوم تطور اللغات ما يزالان غريبين على أذهان كثير من طلاب

---

[1] – ومن شاء الاستزادة فليرجع الى بحثنا : **عاميتنا والفصيح في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة** ، الذي أشرنا إليه في الحواشي السابقة .

[2] – **علم اللغة** ص ٤٠ .

[3] – النبر ، يعني في الأصطلاح اللغوي : موضع الضغط على المقطع الكلامي ، وهو يختلف ما بين قطر عربي واحد . والنبر في المصطلح اللغوي القديم يعني : الهمز .

...من يدري فلعل لهجة من اللهجات أو عامية من العاميات ترتقي بمرور الزمن لتقرب من الفصحى[1].

وإذا كانت دراسة العامية عملاً لغوياً مشروعاً ، بل ضرورياً ، فإن الدعوة إلى تعبيد الفصحى بشيء قليل أو كثير من العامية مرفوضة قطعاً ، كما بيناه في كلام سابق من هذا الفصل إلا أن مايعد عامياً وهو فصيح لاينبغي إهماله ، بل لا بد من إحيائه ليكون جزءاً من لغة الكتابة : الفصحى. فهناك عشرات الكلمات العامية بحساب الناس وهي في الواقع من صميم الفصيح الذي لم تنله يد التغيير والتحريف . من ذلك كلمة (حس) للصوت ، فهي من أفصح الكلمات واقدمها في الاستعمال ، إذ وردت في نصوص تعود إلى عصر النبوة من مثل قولهم : " فلما سمع حِسّ الدابة " ، أي : صوتها. ومن ذلك كلمة (رعف) التي نستخدمها اليوم لنزول الدم من الأنف ، وهي عربية فصيحة، ...ب كلمة (الرُطب) التي تستعمل كثيراً في جنوب العراق ووسطه ، لثمر النخل إذا ...رك . وهي من أعلى الفصيح ، إذ وردت في القرآن المجيد ، قال تعالى: { **وهُزّي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رُطباً جَنِياً** } (مريم : ٢٥) ، ومنها كلمة (الحُولي) التي نستخدمها للحيوان ، وهي في الفصيح لما دار عليه الحول من الأنعام كالبقر ، وهي في الفصحى بفتح الحاء ؛ لأنها مشتقة من (الحول) وهو السنة ، بطريق النسبة إليه .

...ما إذا حاول أديب أو كاتب أن يطعّم الفصحى المستعملة في العصر الحديث ، ...ما لاصلة له به من الألفاظ أو الأوزان الشعرية التي تدور على ألسنة الناس وشعر ... . فإن هذا الصنيع لا يلقى ، من لدن الحريصين على لغة الضاد ، قبولاً ، لأنه ...ب إلى جهة العامية المقطوعة الوشيجة بالفصيح . وقد أستنكر ذلك على أحد كبار شعرائنا .

ففي العصر الحديث دعا جميل صدقي لزهاوي – في جملة ما دعا إليه وعدّه في ... التجديد الشعري – إلى اصطناع الأوزان العامية الدارجة على ألسنة العوام ، ... السائرة في قصيد البدو . فمع أنه دعا إلى الالتزام بالوزن الشعري ، فاستمرأ [illegible] على ... الشعر الذي سماه : " الشعر المرسل" . فإنه لم يوجب على الشاعر المحدث الالتزام ... أوزان الخليل ، وإنما أباح له " أن ينظم على الأوزان الخليلية أو سواها من الأوزان

---

[1] علم اللغة ص ٤٤ .

المستحدثة . أو التي ابتدعها الشاعر . كما أنه أباح الأوزان العامية والبدوية ، كالأوزان التي استخدمتها قبيلة المِعْدان في جنوب العراق ، أو الشاعر الشعبي عبود الكرخي ، شريطة أن يراعي الشاعر انطباقها على الألحان الموسيقية "[1] .

وقد عُدّت هذه الإباحة " دعوة للعامية ، إذ إن إباحة الأوزان العامية . هي إباحة للنظم في العامية . ويبدو أن الزهاوي يعد النظم في العامية لونا من ألوان التجديد في الشعر "[2] . مع أنه في الواقع ليس بتجديد ، لأن العامية غير الفصحى ، وينبغي ألا تزحف على اللغة الأدبية ، التي نعتز بها ونسعى لصيانتها وحمايتها. بدعوى التجديد والتطور ، بل العكس هو الذي ينبغي أن يحدث ، وهو زحف الفصحى على العامية وإكساؤها إياها جانباً من رونقها الصافي ومنهلها العذب ؛ وذلك بتأثيرها فيها لغة وأسلوباً وموسيقى .

على أن الشعر العامي له أوزانه الخاصة به ، فليس من السهل نقل الوزن الفصيح إليه ، وليس من الصحيح نقل وزنه إلى الفصيح .

وقد عفّى الذوق الأدبي المعاصر على دعوة الزهاوي ، فلم يقدم أحد على شيء مما دعا إليه . ولا نظن أحداً يفعل ذلك ؛ إذ في أوزان الخليل ما يغني أي شاعر مبدع مجيد . والذوق الأدبي الرفيع يسمو على مثل هذا العبث بموسيقى الشعر وعروضه .

---

[1] – منعم حميد حسن : **الزهاوي والتجديد في الشعر** ، بحث منشور في مجلة آداب المستنصرية العدد ٩ لسنة ١٩٨٤ ص ٤٨٦ – ٤٨٧ .

[2] – المصدر نفسه ص ٤٨٧ .

# الدعوة إلى الكتابة باللاتينية

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الدعوة إلى العامية في الكتابة ، صحبتها دعوة أخرى لا تقل خطراً عنها ، وهي الدعوة إلى الكتابة باللاتينية .

فقد ظهرت مقترحات لإصلاح الخط العربي ، منها مقترح أحمد لطفي السيّد، في سنة ١٨٩٨ م ، في اختراع حروف ترمز إلى الأصوات القصيرة في العربية ، وهي الفتحة والضمة والكسرة ، وتدوّن هذه الحروف في صُلب الكلمة في مواضعها . فلتدوين (كتب) مثلاً ، يرسم بعد كل من الكاف والتاء والباء ، الحرف الذي سيخترع للإشارة إلى ما تشير إليه الفتحة في خطنا الحالي . وهو المنهج الذي يسير عليه الخط الأوربي ، إذ تكتب عندهم هذه الكلمة لو شاءوا كتابتها : **kataba** ، فالحركة التي في العربية – كالفتحة – هي حرف في الأوربية[1] .

ومن الواضح أن هذا الاقتراح مبنّي على النظر إلى الخط الأوربي ، وعدّه أيسر من الخط العربي . مع أن الأمر ليس كذلك . إذ أن حروف المد مثلاً في الإنجليزية يسبب رسمها لبساً غير قليل للقارئ ، إذ " كثيراً ما يختلف النطق بالصوت الواحد من هذا النوع وغيره تبعاً لاختلاف الكلمات التي يرد فيها حتى إنه لا يستطاع قراءة معظم الكلمات الإنجليزية قراءة صحيحة بمجرد النظر إلى حروفها ، بل لا بد في ذلك أن يكون القارئ قد عرف نطق الكلمة من قبلُ ،

عن طريق سماعها من إنجليزي "[2] . وأيضاً لا يستطاع كتابتها بمجرد سماعها بل لا بد أن يكون الشخص قد حفظ حروفها وترتيب تلك الحروف في الكلمة الواحدة . وهذا غير خاف على كل من درس شيئاً من الإنجليزية . وحروف المد في الإنجليزية هي : **a, e, I, o, u** ، وهي التي يطلق عليها اسم **"Vowels"**.

---

[1] علي عبد الواحد : فقه اللغة ص ٢٥٩ .

[2] فقه اللغة ص ٢٥٧ .

فإذا كان الأمر على هذا النحو في هذه اللغة ، فأمر الحركات القصيرة أيسر، وصعوبة قراءة الكلمة العربية المحركة دون هذا الذي في اللغات الأوربية من العسر، وخاصة إذا كان الحرف محركاً بحركته . أما إذا لم يكن محركاً ، فلسنا ننكر بحال من الأحوال صعوبة قراءته ، وخاصة في الكلمات التي تختلف فيها حركة عين الكلمة عن حركة فائها ، مثل : (جُعْل) بمعنى عطاء ، ومال يدفع للغازي إذ غزا بدلا عن غيره[1]. فلو لم يضبط لالتبس على الشداة والمبتدئين في دراسة العربية بالفعل (جعل) ، وبالجُعَل، وهو الرجل الأسود الدميم أو اللجوج ، والرقيب[2] ...

غير أن هذا لا يسوّغ الأخذ بمقترح أحمد لطفي السيد ، لأن غاية ما يحققه هو تسهيل القراءة واتقاء الخطأ في ضبط الكلمة حسب وزنها في اللغة الفصحى[3] ، دون أن يصلح من الخط شيئاً . ويبدو أن صاحب هذا المقترح ، وهو أستاذ جيل من كبار الأدباء والكتّاب في مصر ، شعر بذلك فرجع عن مقترحه هذا في سنة ١٩٤١ ، إذ قال : " ولست متمسكاً بالطريقة التي اقترحتها منذ زمان بعيد ، ولكنني راض بأي طريقة تؤدي إلى الغاية التي ننشدها من توحيد لغة الكتابة ولغة الكلام في الجملة ليسهل تعليمها من ناحية، وليوجد حد مشترك من اللغة بين المتعلمين وغير المتعلمين "[4].

وليس من ريب في أن هذا المقترح قد مات وعفّى عليه الزمن ؛ لأنه غريب عن روح العربية ، ولأنه يؤدي إلى تشويه رسمها النسق الجميل بما ليس منه من الحروف التي اقترح أن يعبّر بها عن حروف المد القصيرة . كما أنه يقطع الصلة بيننا وبين تراثنا الديني والأدبي والعلمي ، ولذلك رفض .

على أن هذا المقترح برغم غرابته، وبعده عن روح العربية وصورة حرفها الواضح المنسق الجميل ، أمره أهون بكثير من تلك الدعوة المشبوهة التي تسعى إلى إحلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية ، واتّباع طرق رسم هذه الحروف الأجنبية. وعلى رأس من تقدم بهذا الاقتراح عبد العزيز فهمي ، الذي نشر في ذلك كتاباً

---

١ - القاموس المحيط ٣/ ٣٤٨ ( جعل ) .

٢ - القاموس المحيط ١/ ٣٤٨-٣٤٩ ( جعل ) .

٣ - فقه اللغة : حاشية ص ٢٥٩

٤ - فقه اللغة : حاشية ص ٥٩ .

عرضه : " الحروف اللاتينية للرسم العربي ". وهذا الاقتراح إن كان فيه حقاً تيسير للخط، وقضاء على عيوب الرسم العربي، كما تصور بعض الباحثين[1] ، فهو باعتراف هـؤلاء " ينطوي على ضرر بليغ" [2]. بل قل بعبارة أدق وأصدق : ينطوي على أضرار باللغـة، لا ضرر واحد . لأنه برغم هجنته وعجمته الصُوَرية الشكلية ، يقطع بين الأجيـال القادمـة . وبين معرفة وقراءة وفهم التراث العربي الإسلامي . ومن ثم يحرمهم تماماً مـن نعمـة الانتفاع به . لأن ذلك التراث الضخم الفريد مدون بالرسم العربي كما هو معلوم . ويترتب على هذا قطع الصلة بتراث هذه الأمة الروحي والعقيدي ، وهو الإسلام ، وخاصة كتابـه المعجز المبين القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهّرة، وآثار الصحابـة وأهـل البيـت والتابعين ، مما يتعلق بهذا الدين . فإذا أراد تعلّم قراءة شيء من هذا التراث ، صار عليه أن يتعلم نوعين من الرسم : الأول هو الرسم اللاتيني المقترح ، والثـاني : هـو الرسـم العربي ، فيكون بذلك كالأوربي الذي تعلم العربية! . وهذا ما فيه من المشـقة والضـرر البليغ الذي لا يُعرف مداه.

وكان من الدعاة إلى اللاتينية اثنان من الغربيين همـا ولهلـهم سـبيتا Wilhelm Spitta ، الذي كان مديراً لدار الكتب المصرية بالقاهرة ، وكارل فولـرز صـاحب دعوى بأن العربية الفصحى لم تكن معربة [3]. ومدير دار الكتب المصرية يـوم ذاك . إذ اقترح الأول في سنة ١٨٨٠ الكتابة بالحرف اللاتيني ، مع الدعوة إلى العاميـة . وسـار الثاني على نهجه في هذه الدعوة المزدوجة . إلا أن هذه الدعوة لم تلفت النظر بوضـوح فيما يبدو . حتى جاء عبد العزيز فهمي فدعا إلى استخدام الحرف اللاتيني بدل العربـي ، في خطب ألقاه بمجمع اللغة العربية ، ثم قرّر طبعه مع ما دار حوله من مناقشات لعرض ... على الدول العربية . وبعد انتشار المقترح ظهر دعاة آخرون إلـى تبنـي الحـرف اللاتيني . مثل سلامة موسى في كتابه " البلاغة العصرية واللغة العربيـة " . ورشـدي معلوف في مقاله : " درس من مصطفى كمال " ، وسعيد عقيل ، وأنيس فريحـه[4] ... وهكذا اقترنت هذه الدعوة الهدّامة بصنيع مصطفى كمال ، حين استخدم الحروف اللاتينيـة

---

1- فقه اللغة ص ٢٦٠ . وهو رأي علي عبد الواحد أيضاً .

2- فقه اللغة : المكان نفسه .

3- قد بينّا رأيه هذا في كلامنا على ظاهرة الإعراب ، في الفصل الرابع .

4- صبحي الصالح : فقه اللغة العربية وخصائصها ص ٢٤٤-٢٤٥ .

في اللغة التركية ، بدل الحروف العربية ، وترتب على ذلك ما ترتب عليه من تغيّر في نطق الأصوات العربية التي ليست موجودة في اللاتينية ، كالخاء والقاف إذ صارتا تنطقان (كافاً) ( K ) . وهذا واضح لمن قارن بين كلمة (قَرْداش)[1] التي تلفظ في قطرنا مثلاً ، وبين (كُرْداش) في لفظ الأتراك اليوم. وصار لفظ (القرطاجنّي) ، وهو لقب لكثير من العلماء الأندلسيين ، يلفظ عندهم الآن : (كرتاجنّي) بعد إبدال القاف كافاً . حتى إن قارئ هذا اللفظ لا يكاد يعرف المراد منه ، وهو يقرأه بالحروف اللاتينية ! ، في فهرس إحدى كبار مكتبات تركيا ، وهي مكتبة السليمانية في استانبول .

ومع أن اقتراح عبد العزيز فهمي حاول أن يتفادى هذه الكارثة التي ستحل بالحرف العربي والنطق العربي ــ لو طبّق المقترح لا سمح الله مــن دون استثناء لعدد من الحروف ــ وذلك أن هذا المقترح أوصى بإبقاء عشرة أحرف عربية لا نظير لــها فـي اللاتينية ، وهي ( أ ، ح ، خ ، ص ، ض ، ط، ظ ، ع ، غ ، ق ) نقول مع أنه حاول ذلك ، إلا أن هذه الدعوة تبقى صورة لأخطر وأسوأ دعوة من الدعوات المشبوهة في العصر الحديث[2] ، لما بيّناه سالفاً من أضرارها الجسيمة تراثياً وتربوياً . فهي في الواقع لا تقل ضرراً عن صنوها : الدعوة إلى العامية ، ولا تمتاز منها إلا بأنها دعوة لتشويه الخط وتلك دعوة لتشويه اللغة ، وكلاهما يتفقان ويلتحمان في محقهما للتراث .

وفضلاً عن ذلك تضطرنا الكتابة باللاتينية إلى زيادة الحروف حتـى إنـها تبلغ ضعفها في عدة كلمات . فكلمة (كَتَبَ) التي أشرنا إليها مثلاً ، مكونــة فـي صورته العربية الحالية من ثلاثة أحرف ، فإذا استعملت حروف بدل الأصوات القصيرة الثلاثة التي عليها ، صارت ستة : " **Kataba** " . وهذا يؤدي بلا شك إلـى أضرار تربوية واقتصادية ، متمثلة بالوقت الذي تستغرقه، والحبر والورق والعمال والمال اللازمة لذلك كله .

وهذه الدعوة تقضي على جمالية الحرف العربي ؛ لأنها تخلط الخط العربي بآخر أجنبي ، بعد هذا التشويه والتهجين . إلى غير ذلك من أضرار[3] .

---

[1] يعني : (أخ) في التركية .

[2] - نقد اللغة العربية وخصائصها ص ٢٤٩ .

[3] - ينظر تفصيل هذه الأضرار في المصدر نفسه ص ٢٤٨-٢٥٢ .

والحق أن المنصفين من الغربيين لا يبخسون الحرف العربي حقه من التقويم المبني على جمالية عالية . فنرى دونسون روس مثلاً يقول : إن حروف العربية مرنة سهلة . لها في النفوس ما للصور من الجمال الفني ، ولا سيما حين تنقش على مداخل المباني أو الأضرحة ، سواء أكانت ثلثاً أو كوفياً أو نسخاً [1] ، وذلك في مقال له بعنوان : " أثر اللغة العربية في العالم الإسلامي " [2] . فكيف إذا انضاف إلى فقدان هذه السمة الجمالية الرائعة ، سمةٌ أخرى علمية تزيدها في الأهمية ، وهي الغربة عن التراث ، لو أخذ باقتراح من دعا إلى اللاتينية ، وأختها العامية في الكتابة الأدبية والرسم ؟ ! لا شك أن ... أدعى لأن تطرح هذه الدعوة وتموت إلى الأبد .

---

[1] الثلث والكوفي والنسخ أنواع من الخطوط العربية القديمة تستخدم اليوم.
[2] فقه اللغة العربية وخصائصها ص ١٥٠.


ae/Borsippa_Library Tele: @Borsippa_Library

# الفصل الثامِن

# الأصوات اللغويَة في العَربية

# تمهيد

## نبذة من الصوت وإدراكه وأعضاء النطق به :

تعني كلمة "صوت" في الاصطلاح اللغوي : وحدة من وحدات الكلام الإنساني ذلك أن " الكلام عبارة عن سلسلة متصلة من الأصوات "[1] . ويطلق الغربيون اسم (الفونتك) " **Phonetic** " على العلم الذي يدرس الأصوات ؛ وهو عندهم " جزء أساس من علم اللغة "[2] . وإذا قيل : " علم الأصوات اللغوي " ، فإنما يراد بذلك " الصوت الإنساني " ؛ إذ هو وحده موضوع علم الأصوات .

ويختلف " الصوت اللغوي " " **Linguistic Sound** " عن سائر الأصوات التي تحدث لأسباب أخرى ، كقرع ناقوس ، وكسر خشبة ، واحتكاك جسم بآخر. ومعلوم أن دراسة الصوت بعامة موضوعه علم الطبيعيات ، (البيولوجي) ، أما الصوت اللغوي فهو كما بينا آنفاً ـ موضوع علم الأصوات اللغوي[3] .

ويعبر بـ " العملية الصوتية " عن إنتاج الأصوات الإنسانية عن طريق أعضاء الجهاز الصوتي كالحنجرة والفم وغيرهما . ويتصل بهذه العملية جانب مهم هو " الجانب السمعي " الذي له أهميته الكبرى في إدراك الأصوات ، وتمييز بعضها من بعض . ولذلك نجد فرديناند دوسوسور يلوم كثيراً من علماء الصوت لأنهم كما يقول : " يهملون الجانب السمعي " ، مع أن الانطباع السمعي يصل إلينا بصورة مباشرة ، كما تصل إلينا الصورة التي تنتجها الأعضاء الصوتية ، ويضيف الى ذلك " أن الانطباع السمعي هو أساس أية نظرية صوتية " ، لأن هذا الانطباع ، له وجود لا شعوري عند المرء يسبق دراسة الوحدات الصوتية . فلولاه لما استطعنا تمييز كلمة تتألف من ثلاث وحدات صوتية ، من أخرى تتكون من وحدتين ، أو ثالثة تتكون من أربع . فنحن نستطيع أن نميز صوتاً من الأصوات عند سماعنا له ضمن سلسلة منطوقة من الأصوات[4] .

---

1- السعران : علم اللغة ص ١٠٤ .

2- دوسوسور : علم اللغة العام ص ١٠٥ .

3- السعران : علم اللغة ص ١٠٥ .

4- علم اللغة العام ص ٥٦-٥٧ .

أعضاء جهاز النطق

**Diagram of speech - organs :**

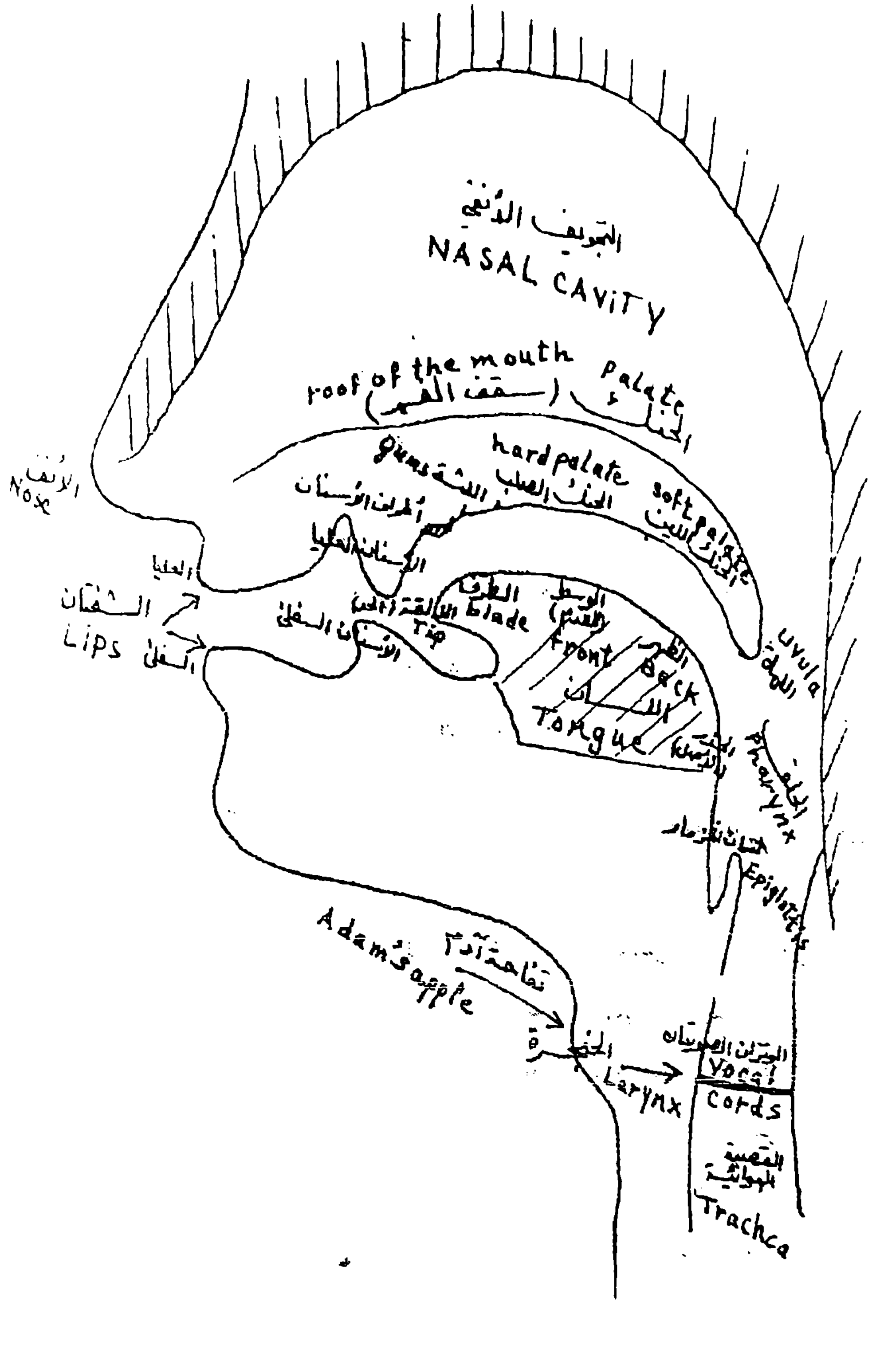


(الشكل ٧)

gimson عن جمسون ,r ,p8

Jones وجونز out line, p . 14

وقد أثبت علماء الصوت بتجارب لا ينالها الريب ، أن كل صوت مسموع يوجب حدوث هزّات لا تدرك بالعين في بعض الحالات ، وأنها تنتقل بشكل موجات حتى تصل إلى الأذن البشرية[1] . ومصدر هذه الذبذبات غالباً الحنجرة ، وعلى وجه التحديد : (الوتران الصوتيان ) ، أو ( الحبال الصوتية ) كما يسميان أيضاً . فاهتزاز هذين الوترين يحدث عند اندفاع النَفَس من الرئتين ، ماراً بالحنجرة ، ثم إلى الفم أو الأنف ، وبعدها إلى الهواء الخارجي ، على شكل موجات حتى تصل إلى الأذن . وقد لا يهتز الوتران الصوتيان ويحدث الصوت ، وذلك حين يلتقي عضوان من أعضاء جهاز النطق كالشفتين مثلاً ، أو اللسان وأطراف الثنايا وتختلف درجة صوت الإنسان على السن والنوع ، فالأطفال والنساء أحدّ صوتاً من الرجال ، لأن الوترين الصوتيين لديهما أقصر وأقل ضخامة ، مما هما لدى الرجال . فالأمر الذي يؤدي إلى زيادة سرعتهما عند مرور النفس بهما وذلك يعني زيادة ذبذباتهما في الثانية .

وتتوقف شدة الصوت الإنساني إلى حد كبير على سعة الرئتين ، ونسبة ضغط الهواء المندفع منهما . فضلاً عن توقفها على الفراغات الرنانة المضخّمة للصوت ، التي يمر بها الهواء بعد اجتيازه الحنجرة ، وهي فراغ الحلق وفراغ الفم وفراغ الأنف . فهذه الفراغات تقوّي الأصوات الصادرة من الحنجرة ، إذ أن هذه الأصوات تكون في البدء ضعيفة ، ثم تقوى عند مرورها بهذه الفراغات ، التي هي عبارة عن تجاويف تشبه الصناديق المجوّفة التي تشدّ عليها أوتار الكمان والعود ونحوهما . فجهاز النطق الإنساني " Organ of speech " يشبه آلة موسيقية ، بل هو أتم وأكمل موسيقية ، من حيث المرونة والإمكانات . أي من حيث القدرة على إخراج أنواع لا حدّ لها من نرجات الأصوات .

ويؤدي التباين في حجم هذه الفراغات بين الناس ، إلى تمايز أصواتهم بعضها من بعض . على الرغم من أن أصواتهم قد تكون واحدة من حيث عدد الذبذبات في الثانية[2] .

وعلى هذا فإن الصوت الإنساني يمر بثلاث مراحل :

---

[1] - الأصوات اللغوية ص ٦ .

[2] - الأصوات اللغوية ص ٨-١١ .

**الأولى** : إحداث المتكلم للصوت .

**والثانية** : انتقال الصوت في الهواء عن طريق الموجات الصوتية .

**والثالثة** : استقبال إذن السامع للصوت .

وقد وجه علماء اللغة جُلّ عنايتهم للمرحلة الأولى ، ألا وهي إحداث المتكلم للصوت . وبذلوا جهداً في دراسة المرحلة الثانية . وما تزال الثالثة تنتظر مزيداً من البحث[1] . إلا أن الذي ثبت علمياً هو أن الأصوات تحدث تموّجات في الهواء الخارجي ، يستقبلها صوان الأذن ، فتمر في القناة السمعية الخارجية ، حتى تصل إلى غشاء الطبلة . فيهتز اهتزازات مناسبة لتلك التموّجات ، ثم تنتقل هذه الاهتزازات إلى الأذن الداخلية بوساطة العُظيمات الثلاثة : المطرقة والسندان والركاب ، ثم تسري هذه الاهتزازات في السائل التيهي ، وتحدث فيه تموجات مناسبة لها . وعند ذلك تتنبه أطراف الأعصاب المغموسة في هذا السائل ، فتنقل الأعصاب ما تشعر به أطرافها إلى المراكز السمعية في المخ . وعند ذلك ندرك الأصوات المختلفة ونتعرف على طبيعتها.

أما أعضاء النطق ، أو أعضاء الجهاز الصوتي ، فتتكون مما يأتي[2] :

١ـ الحنجرة **Larynx** : وهي عبارة عن غرفة مكونة من ثلاثة غضاريف، أحدها بارز من الأمام ، وهو الذي يسمى " تفاحة آدم " . وفي الحنجرة الوتران الصوتيان " **Vocal lips** " أو كما يسمّيان أيضاً : ( الحبال الصوتية ) ، وهما رباطان شبيهان بالشفتين ، يمتدان أفقياً من خلفها إلى الأمام ، فيلتقيان في تفاحة آدم . وهما من أعضاء النطق المتحركة إذ يتذبذبان مع طائفة من الأصوات . وتسمى الفتحة التي بينهما : المزمار **Glottis** . وهي فتحة تنقبض وتنبسط بدرجات متباينة مع الأصوات . ويترتب على هذا تباين درجة توتّر الوترين واستعدادهما للاهتزاز فكلما زاد توترهما زادت نبذباتهما في الثانية ، فتختلف تبعاً لذلك درجة الصوت .وللمزمار غطاء يعرف بلسان المزمار **Epiglottis** ، هو بمثابة صمام يحمي القصبة الهوائية من دخول الطعام إليها

---

[1] - علم اللغة ص ١٠٥ .

[2] ينظر في أعضاء الجهاز الصوتي : علم اللغة العام لدوسوسور ص ٥٩ ـ ٦٠ ، والأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس ص ١٦ وما بعدها ، وعلم اللغة لمحمود السعران ص ١٤٢ وما بعدها . وعلم الأصوات لبرتيل مالمبرج ص ٣٧ وما بعدها .

عند البلع . وتسمية الوترين بالحبال الصوتية يقوم أساساً على خطأ الترجمة ، لأن الإنجليزية لا تعرف التثنية صيغةً ، بل تعبّر عنها بصيغة الجمع : Vocal cords [1] .

إن انفتاح الوترين الصوتيين وانغلاقهما بسرعة هو الذي يطلق عليه اسم التذبذب . فهذه الذبذبة تحدث نغمة موسيقية تختلف من حيث الدرجة والشدة باختلاف عدد الحركات الإيقاعية ومداها ، وهي التي يطلق عليها في اصطلاح علم الأصوات اسم "الجهر" "Voice"، كما تسمى الأصوات التي تصحبها هذه النغمة " الأصوات المجهورة " : "Voiced Sound" . أما إذا انفرج الوتران الصوتيان مُفسحين مجالاً للنَفَس أن يمر خلالهما دون أي اعتراض ، فيحدث عندئذ ما يسمى الهمس "Voiceless" ، وتسمى الأصوات التي تنطق عندما يتخذ الوتران الصوتيان هذا الوضع : "الأصوات المهموسة" "Voiceless Sounds" .

وللوترين الصوتيين وضع ثالث ، وهو انطباقهما انطباقاً تاماً لا يسمحان فيه للهواء أن يمر خلالهما إلى الفراغ الحلقي . وهذا هو وضعهما في حالة " قطع النفَس " . وعندما ينفرجان يسمع صوت انفجاري نتيجة لاندفاع الهواء المضغوط في ما دونهما . وهذا الصوت هو الذي يسمى في العربية : "همزة القطع " . فمن الممكن[2] بفضل الغضروفين الهرميين اللذين في الحنجرة ، وبالعضلات المتحكمة فيهما ، تقريب الوترين الصوتيين أحدهما من الآخر . بل وإغلاق المزمار تماماً .

٢ـ الحلق : Pharynx ، وهو الجزء الذي بين الحنجرة والفم . وهو مع كونه مخرجاً لأصوات لغوية معينة ، يستغل أيضاً بصفة عامة فراغاً يضخّم عدداً من الأصوات بعد صدورها من الحنجرة . ولذا يسمى كذلك : " الفراغ الحلقي " أو " التجويف الحلقي " .

٣ـ اللسان : Tongue ، وهو عضو من أعضاء النطق المتحركة، مرن كثير الحركة ، ينتقل من وضع إلى آخر ؛ ليكيف الصوت اللغوي حسب أوضاعه المختلفة . ويقسمه علماء الأصوات على ثلاثة أقسام :

أ ـ طرف اللسان Blade of the tongue ، بما فيه الجزء المدبّب منه ، وهو حد اللسان أو (ذلقه) Tip of the tongue . وهذا القسم من اللسان يقابل اللّثة.

---

[1] ـ محمود فهمي حجازي : مدخل إلى علم اللغة ص ٤٥ .

[2] ـ مالمبرج : علم الأصوات ص ٥٢ .

ب ـ وسط اللسان ، أو مقدّمه **Front of the tongue** ، وهو الجزء الذي يقابل الحنك الصلب (وسط الحنك) في الأحوال العادية .

ج ـ مؤخر اللسان ، أو أقصى اللسان **Bach of the tongue** ، وهو الذي يقابل الحنك اللين (أقصى الحنك) .

٤ـ الحنك الأعلى : **Palate** ، أو (سقف الحنك) أو (سقف الفم) The roof of the mouth ، وهو العضو الذي يتصل به اللسان في أوضاعه المختلفة . وتتكون نتيجة لأوضاع اللسان مع أجزاء الحنك الأعلى مخارج كثير من الأصوات . وينقسم من وجهة نظر الأصوات اللغوية على ثلاثة أقسام :

أ ـ مقدّم الحنك : **Teeth – Ridge** ، ويشتمل على الأسنان ، واللثة ، وهي أصول الأسنان[1] ، ومن اللغويين من يعد الحنك بعد الأسنان . فيكون مقدم الحنك غير مشتمل عليها[2] . بل يشمل الجزء المحدّب المحزّز الذي يمكن معرفته وتحديده بإمرار الإصبع أو اللسان ، والذي نسميه : اللثة[3] **gums** . وهذا الجزء ثابت .

ب ـ وسط الحنك ، أو (الحنك الصلب) **Hard palate** ، ويمثل الجزء الصلب من الحنك ، وهو عظمي . ويمكن تمييزه من مقدم الحنك ببدء التقعّر فيه بعد التحدّب الذي في الجزء السابق . والحنك الصلب ثابت أيضاً لا يتحرك .

ج ـ أقصى الحنك ، أو (الحنك اللين) **Soft palate** ، أو الرخو . وهو الجزء الأخير من الحنك ، وهو قابل للحركة ؛ إذ قد يرفع أو يخفض. فإذا رفع إلى أقصى حد يمكن مسّ الجدار الخلفي للحلق ، أي : الفراغ الحلقي. وبذلك يمنع الهواء الخارج من الرئتين أن يمر إلى الخارج عن طريق الأنف ، فيصبح مروره عن طريق الفم .

ويتكون عدد كبير من الأصوات العربية عندما يتخذ الحنك اللين هذا الوضع كأصوات : الباء والتاء . والسين . والصاد ...

---

[1] أحمد مختار : **دراسة الصوت اللغوي** ، ص ٨٤ ، وإبراهيم أنيس : **الأصوات اللغوية** ص ١٨ .

[2] وهو ما يذهب إليه غير واحد من اللغويين والباحثين مثل فرديناند دي سوسور ، ينظر كتابه : **علم اللغة** ص ٥٩ ، ومحمود السعران في كتابه : **علم اللغة** ص ١٤٢ .

[3] السعران : **علم اللغة** ص ١٤٣ .

أما إذا خُفض الحنك ، فإن الطريق أمام الهواء الخارجي من الرئتين يكون مفتوحاً لأن ينفذ إلى الخارج عن طريق الأنف . ولا ينطق بالنون والميم العربيتين إلا عندما يتخذ الحنك اللين هذا الوضع .

ويطلق على نهاية أقصى الحنك اسم " اللهاة " *Urula* ، ولها دخل في نطق القاف العربية [1].

٥ ـ الفراغ الأنفي : **Nasal cavity** : وهو العضو الذي يندفع خلاله النَفَس، أي الهواء الخارج من الرئتين ، مع أصوات كالنون والميم ، على ما بيناه آنفاً . وهو مع ذلك يستغل كفراغ رنّان يضخّم عدداً من الأصوات عند النطق بها.

٦ ـ الشفتان **Lips** : وهما من أعضاء النطق المتحركة ، إذ تتخذان أوضاعاً متعددة متباينة عند نطق الأصوات المختلفة . فهما مثلاً تستديران عند نطق الضمة ، وتتخذان وضعية غير هذه عند نطق غير الضمة ، كما تتباعدان مع بعض أصوات المدّ كالألف . وهي ظاهرة بوضوح في المدّ الذي يتعلق بالتجويد والقراءات القرآنية . كما تنطبقان تماماً مع بعض الأصوات كالباء والميم ، فإذا انفتحتا فجأة سمع ذلك الصوت الانفجاري (الشديد) الذي يطلق عليه اسم الباء ، أو ذلك الصوت المتوسط الشدة الذي يطلق عليه " الميم" . وتختلف حركة الشفتين قلة وكثرة حسب الشعوب ، وعادات النطق لديهم . فمن الشعوب من يكثر من تحريكهما ، ومنهم من يقتصد في ذلك ، كالعرب بعامة ، فإنهم لا يكثرون ، وكذلك الناطقون بالعربية .

٧ ـ الأسنان **Teeth** : وهي من أعضاء النطق الثابتة ، وهناك أسنان عليا ، وأسنان سفلى ، والعليا تتخذ مواضع لنطق عدد من الأصوات كالتاء والدال .

فهذه الأعضاء التي يشار إليها عادة في دراسة الأصوات اللغوية . غير أن من الواجب ، كما يذكر الدكتور إبراهيم أنيس[2] ، أن يشار إلى عضو آخر مهم في النطق وإخراج الأصوات من الجهاز الصوتي وهو الرئتان . فبدونهما لا يكون تنفس ، بل لا تكون حياة أصلاً . وبدون التنفس لا يكون كلام . فمع أن عدداً من الأعضاء التي

---

[1] ـ الأصوات اللغوية ص ١٩

[2] الأصوات اللغوية ص ١٩ .

ذكرناها قد يصيبها نقص أو خلل ، كالأسنان حين تتساقط أو تتكسر ، أو تنشأ وهي تكون ناقصة الخلقة والتكوين ، أوحين تصاب بقطع أو نحوه ، مما يؤثر في سلامة المنطوق ، فإن ذلك لا يعني منع عملية النطق ، بل قد تستمر برغم هذا الخلل ، فإن قطعت الرئتان فلن يتم تنفس ولا حياة ولا نطق . إذ لا يمكن الاستغناء عنهما مطلقاً ويمكن تجربة ذلك بقطع النفس إذ لا يمكن معه الكلام ، فإذا تكلم اندفع الهواء من الرئة إلى الخارج ، مدللاً على أهمية هذا العضو في عملية النطق .

وسنرى أن القدامى قد التفتوا إلى أهمية سلامة أعضاء النطق في أداء الأصوات أداء صحيحاً . وكيف أن حدوث خلل في بعض هذه الأعضاء قد يحدث تغييراً في الأداء الصوتي ، وليّاً للصوت عن صورته الأصلية المعروفة في العربية .

# جهود العرب القدامى في علم الصوات

## ١- الخليل :

يعد العرب والهنود أقدم من بحث في علم الأصوات اللغوية ، فهم بذلك سابقون للغربيين في هذا المجال اللغوي المهم سبقاً لا ريب فيه، إذ يعد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ) " أول من وضع أصول هذا لعلم من العرب" [١].

فمع أن اليونان قد أثِرَ عنهم وعن تلامذتهم الرومان ، ملاحظات صوتية، إلا أنهم في الواقع لم يفطنوا إلى ما فطن إليه العرب والهنود من تقسيم أصوات لغاتهما على قسميها الرئيسين ، وهما الأصوات المهموسة ، والأصوات المجهورة ، كما سنرى . وكذلك فإن العرب والهنود والرومان صنفوا الأصوات. إلى صنفيها الآخرين : الأصوات الصامتة ، والأصوات الصائتة [٢]، على ما سنورده في ما هو آت من هذا المبحث إذ ستتجلى فيه جهود العرب بوضوح .

كما صنف العرب أصوات لغتهم حسب "موضع النطق" بالصوت، أو قل: حسب المخارج ، كما هو في الاصطلاح القديم ، ثم تطور البحث فيها بعد ذلك إلى تصنيفها حسب صفاتها. وتعد هذه الجهود اللغوية الصوتية المبتكرة فخراً للعرب المسلمين ، ودلالة على دقة حسّهم اللغوي وسموه ، وعلى ذكاء وألمعية في التوصل إلى ما هو جديد ومبتكر من البحث الصوتي .

والحق أن اللغة العربية تفتح الباب برحابة لهذا الضرب من البحث اللغوي إذ أنها " لغة موسيقية " وأنها انحدرت إلينا وقد اكتسبت هذه الصفة منذ أقدم نصوصها " [٣]، كما يرى ذلك كثير من الباحثين . وقد أكسبت تلك الصفة سمع العربي قدرة فائقة في الحكم على النصوص ، والتمييز بين الفروق الصوتية الدقيقة ، فصار مرهفاً يستريح إلى ضرب

---

١- برجشتراسر : التطور النحوي ص ١١ .

٢- السعران : علم اللغة ص ٩٢ وما بعدها .

٣- ابراهيم أنيس : دلالة الألفاظ ص ١٩٥ .

من الكلام لحسن وقعه . وينفر من آخر لنبوّ جرسه[1] . وقد بلغت هذه الخصيصة الموسيقية ذروتها وكمالها في البيان الأعلى للعربية ، القرآن الكريم . وهو ما بيّناه في كلامنا على خصائص العربية الفصحى في الفصل الرابع .

ولذلك لا نستغرب أن يعنى الخليل بن أحمد — وهو أحد عباقرة العرب[2] — بهذا الجانب المهم من البحث اللغوي ، جانب الأصوات . إذ كان إلى جانب عبقريته ذا حس لغوي وموسيقي مرهف ، ويكفيك من ذلك وضعه لعلم العروض ، وهو علم قائم على تفصيلات الشعر وأوزانه ، أي بموسيقى الشعر العربي وإيقاعه . وكذلك وضعه لكتاب في الموسيقى وقد تجلى علم الخليل بالأصوات اللغوية في العربية في غير موضع من معجمه (العين) ، الذي يعد أول معجم لغوي في العربية ، وخاصة في مقدمته لهذا المعجم . تضمنت دراسات صوتية للحروف العربية ، تدل على أصالته . فهذه المقدمة على إيجازها، إنما هي " أول مادة في علم الأصوات ، دلت على أصالة علم الخليل ، وأنه صاحب هذا العلم ورائده الأول . في هذه المقدمة بواكير معلومات صوتية لم يدرك... فيما خلا العربية من اللغات — إلا بعد قرون عدة من عصر الخليل ... "[3] .

وقد قام عمل الخليل على " تحليل أصوات الكلمة ومشاهدتها في طريقة تحرك... في حيز الفم "[4] . ودل ذلك على معرفة ، بأعضاء الجهاز الصوتي وتدرجها ، ونسبة الأصوات والحروف مع كل عضو ومدرج منها . وهذا لاشك بحث مبكر في تاريخ علم الأصوات ولم يكن الغربيون الذين يفخرون بتطور هذا العلم لديهم اليوم ، يعرفون شيئاً من هذه الدراسات . وإنما نشأ شيء من دراسة هذا العلم في بيئات شرقية قديمة ، عند الهنود واليونان ، كما قدمنا .

وعلى عادة كثير من الغربيين ، حاول أحدهم سلب هذه الميزة الفائقة الرائدة من العرب ، عن طريق سلبها الخليل . فزعم (بارتولد) أنّ إبداع الخليل في معجمه العين إنما كان بتأثير يوناني ، وهو أمر مستغرب حقاً ، بل هو دعوى بلا دليل ؛ إذ لم يشر إ...

---

1 دلالة الألفاظ ص ١٩٥ .

2 وينظر : عبقري من البصرة الدكتور مهدي المخزومي .

3 مقدمة محققي (العين) ص ١٠ .

4 مقدمة محققي (العين) ص ١٠ .

مواضع هذا التأثير المزعوم في العين ، ولم يبين أهو يتعلق بالأصوات ، أم بمنهج حضر الأصوات ، أم بالمادة اللغوية ؟ ! [1].

على أن الخليل لم يعرف عنه أنه كان يعرف اليونانية ولا غيرها [2]. فكيف إذاً يتأثر بها هذا التأثر المزعوم ، بحيث يتمخض عنه معجم مثل العين في ضخامته وسعة مادته ، وفي سمة الابتكار والإبداع في منهجه ؟ ! . لا شك أن هذا افتراء على الخليل ، وعلى هذه الأمة التي ينتمي إليها هذا العبقري البصريّ .

ومهما حاول بعضهم أن يطمس من معالم هذه البحوث الصوتية التي ابتكرها علماء اللغة العرب ، فإن الشمس لا تُحجب بغربال ، إذ شهد المحدثون من المنصفين بتلك الجهود الخصبة ، وفي هذا يقول الدكتور إبراهيم أنيس : " وقد كان للقدماء من علماء العربية بحوث في الأصوات اللغوية ، شهد لها المحدثون أنها جليلة القدر بالنسبة إلى عصورهم . وقد أرادوا بها خدمة اللغة العربية والنطق العربي ولا سيما في الترتيل القرآني . ولقرب هؤلاء العلماء من عصور النهضة العربية ، واتصالهم بفصحاء العرب، كانوا مرهفي الحسّ ، دقيقي الملاحظة . فوصفوا لنا الصوت العربي وصفاً أثار دهشة المستشرقين وإعجابهم " [3].

وهذه حقيقة اعترف بها غير واحد من المستشرقين ، ومنهم المستشرق الكبير برجشتراسر الذي وصف العرب بأنهم والهنود رواد علم الأصوات في العالم القديم ، وأنهم سبقوا الغربيين في هذا العلم ، وهو ما بيّناه سالفاً .

ويتجلى إبداع الخليل في البحث في ترتيبه مواد معجمه العين على أساس الحروف التي تتكون منها ، وفي اختياره ترتيب هذه الحروف حسب مخارجها . فبدأ من أقصاها في الحلق بحسب رأيه ــ وهو العين ــ متقدماً منه إلى الحروف التي تنطق من الشفتين [4]. وبذلك قسم الأصوات حسب مخارجها ، معتمداً في ذلك على دقة ملاحظته الخاصة .

---

[1] - محمد حسين آل ياسين : الدراسات اللغوية عند العرب حتى القرن الثالث ص ٩٠ .

[2] - الدراسات اللغوية عند العرب ص ٩١ .

[3] - الأصوات اللغوية ص ٥ .

[4] - العين ١/ ٥٧ – ٥٨ ، من مقدمة الخليل .

والتفت الخليل إلى صفات الحروف ، فقسمها على أقسام تلائم صفاتها. مثلما قسمها على أقسام تلائم مخارجها ومواضعها من الجهاز الصوتي .

فبعد أن قسّم الأصوات ــ التي أطلق عليها اسم الحروف ــ إلى حلقية ، ولهوية وشجْرية ، وأسليّة ، ونطعيّة ، وشفويّة ، وهوائية [1]. قسمها تقسيمات أخرى حسب صفاتها. وهي :

١ ــ حروف صِحاح ، وحروف جُوْف[2] أو ليِّنة [3]. فالصحاح خمسة وعشرون حرفا، وهي ما عدا : الواو والياء والألف اللينة والهمزة من حروف العربية ، التي عدّها تسعة وعشرين حرفاً . وأما الجُوف أو اللينة ، فهي الأربعة الأخيرة . وبيّن أنه سمّاها جوفاً لأنها إنما " تخرج من الجوف ، فلا تقع في مَدْرَجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق ، ولا من مدارج اللهاة ، وإنما هي هاوية في الهواء ، فلم يكن لها حيّز تنسب إليه إلا الجوف " . وسنرى في الفصل القادم أن هذا الرأي قد اعتُرض عليه .

وأشار الخليل إلى خصائص لهذه الحروف الصحاح واللينة ، فبين أن الأولى تختلف في صفتها وأحوالها عن الثانية . فحروف المعاني مثل (هَلْ) و (لَوْ) إذا جعلت أسماء ، واستعملت على حد استعمال الاسم ، بقيت حروفها على حالها إذا كانت صحاحاً كما في الكلمة الأولى ، ، وقُوّيت حروفها بالتشديد ــ أو على حدّ قوله : ثقِّلت ــ إذا كان فيها حرف لين كما في الكلمة الثانية (لو) . يقول " لأن الحرف اللين خوّار أجوف ، لا بد له من حشو يقوى به إذا جُعل اسماً ، كقول الشاعر :

ليت شِعري وأين منّي ليتٌ      إنّ ليتاً وإنّ لوّاً عناء

والحروف الصحاح مستغنية بجروسها لا تحتاج إلى حشو فتترك على حالها " ومثّل الأخير بقوله لأبي الدُّقَيش البدوي الذي يروي عنه : هل لك في الرُّطَب ؟ فقال له " أشدُّ (هل) وأوحاه " قال الخليل : " فخفّف " [4].

---

١ العين ١/ ٥٨ ، من مقدمة الخليل .

٢ العين ١/ ٥٧ . من المقدمة .

٣ العين ٣/ ٣٥٢ .

٤ العين ٣/ ٣٥٢ (هل) .

٢ـ حروف ذلقة ، وغير ذلقة هي التي سهلت على اللسان عند النطق بها ، وهي ستة ثلاثة منها لسانية ، تخرج من طرف أسلة اللسان عند النطق بها [1] ، وهي الراء واللام والنون ، وثلاثة شفوية ، وهي الفاء والباء والميم [2] .

٣ـ أشار إلى الصوت المجهور والمهموس ، فسمّى المجهور مرتفعاً كالدال ، وسمّى المهموس منها خافتاً [3] كالتاء ، أو قل : إنه وصف الصوت المهموس بالخفوت ، من حيث إنه ـ كما هو ثابت في الدراسات الصوتية الحديثة ـ أقلّ وضوحاً في السمع من المجهور . كما سمّى الشديد : صُلْباً وكزّاً [4] .

٤ـ وعرف الخليل من أسرار مفردات اللغة ما عرف في ضوء دراسته للأصوات العربية ، وهي التي سمّاها الحروف كما أسلفنا . فبيّن مما عرفه من صفة الذلاقة في عدد من الحروف ، أنها كثرت في كلام العرب لسهولتها ، وأن وجودها في لفظة ما أو عدمه، يكشف عن عربية تلك اللفظة أو عدمها . يقول : " فلما ذلقت الحروف الستة ، ومذل بهن اللسان وسهلت عليه في المنطق ، كثرت عليه في أبنية الكلام . فليس شيءٌ من بناء الخماسي التامّ يعرى منها أو من بعضها " .

ثم يقول [5] : فإن وردت عليك كلمة رباعية أوخماسية معرّاة من حروف الذلق أو الشفوي ، ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك ، فاعلم أن تلك الكلمة مُحْدَثة مُبْتَدعة ، ليست من كلام العرب ، لأنك لست واجدا من يسمع من كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلا وفيها من حروف الذلق والشفوية واحد أو اثنان أو أكثر " .

وعبارة " محدثة مُبتدعة " فسّرها بعد ذلك بقوله : " المُوَلَّدة المُبتدعة " ، وضرب لها مثلاً : الكَشَعثَج ، والخَضَعثَج ، والكَشَعطَج وأمثالها . وعزاها إلى أناس وضاعير ،

---

[1] العين ١/ ٥٢ من المقدمة .
[2] العين ١/ ٥١ من المقدمة .
[3] العين ١/ ٥٣ – ٥٤ ، من المقدمة .
[4] العين ١/ ٥٢ من المقدمة .
[5] العين ١/ ٥٢ .

ينحلون العرب ما لم يقولوه من الألفاظ ، يقول[1] : " فإن النحارير منهم ... الناس ما ليس من كلام العرب ؛ إرادة اللَّبس والتَّعنُت " . أو بعبارة أخرى : أنهم ينحلون ألفاظاً ويزعمون أن العرب قالتها . ولكن أمرهم سينكشف وشيكاً بعد أن يخلو ... الألفاظ فيعلم أنها ليست من كلام العرب في شيء ؛ لخلوّها من حروف الذلاقة ... وصف . وقد بيّن أن (الهُعْخُع) مما رُدَّ ولم يُقبل[2] .

وبذلك عملت ثقافة الخليل الصوتية على ضبط وتحديد متن اللغة ، وذلك ... ليس منه ، إذا كان من هذا القبيل الذي نبّه عليه . ومعلوم أنه انتهى بعد تقليباته ... للمادة اللغوية على صورها المختلفة ، إلى أن الكلام مهمل ومستعمل ، فطرح المهمل وعقد معجمه على المستعمل ؛ لأنه هو الذي يمثّل واقع اللغة ومفرداتها .

٥ــ وكان الخليل أول من سمّى صوت الحرف الذي يصدر منه " جرساً " ، وهي ... صوتية دقيقة ومقبولة في حساب البحث اللغوي الحديث . فهو مثلاً يصف العين والقاف بأنهما " أطلق الحروف وأضخمها جَرْساً "[3] . ولذلك فإنهما فيما يرى " لا تدخلان في ... إلا حَسَّنتاه "[4] . وهذا الوصف يصدق على العين إلى حد مقبول ؛ إذ أنه ... كما سنرى في الفصل القادم ــ صوت متوسط الشدة شبيه بأصوات اللين ، ... عليه المحدثون وعلى حروف لها نفس الصفة ، اسم الأصوات المائعة أو ... " Liquids " .

٦ــ وأدرك الخليل بحسّه اللغوي الدقيق المرهف ، الوشيجة بين الأصوات و... فكان أول من قال بوجود هذه الوشيجة بين أصوات الطبيعة وبين المعنى ، وهي ... عليه المحدثون من اللغويين اسم "الدلالة الصوتية "، وممن ذهب إليه همبلت ... وسمّى الأخير هذه الظاهرة : " رمزية الألفاظ "[5] . يقول الخليل : " والعرب ... كثير من كلامها أبنية المضاعف من بناء الثلاثي المثقّل بحرفي التضعيف ... ممثلاً له بــ (صرّ) و (صرصر) : " صرَّ الجندب صريراً ، وصرصر ...

---

[1] العين ١/ ٥٣ .

[2] ــ العين ١/ ٥٥ .

[3] ــ العين ١/ ٥٣ .

[4] العين ١/ ٥٣ .

[5] دلالة الألفاظ ص ٦٨ و ٧٠ .

مرْمَرَةً ، فكأنهم توهّموا في صوت الجندب مدّاً ، وتوهّموا في صوت الأخطب ترجيعاً، ونحو ذلك كثير مختلف "[1].

وهكذا أدرك الخليل بفطنته وحسه اللغوي هذا الفارق بين صرّ وصرصر في كلام العرب ، فرأى أنهم تخيّلوا في صوت الأخطب ــ وهو الشّقرّاق ، أو الصقر أو غيرهما[2] ــ تقطيعاً فقالوا : صرْصر ، على وفق ذلك الصوت ، وتخيلوا في صوت الجندب ــ وهو جرادة خضراء كبيرة وطويلة ــ مَدّاً ، فقالوا صَرّ ، محاكاة لذلك الصوت. فلم يكرروا الصاد ويفكّوا إدغام الراء ، كما فعلوا في الكلمة السابقة . وهذا كما ترى وصل إليه علم اللغة في العصر الحديث ، وهو الذي أطلقوا عليه اسم الـ "Anomatopoeia" على ما بيناه في كلامنا على نظريات نشأة اللغة . ونستطيع أن نقول: إن الخليل قد سبق إليه الغويين العرب جميعاً كما أنه سبق غيرهم من اللغويين . إذ لم يثبت أن احداً ذهب إليه من غير العرب في عصره . وإنما ظهرت هذه الفكرة بعد الخليل بأكثر من نصف قرن في نطاق البحث اللغوي العربي ، والفكر الإسلامي . وذلك عند مناداة عبّاد بن سليمان الصيمري (ت ٢٥٠ هـ) ثم ابن جنّي ، بالنظرية الطبيعية في نشأة اللغة . وقد بيّنا ذلك أيضاً في كلامنا على نظريات نشأة اللغة .

## ٢- سيبويه :

وتوالى البحث الصوتي بعد الخليل ، وقد بدت بوادره في كتاب سيبويه ، إذ أتم هذا التلميذ ما بدأ به أستاذه من تقسيم الأصوات ، وعدّل في طبيعة هذا التقسيم وأساسه . فلم يقسه على أساس مخارج الحروف وحدها ، بل أضاف إليه أساساً آخر مهماً هو : صفاتها، كما سنرى . وإن كان الخليل قد نبه على شيء من ذلك كما أسلفنا .

كما أنه لم يلتزم التزاماً بكل ما جاء به الخليل ، بل نظر في ما ذهب إليه من تقسيم للحروف حسب مدارج النطق ــ مخارجها ــ فرأى أن الهمزة في أول هذه المدارج من أقصى الحلق . وجعلها قبل العين[3] ، من غير أن ينظر إلى ما يؤول إليه بعد تسهيلها ، وهو قلبها ألفاً . أي إنه لم ينظر إلى ما تؤول إليه بعد تسهيلها ، وهو قلبها ألفاً . أي إنه لم

[1] - العين ١/ ٥٦ من المقدمة .

[2] - القاموس المحيط ١/ ٦٢ (خطب) .

[3] - الكتاب ٤/ ٤٣١ .

ينظر إليها نظرته إلى حروف المد واللين التي جعلها الخليل من غير مدرج وسماها هوائية ، كما رأينا لأنه راها تُسهل ألفاً في كثير من الأحيان ، فجعلها في معية حروف اللين . وهذا ما لم يذهب إليه سيبويه ؛ إذ بنى نظره إليها على الأصل الذي هي عليه قبل التليين والتسهيل ، وهو الصحيح . ولذلك بحث عن مدرجها ، فوجده في أقصى الحلق قبل العين . فهي إذاً أبعد الحروف — الأصوات — غوراً في مواضع النطق . وهذا ما يقره علم اللغة الحديث [٢] . وسيأتي بيان ذلك في الفصل القادم إن شاء الله .

على أن سيبويه لم يجعل العين بعد الهمزة مباشرة ، بل جعل بعدها الألف والهاء . وهو في تقديم الهاء على العين مصيب بخلاف أستاذه ؛ إذ أن الهاء صوت حيزه أقصى الحلق [٣] . فهو في ذلك شبيه بالهمزة . أما جعله الألف بعد الهمزة مباشرة ، وقبل الهاء والعين ( أ ا هـ ع ) ، مع أن الألف ليست من حروف الحلق ، فقد رأى الدكتور ابراهيم أنيس أنه يمكن أن يُعلّل بأنه تفسير وتوضيح الهمزة ، التي لم تكن — في ما يبدو — مصطلحاً صوتياً مألوفاً في عصره ، أو أنه مصطلح حديث العهد بين الدارسين إذ ذاك . فجعل له بديلاً معروفاً هو " الألف " ، ولكن الذين نقلوا كلامه حملوه أمراً لم يقصده ، حين ظنوا أنه يضع الألف بعد الهمزة ، ويجعلها معها في المخرج [٤] . "وحينئذ لا يكون هناك ما يؤخذ على سيبويه في علاجه لأصوات الحلق " [٥] .

فسيبويه قسم الأصوات على أساسين :

الأول : هو ترتيبها في الفم ، فقسمها على ثلاثة مناطق : أقصاه ، ووسطه ، وأدناه وهو القريب من الشفتين . وحدد لكل صوت أو مجموعة من الأصوات مخرجاً معيناً ، ووصفه وصفاً دقيقاً . وتجلى بوضوح أنه أدرك أن الصوت اللغوي يتكون نتيجة اتصال عضوين من أعضاء النطق اتصالاً محكماً ، كما هي الحال مع الأصوات الشديدة ، أو

الكتاب ٤/ ٤٣٣

الأصوات اللغوية ص ١١٣

المصدر نفسه

الأصوات اللغوية ص

الأصوات اللغوية ص

غير محكم كما هي الحال مع الأصوات الرخوة ، فيقول مثلاً عن مخرج القاف : " من أقصى اللسان وما فوقه من الحَنَك الاعلى " [1]. فهذا التقسيم قائم على المخارج .

والثاني : تقسيمها على أساس صفاتها ، من جهر وهمس ، وشِدّة ورخاوة [2]. كما وصف كثيراً منها بأوصاف خاصة لكِلٍ منها ، فهناك الصوت " المنحرف " ، وهو الذي انحرف اللسان معه وهو اللام ، وهناك الصوت "المكرر" سمّي بذلك لتكريره ، وهو الراء . وتحدث عن الحروف " اللينة " ، وقال إنها الواو والياء [3] . وقسّم الحروف إلى " مطبقة " و " منفتحة " [4]. وكلامه عليها ووصفه لها " يشبه ما دلت عليه التجارب الحديثة " [5].

ووصف الشين بالتَفَشّي ، " وذلك لأن هواء النَفَس معها لا يقتصر في تسرّبه إلى الخارج على مخرجها ، أي من الفراغ الذي بين العضوين المتصلين في حالة الشين ، بل يتوزع في جنبات الفم "[6] فهي إذاً متسعة من هذه الناحية إذ معنى التفشي ان يشغل اللسان عند النطق بالصوت مساحة أكبر ما بين الحنك الصلب واللثة [7]، وأما وصفه لعدد من الأصوات بأنها مجهورة والأخرى بأنها مهموسة فقد تبيّن أن المجهورة هي التي يسميها الغربيون Voiced ما عدا القاف والطاء ، إذ كان يراهما مجهورين ويراهما المحدثون من علماء الأصوات مهموسين . وما سمّاه بالحروف المهموسة ، ينطبق عليها كلها اصطلاح الغربيين من اللغويين Voiceless [8].

## ٢- الجاحظ :

وتوالى البحث اللغوي بعد سيبويه ، ونبغ فيه غير واحد من اللغويين والأدباء والمفسرين وعلماء الصرف والقراءات والتجويد والموسيقى وغيرهم. ولعل من المناسب أن نقف أولاً عند أديب كبير من أدباء العربية ومفكر قديم من مفكّريها ، وهو أبو عثمان

١- الكتاب ٤/ ٤٣٣ ، وينظر : الأصوات اللغوية ص ١١٧ .

٢- الكتاب ٤/ ٤٣٤ .

٣- الكتاب ٤/ ٤٣٥ .

٤- الكتاب ٤ / ٤٣٦ .

٥- الأصوات اللغوية ص ١١٨ .

٦- الأصوات اللغوية ص ١١٨- ١١٩ .

٧- برتيل مالمبرج : علم الأصوات ص ١٢٠ .

٨- الأصوات اللغوية ص ١١٩ .

عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) ، إذ كانت له ملاحظ لغوية دقيقة . فقد عرّف الصوت الإنساني بقوله : " الصوت هو آلة اللفظ ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع ، وبه يوجد التأليف. ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت . ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف " [١].

فأدرك الجاحظ أن الصوت هو مادة اللفظ التي يعرف بها ويدرك منها، ولهذا سماه " آلة اللفظ " . وأدرك أن حركات جهاز النطق ومنها اللسان لا تكون ذات معنى ، فائدة ، ما لم ينتج عنها أصوات ، تتكون من مجموعها الألفاظ والكلام ؛ إذ لا كلام بلا أصوات . فالأصوات هي مادة الكلام ووحداته الأولى .

والتفت الجاحظ إلى عيوب النطق " الخَلْقيَّة " ، وهي التي تحدث بسبب الخِلقة . كما التفت كذلك إلى أثر جهاز النطق في الأداء الصوتي للحروف ، وما لسلامة أعضاء هذا الجهاز أو عدمها من تأثير في اظهار الأصوات والنطق بها صحيحة ، أو منحرفة عن صورتها الصوتية الأصلية . فتحدث عن أحد العيوب الصوتية ، وهي " اللُّثْغة " ، فبين أنها في أربعة أحرف هي : القاف، والسين ، واللام ، والراء . فالسين تصبح ثاء ، فيقولون : بُثْرة ، بدلاً من بُسْرة [٢]. والقاف تصبح طاء ، فيقول صاحبها : طُلْت ، بدلاً من قُلْتُ . واللام لثغتها نوعان ، قلب اللام ياء عند بعضهم ، فيقال : اعتييتُ ، بدلاً من اعتلَلْتُ . وقلبها كافاً ، كقول عمر الهلالي : مَكْعِكّة في هذا ؟ يريد : ما العِلّةُ في هذا ؟ وأما اللثغة التي في الراء فهي أربعة أخرى ، أي ضعف ما يعرض للام . فمنهم من يجعل الراء ياء . فيقول في عَمْرو : عَمْي ، ومنهم من يقلبها غيناً فيقول : عَمْغ فيقول : عمغ ، ومنهم من يجعلها ذالاً ، فيقول : عمذ ويجعلها آخرون ظاء فيقول : عمظ . وطبق الجاحظ ذلك على أبيات من الشعر تنشد على وفق هذه العيوب الصوتية . وأشار إلى عيوب أخرى وهى التَمتمة والفَأفأة واللّفَف ، وحكى عن الأصمعي أن التمتمة تكرار التاء، والفأفأة تكرار الفاء ، وعن أبي عبيدة أن اللّفَف إدخال بعض الكلام ببعض ، فيقال لمن يفعل ذلك : ألفّ [٣].

---

[١] الجاحظ : **البيان والتبيين** ١/ ٧٩ .

[٢] النُسْرة : التمرة قبل أن تدرك وتصبح رطباً .

[٣] **البيان والتبيين** ١/ ٣٤ وما بعدها .

والتفت الجاحظ إلى مسألة في غاية الدقة ، وهي الأثر النفسي في حدوث هذه العيوب الصوتية الثلاثة الأخيرة . فبين ان الهم والتعب النفسي والوحدة تُحدث مثل هذه العيوب ، كاللفف . فبين أن أبا عبيدة أنشده قول الراجز :

كـأنّ فيه لَفَفاً إذا نَطَـقْ      من طولِ تحبيسٍ وهَمٍّ وأَرَقْ

وقال في التعليق على هذا البيت : " كأنه لما جلس وحده ولم يكن له من يكلمه ، وطال عليه ذلك ، أصابه لفف في لسانه " .

وبيّن ما لطول السكوت والانقطاع عن الكلام لفترة من أثر في حدوث مثل هذه العيوب ، قال : " وكان يزيد بن جابر ... يقال له الصَّموت ، لأنه لما طال صمتُه ثقل عليه الكلام ، فكان لسانه يلتوي ، ولا يكاد يُبين " [1]. ثم حكى عن محمد بن الجهم[2] : " أن مثل ذلك أعتراه أيام محاربة الزُّطِّ [3]؛ من طول التفكُّر ولزوم الصمت " [4].

وأشار إلى عيب آخر هو " الحُبْسة " ، وبين أنه ثقل في الكلام دون الفأفأة والتمتام . ومثلها : " العُقلة " . كما أشار إلى " اللُّكْنة " ، ونبّه على أنها عيب يختص بانحراف مخرج الحرف عن جهته في جهاز النطق وأعضائه ، بحيث إن المتكلم يميل بالصوت عن جهته المعلومة في العربية إلى جهة نطق أعجمية ، يقول : " ويقال : في لسانه لُكنة ، إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب ، وجَذَبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول " [5]. وكأنه ينبه هنا على ما للعادة من أثر في انحراف الصوت عن مخرجه ، حين بيّن أن بدء اللكنة تَصرُّف المتكلم في إدخال حروف أعجمية في كلمات كان ينبغي أن تحل محلها حروف عربية ، ثم اعتياده على ذلك حتى يصبح له طبعاً . ومعلوم أن اللكنة عند العرب تجافي الفصاحة ، ولذلك يعاب بها المتكلم إذا طرقت الأسماع .

---

١ - البيان والتبيين ١/ ٣٧ - ٣٨ .

٢ - أديب عاصر المأمون ، فولاه عدة ولايات .

٣ - الزُّط : جيل من الهند ، وقد حاربهم المأمون ما بين [illegible] ٢٠٥ - ٢٠٦ هـ .

٤ - البيان والتبيين ١/ ٣٨ .

٥ - البيان والتبيين ١/ ٣٩ - ٤٠ .

وأما العيوب المسَّببة عن نقص في بعض أعضاء الجهاز الصوتي ، فقد جعلها مع ما يعتري اللسان من ضروب الآفات " [1]. فتحدث عن أهمية سلامة الأسنان واكتمالها في سلامة النطق وصحته . فحكى عن سهل بن هارون قوله : " لو عــرف الزنجيّ فرط حاجته إلى ثناياه في إقامة الحروف ، وتكميل آلة البيان ، لما نَزَع ثناياه " ، ونبّه على أثر الشفتين في إظهار عدد من الأصوات ، وما ينتج عن تغيّر صورتها في الفم من نقص وخلل في أداء هذه الأصوات ، فإذا اجتمع إلى ذلك نقص في ثنايا الأسنان ، فقد صار العيب مضاعفاً ، وانحرفت عدة أصوات عن صورتها التي هي عليها لو لم يكن ذلك العيبان والنقصان . وقد أورد في ذلك رواية تدل على إدراك الرســول (ﷺ) وأصحابه لهذه الظاهرة ، ومعرفتهم بما يعتري النطق من عيوب بسبب نقص في الأسنان والشفتين. فبين أن عمر بن الخطاب (ﷺ) قال في سُهيل بن عمرو الخطيب : " يا رسول الله انزع ثنيّتيه السُفليين حتى يَدْلَعَ لسانه ، فلا يقوم عليك خطيباً أبداً " . وقال بعد هذه الرواية : وإنما قال ذلك ، لأن سهيلاً كان أعْلَمَ [2] من شفته السُفلى " [3].

وأشار إلى أن سلامة الأسنان ذات أثر في سلامة مخـــارج الحــروف ، أو قل الأصوات ، وأن ذلك كان يعد عند النقاد الأوائل فضيلة ومرجحاً لخطيب علــى آخر ومتكلم على متكلم . فروى أن الجُمحيّ خطب خطبة [4] زواج " أصاب فيها معاني الكلام وكان في كلامه صفير من موضع ثناياه المنزوعة . فأجابه زيد بن علي ابــن الحسن بكلام في جودة كلامه ، إلا أنه فضَلَهُ بحسن المخرج والسلامة من الصفير . فذكر عبد الله بن معاوية بن عبدُ الله بنَ جعفر ، سلامة لفظ زيد لسلامة أسنانه ، فقال في كلمة له :

قَلَّـتْ قوادِحهــا وتَمَّ عــديدُها فلـــه بـــذلك مَزِيَّـــةٌ لا تُنكَرُ

ويروي " صَحَّتْ مخارجها وتَمَّ حروفها " [5]

---

[1] البيان والتبيين ١/ ٥٧ .

[2] الأعلم : الذي في شفته شقٌّ . والمعجمات تقيده بالعليا ، وهو في كلام الجاحظ ليس كذلك .

[3] البيان والتبيين ١/ ٥٨ .

[4] كانوا يخطبون خطبة وجيزة إذا أرادوا التزويج ، وبذلك سُمِّيت خطبة المرأة .

[5] البيان والتبيين ١/ ٥٨ - ٥٩ .

وحكي عن أحد رواة أهل البصرة أن يونس بن حبيب النحوي (ت١٨٢هـ) تأول قول الأحنف بن قيس في وصف والدته والثناء عليها :

أتمتني فلم تنقص عظامي ولا صوتي إذا جدّ الخصومُ

فقال ـ أي يونس ـ : " إنما عنى بقوله عظامي : أسنانه التي في فمه ، وهي التي بها تمت تمت الحروف ، وإذا نقصت نقصت الحروف " واحتج لذلك بأنه كان أحنف الرجلين ، فكيف يقول : أتمتني إذا لم يُرد الأسنان وحدها ؟ ! وهذا كما ترى التفات ذكي من يونس وتحليل دقيق لدلالة كلام الأحنف .

وأشار الجاحظ إلى لغة الأطفال ونطقهم بالأصوات ، التي سماها ـ كشأن المعاصرين ومن سبقه ـ حروفاً . فبيّن أن " الميم والباء أول مايتهيأ في أفواه الأطفال ، كقولهم: ماما ، وبابا ؛ لأنهما خارجان من عمل اللسان ، وانما يظهران بالتقاء الشفتين [1] " وبعبارة أخرى : لا عملَ للسان في نطق الباء والميم ، وإنما ذلك للشفتين . وهذا التحديد هو الذي عليه علم الأصوات قديما وحديثا .

وقد تجلى ذلك قبله في قول الخليل وسيبويه عند تقسيمها الحروف بحسب المخارج. وأشار بعد ذلك الى ما يعتري الصغار في كثير من الأحيان من عيب في النطق الى أن يشبوا عن الطوق ، وذلك كاللثغة . وفرق بينه وبين ما يعتري الشيخ الكبير نتيجة لكبره وتغيّر بعض أعضاء جهاز النطق لديه ، وهو استرخاء الحنك ، وارتفاع اللثة. وكأنه قد جرب ذلك وخبره عن كثب. ولعله يريد بالحنك : الجزء المتحرك منه ، وهو اللين الذي يقع في أقصاه ، وأنه خلاف ما يعتري أصحابه اللكن من العجم أو من ينشأ من العرب مع العجم [2] .

ومن ملاحظ الجاحظ الصوتيه ، تحديده لمخارج بعض الأصوات . وأهم ما يلفت النظر من ذلك ويفيد البحث الصوتي تحديده لمخرج (الضاد) ، وهي [3] الصوت الذي أضيفت إليه اللغة العربية تمييزاً لها من بقية اللغات في العالم ؛ إذ لا يستطيع غير العربي أو من تعلم العربية وشب على النطق به ، أن ينطق بها كما هي ، بل لابد أن يحرفها عن

---

[1] - البيان والتبيين ١/ ٦٢ .

[2] - البيان والتبيين ١/ ٧١ .

[3] - ومثلها ( الظاء ) ، قال الخليل : " وليس في شيء من الألسُن ظاءٌ غير العربية " العين ١/ ٥٣ .

مخرجها الى الزاي أو غيره. وهذا ما يلحظ اليوم بوضوح في نطق الأوروبيين والسـ[illegible] وغيرهم .

فالجاحظ يذكر أن الضاد لا تخرج إلا من الشِّدْق الأيمن ، أي من الجانب الأيمن من الفم . وهذا في ما يذكر عند من يستعمل يده اليمنى . فإن كان أعسر ، أخرجها من شدقه الأيسر ، وإن كان " أعسَرَ يَسَرَ "، أي يستعمل أياً من يديه في تناول الشيء ، التقاطه ، أو الكتابة ونحوها ، أخرجها " من أيِّ شِدقيه شاء". ثم بين أن مخالفة هذه الأوضاع في إخراج الضاد لا يتسنى للأيمن ، والأعسرِ ، والأعسر يسر : إلا بالاستكراه الشديد[1] "، وهذا النص ذو قيمة صوتيه كبيرة ؛ لأنه حدد لنا تحديداً عاماً إخراج هذا الصوت ، حين بيّن جهته لدى العرب في نطقهم ، وإن لم يحدد مخرجه بدقة ، بحيث نعرف العضو الذي يخرجه من الفم .

وبيّن أن مخارج الكلمات كثيرا ما تدل على أن المتكلم من بلد أعجمي معين كالخراساني مثلاً ، وكذلك النبطي . فمع إعرابه وتخيّر ألفاظه ، يختلف عن العربي في إخراج الحروف من كلماته [2]. وأشار الى التكيّف الصوتي لدى غير العربي ، وكيف أن من العسير تحويله عن صورته وحالته عند الكبار الذين نشأوا على غير لغة العرب ، يقول: " ألا ترى أن السندي إذا جُلِبَ كبيراً فإنه لا يستطيع إلا أن يجعل الجيم زاياً ، ولو أقام في عُليا تميم ، وفي سُفلى قيس خمسين عاماً ، وكذلك النبطي القُحّ ... لأن النبطي القح يجعل الزاي سيناً . فإذا أراد أن يقول : زورق ، قال: سَوْرَق . ويجعل العين همزة فإذا أراد أن يقول : مُشْمَعِلّ ، قال : مشْمَئِل " [3].

وهكذا نجد الجاحظ يوغل في البحث الصوتي ، ويشعب الحديث فيه متناولاً ظواهر صوتيه لم يتناولها من سبقه من اللغويين والأدباء ، بل ولا من لحقه منهم وتلاه . وهو في الواقع لم يتناوله مع كل هذا الذي قال إلا في إطار عرض أدبي ، هو المدار الذي دار عليه كتابه الشهير . ولا يخلو كتابه الآخر القيّم : " الحيوان " من مثل هذه الملاحظ أيضاً

[1] البيان والتبيين ١/ ٦٢ .
[2] البيان والتبيين ١/ ٦٩ .
[3] البيان والتبيين ١/ ٧٠ .

٤- أبو عبيد:

ونتجاوز كتب الأدب الى كتب غريب الحديث ، ونقف عند أول وأهم وأشمل كتاب وصل إلينا منها ، وهو كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤ هـ) فنلحظ أنه يعرض لبيان عدد من الظواهر الصوتية ، المتعلقة بالأصوات اللغوية ، كوصف عدد منها، وبيان ما يطرأ عليها من تغير . وذلك في أثناء شرحه لغريب الأحاديث التي يرويها في كتابه هذا .

فمن ذلك التفاته الى ظاهرة تفريق الأصوات المتماثلة ، دفعا لتواليها المسبّب لثقلها على لسان المتكلم عند النطق بها ، وهذا ما يعرف لدى علماء الصوت المحدثين بـ " نظرية السهولة "[١]، والتي عدّوا من مظاهرها فرار المتكلم من " توالي الأصوات المتماثلة "[٢] ومعلوم أن العربية تكره التوالي في الأصوات الصائتة القصيرة الحركات ، وهو أمر معروف في كتب النحو ومشروح ، كإسكان آخر الفعل الماضي إذا أسند الى تاء الفاعل مثل : "ذَهَبْتُ" ، ويمكن أن نتبيّن ذلك في كتاب أبي عبيد عند تفسيره لكلمة "متكمكمة" في قصة امرأة . إذ أوضح أن المتكلم " أراد : مُتَكَمِّمَة ، وأصله من الكُمَّة ، وهي القلنسوة . فشبّه قناعها بها فقال : مُتَكمكِمَة ، ولم يقل : مُتَكَمِّمَة ، كما قالوا : متجمّمة من الجمّة ، ومُتَعَمِّمَة من العِمّة " . ثم بين سرّ هذه الظاهرة الصوتية بقوله : " العرب تفعل هذا ، إذا اجتمعت الحروف من جنس واحد ، فرقوا بينها استثقالاً لجمعها، كما قالوا : كفكفتُ فلاناً عن كذا وكذا ، وإنما أصلها : كففت " . واحتج له بقول أبي زبيد الطائي :

ألم ترني سكّنتُ إلاّ لإلّكم      وكفكفتُ عنكم أكلبي وهي عُقَّرُ

وبقول متمم بن نويرة :

ولكنني أمضي على ذاك مُقدماً      إذا بعض من يلقى الحروب تَكَعْكَعا

---

١ الأصوات اللغوية ص ٢٣٤ . وفيه بيان لهذه الظاهرة .
٢ الأصوات اللغوية ص ٢٣٦ .

وقال : " وهو من كَعِعْتُ عن الأمر . ومنه قولهم : تصرصر الباب ، من الصرير وإنما أصله تَصَرَّرَ الباب " [1].

والتفت أبو عبيد الى ظاهرة التقارب بين الأصوات اللغوية في الصفات والمخارج ، وما ينجم عنه من حلول بعضها محل بعض في طائفة من الكلمات ، فهو يلحظ ذلك مثلا في النون والميم ، فيقرر أن العرب ربما تشبه أحدهما بالآخر ، حتى يجعلوهما في قافية ، على نحو ما في البيت الذي أنشده إياه خلف الأحمر ، وهو من الرجز :

يـــارُبَّ جعْدٍ فيهم لو تــدرينْ          يضربُ ضرب السّبط المقاديمْ

فقد قال : " فجمع بين النون والميم في قافية " . وعلل ذلك تعليلا صوتيا بقوله : وذلك لقرب مخرج أحدهما من الآخر " . وبين أن العرب تقول : أغبطَتْ عليهم الحمى وأغمطتْ . وتقول في الجدي : حلاّن وحلاّم . واحتج له بقول مهلهل بن ربيعة:

كــلُّ قتيل في كُلَيبٍ حلاّمْ          حتّـــى ينال القتلُ آلَ هَمّامْ [2]

والنون والميم كلاهما صوت متوسط الشدة[3] ، ومن الأصوات الشبيهة بأصوات اللين ، التي يطلق عليها المحدثون اسم : " الأصوات المائعة " أو " السائلة " "Liquids" أما التقارب بين مخرج هذين الصوتين وهو الذي أبو عبيد فيرجع الى أحدهما صوت لثوي وهو النون والآخر صوت شفوي وهو الميم. فهذا مما كان في القرن الثالث عصر أبي عبيد.

### ٥ – السراج :

حتى إذا حل القرن الرابع وجدنا الدراسات اللغوية تنتعش فيه ، بعد ازدهارها في نهاية القرن الثالث على أيدي المبرد ( ت ٢٨٤ هـ) وتلامذته.

[1] أبو عبيد : غريب الحديث ٣/ ٣٤٤ ، ٣٤٥
[2] غريب الحديث ٣/ ٢٩٢ .
[3] الأصوات اللغوية ص ٤٥ ، ٦٦ .

وقد نبغ منهم كثيرون كأبي بكر السراج (ت ٣١٦ هـ) والزجّاج (ت ٣١١ هـ).

ويجدر بنا هنا الإشارة الى ملاحظة أبداها السراج في رسالته (الاشتقاق) تتعلق بالأصوات اللغوية، وتأليف الكَلِم منها، وعلاقة بعضها ببعض في تأليف الألفاظ. فنراه يقرر أنه "إذا تباعد مخرج الحروف حسن التأليف، وإذا تقارب قبح"[1]. وضرب لذلك مثلاً حروف الحلق الستة، إذا وردت في كلمة واحدة، نحو "الهعخع"، التي اتصل فيها أربعة منها، فثقلت على اللسان وعلى السمع معاً.

وبيّن أن اللفظة تكون سهلة النطق إذا تباينت أصواتها من حيث المخارج، ولم تكن من مخارج متقاربة، يقول: " أحسن ما يكون البناء إذا كان مؤلفاً بحروف مختلفة المخارج، مستقيمة المدارج، بعضها إثر بعض، مثل (حَسَن) الحاء من حروف الحلق، والسين من وسط الفم، والنون من حروف الذلاقة على مدرج الصوت. فإذا قلبت كان سبلاً متباعد المخارج، وهو أثقل من (حسن)، وكذلك (حرب)، وما أشبهه "[2].

وأشار السراج الى الحروف الذلقة، التي نبه عليها الخليل، كما قدمنا. وذكر أنها "أخف الحروف وأحسنها امتزاجا بغيرها"، وأن عمل بعضها من طرف اللسان، وهي الراء والنون واللام[3]. كما أشار الى أن الحرف إذا شدّد قوي[4].

أما الحروف التي ليست ذلقة، وهي ما عدا الحروف الستة التي نبه عليها الخليل، فيسميها "مُصْمَتَة" ويعلل هذه التسمية بأنها: "صُمِتَ أن يُتَكَلَّمُ بها، وتُبنى الكلمة منها إذا كثرت"[5]، أي تبنى الكلمة منها إذا كثرت في تلك الكلمة؛ لأنها لابد لها من حرف أو أكثر من حروف الذلاقة على ما نبّه عليه الخليل، وذكرناه سالفا. قال صاحب اللسان: "والحروف المُصْمَتَةُ: غيرُ حروف الذلاقة سمّيت بذلك لأنه صُمِتَ عنها أن يبنى منها كلمة رباعية أو خماسية معرّاة من حروف الذلاقة"[6].

---

السراج: الاشتقاق ص ٤٥ .

الاشتقاق ص ٥٤-٥٥ .

الاشتقاق ص ٤٩ .

الاشتقاق ص ٤٨ .

الاشتقاق ص ٤٩ .

اللسان ٢/ ٣٦٠ (صمت) .

وبذلك قسم السراج الحروف من حيث أجراسها وسهولة النطق بها أو العكس [illegible] قسمين : حروف ذلقة ، وحروف مصمتة .

## ٥ ــ أبو حاتم الرازي :

وجاء بعد السراج بنحو نصف قرن أبو حاتم الرازي (ت ٣٢٢ هـ) ، فكانت له ملاحظ صوتيه في كتابه القيم : ( الزينة في الكلمات الإسلامية) ، في أثناء بيانه لمعاني الألفاظ الاصطلاحية في الإسلام ، من الناحية اللغوية والناحية الاصطلاحية . فهو [illegible] يشير إلى اللام المفخّمة في لفظ الجلالة (الله) ، ومخرجها من الفم ، ويربط هذا التفخيم بالمعنى الذي وراء هذه اللفظة ، فيقول : " ... الأصل : إله ، والألف أدخلت فيه مع اللام للتعريف . فلما أدخلت فيه ألف التعريف سقطت الألف الأصلية . وتركت الهمزة لكثرة ما يجري على ألسنتهم .

وأدغمت لام المعرفة في اللام التي لقيتها ، وفُخّمت ، وأشبعت ، حتى اطبق اللسان بالحنك ، لفخامة ذكره تبارك وتعالى . ثم صارت الألف اللام من سنخ الكلمة ، فقيل الله " [١].

## ٧ــ علماء القراءات ــ ابن مجاهد :

ولعل أهم ما يلفت النظر في هذا المجال هو تلك الثمار الصوتية التي نتجت عن علم القراءات ، أذا اشتملت المؤلفات التي دونت في هذا العلم "على بحوث دقيقة قيمة في أصوات اللغة العربية وطبيعتها وصفاتها وأنواعها ومخارجها ، والمد وأحكامه ومقاديره والغنّ وضروبه ، وتأثر أصوات الكلمة أو الكلمات المتجاورة بعضها ببعض ... وما إلى ذلك من مسائل (الفونيتيك) الخاصة باللغة العربية " [٢].

فعلماء القراءات القرآنية ، أسهموا إسهاما فعالا في إضافة تفصيلات صوتية [illegible] أتت عن الخليل وسيبويه ، رائدي علم الأصوات . وذلك أن هؤلاء العلماء أضافوا [illegible]

١ الرازي : الزينة ٢/ ١٩ .

٢ علي عبد الواحد : فقه اللغة ص ٢٧١ .

البحث الصوتي حين " سجلوا خصائص صوتية تنفرد بها التلاوة القرآنية ، ووضعوا رموزا كتابية تمثل هذه الخصائص " [1].

كما أن طائفة من المصطلحات الصوتية قد ظهرت في مؤلفاتهم في القراءات ، وشاعت وصارت تدرس وتضبط صورها في القراءة ، كالإشمام[2]، والروم[3] ، والاضجاع[4] ، والإبطاح[5] ، والتثقيل ، والتخفيف[6] . والسكت[7] ، وما إليها . فضلاً عن تطبيقهم بدقة متناهية ، لكيفية النطق بالأصوات اللغوية المختلفة الصفات ، كالمجهورة والمهموسة والمطبقة والمنفتحة والمستعلية والمنخفضة ، وتحديد مخارجها تحديدا دقيقاً أيضاً ، وبيان ذلك عملياً عن طريق النص القرآني قراءة وترتيلاً . وبذلك قدّم علم القراءات وما اتصل به من تجويد فوائد صوتية قيمة لعلم الأصوات العربية ودراساته .

ويمكن أن نتبين ذلك على سبيل التمثيل في أشهر كتب القراءات القديمة التي وصلت إلينا ، وهو (كتاب السبعة ) لأبي بكر بن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ)، الذي هو أول من اختار سبعة من قراء الأمصار الذين كانوا في ذلك الحين كثيرين . ففي بيانه لقراءة (الصراط) من قوله تعالى : { إهدنا الصراط المستقيم } ( الفاتحة : ٦ ) ، ذكر أنها قرئت بالسين والصاد والزاي والاشمام[8] ، ثم بيّن أن السين هي الأصل ، ويريد بذلك : في كلام العرب ، وأن الصور الثلاث الأخرى حصلت بعد إبدالها صاداً أو زاياً أو إشمامها صوتاً بين الصاد والزاي ، على ما كان يقرأ حمزة بن حبيب الزيّات أحد السبعة ، إذ كان يقرأ بهذا الضرب من الاشمام . وأشار في أثناء ذلك الى ملحظ دقيق ، يتعلق بكتاب هذا الصوت الممزوج من صوتين ، فبيّن أنه لا يضبطه الكتاب ، أو بعبارة أخرى : لا يمكن أن يعبّر عن رمز الاشمام بصوت من الأصوات . ثم بين السبب في كتابه هذه الكلمة

---

1- السعران : علم اللغة ص ١٠١ .
2- الإشمام : قد يكون في الأصوات أو الحروف ، بحيث يذيق الناطق الحروف صوت حرف آخر .
3- الروم : الاتيان ببعض الحركة ، وهو ما يسميه القدامى : اختلاس الحركة ، ويتم بالوقف على نهاية الكلمة بحركة الإعراب مع تقصيرها ، بحيث تبلغ نصف الحركة ، فتظهر في الشفتين دون الصوت .
4- الاضجاع : النطق بالألف في مثل ( والضحى ) بين الفتح والكسر ، وان تكون الى الفتح أقرب .
5- الابطاح : الكسر . ولهذا قابلوه بالفتح .
6- التثقيل : التحريك باحدى الحركات الثلاث : الفتحة أو الكسرة او الضمة . والتخفيف : التسكين
7- الوقف القصير ، عند قراءة القرآن ، فإذا لم يكن قصيراً سمي وقفاً .
8- ابن مجاهد : كتاب السبعة في القراءات ص ١٠٥ .

(الصراط) بالصاد في المصحف دون السين ، فقال : " وإنما كتبت بالصاد لقربها من الطاء ؛ لأن الطاء لها تَصَعُّدٌ في الحَنَك ، وهي مطبقة ، والسين مهموســة ، وهي من حروف الصفير ، فثَقُل عليهم أن يعمل اللسان منخفضاً ومستعلياً في كلمة واحدة ، فقلبوا السين الى الصاد ، لأنها مؤاخية للطاء في الإطباق ، ومناسبة للسين في الصفير ، ليعمل اللسان فيهما متصعدًا في الحنك عملاً واحدا " [١] .

وبذا نرى أن ابن مجاهد قد وصف النطق بالصاد في هذه الكلمة ، وعلل اختيار حرفه في كتابتها دون السين ، تعليلا صوتيا دقيقا . وهو تسهيل عملية النطق ، بسبب تقارب بين الأصوات . والمراد هنا الصاد والطاء ، إذ الأول هو الملائم للثــاني ، إذ مثله في أنه صوت مطبق [٢] ، وانه صوت مستعل [٣] . وهذا ما يطلق عليه اليوم فــي علم اللغة الحديث : " قانون المماثلة " "Assimilation" . وهو ما لم يعرفه الغربيون الا في عصرنا الحديث .

وعلى هذا فان علماء الأصوات في العربية قد سبقوا اللغويين المحدثين في بحث نظرية التماثل بين الأصوات التي تناولها بالدراسة دانيال جونز في كتابــه: **An out-line of English Phonitics** .

ويمكن أن نجد كثيرا من هذه الملاحظ الصوتية في كتب أخرى للقراءات ، ومن تلك التي عنيت ببيان حجج القراءات مثل كتاب ابن خالويه الكبير : " القراءات وعللها " المخطوط [٤] ، ومختصره : " الحجة في القراءات السبع " المطبوع [٥] . وكذلك كتاب أبي علي النحوي : " الحجة في علل القراءات السبع" الذي طبع منه الجزء الأول ، وغير ذلك من كتب القراءات .

[١] كتاب السبعة ص ١٠٦ - ١٠٧

[٢] أصوات الإطباق أصوات مفخمة ذات قوة في الأداء ، وفيها يرتفع طرف اللسان وأقصاه نحو ... وهي أربعة : الصاد والضاد والطاء والظاء .

[٣] المستعلي من الأصوات يقابل المنخفض ، أو المستفل كما يسميه القدامى .

[٤] منه نسخة بمعهد المخطوطات التابع جامعة الدول العربية برقم ٢ ت قراءات وهو في جزئين ...

[٥] وهذا الكتاب لابن خالويه والشك في نسبته ليست في محلها إذ هو مختصر لكتابه الكبير وقد ... ابن ...

## ٨ – ابن جني :

وإذا ذكرنا أبا علي هذا ، فلا بد أن نذكر تلميذه النابغ أبا الفتح بن جنّي، وبحوثه الصوتية في كتبه ، مثل: الخصائص ، والتصريف الملوكي ، والمنصف في شرح التصريف للمازني ، وسرّ صناعة الإعراب . وقد آثرنا أن نقتطف أزاهير من هذه البحوث من كتابيه : الخصائص والتصريف ، لما تضمّناه من ملاحظ قيّمة ودقيقة . وقد صحبت هذه الملاحظ بحثه في ظواهر لغوية وصرفيه ونحوية متعددة .

فشرط الإبدال بين الأصوات عنده مثلا ، أن يكون بين صوتين متماثلي المخرج او متقاربيه ؛ ولذلك غلّط أبا بكر السراج في عدّه الحاء الثانية في (حَثْحَث) بدلاً من ثاء ، وأن أصله : (حَثَّثَ) ، وكذلك في عدّه أصل (ثَرْثارة): ( ثَرّارة) بابدال الثاء الثانية راء [1]. على أساس أن الحاء لا تناظر أو تقارب الثاء في المخرج ، وكذلك الحال بين الثاء والراء.

ولاحظ ابن جني صفات الأصوات عند بحثه في الإبدال ، وعللهُ في كثير من الأحيان بعلل مبنية على هذا الأساس . وذلك كالجهر والهمس . ففي الكلمات : فُستاط ، وفُسطاط ، وفُسّاط ، يَحتمِل أن التاء في الكلمة الأولي مبدلة من الطاء في الكلمة الثانية أو السين في الكلمة الثالثة . ويذكر أن الإبدال الأول مبني على أن " التاء أشبه بالطاء منها بالسين [2] " . ومراده من ذلك أن التاء والطاء كلاهما صوت شديد ، وانهما من مخرج واحد [3] ، كما سنرى . ويذكر أن الإبدال الثاني – وهو إبدال السين تاء ، مبني على أن كلا الصوتين مهموس ، وأن استثقال المثلين الملتقيين بالتشديد ، أحرى من استثقالهما متفرقين [4] . أو بعبارة أخرى : أن قلب أحد الضعفين في (فُسّاط) تاء أولى من قلب أحدهما في (فسطاط) ؛ لأن الأول مثقل مشدّد بالإدغام ، والثاني مفرَّق ، والأول أصعب في النطق فهو الجدير بأن يبدل إلى صوت آخر ؛ دفعا لهذه الصعوبة. والمتكلم يميل عادة إلى ما هو أسهل عليه وأيسر. وهذا قانون صوتي عام .

---

[1] – الخصائص ٢/ ٥٤ .

[2] – الخصائص ٢/ ٨٧ .

[3] – الأصوات اللغوية ص ٨٧ .

[4] – الأصوات اللغوية ص ٨٧ .

ويعد ابن جني أقدم من استعمل مصطلح " الصوت " بدلاً من الحرف الذي ورد في كلام سابقيه كالخليل وسيبويه وأبي بكر السراج وغيره . فقد استعمل هذا المصطلح في (الخصائص) ، كما استعمله في ( التصريف الملوكي) .

أكد ظاهرة (التماثل) مراراً في كتابيه هذين ، وذلك من خلال كلامه على ظواهر لغوية وصرفيه متنوعة . فهو إذ يتحدث عن ( الادغام الأصغر)، يقول : " قد ثبت أن الادغام المألوف المعتاد إنما هو تقريب صوت " . ثم يبين أنه نوعان : إدغام المثلين نحو طائي قَطَّع ، وكاف سكر. والآخر: ادغام المتقاربين على وفق الأحكام التي يسـ فيها الإدغام ، فتقلب أحدهما إلى لفظ ما يقاربه فتدغمه فيه . وذلك مثل امّحى ، وامّاز واثّاقل ، فأصلها : انمحي ، وانماز ، وتثاقل . فقلبت النون في الأوليين منهما ميما وأدغمت في الميم الأصلية . وقلبت التاء في الثالثة ثاء وأدغمت في الثاء الاصلية . ثم قال : " والمعنى الجامع لهذا كله تقريب الصوت من الصوت "[1] . وأطلق على هذا الضرب من الادغام ، اسم " الادغام الأكبر " . على حين سمى تقريب الصوت من الصوت وإدناءه منه من غير ادغام : "الادغام الأصغر" . وبين انه ضروب : فمنه الإمالة " فإنما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت " . ومنه قلب تاء افتعل طاء إذا كانت بعد حرف من حروف الإطباق ( الصاد والضاد والطاء والظاء) ، نحو اصطبر واضطرب ، واطّرد ، واضطلم ، والأصل : اصتبر، واضترب ، واطترد ، واضتلم قال: " فهذا تقريب من غير ادغام " ، ومنه تقريب الصوت المستفل ( المنخفض) من الصوت المستعلي الذي يجاوره . وذلك نحو قلب السين صادا إذا كانت قبلها نحو : سُقت وصُقت ، وسقر ، وصقر[2] . إذ أن القاف حرف مستعل ، فقلبت السين إلى صوت مستعل هو الصاد . وهو في نفس الوقت نظيرها في صفة الهمس .

وأشار إلى ظاهرة تقريب الأصوات القصيرة (الحركات) بعضها من بعض ، إذا قارنت حرفا من حروف الحلق ، مثل : شِعير وبِعير ورِغيف ، وزئير[3] . فقد كُسر أوله بدلا من الفتح لمجاورتها العين والغين والهمزة .

---

[1] الخصائص ٢/ ١٣٩ - ١٤٠ .

[2] الخصائص ٢/ ١٤١ - ١٤٣ .

[3] الخصائص ٢/ ١٤٣ ؛ والتصريف الملوكي ص ١٠١ - ١٠٢ ، وينظر : د. حسام النعيمي : الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ص ٤١ .

ولم يفت ابن جني أن الأصوات القصيرة الثلاث ــ الفتحة والضمة والكسرة ــ إنما هي الأصل في حروف المد ــ الألف والواو والياء ــ وقد عقد له في الخصـــائص بابــاً سماه " مَطْل الحركات " ، أي : مَدُّها . قال : "وإذا فعلت العرب ذلك أنشأتَ عن الحركــة الحرفَ من جنسها . فتنشئ بعد الفتحة الألف ، وبعد الكسرة الياء ، وبعد الضمة الواو " ، وضربَ مثلاً لإشباع حركة الفتح حتى تصير ألفاً ، قول ابن هرمة :

فــأنتَ من الغوائــل حينَ تُرْمَى ومن ذَمّ الرجــالِ بمنتزاحِ

وقال : " أراد بمنتزَحِ " . كما ضرب لها مثلاً قول عنترة :

ينباعُ من ذفْرَى غضوبٍ جسْرَةٍ [1]

وبين أنّ شيخه أبا علي قال : " أراد ينْبَعُ ، فأشبع الفتحة ، فأنشأ عنها ألفاً " ، ومثّل لإشباع الكسرة ومطلها ما روي عن العرب من قولهم : صياريف ومطافيل وانشد لأبـــي النجم العجلي : منها المطافيلُ وغيرُ المُطْفِلِ . والأصل : صَيارِف ، ومَطافِل .

ومثّلَ لمطل الضمة بقولهم : أنْظُور ، بدلاً من انظُر ، كما في قول الشاعر :

وإنني حيثُ ما يَشري الهوى بصري من حيث ما سلكوا أدنوا فأنظُرْ

ومثله وقول آخر في بيت شرع له : قُرُنفُول ، بدلاً من قُرُنفُل [2].

ولابن جني جهود مثمرة في وصف الأصوات اللغوية ، من جهر وهمس ، وشــدّة ورخاوة ، وانطباق وانفتاح ، واستعلاء وانخفاض ، وقلقلة ، وذلاقة وإصمات . وقد ضمّن كتابه (سرّ صناعة الإعراب[3]) هذا الوصف . كما أشار إلى بعض تلــك الصفــات فــي (الخصائص ) ، إذ وصف حروف المد الطوال الثلاثة (الألف والواو واليــاء) بأنــها : " الحروف الثلاثة اللّيّنة المُصوّتة" ، وأنها " فيها امتداد ولين " ، مثل : قام ، وسير ، وكور ، ثم بيّن أن لها ثلاثة أماكن " يطول فيها صوتها ، وتتمكن مدّتها " ، وهي أن تقــع بعدهـــا

---

[1] - الخصائص ٣/ ١٢١-١٢٢ .

[2] - الخصائص ٣/ ١٢٣-١٢٤ .

[3] - ينظر ذلك في الدراسات اللهجية والصوتية ص ٣١٢ وما بعدها .

همزة ، أو حرف مشدّد ، أو يُوقف عليها . فالهمزة نحو كساء ورداء ، وخطيئة ورزيئة ومقروءة ومخبوءة . والتشديد مثل : شابّة ودابّة [1].

وهذا كما ترى يتصل من ناحية بعلم القرّاءات القرآنية وأصول التجويد، وهو ما يعرف بالمدّ المتصل واللازم ، وذلك حين تأتي همزة بعد حرف مد في كلمة واحدة [2].

٩ ــ مكي :

وازدهر في القرن الخامس علم القراءات ، ونبغ فيه قراء أندلسيون ، كان في مقدمتهم مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) وأبو عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) . وقد صنف كل منهما عدة مصنفات في هذا العلم . فكانت لهما فيها ملاحظ صوتية قيمة متنوعة ، وخاصة في وصف الأصوات اللغوية وبيان مخارجها وما يطرأ عليها من ظواهر لغوية وصرفيه كالقلب والادغام ونحوهما .

ففي (كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ) لمكي وصف للأصوات ، دعا إليه بيان علل القراءات وحججها ، أي الأسباب التي سوّغت قراءة من القراءات بصورة ، وسوّغت أخرى بصورة ، " فالسين حرف مهموس فيه تسفّل أي ليس بمستعل . والطاء حرف " مُطبَق مجهور مُستَعلٍ [3] " ، والهاء " حرف خفي ضعيف " [4]، وكأنه أراد أنه مهموس رخو ، إذ أنه يوصف بهذه الصفة ، وهو ما ذهب إليه سيبويه [5]، وأقره اللغويون المحدثون [6].

وفرّق بين المصطلحات المتعلقة تفرقة دقيقة ، كتفريقه بين الرَّوْم والإشمام . فبيّن أولاً أن العرب استعملتها في الوقف لتبيين الحركة ، كيف كانت في الوصل . ثم بيّن أن الرَوم أظهر للحركة من الاشمام ؛ " لأن الرَوم يسمع ويُرى ، والاشمام يُرى ولا يُسمع ثم فسّر ذلك بقوله : " فالروم : إتيانك في الوقف بحركة ضعيفة غير كاملة ، يسمع

---

[1] الخصائص ٣/ ١٢٤-١٢٦ .

[2] ينظر : عبد البديع السيد صقر : التجويد وعلوم القرآن ص ٣٥ و ٣٨

[3] مكي : الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ١/ ٣٤ .

[4] الكشف ١/ ٤٢ .

[5] الكتاب ٤/ ٤٣٤ .

[6] الأصوات اللغوية ص ٨٨ .

الأعمى ، والإشمام إتيانك بضم شفتيك لا غير من غير صوت . ولا يفهمه الأعمى بحسّه؛ لأنه لرأي العين [1] " وبيّن أن الإشمام في المتحرك يُسمع كما في (قِيل ) و (سِيئت) ، فهو كالروم . وهذا فيما يذكر تسمية واصطلاح على مذهب الكوفيين ؛ إذ أنهم يسمون الروم الذي يسمع إشماماً ، ويسمون الإشمام الذي لا يسمع روما . أو بعبارة أوضح : إنهم يسمّون ما يسمع إشماماً ، وما لا يُسمع روماً.

وتحدث بعد ذلك عن ظواهر صوتيه في القراءات القرآنية ، وعللها بتعليلات صوتية قائمة على ما استقر في علم القراءات. وذلك نحو الامالة [2] وأنواعها ، وإحكام الراء وعللها ، من تفخم وترقيق . وبين أن الأصل فيها التفخيم [3]، وكذلك ترقيق اللام وتغليظها ، وبيّن أن الأصل فيها الترقيق لكنها تُفَخَّم . وعلل ذلك بأنها مشاركة للراء في المخرج ، والراء حرف تفخيم. وأنها " تُفَخَم للتعظيم " ، كلام لفظ الجلالة : (الله) سبحانه، فهي مفخمة دائما، تقول : الله ربّي ؛ ولا إله إلا الله . ولا يزول عنها التفخيم حتى تأتي الكسرة ، فإذا زالت الكسرة رجعت اللام الى الأصل الذي هي عليه وهو التفخيم [4].

ولا نريد هنا أن نستقصي كل ما ورد في هذا الكتاب وغيره من هذا الحديث الصوتي ، إذ أن الحديث عنه لو أردنا استقصاءه يطوله .

- الداني :

وأما أبو عمر والداني معاصر مكي ، فله في كتابه ( المحكم في نقط المصاحف) ملاحظ صوتيه . ويلفتنا منها تقسيمه الأصوات اللغوية على قسمين :

أصوات مدّ ولين ، وأصوات (جامدة)[5] . فالجامدة عنده ، هي التي يسميها المحدثون : الصامته ، أو الساكنة ، على خلاف بينهم في التسمية كما سنرى. وأصوات المد واللين هي الألف والواو والياء .

---

[1] الكشف ١/ ١٢٢-١٢٣ . وقد بينا في حاشية ص ٣٥٤ حقيقة كل منهما .

[2] الكشف ١/ ١٩٩ وما بعدها .

[3] الكشف ٢٠٩-٢١٠ .

[4] الكشف ١/ ٢١٨-٢١٩ .

[5] الداني المحكم في نقط المصاحف ص ١٤٩ .

وفرق الداني بين استعمال هذه الثلاثة أصوات مدّ ، وبين استعمالها أصوات لين فقط . فبين أن حروف المد نحو قوله : " يراءون " ، و "بريئون" و " براءة " و " بريء " و " من سوء " . وأما أصوات اللين فنحو قوله : "سوءة أخي " و "سوءاتكم " و " كهيئة " و " استيئسوا " و "يستئلون " [1].

وهذا يعني أنّ الألف والواو والياء إذا سبقت بحركات تجانسها كانت حروف مد . وذلك إذا جاء ما قبل الألف مفتوحا ، وما قبل الواو مضموماً وما قبل الياء مكسوراً كما مثّل له في الطائفة الأولى .

كما يجعل الواو والياء حرفي لين ، إذا سبقت كلاً منهما حركة غير متجانسة لهما . كما في أمثلة الطائفة الثانية . وإنما لم تُعدّ الألف منها ، لأن ما قبلها يرد دائماً مفتوحاً ، ولذلك فهي حرف مدّ ولين بلا استثناء . على حين أن الواو والياء ، تكونان حرفي مد في مواضع ، وحرفي لين في أخرى ، على ما أوضحناه آنفا . والثلاثة الأولى هي التي يسميها المحدثون الصوائت الطويلة ، أما الثانية فيسمونها " أشباه أصوات اللين " [2] أو أشباه الصوائت " [3].

ويتابع الداني سيبويه ومن أخذ برأيه في أن الهمزة في أقصى الحلق ، وأن العين تقع في أول المخرج الذي يلي مخرجها إذا اتجهنا الى أمام الفم . ولذلك يذكر أن بينهما تناسبا في اكثر من شيء : " وهو اجتماعهما دون غيرهما من حروف الحلق في الجهر الذي هو الإعلان ، والشدة التي هي ارتفاع الصوت بالحرف ، وكون العين أول حرف من المخرج الثاني من الحلق ، كما أن الهمزة أول حرف من المخرج الأول وهو الذي يلي الثاني ويتصل به ، فلذلك خُصّت بالامتحان ، وانفردت بالدلالة على موضع استقرار الهمزة من الكلمة .

ولأجله أيضا جعل جميع النحويين والكتاب في الكُتب صورتها صورة عين ، عند بذلك ودلالة عليه " . والذي يؤخذ عليه هنا وصفه العين بالشدة، مع أنها صوت متوسط

[1] الداني : المحكم في نقط المصاحف ص ١٤٩ .
[2] الأصوات اللغوية ص ٤٢ .
[3] السعران : علم اللغة ص ١٩٧ .

وهكذا تلتقي الهمزة والعين – عند الداني – في اكثر من صورة : في الجهر والشدة ، وامتحان موضع الأولى بالثانية لدى القراء والنحاة ، كما يذكر في غير هذا النص[1] ، بل ويلتقيان كذلك في الرسم فقد رسمت العين : (عـ) بصورة الهمزة : (ء) . ولذلك فهي اختها في كل شيء عنده .

والذي يذهب إليه المحدثون أن الهمزة صوت شديد كما ذكر ، بل هي عندهم أشد الأصوات ، إلا أنهم يرونها صوتا غير مجهور ولا مهموس[2] . كما أنهم يرونها صوتا حنجرياً[3] ؛ لأن مخرجها هو المزمار نفسه[4] ، وليس الحلق ، بمفهومه الذي دلّ عليه التشريح الحديث ، إذ أن الحنجرة ليست من الحلق . فضلاً عن أن العين ليست من الأصوات الشديدة بل هي صوت متوسط كما أسلفنا .

وعند هذا نلتقي من هذه السياحة السريعة في جهود اللغويين القدامى في بحثهم في الأصوات اللغوية . بعد أن تبين لنا أي مجهود عظيم بذلوا ، وأية نتائج رائعة ومثمرة وصلوا إليها . كل ذلك وغيره وهم لا يمتلكون ما يمتلكه المحدثون اليوم من أجهزة صوتية متطورة ، وإنما كان جهازهم الوحيد الذوق والتجربة وطول المران وإرهاف الحس والسمع ، وما إليها مما يعد من باب الألمعية والذكاء الذي عرف به علماؤنا الأوائل يرحمهم الله . ولئن أخطأوا بشيء – في حساب علم الصوت الحديث ومعاييره وتجاربه – فإنهم بلا شك قد قدموا الشيء الكثير ، والكثير الذي لم يدركه الأوروبيون إلا في أيامهم هذه بعد نهضتهم في العصر الحديث . ولاشك أيضا أن جهودهم المتضافرة في المجال الصوتي ؛ تحتاج إلى مزيد من البحث والدرس والكشف عن تلك الأصالة التي امتازوا بها ، حتى إنها كما قدمنا في أول هذا المبحث ، بهرت أولئك الغربيين وخاصة المستشرقين منهم .

---

[1] - المحكم في نقط المصاحف ص ١٤٦ .

[2] - الأصوات اللغوية ص ٩٠ .

[3] - علم اللغة ص ١٧١ .

[4] - الأصوات اللغوية ص ٨٩ .

## المبحث الثاني:

# الأصوات حسب صفاتها

ينبغي ألا تقتصر دراسة الأصوات العربية على جانب واحد فحسب ، كصفاتها وحدها مثلاً ، أو مخارجها دون صفاتها ، وإنما ينبغي أن تشمل الدراسة كلا النوعين . ذلك أن كثيرا من الأصوات ــ كما سنرى ــ تشترك في المخرج ، الذي هو موضع النطق بها . وإنما تتمايز ويعرف بعضها من بعض بصفاتها ، كالجهر أو الهمس ، والشدة أو التوسط أو الرخاوة . مثال ذلك الباء العربية ( ب ) والباء الغربية ( P ) ، فإن مخرجهما واحد هو الشفتان ، ولكن تفترقان في أن الأولى مجهورة ، والثانية مهموسة .

فالأصوات العربية تختلف من حيث صفاتها من جهة ، ومن حيث مخارجها من جهة أخرى ، فحيث تكون مجموعة من الأصوات متفقة في صفة ما كالجهر أو الهمس ، أو الشدة أو الرخاوة ، أو الصفير أو الحفيف ... تكون أصوات أخرى متفقة في المخرج ، أي موضع النطق بالصوت ، كالشفوية ، والأسنانية ، والحلقية ، والحنجرية ... ومن هنا بات من اللازم لتحديد الصوت ومعرفته بدقة ، دراسته من هذين الجانبين معاً : الصفات والمخارج لأن أحدهما يتمم الآخر ويعضده وفي هذا يقول المستشرق برجستراسر : "لا يكفي لمعرفة الحرف وتمييزه تحديد المخرج وحده ، دون علامة ثانية هي صفة الحرف"[2].

وهذا ما سلكناه في دراستنا للأصوات العربية وأنواعها في هذا الفصل ؛ إذ تناولت فيه صفات الأصوات ومخارجها ، بما يوضحها الوضوح الكافي الذي يحدد كل صوت بدقة .

### ١ــ الأصوات الصامتة والصائتة :

تنقسم الأصوات العربية من حيث طبيعتها الصوتية على قسمين رئيسين: أصوات صامتة ، وأصوات صائتة . ويقوم هذا التقسيم على أسس واعتبارات سمعية ، وهي

---

١ ـ برجستراسر : التطور النحوي للغة العربية ص ١٣ .

٢ ـ التطور النحوي : المكان نفسه .

صوت قصير – تسمع بوضوح من مسافة هي أبعد كثيراً مما تسمع عندها الفاء، ومن هنا كان الأساس في التفرقة بين الأصوات الصامتة والصائتة " هو نسبة وضوح الصوت في السمع "[1].

ويقصد بالوضوح السمعي هنا: " صفة الصوت الطبيعية " الذاتية التي يتسم بها منفرداً، لا في سلسلة كلامية وسياق لفظي. فهذه الصفة تقابلها الصفة المكتسبة وهي تلك التي يكتسبها الصوت نتيجة عوامل متعددة كطوله – أي الزمن الذي يستغرق عادة عند النطق به Length – أو ارتكاز (نبره) " Stress " أي درجة الضغط عليه أو على المقطع، ونرجته Pich أي تنغيمه إذا كان مجهوراً[2] أي ارتفاع وانخفاض درجة الجهر في الكلام. الذي هو فيه عند النطق به، فمقدار وضوح الصوت يعتمد على طبيعته، أي صفته الذاتية عند النطق به. وتعد أصوات اللين (الصائته) أطول الأصوات[3].

فمن الإطالة المكتسبة إطالة النون مع حروف الإخفاء[4] عند تجويد القرآن الكريم. إذ تنطق النون إذا وليها أحد هذه الحروف[5] بشكل متوسط بين الإظهار والإدغام[6]. فيحدث نتيجة ذلك ما يعرف بالغنة فالغنة – كما تتضح من قراءة قراء القرآن المجيدين – هي مظهر هذه الإطالة[7]. فهذا الوضوح الذي تتسمت به النون هنا، إنما هو طارئ وخارج عن صفتها الطبيعية المعتادة. وهذه الإطالة التي حدثت لها يراد بها منعها من الفناء في الصوت الذي يليها[8]. أو بعبارة أخرى: يراد به منع إدغامها في الحرف الذي وليها، مع أنه من غير هذه الإطالة المكتسبة تطول الأصوات الصامتة[9].

---

1 – الأصوات اللغوية ص ٢٧.

2 – علم اللغة ص ١٦٣. والأصوات اللغوية ص ١٥٥.

3 – يقيس علماء الصوت ذلك بدقة. فالصوت صائت هو A يستغرق ٤٣,٠ من الثانية، على حين يستغرق الـ [illegible] في الإنجليزية ٠,٠٠ فقط. فالأول كما ترى أطول بكثير.

4 – حروف الإخفاء خمسة عشر، هي: (ص، ذ، ث، ك، ج، ش، ق، س، د، ط، ز، ف، ت، ض، ظ).

5 – [illegible]: التجويد وعلوم القرآن ص ٤٧.

6 – الأصوات اللغوية ص ١٥٦.

7 – المصدر نفسه: المكان نفسه.

8 – الأصوات اللغوية ص ١٥٤.

وتتفاوت نسبة استعمال الأصوات الصامتة في العربية ، فبعضها يستعمل أكثر من بعض . وقد أجرى الدكتور إبراهيم أنيس دراسة فيها ، مستعيناً بالمختصين في الرياضيات وعلم الإحصاء فوجد بعد قراءة عشرات من صفحات القرآن الكريم ــ كما يقول ــ أن نسبة الأصوات الصامتة في كل ١٠٠٠ صوت صامت هي [1] :

ل : ١٢٧ ، ن : ١١٢ ، هـ : ٥٦ ، ت : ٥٠ ، ب : ٤٣ ، ر : ٣٨ ، م : ١٢٤ ، الهمزة : ٧٢ ، و : ٥٢ ، ي : ٤٥ ، ل : ٤١ ، ف : ٣٨ ، ع : ٣٧ ، س : ٢٠ ، د : ١٨ ، ح : ١٥ ، ص : ٨ ، ض : ٦ ، ب : ٥ ، ز : ٤ ، ق : ٢٣ ، د : ٢٠ ، ج : ١٦ ، خ : ١٠ ، ش : ٧ ، غ : ٥ ، ط : ٤ ، ظ : ٣ .

## ب ــ الأصوات الصائتة [2] ، Vowels :

سميت بذلك لأنها أوضح في السمع ــ كما بيّنا ــ من الصامتة . وهي كثيرة في كل لغة ، وتمتاز بدقة النطق بها ؛ إذ أن أي انحراف في نطقها يجعلها نابية في الأذن . ولكثرة استعمالها جداً في اللغة دخل الخطأ فيها . ولهذا لم تنل الأصوات الصامتة عناية من لدى المحدثين من اللغويين كتلك التي نالتها الأصوات الصائتة ، من حيث وضع أقيسة[3] عامة لها ودراستها دراسة دقيقة وافية .

وتشترك الصوائت جميعاً في عدة صفات ، منها : أنها مجهورة ، وأن مجرى الهواء معها لا تعترضه حوائل في مروره إلى خارج الفم ، بل يندفع في الحلق والفم حراً طليقاً[4] وهو ما فطن إليه اللغويون العرب [5].

ويقسم اللغويون ــ عادة ــ الأصوات الصائتة على قسمين :

---

[1] - الأصوات اللغوي نقلاً عن الانطاكي : **الوجيز في فقه اللغة** ص ٢٢٠ .

[2] - يسميها بعض الباحثين باسمها القديم في التراث اللغوي : أصوات اللين ، مثل الدكتور إبراهيم أنيس في **الأصوات اللغوية** ص ٢٦ . وسماها محمد الانطاكي : ( الطليقة ) ، وهي تسمية قائمة فيما يبدو على ... تعترض مجرى الهواء عند النطق بها شيء ، كما المعنا في أعلاه . وهذه تسمية لا تخلو من طرافة ... **الوجيز في فقه اللغة** ص ١٥٩ . والأولى التي اخترناها هي الأشهر .

[3] **الأصوات اللغوية** ص ٢٩ ٣٠ .

[4] - **الأصوات اللغوية** ص ٣٦ .

[5] المطلبي **دراسة في الأصوات** ص ٣٠٨ .

١- صائتة قصيرة ، **Short Vowels** : وهي الفتحة **a** ، والكسرة **I** ، والضمة **U**.

٢- صائتة طويلة **Long Vowels** ، وهي : الألف **aa** ، والياء **ii** ، والواو **uu** ، في مثل : قال ، وقيل ، وسُوق .

والفرق بين النوعين يقوم على الزمن الذي يستغرقه كل منهما عند النطق به . فالفتحة مثلاً إذا مُدّت صارت ألفاً ، وهو الذي سماه ابن جني :

" مطل الحركات " أي : إطالتها ، على ما بيّناه في كلام سابق . "والفرق عادة بين الفتحة الطويلة والقصيرة – أي الألف والفتحة – هو أن الزمن الذي تستغرقه الأولى ضعف ذلك الذي تستغرقه الثانية " [١].

فالفرق بين الصوائت القصيرة والطويلة ، إنما هو فرق في الكمية الصوتية لا في النوعية . وعلى هذا ، فإن ما يسمى بالألف إنما هي فتحة طويلة ، وكذلك الحال بياء المد وواو المدّ ؛ إذ هما على الترتيب : كسرة طويلة ، وضمة طويلة . فهذا ما يراه بعض القدامى ، ويراه المحدثون . وهناك من يذهب من القدامى إلى العكس ، فيرى أن الصائت الطويل هو الأصل ، على نحو ما كان يراه مكي بن أبي طالب [٢] ، وفخر الدين الرازي ومن تابعه ممن جاء من بعده [٣].

على أن بعض هذه الأصوات القصيرة يختلف في درجته وعلوه من سياق إلى آخر . فقد " أشار اللغويون العرب إلى أن صوت الفتحة يكون مفخماً مع الصوامت المفخمة ، ومرققاً مع الصوامت المرققة " [٤].

ويلاحظ بعض الباحثين المحدثين أن الاختلاف بين الصائت القصير والطويل ليس في الكمية الصوتية فحسب ، بل وفي الكيفية أيضاً ، إذ يختلف موقع اللسان مع أحد هذين الصوتين اختلافاً قليلاً عن موقع الصوت الآخر ، يصحبه انفتاح في ... الشفتين ، عند النطق بالفتحة ، ثم الألف [٥].

١ الأصوات اللغوية ص ١٥٥ .
٢ الكشف ١/ ١٠٢
٣ ينظر : في الأصوات اللغوية ص ١٠٠ وما بعدها .
٤ المصدر نفسه ص ٢١٨ .
٥ المصدر نفسه ص ٢٢٠-٢٢١ .

وللصوائت تأثير كبير في الألفاظ من الناحية الصرفية والدلالية ، فالصوائت القصيرة مثلاً تجعل (فعل) مختلفة من الفعلية إلى الوصفية وإلى الاسمية ، وذلك إذا قيل : فَعل ، وفَعِلٌ ، وفعْل . كما أنها تغير دلالة اللفظية في كثير من الأحيان إلى صورتين بل ثلاث ، وذلك فيما يصح أن يطلق عليه لسم (المثنّيات) و (المثلّثات)[1] ، إذ تتغير فاء الكلمة بصورتين أو ثلاث فيتغير معناها تبعاً لذلك . كما في (الحـزن) و (الحُزن) ، فالأول ما ارتفع من الأرض ، والثاني : الذي هو نقيض السرور .

وكما في (البَرّ) و (البِرّ) و(البُرّ) ، فالأول يعني ما يقابل البحر ، والثاني : الإحسان ، والثالث : الحنطة .

وتعمل الصوائت الطويلة مثل ذلك ، فتغير في الصيغة الصرفية في مثل: فَعَلَ ، وفاعِل ، ومفعول ، وفعيل . فدخول هذه الصوائت الثلاثة ما بين فاء (فَعَل) وعينها ، أحدث تغييراً صرفياً ، أو كما يسميه طائفة من المعاصرين : (مورفولوجيا) ، فدخول الألف ، أدى إلى حدوث صيغة اسم الفاعل ، وهو القائم بالفعل . ودخول الواو والياء أدى إلى حدوث صيغتي مبالغة لاسم الفاعل . ومن هنا كان لهذه الصوائت الطويلة والقصيرة ميزة كبرى في ثراء العربية ، وتكثير الصيغ بأقل اللفظ ، كما لاحظ ذلك قدامى ومعاصرون .

وكان اللغويون العرب يرون الصوائت القصيرة – الحركات – متباينة من حيث الخفة . فأخفها عندهم الفتحة ، وتليها الكسرة ، ثم الضمة[2]. ومن هنا كان كثير من قبائل العرب المتحضرة تميل إلى الفتح ، وقد انتقل بعضهم من الإمالة إلى الفتح ، اقتصاداً في الجهد العضلي ، وطلباً للسهولة التي يلجأ إليها الإنسان في معظم مظاهر الحياة الاجتماعية[3].

---

[1] - وقد ألف في ( **المثلثات** ) محمد بن المستنير الملقب بقطرب ( ت ٢٠٦ هـ ) [illegible] اختلف معناه ، وتلاه كثيرون . ومنهم ابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١ هـ) [illegible] باختلف وكلاهما مطبوع .

[2] - الخصائص ٢/ ١٧٧ .

والأصل في الكلام عدم الإمالة[1] ، وهو الذي يطلق عليه في اصطلاح علم القراءات : الفتح[2] ، كما يطلق عليه : التفخيم[3] . والإمالة نوعان إمالة الألف ، نحو الياء وذلك حين يكون أصل تلك الألف ياء أو تصير الى ياء، وإمالة الفتحة نحو الكسرة، كإمالتها إذا وليها حرف من حروف الحلق الستة . فالأول : مثل إمالة هدى ، وغزا . والثاني مثل : نأى ، وسعى . ونهى ... وقد مرّ علينا بيان ذلك بشيء من التفصيل عند الكلام على الإمالة في المبحث الأول من فصل (اللهجات العربية)[4] .

وتعد الفتحة من الأصوات المتّسعة **Low Vowels** ، إلا إذا أميلت إمالة شديدة . أما الضمة والكسرة . فهما من أصوات اللين الضيقة**Close Vowels**.

ويطلق على المتّسعة أيضاً اسم : المنفتحة [5] ، وهو ترجمة لعبارة **Open Vowels**. ولهذا التقسيم علاقة بما يعرض لهذه الأصوات من ظواهر لغوية؛ إذ يلحظ غالباً أن ما يجري على الضمة يجري أيضاً على الكسرة ؛ ذلك أن كلاً منهما في اصطلاح اللغويين المحدثين : صوت لين ضيّق بخلاف الفتحة التي هي قسم مستقل له ظواهره الخاصة[6] . وقد بني هذا التقسيم على درجة رفع اللسان [7] .

فاللسان في أثناء نطق الفتحة " يكاد يكون مستوياً في قاع الفم مع ارتفاع خفيف في وسطه " [8]، ولذلك وصف بأنه صوت مدّ متسع . على حين يرتفع مقدم اللسان نحو الحنك الأعلى حتى يبلغ أقصى ما يمكن الوصول إليه دون أن يمس الحنك أو يصل إلى ارتفاع يجعل الهواء المار يحدث احتكاكاً ، عند النطق بالكسرة . ويرتفع أقصى اللسان نحو أقصى الحنك ، عند النطق بالضمة [9] . وهذا ما أسبغ على هذين الصوتين اسم ، صوت

---

[1] - مكي : **الكشف** ١/ ١٦٨ . والطوسي : **التبيان** ٥/ ٣٥٢ .

[2] - الزجاج : **معاني القرآن** ١/ ٩٣ ، **والكشف** ١/ ١٦٨ .

[3] - **معاني القرآن** ١/ ٣١٦ ، **والسبعة لابن مجاهد** ص ١٤٩ .

[4] - ص ٢٨٣ ـــ ٣٣٣ من الكتاب .

[5] - السعران : **علم اللغة** ص ٢٠١-٢٠٢ .

[6] - **الأصوات اللغوية** ص ٤١-٤٢ .

[7] - **علم اللغة** ص ٢٠٢ .

[8] - غالب المطلبي : **في الأصوات اللغوية** ص ٢١٨ .

[9] - الأنطاكي : **الوجيز في فقه اللغة** ص ٢٢٩-٢٣٠ .

ضيق ، وذلك لأن مجرى الهواء يضيق نوعاً ما عند النطق بها نتيجة ارتفاع مقدّمه أو أقصاه إلى الحنك الأعلى ، كما بيّنا .

وبناء على الجزء المرتفع من اللسان ، أطلق على الكسرة " صوت ضيق أمامي " " Front close Vowel " ، كما أطلق على الضمة : " صوت ضيق خلفي " " Back close Vowel " .

فالصوائت البسيطة **Monophthongs** : هي تلك تبقى أعضاء النطق عند تكوينها ثابتة في مواضعها الخاصة بها ، مدة من الزمن لا تتغير ، كالصوائت القصيرة الفتحة والكسرة والضمة .

أما الصوائت المركبة **Diphthongs** : فهي التي تحدث بارتباط صوتين صائتين ، ينطقان مقطعاً واحداً لا مقطعين . ويصفه اللغويون المحدثون بأنه " صوت انزلاقي " " Gliding Sound " ، أي أنه صائت يتضمن انزلاقاً مقصوداً ، إذ تنتقل أعضاء النطق مباشرة من موضع صائت إلى موضع صائت آخر[1] .

ويميز الصائت المركب من البسيط ، بأنّ المركب يتكون من مقطع Syllable واحد ، أي بأن يتم الانتقال والانزلاق من الصائت الأول إلى الصائت الثاني دفعة واحدة ونفس واحد[2].

ولوحظ أيضاً أن أحد طرفي الصائت المركب يكون أكثر وضوحاً وجهارة عنه من الطرف الآخر . ولذلك قسمه اللغويون المحدثون على قسمين :

**صائت مركب صاعد : Rising** ، وهو الذي يكون طرفه الثاني أوضح وأشد جهارة من الأول[3] ، وذلك حين يكون الصائت تاليا لا متلواً ، كما في (يُسْر) و (مِعْوَز) ، إذ جاءت الضمة في الكلمة الأولى بعد الياء ، والكسرة في الكلمة الثانية بعد الواو ، والصائت أوضح من شبه الصائت بدون شك .

---

[1] - السعران : علم اللغة ص ٢٠٣ ، وأحمد مختار : دراسة الصوت اللغوي ص ١١٦ ، ١١٧
[2] - المصدر نفسه : المكان نفسه .
[3] - علم اللغة ص ٢٠٤ ، ودراسة الصوت اللغوي ص ١١٨ . والأصوات اللغوية ص ١٦١

وليست الياء في الكلمة الأولى صائتاً ، بل هي شبه صائت ، وذلك لأنها لم تسبق بمد مجانس لها وهو الكسرة ، وكذا الحال في الكلمة الثانية ، إذ أن الواو شبه صائت ، والكسرة صائت قصير مثل الضمة تماماً . وشبيه بهذا في الإنجليزية Wa , Ya.

**صائت مركب هابط : Falling** ، وهو الذي يكون طرفه الأول أوضح وأشد من الطرف الثاني[1] . وذلك حين يكون الصائت سابقاً لشبه الصائت في المقطع ، كما في (بَيْت) و (حَوض)[2] وذلك أن الفتحة في الكلمتين سبقت الياء والواو الساكنتين . والفتحة صائت ، فهي أوضح في السمع من الياء والواو ، اللذين هما شبها صائت . وذلك لعدم سبقهما بصائت قصير ملائم لهما ، ومثله في الإنجليزية aw , ay , au .

والصوائت جميعاً مجهورة ، أما الصوامت فمنها ما هو مجهور ومنها ما هو مهموس ، كما سنرى

## ٣-الأصوات المجهورة والمهموسة :

وتنقسم الأصوات اللغوية من حيث تذبذب الوترين الصوتيين وعدم تذبذبهما عند النطق بالصوت وحدوثه على قسمين : أصوات مجهورة وأصوات مهموسة . وهناك صوت واحد لا مهموس ولا مجهور وهو الهمزة.

أ- **فالأصوات المجهورة** : هي تلك الأصوات التي تتقبض ـ عند النطق بها ـ فتحة المزمار ، فيقترب الوتران الصوتيان أحدهما من الآخر، إلا أنهما يسمحان مع ذلك بمرور الهواء المنبعث من الرئة مع النَفَس ، لأن يمر خلالهما ، فاتحاً وغالقاً إياهما بانتظام وبسرعة فائقة ، فيحدثان نغمة موسيقية ، تختلف من حيث الدرجة وذلك باختلاف عدد الحركات الإيقاعية الناتجة عن هذا الاهتزاز والتذبذب ، وباختلاف سعة هذه الاهتزازات ، أي: سعة كل اهتزازة منها . وهذا ما يطلق عليه اللغويون القدماء والمحدثون اسم " الجهر " " Voice " ، وعلى الأصوات التي تتصف به اسم الأصوات

---

[1] - علم اللغة ص ٢٠٤ ، ودراسة الصوت اللغوي ص ١١٨ . والأصوات اللغوية ص ١٦١ .

[2] - الأصوات اللغوية ص ١٦١ . والمطلبي : في الأصوات ص ٤٤ .

المجهورة " " Voiced Sounds " . وهذه هي التسمية المشهورة المستعملة[1] فالصوت المجهور إذا ، هو ذلك الصوت اللغوي الذي يهتز الوتران الصوتيان عند النطق[2] به .

والأصوات المجهورة عند اللغويين العرب القدامى ، هي جميع الأصوات اللغوية عدا الأصوات العشرة التي جمَعوها بعبارة " فحثه شخص سكت " .

أما المحدثون من اللغويين فيرون المجهورة في ضوء تجاربهم المختبرية أقل مما عند القدامى بصوتين . وهما القاف والطاء . فيمكن جمع المهموسة على هذا الأساس في هذه العبارة : " حثة شخص سكت فقط " . وبذلك تكون الأصوات المجهورة عند المحدثين ستة عشر صوتاً هي : أ ، ب ، ج ، د ، ذ ، ر ، ز ، ض ، ظ ، ع ، غ ، ل ، م ، ن ، ي ، و . يضاف إليها الصوائت القصار : الفتحة والكسرة والضمة ، إذ هي مجهورة أيضاً ، شأنها في ذلك شأن الألف والياء والواو ن التي هي أبعاض من تلك الأصوات . على ما بيناه سالفاً .

والقاف التي وصفها اللغويون العرب كانت مجهورة لديهم[3] لا مهموسة. أما المحدثون فيرونها مهموسة في نطقها الحالي في الفصحى . وهو النطق الذي نسمعه من قراء القرآن المجيدين . وطريقة الجهر بها نطقها قافاً ثقيلة ما بين القاف والكاف ، (G)، وكذلك الطاء ، فهي عند القدامى مجهورة ، أي تنطق كما تنطق الدال ، وهي اليوم مهموسة[4] . وذهب المستشرق برجشتراسر إلى أن النطق القديم للطاء ، أي الجهر بها ، قد انمحى . ولكن المستشرق شاده يذهب إلى أن هذا النطق يسمع بوضوح في بعض جهات اليمن[5] .

ووصفنا الصوت بالجهر أو الهمس ، لا يعني أن صفة أخرى لا تجتمع فيه ، بل قد تجتمع فيه صفتان أو أكثر . فالباء مثلاً صوت شديد ، أو كما يسميه المحدثون :

---

1 - ويسمي المستشرق برجشتراسر المجهورة : " صوتية " ، والمهموسة : " غير صوتية " ينظر كتابه . التطور النحوي ص ١٣ ، ١٤ . وهي تسمية اوحظ فيها الاصطلاح الإنجليزي ، دون التسمية العربية له

2 - الأصوات اللغوية ص ٢٠ ، وعلم اللغة للسعران ص ٩٢ ٩٣ .

3 - ينظر : الكتاب ٤/ ٤٣٤ .

4 - السعران : علم اللغة ص ١٧٤ .

5 - التطور النحوي ص ١٦ .

انفجاري ، يتكون عند التقاء الشفتين ثم انفتاحهما فجأة ، فيسمع عند ذلك دويّ وانفجار . فهذا صوت ، وهناك صوت آخر خارج من الحنجرة ، أو على وجه التحديد : من فتحة المزمار ، بسبب اهتزاز الوترين الصوتيين ... وهذا هو الجهر[1] .

ويمكن تمييز الصوت المجهور من المهموس ومعرفته بالطرق الآتية :

١. أن نضع أصبعنا فوق الجزء الأمامي من الحنجرة المسمى " تفاحة آدم " ، ثم ننطق بصوت من الأصوات من دون أن نشركه بصوت آخر، مثل : (ج) . وينبغي ألا نأتي قبله بهمزة الوصل لاختباره ( اجْ ) كما كان يفعل القدامى جرياً منهم على أسلوب الخليل الذي أورده في معجمه ( العين[2] ) ؛ إذ أن الصوت الذي ننطق به على طريقتهم سيكون مزدوجاً من صوتين وليس صوتاً واحدا . فإذا نطقنا بصوت الجيم مستقلاً على النحو الصحيح ظهر مجهوراً . وذلك بأن تشعر باهتزاز الوترين الصوتيين شعوراً واضحاً ، بعد أن وضعنا إصبعنا على الحنجرة ، كما بيّنا آنفاً .

٢. وأيسر منها أن نضع أصابعنا في آذاننا ، ثم ننطق بنفس الصوت وحده مستقلاً ، فسنسمع عندئذ رنّة الصوت في رؤوسنا ، أي نسمع النغمة المتولدة من تذبذب الوترين الصوتيين . فلو اختبرنا الباء ، لوجدنا لها رنة لا نجدها مع الفاء ، ألا وهي رنة الجهر .

٣. وهناك طريقة أخرى يسيرة ، وهي وضع اليد فوق الجبهة عند النطق بالصوت ؛ فسنحسّ برنين الصوت ، والذي هو في الواقع صدى ذبذبة الوترين الصوتيين ، أو قل : إنه وليد الجهر الذي أتسم به صوت الجيم أو الباء[3] .

### ب ـ الأصوات المهموسة

وهي تلك الأصوات التي ينفرج معها الوتران الصوتيان مفسحين مجالاً للهواء بأن يمر خلالهما ، دون أي اعتراض قد ينتج عن انسدادهما ، أو تضييقهما . أي إن فتحة المزمار تتسع فيمر الهواء الخارج من الرئة من غير أن يحول دونه حائل أو يعترضه شيء . وبذلك لا يهتز الوتران الصوتيان مع هذه الأصوات ، ولا يسمع لهما ذلك الرنين

[1] التطور النحوي ص ١٣ .
[2] ١/ ٤٧ من مقدمة الخليل .
[3] ينظر في طرق الاختبار هذه : برجشتراسر : التطور النحوي ص ١٣ . والأصوات اللغوية ص ٢٠ .

الذي يسمع عند النطق بالأصوات المجهورة . وهذا ما يعبر عنه في اصطلاح علم الصوت بالهمس: " Voiceless " كما يعبر عن هذه الأصوات بـ : " Voiceless Sounds " .

ولكن هذا لا يعني عدم حدوث أية ذبذبة مطلقاً ، إذ لو لم تحدث هذه الذبذبة لما سمع الصوت اللغوي ، فالهواء حينما يندفع من الحلق إلى الفم بعد اجتيازه الوترين الصوتيين ، يحدث ذبذبات يحملها الهواء الخارجي إلى حاسة السمع ، فيدركها الإنسان نتيجة ذلك . وإنما تحدث هذه الذبذبة في غير الوترين الصوتيين . فالهمس يعني : صمت الوترين الصوتيين عن التنغيم وعن الموسيقية ؛ بسبب عدم اهتزازهما وذبذبتهما .

ومن هنا تختلف الأصوات المجهورة عن المهموسة من ناحية درجة الصوت المنبعث منهما . فالأصوات المجهورة أكثر وضوحاً في السمع بسبب ذلك التنغيم الذي أحدثه الوتران الصوتيان . وقد مرّ علينا في كلامنا على اللهجات العربية أن بعض القبائل كانت تبدل أصواتا مجهورة بأخرى مهموسة . أي إنها تأتي في كلامها بالصوت المجهور بدل المهموس . وذلك كقول بعضهم : زَقْر بدلاً من صقْر . وذلك لأن الزاي مجهورة . والسين والصاد مهموستان . وهذا ما تميل إليه طائفة من القبائل البدوية . لأنه أوضح في السمع – كما قدمنا – وأظهر . وقد قالوا كذلك : فُزد له بدلا من : فُصد له .

والأصوات المهموسة لدى القدامى عشرة ، وعند المحدثين – كما أشرنا – اثنا عشر ، بإضافة القاف والطاء ، وهي : ت، ث ، ح، خ ، س ، ش ، ص ، ط ، ف ، ق ، ك ، هـ . ويمكن جمعها بعبارة " حثّه شخص سكت فقط " . ومع أن عدد المجهورات في العربية يفوق عدد المهموسات ، إلا أن العبرة ليست بالعدد ، وإنما بنسبة شيوع كل من النوعين في الكلام [1]. فالكثرة الغالبة من الأصوات اللغوية في اللغات كلها مجهورة . وهذا أمر طبيعي ، إذ لو لا ذلك لفقدت اللغة أهم عنصر فيها وهو تنغيمها وموسيقتها ورنينها الخاص الذي يميز به الكلام من الصمت ، وتعرف به الفروق الصوتية من الجهر أو الهمس .

والحنجرة هي الآلة الموسيقية الأساس ، والوتران الصوتيان – أو كما يسميان خطأ – : الحبال الصوتية ، إنما هما الوتران الموسيقيان اللذان يحدثان هذا التنغيم

[1] - الأصوات اللغوية ص ٢١ .

والرنين. وما بقية أعضاء الجهاز الصوتي إلا أدوات لتنغيم الصوت الناتج عنهما، أو إحداث غُنّة فيه، أو نحو ذلك. وقد دل الاستقراء على أن نسبة شيوع الأصوات المهموسة لا تزيد على ربع الأصوات اللغوية بعامة. فالمجهورة على هذا الأساس تبلغ ثلاثة أمثال المهموسة بل قد تزيد[1].

وليس نطق الإنسان بهذه الأصوات المجهورة والمهموسة قد حدث اعتباطا، ودون روية منه أو انتقاء. وإنما حدث ذلك منه متصلاً بالمعاني التي تدور في ذهنه. إذ تكونت من تلك الأصوات كلمات، ومن الكلمات عبارات وجمل، معبرة عن فكره ومقاصده المتباينة. وكان اختياره لطائفة من هذه الأصوات في كلامه ذا وشيجة بالأصوات التي في الطبيعة، وقد مرّ علينا بيان ذلك بالتفصيل عند الكلام على نشأة اللغة ونظرياتها، وعند الكلام على خصيصة (الموسيقى وعلاقتها بالمعنى) عند الكلام على خصائص العربية. وهو الذي سماه علماء العربية (المناسبة الطبيعية)، وسماه المحدثون من الغربيين: (الأنوماتوبويا).

ولعدد من الأصوات المجهورة في العربية نظائر مهموسة، فالدال والذال والزاي والضاد والعين والغين، نظائرها على الترتيب: التاء والثاء والسين والطاء والحاء والخاء.

وهناك أصوات مجهورة لا مهموس لها في الفصيح، وهي الباء والجيم والراء والظاء واللام. وتعد الباء الغربية (p) النظير المهموس للباء العربية.

وهناك أصوات مهموسة لا مجهور لها، وهي: الشين والصاد والفاء والقاف والكاف والهاء[2].

وهناك صوت واحد ليس بمجهور ولا مهموس في نظر المحدثين، وهو الهمزة، وذلك لأن الوترين الصوتيين لا ينفرجان تماماً فيكون همس، ولا يتضامان ويتقاربان فيكون جهر، بل ينطبقان انطباقاً كاملاً بحيث ينحبس الهواء تماماً نتيجة لانغلاق فتحة المزمار

[1] الأصوات اللغوية ص ٢١

[2] الأصوات اللغوية ص ٢٠، وعلم اللغة ص ٩٠، وأحمد مختار عمر: دلالة الصوت اللغوي ص ٢٧٧.

أما اللغويون القدامى ، فيعدون الهمزة صوتاً مجهوراً [1] . وهو ناتج عن أنهم لم يمتلكوا تلك الأجهزة الحديثة التي استعملها المحدثون في معرفة صفة هذا الصوت ، ولذلك وقعوا في وهم . وليس هو بكثير إزاء دقتهم في وصف الأصوات وتعيين مخارجها ، اعتماداً على إرهاف سمعهم وبراعتهم في تميز الأصوات بعضها من بعض، بما أثار دهشة الغربيين المعاصرين وإعجابهم الشديد بهذه العبقرية .

## ٢-الأصوات الشديدة والرخْوة والمتوسطة :

وتنقسم الأصوات من حيث شدتها على ثلاثة أقسام :

أ- **أصوات شديدة (انفجارية) " Plosive Sounds "** وهي تلك الأصوات التي ينحبس معها الهواء المنبعث من الرئة لحظة ، وذلك لالتقاء عضوين من أعضاء الجهاز الصوتي التقاء محكماً ، كالتقاء الشفتين عند النطق بالباء ، أو التقاء اللسان بأصول الثنايا عند النطق بالدال أو التاء ، أو التقاء أقصى اللسان بالحنك عند النطق بالكاف أو القاف التقيلة، وما إلى ذلك. فإذا انفصل العضوان بعد هذا الالتقاء المحكم التام ، اندفع الهواء المحبوس فجأة ، محدثاً ذلك الصوت الانفجاري الذي يسميه علماء العربية القدامى " شديداً " . ويسميه المحدثون " انفجارياً " [2] " Plosive " . وهذا معنى قول سيبويه [3] في تعريف الصوت الشديد : " **هو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه** " ، وذلك لانضغاط الهواء وانحباسه عند الموضع الذي يلتقي فيه العضوان ، على ما بيّناه آنفاً .

والأصوات الشديدة — لدى العلماء العربية القدامى — ثمانية ، هي: الهمزة ، والباء والتاء والجيم والدال والطاء والقاف والكاف . وهو تحديد سيبويه [4] لها .

وتعد الهمزة أشد الأصوات في العربية ، ولذلك مالت اللهجات العربية في العصور الإسلامية إلى التخلص منها [5] .

---

[1] - الكتاب ٤/ ٤٣٤ . والداني : المحكم في نقط المصاحف ص ١٤٦

[2] - وسماه برجشتراسر " انيا " ينظر : التطور النحوي ص ١٤

[3] - الكتاب ٤/ ٤٣٤ .

[4] - الكتاب ٤/ ٤٣٤ .

[5] - الأصوات اللغوية ص ٩٠ .

أما المحدثون ، فيعدون الجيم الفصيحة ، التي يسمونها عادة : (المعطشة) ، يعدونها صوتاً ليست خالصة الشدة ، بل مشوبة بشيء من الحفيف ، يقلل من شدتها [1]. ويعدون الجيم القاهرية صوتاً شديداً ، وهي التي بين القاف والكاف ، والتي تناظر الصوت ( g ) في الإنجليزية ، والتي يطلق عليها أيضاً : القاف الثقيلة . كما أنهم يضيفون إلى الأصوات الشديدة صوت الضاد[2] ، الذي عده القدامى صوتاً رخواً [3].

ولاحظ المحدثون أنه في حالة " الانفجارية المهموسة " ، أي عندما يكون الصوت الشديد مهموساً كالتاء مثلاً ، لا يُسمَع شيء ألبَتَّةَ في اللحظة التي يوقف فيها المجرى الهوائي ، أي قبيل حدوث الانفجار الصوتي . أما في حالة " الانفجارية المجهورة " . كما هي الحال في النطق بالدال مثلاً ، فإنه يُسمَع شيء من الجهر متمثلاً بذبذبة الوترين الصوتيين ، يختلف مقداره باختلاف الأحوال أثناء وقف المجرى الهوائي [4].

وقد يسأل سائل : إذا كانت الأصوات الانفجارية كلها تشترك في توقف الهواء الخارج من الرئتين توقفاً تاماً لمدة قصيرة من الزمن ، ثم انطلاقه محدثاً صوتاً انفجارياً ، فما الذي يميز صوتاً لغوياً من آخر ؟ ما الذي يميز الباء مثلاً من الكاف ؟ أو بعبارة أخرى : ما الذي يحدد " طبيعة " الصوت الانفجاري ؟

والجواب : إن طبيعة الصوت الانفجاري تختلف حسب عدة أمور :

أحدهما : الموضع الذي يوقف فيه الهواء ، فالهواء يقف عند الشفتين في حالة النطق بالباء مثلاً ، ويوقف عند أقصى الحنك عند النطق بالكاف...

والآخر : إن اللغويين العرب ، وخاصة علماء القراءات منهم ، وضعوا الأصوات الانفجارية المجهورة في طبقة واحدة سموها " حروف القلقلة "[5] ، وهي خمسة أصوات ، جمعوها في عبارة " قُطْبُ جَدٍ " . ولاحظوا أن هذه الصوامت الانفجارية يتبعها عند النطق بها وهي ساكنة صائت قصير جداً ملائم لحركة ما بعده ، أشبه ما يكون بحركة

---

[1] - الأصوات اللغوية ص ٢٤ .
[2] - الأصوات اللغوية ص ٢٣ ، وعلم اللغة ص ١٦٩ .
[3] - ينظر الكتاب ٤/ ٤٣٥ .
[4] - علم اللغة ص ١٧١ .
[5] - الكتاب ٤/ ١٧٤ .

الفتحة والكسرة والضمة[1] ، وذلك كما في قوله تعالى : { يَبْغُونكم } ، { فاجْتَنِبوا الرِّجْس} ، { اعْتَدْنا}، { أفتطْمَعون } ، إذ تحرك هذه الأصوات الساكنة ، وهي الباء والجيم والدال والطاء ، في هذه الكلمات والعبارات ، بحركة خفيفة ملائمة لحركة ما بعدها. وهذا معروف في قواعد تجويد القرآن الكريم[2] . وقد سماه سيبويه : "صُوَيتاً " ، وبيّن أنه يخرج مع هذه الأصوات عند الوقف عليها لشدتها [3].

وسبب ذلك ، كما قرره النحاة واللغويون العرب ولاحظوه ، أن النفس ممنوع أن يجري مع هذه الأصوات عند إسكانها . ونتيجة لهذا الجهد تبعها صُوَيت أو نبره . ومن هنا تنتقل هذه الأصوات من السكون إلى شبه الحركة. وهذا الصوت واضح لمن أنصت لقراء القرآن الكريم . فهذه الأصوات تُقَلْقَل إذاً حين تكون في حشو الكلمة أو في نهايتها.

ولاحظ النحاة واللغويون القدامى أن هذا الصويت الإضافي تختلف درجته باختلاف المتكلمين ؛ إذ روي أن من العرب من يخرجه أشدّ عنفاً من غيرهم[4] . وقد علل ابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) تسميتها بحروف القلقة ، بأنك لا تستطيع أن تقف عليها إلا بصوت ، وذلك بسبب شدة الحصر والضغط في نطقها ، كما في " الحَقْ " و " واذهَبْ " و " اخلطْ " و " اخرجْ ".

وهناك تفسيرات أخرى لتسميتها بهذا الإسم ، منها أنها من قَلْقَلَهُ ، بمعنى : حَرّكَهُ[5] .

## ب ـ أصوات رخوة ( احتكاكية ) " Fricative Sounds "

وهي تلك الأصوات التي لا ينحبس الهواء عند النطق بها انحباسا كاملاً محكماً ، وإنما يكون مجراه ضيقاً جداً ، بحيث يترتب على هذا الضيق صدور نوع من الصفير أو الحفيف بسبب مرور الهواء بمخرج الصوت . وتختلف نسبة هذا الحفيف باختلاف

[1] الكتاب ٤/ ١٧٤ .

[2] علم اللغة ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

[3] عبد الفتاح [illegible] : التجويد وعلوم القرآن ص ١٢

[4] الكتاب ٤/ ١٧٤ ، وينظر : علم اللغة للسعران ص ١٧٥ .

[5] علم اللغة ص ١٧٧ .

ضيق هذا المجرى . فمثلاً عند اتصال أول اللسان بأصول الثنايا ، يكون هنـاك فـراغ صغير جداً ، إلا أنه كاف لمرور الهواء ، فنسمع ذلك الصفير الذي نعبّر عنه بالسين أو الزاي ، وعند اتصال طرف اللسان بأطراف الثنايا يكون هناك منفذ ضيّـق ينفـذ منـه الهواء، فيسمع عند ذاك حفيف قوي نوعاً ما هو " الذال " . فكل صوت لـه مثـل هـذه الصفة من الصفير أو الحفيف ، فهو مما اصطلح اللغويون العرب القدامى على تسـمية الصوت " الرخو " وسماه المحدثون : " الصوت الاحتكاكي " [1] .

وتتناسب رخاوة الصوت طردياً مع نسبة الصفير والحفيف فيه . ومن هنـا فـإن اكثر الأصوات رخاوة هي تلك الأصوات التي سماها القدامى "أصوات الصفير" وهـي عندهم ثلاثة : السين والزاي والصاد . ويتحقق هذا الصفير بضيق الفراغ بين العضوين الملتقيين . فإذا اتسع الفراغ قلّت نسبة الصفير. وعندئذٍ يمكن تسميته حفيفاً . فالحفيف إذاً أقل درجة من الصفير ، وإن كان كلاهما صفة لأصوات رخوة .

والأصوات الرخوة في العربية ثلاثة عشر صوتاً هي : السين والصـاد والضـاد والشين والذال والثاء والظاء والفاء والهاء والحاء والخاء والغين[2] . ولعدد من الأصـوات الشديدة نظائر رخوة ، أي تشاركها في المخرج ، ولكن تخالفها في صفـة الشـدة إلـى الرخاوة . فالنظير الرخو للدال مثلاً هو الزاي أو الذال ، والنظير الرخو للتاء هو السـين أو الثاء ، ونحو ذلك . وقد نبه سيبويه[3] على ذلك بقوله : " والذالُ والثاء ، كـلُّ واحـدة منهما من صاحبتها منزلةُ الدال والتاء " . وأضاف المعاصرون إليها العين ، فهي عنـد كثير منهم رخوة ، على حين عدّها القدماء متوسطة ، وفي مقدمتهم سيبويه، وعليـه رأي فريق من المعاصرين .

## ج – الأصوات المتوسطة " Liquids "

ليس التقاء عضوين من أعضاء النطق يسبب دائماً حفيفاً ، بل قد يلتقي العضـوان ويجد الهواء مسرباً بينهما ، ومع ذلك لا يحدث أي صفير أو حفيف نتيجة ذلك . وهذا ما يحدث عند النطق بالأصوات الأربعة : اللام والنون والميم والراء " ولعل هذا هو الـذي

---

[1] - الأصوات اللغوية ص ٢٣ .

[2] - الأصوات اللغوية ص ٢٥ ، وعلم اللغة ص ١٨٩ .

[3] - الكتاب ٤/ ٤٦٢ .

... القدماء إلى تسمية هذه الأصوات الأربعة بالأصوات المتوسطة ، أي : ليست انفجارية ولا احتكاكية[1] .

فحين تحدث القدامى عن الشدة والرخاوة ، أثبتوا معهما صفة ثالثة بين هاتين الصفتين ، هي التوسّط . والأصوات المتوسطة كلها مجهورة عندهم ، وكذلك هي عند المحدثين .

وكان اللغويون العرب يعدون العين صوتاً متوسطاً أيضاً ، فهي على هذا الصوت الخامس المتوسط لديهم . يقول سيبويه[2] : " وأما العين فبين الرخوة والشديدة " . ولعل السر في هذا الذي ذهبوا إليه ، كما يقول الدكتور إبراهيم أنيس[3] : " هو ضعف ما يسمع لها من حفيف ، إذا قورنت بالغين . وضعف حفيفها يقرّبها من الميم والنون واللام ، ويجعلها من هذه الأصوات التي هي أقرب إلى طبيعة أصوات اللين " .

غير أن الأصوات المتوسطة في الواقع ذات خصائص مشتركة ليست موجودة في العين عند النطق بها . أوضحها حرية مرور الهواء في المجرى الأنفي أو الفمي عند النطق بهذه الأصوات ، دون أن يُسد طريقه أو يُعرقل بالتضييق عند نقطة ما . على حين ثبت بالصور الشعاعية ، أن في نطق العين تضييقاً كبيراً للحلق . وهذا ما دعا كثيراً من اللغويين العرب المعاصرين إلى عدّها صوتاً رخواً لا متوسطاً[4] خلافاً لرأي المستشرق برجشتراسر[5] الذي عدها صوتاً متوسطاً خابساً ، متابعاً في ذلك سيبويه وغيره من النحاة واللغويين .

وإذا كان هناك من قطع برخاوة صوت العين ، وعدم توسطها ، كما بيّنا ، وكان هناك أيضاً من ذهب إلى العكس فقطع بتوسطها ، فإن الذي يبدو من كلام الدكتور إبراهيم أنيس التوقّف ، وعدم القطع أو الترجيح بكونها متوسطة ، على ما ذهب إليه

---

[1] - الأصوات اللغوية ص ٢٤ .

[2] - الكتاب ٤/ ٤٧٥ .

[3] - الأصوات اللغوية ص ٨٨ .

[4] - رمضان عبد التواب : مناهج البحث في اللغة ص ١٠٢ وسطر حاشية التطور اللغوي ص ١٥

[5] - التطور اللغوي ص ١٤ .

القدامى : يقول " لقلة التجارب التي أجريت على أصوات الحلق " ، ويقول : " لا نستطيع أن نرجح صحة هذه الصفة للعين ، بل نتركها لتجارب المستقبل لتبرهن عليها " [1] .

ويطلق الغربيون على هذه الأصوات المتوسطة اسم " **Liquids** " ، وترجمها الذين كتبوا في الأصوات من العرب بـ " المائعة " [2] تارة ، وبـ " السائلة " [3] تارة أخرى . ولا تنطق العين في اللغات الأوروبية ، وقد حكم عليها اللغويون العرب القدامى بالتوسط اعتماداً على حاسة السمع المرهفة لديهم ، وعلى ملاحظاتهم الشخصية لأوضاع أعضاء النطق عند اللفظ بها . مما يدل على ذكاء وحسّ عاليين يغبطهم عليها المحدثون الذين لم يقطعوا بمثل ما قطعوا به من صفات الأصوات ومخارجها ، بتلك القدرات والأساليب الذاتية البعيدة عن دقة الآلة التي تُهيأت لهؤلاء المحدثين .

## ٣- الأصوات المُطْبَقة والمنفتحة :

يُوصف عدد من الصوامت المجهورة والمهموسة ، والشديدة والرخوة ، بأنها مُطْبَقة " **Velarized** " . وقد عللها القدامى ، وفي مقدمتهم سيبويه[4] : بأن اللسان ينطبق عند النطق بها على مخارجها من الحنك الأعلى . وهذه الأصوات أربعة ، هي : الصاد والضاد والطاء والظاء . فإذا نطق بها رفع

مؤخر اللسان إلى أعلى غير أن حركته مزدوجة إلى أعلى قليلاً وإلى الخلف ، ولذلك سمّى بعضهم ظاهرة (الإطباق) بظاهرة (التحليق) "**Pharyngalization**" [5] .

أما الأصوات المنفتحة ، فهي التي لا تطبق لشيء منهن لسانك برفعه إلى الحنك الأعلى[6] ، وهي ما عدا تلك الأصوات الأربعة التي ذكرنا .

---

1. الأصوات اللغوية ص ٢٥ .
2. هكذا سماها الدكتور ابراهيم أنيس في كتبه
3. سماها بعضهم السائلة مثل الدكتور مراد كامل في كتابه ( اللهجات العربية الحديثة في اليمن ) ، وكذلك ابن ... في كتابه : نظريات في اللغة .
4. الكتاب ٤/ ٤٣٥ .
5. دراسة الصوت اللغوي ص ٢٧٩ .
6. الكتاب ٤/ ٤٣٦ .

وقد التفت القدامى إلى أن الإطباق هو الذي منح هذه الأصوات صفتها هذه . إذ لولاه لتغير صوتها إلى صوت آخر ، نتيجة لتغيّر مخرجها . يقول سيبويه[1] : " ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً ، والصاد سيناً ، والظاء ذالاً ، ولخرجت الضاد من الكلام ، لأنه ليس لها شيء من موضعها غيرها " . أو بعبارة أخرى : إن الضاد ليس لها نظير من مخرجها ، وإن خالفها في الصفة . وهذا يعني أن الضاد تنطق قديماً بصورة مغايرة للظاء التي ننطقها اليوم وإلا لعدها نظيراً لها من حيث إن كثيراً من العرب اليوم ينطقون الأولى كالثانية .

وتتسّم أصوات الأطباق بالفخامة ، فهي أصوات مفخمة لها رنة قوية في الآذان ، مما يلائم طباع البدو وخشونتهم فلا عجب إذاً أن تشيع تلك الأصوات في لهجات البدو ، وأن تأخذ في القلة من ألسنة المتحضّرين[2] . ومن هنا كانت قبلة تميم ـ في ما روي عنها ـ تقلب السن صاداً مع بعض هذه الأصوات[3] ، إذا جاءت بعدها في كلمة ، ولو كان بينهما فاصل ، مثل : سَرَط وصَرَط . وسيراط ، وصيراط . وقد مرّ علينا في الفصل السابق أنه قد قرئ بذلك كقولُه تعالى : { **صيراط الذين أنعمت عليهم** } في سورة الفاتحة . نلحظ هنا أنَ الطاء الذي هو صوت إطباق ، لمَا جاء بعد السين ، ناسب أن تقلب السين صاداً لتوافق الطاء في الإطباق ، وليكون التفخيم في هذه الكلمة (صيراط) ، من موضعين؛ هما الصاد والطاء . كما مرّ علينا تعليل أبي بكر بن مجاهد لكتابتها بالصاد في هذه الآية، وكيف أن ذلك كان من أجل الإطباق الذي في الطاء[4]، فهذا التعليل يتعلق في رسمها بهذا الحرف دون السين ، الذي هو الأصل ، كما بيّنه ابن مجاهد وأشرنا إليه هناك أيضاً[5].

ومع أن هذه الأصوات قد جاءت في عدة مواضع في القرآن متّسمة بمواقف الشدة والوعيد والعذاب ، من مثل قوله تعالى : { **فصَبّ عليهم ربك سَوطَ عذاب • إنَ ربك لبالمرْصاد** } (الفجر : ١٣ - ١٤ ) ، إلا أن نسبة شيوعها في الأسلوب القرآني ضئيلة ، إذا قيست ببقية الأصوات فيه . فنسبة شيوع الصاد هي : ٠,٠٠٨ من كل الأصوات

---

[1] - الكتاب : المكان نفسه .
[2] - اللهجات العربية ص ٧١ .
[3] - اللهجات العربية ص ٧٢ .
[4] - تنظر ص ٣٥٤ من كتابنا هذا .
[5] - تنظر ص ٣٥٤ من كتابنا هذا .

، والطاء :٠,٠٠٤ ، والظاء : ٠,٠٠٣ ، في حين أن نسبة الصامتة ، والضاد : ٠,٠٠٦ شيوع صوت ذي نغمة غناء متوسط كالنون هي حوالي ٠,١١٢ من الأصوات الصامتة[1] في القرآن الكريم . وذلك أن النون ، وكذلك اللام والراء والميم ، من الأصوات الموسيقية التي ليست لها تلك الرنة القوية في الأسماع ، ولذلك وردت في كثير من فواصل القرآن ، في غير المواضع التي تقتضي الشدة ، كالتهديد والوعيد أو العذاب .

أما حديثاً ، فقد مالت اللهجات الى التخلص من هذه الأصوات المطبقة في معظم المواضع[2] ؛ وذلك لأن اللهجات الحديثة تميل الى استعمال ما هو أيسر وأقرب الى الحياة الحضرية من الأصوات . فاللغة ــ كما هو ثابت في البحث اللغوي الحديث ــ تسير في تطورها نحو الأيسر والأخف على اللسان والسمع ، ومن هنا تخلصت أيضاً من الهمزة في صورها المختلفة . لما في الهمز من الشدة ، على ما بيناه آنفاً .

## ٤- الأصوات المستعلية والمنخفضة :

المستعلية سبعة أصوات ، أربعة منها أصوات الإطباق (ص ض ط ظ) وثلاثة ليست مطبقة ، وهي (خ غ ق) . وعلى هذا " فالإطباق في العربية من الاستعلاء ، الذي هو رفع أقصى اللسان نحو ما يليه من الحنك "[3]. فهذه الأصوات السبعة تتسم جميعاً في أن اللسان يرتفع عند النطق بها نحو الحنك الأعلى . وهو في حالة النطق بالأصوات الثلاثة الأخيرة يرتفع بجزئه الخلفي نحو اللهاة عند النطق بالقاف ، ونحو الحلق عند النطق بالخاء والغين . أما المنخفضة ــ ويسميها القدامى المستفلة ــ فهي ما عدا هذه الأصوات السبعة.

## ٦- أصوات الصفير :

أشرنا سالفاً إلى أن الصفير يعني حدوث ضيق في مجرى الهواء عند النطق بالصوت الذي يعد من أصوات الصفير ، وأن هذا الصفير يعلو كلما ضاق مجرى الهواء عند مخرج الموصوف بهذا الوصف وأصوات الصفير ، كما بينا سالفاً ، ثلاثة في نظر

١ اللهجات العربية ص ٧٢

٢ - اللهجات العربية ص ٧٢ .

٣ برجشتراسر : التطور النحوي ص ٢٦ .

القدامى ، وهي : السين والزاي والصاد . وهي كذلك معدودة من أصوات الصفـــير فـــي نظر المحدثين ، إلا أنهم يضيفون إليها أصواتاً أخرى أربعة هي الثــــاء والـــذال والفـــاء والظاء[1]. ويضيف إليها المستشرق برجشتراسر[2] صوتاً آخر هو الشين ، وهم يـــرون أن أعلاها صفيراً هي تلك الأصوات الثلاثة التي سمّاها اللغويون العرب أصوات الصفـير[3] ، واقترح الدكتور إبراهيم أنيس تسميتها الأصوات الأسلية[4] ولعله سماها بذلك لأنها تحـدث من أسلة اللسان[5] واللّثة .

## ٧ـ الصوت المكرّر Rolled Sound:

وهو صوت واحد في العربية هو " الراء " . وقد وصفه بهذا الوصف غير واحـد ن القدامى ، وفي مقدمتهم سيبويه[6] . وقال ابن منظور[7] : "والمكرر من الحروف الـراء وذلك لأنك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتغير بما فيه مــن التكريــر . ولذلــك حسب في الإمالة بحرفين " . ويبدو أن الذي حمل القدامى من اللغويين والقــراء علــى عدّه بحرفين هو أن اللسان يضرب عند النطق به ضربتين على مخرجه أو ثلاث وهــذا ما لاحظه المحدثون كما سنرى عند الكلام على مخارج الأصوات . فالتكرير إنما يحدث في الراء بتتابع طرق للسان مرتين على العضو الثاني من مخرجه ، وهــو اللّثــة ، أو ثلاثاً. فإن لم تكرر فهي الراء المستلّة أو المستلّبة **Flapped** ، وهي التي تضرب علــى اللثة ضربه واحدة فقط[8] ، كما في كلمة رِداء ، ودرى ...

والراء العربية نوعان : مرققة ومفخمة [9]، ولكل منهما مواضع في الكلام عرضت لها كتب القراءات واللغة . وللقراء المشهورين العشرة مذاهب في ترقيقها وتفخيمـها . إ

---

- الأصوات اللغوية ص ٧٤ .
- التطور اللغوي ص ١٦ .
- الأصوات اللغوية ص ٧٤ .
- الأصوات اللغوي ص ٧٤ .
- أسلة اللسان : طرفه ، ينظر القاموس المحيط : ( أ-ل )
- الكتاب ٤/ ٤٣٥-٤٤٨ .
- لسان العرب ٦/ ٤٥٠ ( كر ) .
- علم اللغة : محمود السعران ص ١٨٨ .
- مكي : الكشف ١/ ٢٠٩ .

يختلف النطق بها من هذه الناحية بحسب حركتها أو حركة ما قبلها ، وعند وصلها أو الوقف عليها [1]. وسنبيّن ذلك عند الحديث عن مخرجها بشيء من التفصيل ، وقد أشرنا إلى ذلك بإيجاز في المبحث الثاني من الفصل السابق .

حافظت الراء العربية على خصائصها في أكثر اللهجات العربية ، وتغيرت في قليل منها . ولعل المثال الحي لهذا التغير في أيامنا هذه ، ما نسمعه من ترقيق طائفة من الناس لها في مواضع التفخيم أو العكس . والمعروف أن لهجة بغداد تميل عموماً إلى ترقيقها في عدد من الكلمات أحياناً . كما أن لهجة الحضر من الموصليين تقلبها في عدد من محلات مدينتهم (غيناً) ، وهو ما يعرف لدى القدامى والمحدثين باسم " اللثغة " فهم يقولون : سجع أو شجع بدلاً من شجر . وليست هذه اللثغة عندهم عيباً لسانياً سببه خلل في جهاز النطق ، وإنما هو لهجة من اللهجات التي عرفت لديهم ، وذلك لأنهم إذا أرادوا أن ينطقوا الراء دون لثغة فعلوا ذلك . وكثير منهم لا يقلبها غيناً وخاصة سكان الريف .

---

[1] - مكي ١/ ٢٠٩ وما بعدها . باب ( حكم الوقف على الراء ) .

## الأصوات حسب مخارجها

تحدثنا في تمهيد هذا الفصل عن أعضاء جهاز النطق الإنساني . وبيّنا هناك صفة كل عضو منها ، ونريد هنا أن نبيّن ما يتعلق بكل عضو منها ويخرج ، من الأصوات الصامتة والصائتة التي وصفنا سالفاً في هذا الفصل ، مرتبين إياها بحسب ترتيبها في هذه الأعضاء ، مبتدئين بأول الفم ومنتهين بالحنجرة ؛ إذ فيها صوت ينطق من المزمار وهو الهمزة . أو بعبارة أخرى: مرتبين إياها بحسب مخارجها في جهاز النطق وأعضائه المتعددة . ووصفها على هذا الأساس بدأه الخليل[1] ، وهو البدء في الكلام على الأصوات الشفوية والانتهاء بأصوات الحلق ، لا كما يظن أنه من عمل المحدثين . ويرجع هذا التقسيم إلى أن المخرج الواحد يشترك فيه أكثر من صوت ، وإن اختلفت صفات ذلك الصوت [2].

١- الأصوات الشفوية "Labial Consinats"

سميت هذه الأصوات شفوية ؛ لأن مخرجها " مما بين الشفتين " [3]. وتتضمن الباء ، والميم ويسميها بعضهم " الشفتانية[4] " ، نسبة إلى الشفتين . ويضيف بعض الباحثين الواو ، والأصح أنها من أصوات أقصى الحنك .

أ- الباء "B" : أوضحنا في كلام سابق أن الباء صوت شديد مجهور . وهو يتكون بمرور الهواء المنبعث من الرئتين ، بالحنجرة أولاً ، فيحرك الوترين الصوتيين ، ثم يتخذ مجراه في الحلق فالفم ، حتى ينحبس عند الشفتين ، وهما منطبقتان انطباقا تاماً ، ويرفع الحنك اللين إلى أعلى فلا يسمح بمرور الهواء من الأنف . وعند انفراج الشفتين يندفع الهواء فجأة من ...

---

١- العين ١/ ٥١ - ٥٢ ، إذ بدأ بالشفوية ، والذلقية ... وانتهى إلى الحلقية ، فقال : وأما الهمزة .

٢- التطور النحوي ص ١٣ .

٣- الكتاب ٤/ ٤٣٣ أسفل .

٤- ينظر : علم اللغة للسعران ص ١٩٩

إلى الخارج محدثا صوتا انفجارياً هو صوت " الباء " . ومن هنا يوصف هذا الصوت بأنه صوت شديد مجهور شفوي . وقد تقدم في المبحث السابق من هذا الفصل بيان معنى الشدة والجهر وكيفية حدوثهما واتصاف الصوت اللغوي بهما .

أما نظير الباء المهموس ، فهو " الباء " " P " ، الذي لم يكن صوتا عربيا رئيسا ، بل هو صوت من تلك الأصوات التي وصفها سيبويه[1] بأنها "غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترتضى عربيته ، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر " . وقد حدد صفته بأنه " الباء التي كالفاء " .

ويتكون هذا النظير المهموس بنفس الطريقة التي يتكون بها نظيره المجهور (الباء) . إلا أن الوترين الصوتيين لا يتذبذبان عند النطق به . ولهذا وصف بأنه مهموس . وقد حرص القدامى ، كما بينا سالفا ، على الجهر بالباء مضافا إليه صوت لين قصير جدا " صُويت " ، كما يوصف أيضاً فيما سموه بـ (القلقلة) . وبينا هناك سبب ذلك . وهو أن حروف القلقلة تحتاج إلى جهد عند النطق بها ساكنة ؛ لأنها أصوات شديدة ، ولذلك اتبعوها بهذا الصُويت ليخفف باللين الذي فيه من هذا الجهد .

وذهب الدكتور إبراهيم أنيس إلى أنهم فعلوا ذلك لئلا يختلط الباء بنظيره المهموس (الباء) P[2] . وذلك أن التسكين يقلل من جهره ، ويقربه من الهمس ، والتحريك يخرجه إلى الجهر الواضح ، ولذلك حركوه بهذه الحركة القصيرة جداً .

وقد وصف ابن مكي الصقلي (ت ٥٠١هـ) . هذه الباء المهموسة بنفس ما وصفها به سيبويه ، وهي أنها بين الباء والفاء ، وبين أنه من أصوات العامة في لهجة صقلية في عصره. أي القرن الخامس للهجرة[3] . وليس هذا الصوت اليوم مستعملاً في الفصحى ، بل يغلب استعماله في العامية ، تأثرا بعدد من اللغات الشرقية التي تنطق بتلك الباء المهموسة أو استعمالا للفظة غربية في الكلام العامي اليومي ، أو خطأ في نطق الباء في كلمة فصيحة

[1]- الكتاب ٤ / ٤٣٢ .

[2]- الأصوات اللغوية ص ٤٥ .

[3]- عبد العزيز مطر : لحن العامة على ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ص ١٤٩ .

وذلك بتحويلها إلى صوت مهموس . فمن ذلك استعمال العوام لكلمة (پارة) أي فلوس بالتركية ، و(پر) أي : ريش بالكردية ، و (پاتري) الأوروبية التي يعبر عنها أيضا بكلمة (بطارية) و (بطاقة) العربية الفصيحة ، بهمس بائها ، مع أن الأصل فيها الجهر بالباء ، وذلك بأن تلفظ : (بطاقة) لا (پطاقة) ، وكثير من أمثال هذه الكلمات .

ب- الميم: " m " : وهو صوت مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة ، وهو أحد الأصوات المتوسطة لدى القدامى ، كما بينا ، والمائعة أو السائلة "Liquids" لدى المحدثين . ويتكون بمرور الهواء بالحنجرة ، حيث يتذبذب الوتران الصوتيان ، حتى إذا وصل إلى الفم هبط أقصى الحنك فسدّ مجرى الفم ، وعندئذ ينفذ الهواء بسبب الضغط عن طريق التجويف الأنفي ، محدثاً في أثناء مروره نوعا من الحفيف الذي لا يكاد يسمع ، ولهذا عُدّ من الأصوات المتوسطة .

وتنطبق الشفتان انطباقا تاما في أثناء تسرب الهواء من التجويف الأنفي[1] ويمكن تجربة ذلك عمليا بنطق كلمة فيها ميم مثل (لم) ، ووضع اليد في إزاء الأنف ، إذ نحسّ بالهواء صادر من الأنف يمس اليد بلطف في وقت انطباق الشفتين تماماً .

وتعد الميم من تلك الصوامت التي يطلق عليها اسم الصوامت (الغنّاء)[2] "Nasal consinant" ، فهي في هذه الصفة كالنون[3] .

ونظراً لاتحاد مخرج الباء والميم يبدل أحدهما من الآخر في كثير من الألفاظ ، كقولهم : بنات مخر ، وبنات بخر ، وهي سحب بيض تأتي في الصيف . وقولهم للظليم — وهو ذكر النعام — : أرمد ، وأربد ، وهو ميل لونه إلى الغبرة . ويقال : إني أخاف عليكم الرما ، أي الربا[4] .

---

1- الأصوات اللغوية ص ٤٥ . وعلم اللغة العام ص ١٨٤ .

2- علم اللغة ص ١٨٤ .

3- الكشف ١/ ١٣٧ .

4- ابن السكيت : الإبدال ص ٧٠ - ٧١ .

ويحدث مثل هذا الإبدال عندما تجاوز النون الساكنة الباء في كلمة ، إذ تبدل ميماً إذ ذاك، كما في : عنبر ، وقنبر ، إذ تلفظان : عمبَر ، وقمبر[1] وهو المعروف في قراءة القرآن وتجويده باسم : " الإقلاب " ، إذ تبدل النون الساكنة والتنوين ميماً إذا جاورا الباء في كلمة أو كلمتين ، وسيأتي بيان ذلك عند الكلام على صوت النون ، إن شاء الله . وإذا التقت الميم الساكنة بالباء ، تخفى إخفاء شفويا بخفة كاملة ، كما في (همْ بها كـافرون) .

٢ــ الصوت الشفوي الأسناني : " **Labio – dental Sound** " وهو صوت واحد هو :

**الفاء"F"** : وهو الصوت الوحيد الذي يوصف بأنه شفوي أسناني ، وهو صوت رخو مهموس ، يتكون باندفاع الهواء إلى الحنجرة ، فيمر بها من غير أن يتذبذب الوتران الصوتيان ، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم ، حتى يبلغ مخرج الصوت ، وهو ما بين الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا بصورة تسمح بمرور الهواء باستمرار . ويرفع إذ ذاك الحنك اللين إلى الأعلى ، ويضيق المجرى عند المخرج ، فنسمع لذلك حفيفا عاليا هو الذي يميز الفاء بالرخاوة . وليس للفاء العربية نظير مجهور كالذي نشهده في معظم اللغات الأوروبية ، والذي يرمز له بالحرف "V"[2].

وتعد الفاء لدى بعض القدامى ، وكذلك الشين ، حرف تفش ، يقول مكي[3] "وهو في الشين أمكن " ، يريد : أنه اظهر وأكثر . وقد بيّنا عند الكلام على جهود سيبويه في علم الأصوات معنى التفشي .

٣ الأصوات الأسنانية **Dental Sounds :**

وهي ثلاثة : الذال ، والثاء والظاء . وسميت أسنانية ؛ لان مخرجها "ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا "[4]. وقد طرأ على هذه الأصوات تغيرات عامة لا تتعلق بالسوق

---

[1] ابن جني : التصريف الملوكي ص ٤٠ .

[2] علم اللغة ص ١٩٠

[3] الكشف ١ / ١٣٧

[4] الكشف ٤ / ٤٣١ ، ودراسة الصوت اللغوي ص ٢٦٩ . ويسميها بعض الباحثين ما بين الأسنانية . ينظر ... من ... الهواء ... العربية من كتاب : علم الأصوات لمالمبرج ص ١٢٢.

الصوتي ، وليست مشروطة بسياق صوتي معين ، بل إنها لتحدث فيها بصورة مطرودة في أي سياق توضع فيه . وهذا ما يتجلى في عدة لهجات عربية معاصرة ، كلهجة القاهرة ، ولهجات بلاد الشام بعامة؛ إذ اختفت هذه الأصوات منها . بعد أن تحولت إلى صورة أخرى .

فالذال تنطق في لهجة القاهرة دالا ؛ لا تفاقمها في الجهر وعدم الإطباق ، فيقولون مثلا : ديب، بدلا من : ذيب . والثاء تنطق في القاهرة تاء ؛ لا تفاقمها في الهمس وعدم الإطباق [1]، وتنطق في بلاد الشام سيناً لا تفاقمها في الهمس وعدم الإطباق أيضاً . وتنطق الذال في بلاد الشام زايا ، يقولون : زكرى ، بدلا من ذكري . كما تحولت الضاد إلى ظاء في كثير من الأقطار العربية ، وخاصة دول الخليج العربي ، ومنها العراق ، وذلك لاتفاقهما في الجهر والاطباق . وهذا وإن كان شائعا أكثره في العامية ، إلا أن تأثيره امتد إلى الفصحى ، إذ ينطق المتكلمون بهذه الأقطار هذه الأصوات ، على النحو الذي وصفنا ، في كلامهم الفصيح في الإذاعة أو التلفاز أو المسرح أو المحاضرات...

أ – الذال : وهو النظير المجهور للثاء ، أي إنه تختلف عن الثاء في شيء واحد هو تذبذب الوترين الصوتيين عند النطق به . أو بعبارة أخرى : إنه مصحوب بنغمة موسيقية ، سببها تذبذب هذين الوترين . على حين لا يحدث ذلك عند النطق بالثاء [2]. ويتكون بوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا العليا . وهنا يضيق مجرى الهواء فنسمع نوعا قويا من الحفيف [3].

ب – الثاء : وهو صوت رخو مهموس ، يتكون مثلما يتكون الذال . إذ يلتقي طرف اللسان بأطراف الثنايا ، ويكون معظم اللسان مستويا ، ويرتفع الحنك الأعلى فيسد منفذ الهواء عن طريق الأنف ، وبذلك يخرج الهواء من الفم .

ج – الظاء : وهو صوت مجهور كالذال تماما ، ولكن يختلف عنه في شيئين:

الأول : وضع اللسان عند النطق بكل واحد منها ، إذ هو عند النطق بالظاء يتطبق على الحنك الأعلى ، آخذا شكلا مقعرا . وذلك بأن يرتفع طرفه وأقصاه نحو الحنك . ولذلك وصف

---

1- محمود فهمي حجازي : المدخل الى علم اللغة ص ٥٠ .

2- الأصوات اللغوية ص ٤٧ .

3- علم اللغة ص ١٩٠ .

اللغويون العرب الظاء بأنه أحد الأصوات المطبقة [1]، على ما بيناه سالفا عند الكلام عن الإطباق في المبحث من هذا الفصل .

والثاني: أن الذال مرققة ، والظاء مفخمة [2] لما فيها من إطباق . وقد مر علينا أن الإطباق ضرب من التفخيم . وعلى الرغم من أن هناك فرقا بين نطق الظاء والضاد قديما وحديثا ، إلا أن كثيرا من أبناء الأقطار العربية اليوم يسوّون بينهما . وسنبين ذلك أن شاء الله عند الحديث عن الضاد .

٤ـ الأصوات الأسنانية اللّثويّة :

وهي التي تشترك في تكوينها الأسنان واللثة مع طرف اللسان [3]. وقد حددها سيبويه بثلاثة أصوات ، هي التاء والدال والطاء . إلا أن المحدثين يضيفون إليها صوتا رابعا هو الضاد . على أساس أنه ينطق من نفس المخرج الذي تنطق منه هذه الأصوات .

أ ـ التاء : وهو صوت شديد مهموس لا يتذبذب الوتران الصوتيان عند النطق به . فإذا وصل الهواء إلى مخرج هذا الصوت ، انحبس فترة قصيرة جدا لالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا التقاء محكما ويرتفع الحنك إلى الأعلى ، فلا يمر الهواء من الأنف . فإذا انفصل العضوان الملتقيان بإحكام انفصالا مفاجئا ، حدث صوت انفجاري شديد ، هو الذي نسميه التاء [5].

ب ـ الدال : وهو النظير المجهور للتاء ، ويتكون بنفس الكيفية التي يتكون بها التاء . ولا فرق بينهما إلا أن الوترين الصوتيين يتذبذبان عند النطق به، ولا يتذبذبان عند النطق بالتاء

---

[1] الأصوات اللغوية ص ٤٧-٤٨ .

[2] أحمد مختار : دراسة الصوت اللغوي ص ٢٦٩ .

[3] سيبويه : الكتاب ٤/ ٤٣٣ ، والزمخشري : الكشف ١/ ١٣٩ ، وأحمد مختار دراسة الصوت اللغوي ص ٣٠٩ والأصوات اللغوية ص ١٠٨

[4] الكتاب ٤/ ٤٣٣

[5] الأصوات اللغوية ص ٦١ .. وعلم اللغة ص ١٦٨

ج ـ الطاء : أجمع الرواة على أن الطاء العربية القديمة صوت مجهور شديد مطبق ، ولذلك لم يجعلها علماء اللغة والقراءات والتجويد ضمن العبارة التي تجمع الأصوات المهموسة ، مثل (فحثه شخص سكت) ، على حين لاحظ المحدثون أن الطاء كما ننطق بها اليوم صوت مهموس[1] واحتمل الدكتور ابراهيم أنيس[2] أن تكون الطاء القديمة شبيهة بالضاد لدى المصريين اليوم ، أي شبيهة بالدال ، لأن المصريين المعاصرين ينطقون الضاد مناظرة للدال.

ولهذا قال القدامى عن الطاء : أنها مجهورة . ثم أنها هُمِسَت بعد ذلك . واحتج الدكتور إبراهيم أنيس لرأيه هذا بما يسمع اليوم من أهل اليمن في نطقهم الطاء ضاداً . فإذا قالوا : مَطَر ، وأمطار ، فكأنما قالوا : مَضَر ، وأمضار . واستدل كذلك بما حكاه ابن جني عن سيبويه من قوله : " لولا الإطباق لصارت الطاء دالاً ، والصاد سيناً ، والظاء ذالاً ، ولخرجت الضاد من الكلام ؛ لأنه ليس شيء من موضعها " . وهو نص كلام سيبويه الذي مر علينا سالفاً . فهذا يعني أن الطاء المطبق نظيره غير المطبق هو الدال ، وكلاهما مجهور[3].

وذهب برجشترلسر [4] إلى أن الطاء كانت ، كالظاء والقاف ، مهموسة في الأصل ، ثم صارت بعد ذلك مجهورة ، حين حصل فيها إطباق . أي إن الإطباق نقلها من صفة الهمس إلى صفة الجهر . وعلى هذا فان همسها اليوم عودة إلى الأصل . ومهما يكن من أمر هذه الآراء والتعليلات التي ذهب إليها لغويون معاصرون ، فإن نطقنا للطاء اليوم ، يختلف عن النطق القديم لها ؛ إذ صارت مهموسة ــ كما دلت التجارب المختبرية ــ بعد أن كانت ، في النطق القديم ، مجهورة .

د ــ الضاد : وهو كما كانت تنطقه العرب قديماً ، ويصفه اللغويون القدامى :

---

[1] - التطور النحوي ص ١٦ ، والأصوات اللغوية ص ٦٢ ، وعلم اللغة ص ٦٨

[2] - الأصوات اللغوية ص ٦٢ .

[3] - الأصوات اللغوية ص ٦٣ ، وعلم اللغة ص ١٦٩

[4] - التطور النحوي ص ٢٦ .

صوت رخو مجهور [1]. أما الضاد الحديث فله عدة صور، تختلف من قطر عربي لآخر. والضاد القديمة كانت تنطق من أحد شدقي الفم : الأيمن أو الأيسر ، كما بين ذلك الجاحظ في كلامه الذي أوردناه في المبحث الثاني من الفصل السابق ، وحدده سيبويه [2] بدقة حين بين أنه " من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس " ، وكذلك قراء القرآن [3] ومعنى ذلك أن اللسان لا يتصل عند النطق بالضاد بالثنايا واللثة ، وإنما يتصل بالأضراس ، وهي ما يلي الثنايا من جهة اليمين أو اليسار .

وكان الدكتور مصطفى جواد رحمه الله يرى أن العرب تنطق الضاد بتدوير اللسان في الفم من جهة اليسار إلى جهة اليمين ، حتى يتصل طرفه بالأضراس التي في هذا الجانب وكان يمثله أمامنا نحن طلبته في قسم اللغة العربية بكلية التربية [4] ، على النحو الذي وصفت الآن . وهو نطقٌ ـ كما رأيناه ـ يصعب علينا أن نمارسه نحن المعاصرين ، وإن كان سهلاً دون شك على العرب الأولين ، لأنهم لم يتكلفوه كما قد نتكلفه ، وإنما تعوّدوه وتعلموه منذ صغرهم ، فجرى على ألسنتهم طوع السليقة والعادة ـ ولعل الدكتور مصطفى جواد استفاد من هذا الوصف من كتاب سيبويه ، ووصف قراء القرآن ، إذ جاء في الكتاب في حديثه عن الضاد : " لأنك تحولها من اليسار إلى الموضع الذي في اليمين [5] .

والضاد صوت صعب النطق على غير العرب ، كما أشرنا إلى ذلك في الفصل السابق وهذا في الواقع يلحظ اليوم عملياً على كثير من الغربيين والشرقيين ، ممن ليسوا بعرب يقلبه أكثرهم إلى زاي . ولذلك سموا العربية "لغة الضاد" ، وفي هذا يقول المستشرق برجشتراسر [6] " الضاد العتيقة حرف غريب جداً، غير موجود حسبما أعرف في لغة من اللغات إلا العربية، ولذلك كانوا يكنون عن العرب بالناطقين بالضاد " .

[1] الكتاب ٤: ٤٣٢
[2] الكتاب ٤: ٤٣٣
[3] الكشف ١: ١٢٩
[4] وذلك في سنة ١٩٦٠ حين كان يدرسنا مادة (فقه اللغة) .
[5] الكتاب ٤/ ٤٣٢
[6] التطور النحوي ص ١٨ .

وينطق كثير من العرب اليوم الضاد بمثل نطقهم الظاء ، وهذا واضح في العراق بل في كلام أبناء الخليج العربي بعامة . مع أن النطق القديم لها يختلف عن نطق الظاء . ومما يدل على ذلك ما حكاه أبو بكر بن الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) بسنده عن أبيه عن بعض الرواة ، أن رجلاً سأل عمر بن الخطاب (ﷺ) قائلا : " يا أمير المؤمنين يُضَحَّى بالضَّبْي " ؟ ، يقصد في العيد . فقال له عمر ، مصلحاً له نطقه بالظاء " وما عليك لو قلت : ظبي "؟!، فقال الرجل : " أنها لغة " ، فقبل ذلك منه عمر ولم يعترض عليه لهذا السبب[1]. وهذا يعني أن الرجل قد غير النطق بالظاء في كلمة ( ظبي ) إلى النطق بالضاد ، ويعني ذلك أنهما نطقان متغايران ، وإلا لم ينكر عليه عمر ذلك .

ومن ذلك أيضا ما رواه ابن الأنباري[2] بسنده عن الفراء ، من أن " أهل الحجاز وطيّئ يقولون : فاظت نفْسُه ، وقضاعة وتميم وقيس : فاضت نفْسُه ، على مثال : فاضت دمعته " . وهذا يعني أن النطقين مختلفان ، وإلا لما وازن الفراء بينهما .

وقد تخيل الدكتور إبراهيم أنيس نطق الضاد لدى العرب وسطاً بين شدة ما سمّاه " الضاد الحديثة " ، ورخاوة " الظاء العربية " ، وذلك بان يبدأ المتكلم بالحديثة وينتهي نطقه بالظاء[3]!. ومراده بالضاد الحديثة : الضاد المصرية التي تنطق دالاً. وليس أداء هذه الضاد المتخيلة يسيراً على الناطقين بالعربية اليوم ، ولذلك فهي لا تعدو مجرد الفرض والتخيل .

وبناء على وصف القدامى للضاد بأنها تخرج من طرف اللسان ، ذهب المستشرق برجشتراسر إلى أن مخرجها في نطق العرب القدامى قريب من مخرج اللام ، الذي هو أيضاً من حافة اللسان . وانتهى إلى أن " ذلك يدل على أن الضاد كانت تشبه اللام في بعض الوجوه " ، وان كان بينهما فرق في الصفة [4]. وهو يرى أن النطق بالضاد ليس موجودا اليوم عند أحد من العرب، وإنما له ما يقاربه في نطق أهل حضرموت " وهو كاللام المطبقة ".

---

[1]- ابن الأنباري : إيضاح الوقف والابتداء ١/ ٥٠ .

[2]- الزاهر ٢/ ٢٥٩ .

[3]- الأصوات اللغوية ص ٤٩ .

[4]- التطور النحوي ص ١٨ .

واستظهر من ذلك أن الأندلسيين ربما كانوا ينطقونها مثل هذا النطق ، بدليل أن الإسبان استبدلوها بالـ ( Ld ) في جميع الكلمات العربية المستعارة في لغتهم مثل : " القاضي " التي صارت في الأسبانية "Alcalde" ، واحتج بقول الزمخشري : إن العرب كانت تقول ( الطَجَع ) بدلا من (اضطجع )[1] ، بإبدال الضاد لاما. وهذه كلها فروض قد تصح وقد لا تصح.

لقد تطورت الضاد تطورا كبيرا ، قديما وحديثا ، فصارت تنطق في بعض اللهجات العامية القديمة دالا ، كما تنطق اليوم في مصر ، منتقلة بذلك من الرخاوة إلى الشدة . وذلك أن عامة أهل صقلية مثلا كانوا في القرن الخامس للهجرة ، يقولون : غُردوف ، غرضوف ، غضروف . على ما حكاه عنهم ابن مكي الصقلّي[2] ولهذا النطق آثار في بعض اللهجات المعاصرة، وهو ظاهر جدا في اللهجات المصرية على ما أشرنا آنفاً . فالمصريون يقولون درب ، ويقصدون بذلك : ضَرَب . ويقولون : مُدِرٌ بالصحة ، ويريدون : مُضِرٌ بالصحة . وما إلى ذلك . وتنطق في أقطار أخرى زاياً ، وهذا ما نسمعه في لهجات السوريين واللبنانيين وأما عندنا في العراق وفي كثير من أقطار الخليج العربي ، فتنطق الضاد كما تنطق الظاء ، لا فرق بينهما البتة ، ولعل هذا النطق يقرب من نطقها القديم . وفي هذا يقول الدكتور عبد الصبور شاهين[3] " أن ما نسمعه من نطق أبناء الجزيرة العربية والعراق للضاد هو أقرب الوجوه النطقية إلى القديم ، ولكنها تلتبس في نطقهم كثيرا بالظاء " . واحتمل أن يكون هذا الالتباس الذي نشأ عن تقارب هذين الصوتين هو الذي دعا إلى تطور الضاد المصرية المعاصرة إلى صورتها الحاضرة كي تتميز من الظاء ولا تلتبس بها عند النطق . وهو تعليل وجيه مقبول .

[1] التطور النحوي ص ١٩ .

[2] لحن العامة ص ٢٢٥

[3] ينظر ما ... ص ١١٧ ... علم الأصوات لمالمبرج .

## ٥- الأصوات اللثوية :

وهي التي يشترك في تكوينها طرف اللسان واللثة[1] ، وهـي ثلاثـة : الـلام والـراء والنون، وهي من الأصوات الذلقة المتوسطة التي بين الشدة والرخاوة، كما بينا ذلك في حديثنا عنها سالفاً . ولتناظر هذه الأصوات في الصفة ، مـن حيث أنـها متوسـطة ومجـهورة ، وتناظرها في المخرج ، فان بعضها يبدل في كثير من اللهجات العربية من بعض ، كقولـهم : التهتان والتهتال ، والتلتلة والترترة ، والطَبَرزَل والطَبَرزَن ، وما إليها ، ولجمال موسـيقاها وخفتها على اللسان وتوسطها في الجرس ووجود الغنة في النون ، فقد استعملها القرآن الكريم فواصل في كثير من سوره وآياته ، بحيث تتبادل أماكنها في تلك الفواصل ، فتاتي النـون ـ في سورة الشعراء ـ مثلا ، وتتلوها اللام ، وتتلوها الراء ، ثم النون . ويلحظ ذلك أيضا فـي سورة القسم ، إذ ترد النون ، فاللام ، فالراء ، فالنون ، وتتخللها فواصل ميمية .

أ- اللام : وهو صوت متوسط مجهور ذلق ، يتكون بمرور الهواء من الحنجـرة وتحريـك الوترين الصوتيين ، وبعد ذلك يتخذ مجراه إلى الحلق ، ثم إلى جانبي الفم في مجرى ضيـق ، محدثا فيه نوعا ضعيفا من الحفيف . وفي أثناء مروره يتصل طرف اللسان باللثة [2]، وبذلـك يمنع مرور الهواء من وسط الفم فيتسرب من أحد جانبيه ، فتكون اللام مرققة ، أو يتسـرب من جانبيه تليهما فتكون مفخمة ، ويرفع الحنك الأعلى ، فلا ينفذ الهواء عن طريق الأنف [3].

واللام نوعان، كما ذكرنا آنفاً وبيناه في الفصل السابق، مرققة ومفخمة، والأصل فيـها الترقيق [4]. وقد علله مكي بن أبى طالب[5] بعدم جواز تفخيم كل لام، وعدم جواز ترقيق كـل لام، ثم بين أن " الأعم هو الأصل، والتفخيم داخل فيها " . أو بعبـارة أخـرى : أن الأكـثر

---

١- أحمد مختار : دراسة الصوت اللغوي ص ٢٧٠ ، والأنطاكي : الوجيز في فقه اللغة ص ١٦٢

٢- الوجيز في فقه اللغة ص ١٦٢ .

٣- الأصوات اللغوية ص ٦٤ ، والكشف ١/ ٢١٩

٤- الكشف ١/ ٢١٩

٥- الكشف ١/ ٢١٨ .

والأغلب على اللام ترقيقها ، ولذلك فهو الأصل . ومن ثم يكون التفخيم صفة حادثة فيها بعد الترقيق . وقد اشترط جمهور القراء لتفخيمها شروطا هي :

(١) أن يليها صوت مطبق ، صاد أو ضاد أو طاء أو ظاء . فتفخم عندئذ لتلائم فخامة الإطباق في هذه الأصوات ، وليسهل النطق بها ، أو كما قال مكي[1] " ليعمل اللسان عملا واحدا في التفخيم " . وذلك مثل : " لطيف " و " لظىً " ، و" لَصَوتٌ " ...

(٢) وتفخم أيضاً إذا كانت اللام في لفظ الجلالة (الله) ، وكان ما قبله مفتوحاً أو مضموماً، كقوله تعالى : ﴿ وإنَّ اللهَ ربّي وربُّكُمْ ﴾ ( مريم:٣٦ )، وقوله : ﴿ اللهُ وليُّ الذين آمنوا ﴾ ( البقرة :٢٥٧ ) وقوله : ﴿ومن أوفى بما عاهد عليهُ اللهَ فسيُؤتيه أجراً عظيماً ﴾ ( الفتح :١٠) . فإن وَلِيَ لفظَ الجلالة اسماً أو حرفاً مكسوراً رققت لامه ، كما في قوله تعالى : ﴿ باسم اللهِ مجريها ومرساها ﴾ ( هود:٤١) ، وقوله : ﴿ ولِلهِ ملك السمـٰوٰتِ والأرض﴾ ( آل عمران :١٨٩) .

فكان الأصل في لام لفظ الجلالة التفخيم ، فهي " مفخمة أبداً للتعظيم ... لا تزال اللام مفخمة إلا أن يأتي قبلها كسرة فترقق للكسرة ، فان زالت الكسرة رجعت اللام إلى التفخيم ... وهذا لا اختلاف فيه بين القرّاء[2] " .

(٣) إذا كانت اللام نفسها مفتوحة مثل " يَصَلَى " و " المطَلَّقات " ، و "لَعِباً"، قال مكي في تعليل تفخيمها هنا : " لان الفتحة مؤاخية للتفخم ، ولأنها من الألف ، ولان الفتحة مستعلية في المخرج كحروف الاستعلاء ، لأنها من الألف " .

فإذا انكسرت أو انضمت أو سُكّنت رُقِّقت ، كما في : " ومن يَظْلِم " ، "يُصَلُّون " ، " فظَلْتُم "[3]. ومخرج اللامين المفخمة والمرققة بعامة واحد ، وإنما الفرق بينهما فارق الرنين ، إذ يختلف وضع اللسان مع كل منهما . ففي المفخمة يرتفع أقصى اللسان نحو " الحنك اللين

[1]- الكشف ١/ ٢١٩ .

[2]- الكشف ١/ ٢٢٠ .

[3]- الكشف ١/ ٢١٨ .

إذ يختلف وضع اللسان مع كل منهما . ففي المفخمة يرتفع أقصى اللسان نحو " الحنك اللين "، وهو أقصى الحنك . فيكون له رنين شبيه برنين الصوائت الخلفية ، مثل ألف (قال) [1] ، ويتخذ اللسان إذ ذاك شكلاً مقعراً [2] أما مع اللام المرققة فيرتفع وسط اللسان تجاه الحنك الصلب ، وهو وسط الحنك ، فيكون له رنين شبيه برنين الصوائت الأمامية مثل ياء (في) [3] وفي هذه الحال لا يتخذ اللسان الشكل المقعر الذي اتخذه عند النطق باللام المفخمة . كما أن الهواء مع المفخمة يخرج من جانبي اللسان ، على حين يخرج مع المرققة من جانب واحد ، كما أسلفنا .

فالفرق بين اللامين : المفخمة والمرققة ، كالفرق بين الضاد والدال ، وبين الطاء والتاء. فالصوت الأول من كل واحدة من هاتين ، مطبق مستعل، والثاني من كل منهما منخفض غير مطبق . إلا أن العرب لم يرمزوا للام المرققة برمز كما رمزوا لهذه الأصوات الأربعة . وإنما يدرك ذلك عن طريق السماع فحسب ولذلك تعد اللام في الرسم وعلم الأصوات ، صوتا واحدا ، أو كما يسميه المحدثون : " فونيما " واحداً [4]، ويتجلى لنا الفرق بين اللامين إذا استمعنا إلى قراء القرآن المجيدين .

ب- الراء : وهي حرف مكرر ، كما بينا في كلام سابق ، يتم نطقه بضرب طرف اللسان اللثة مرتين أو ثلاثاً [5] وهذه صفة مميزة له من بين أصوات العربية كلها والراء كاللام في أن كلا منهما متوسط ومجهور .

والراء كذلك نوعان : مرققة ومفخّمة . وقد مرّ بنا في المبحث الثاني من الفصل السابق [6] وصف بعض القدامى لها ، وهو مكي بن أبى طالب ، وكيف كان يرى أن الأصل فيها هو التفخيم ، وأنها قد ترقق .

---

[1] - علم اللغة ص ١٨٦ .

[2] - علم اللغة ص ١٨٦ .

[3] - علم اللغة ص ١٨٦ .

[4] - الأصوات اللغوية ص ٦٦ .

[5] - الأصوات اللغوية ص ٦٦ ، ودراسة الصوت اللغوي ص ٢٧١

[6] - في ص ٣٥٨ من هذا الكتاب .

وعلى الرغم من اختلاف قراء القرآن في ذلك ، فإننا نستطيع أن نتخلص من آرائهم المتعددة قواعد عامة يكادون يجمعون عليها في هذا الموضوع، موضوع تفخيمها وترقيقها، وهي :

١- ترقق إذا انكسرت ، كما في " غافر "[١] من قوله تعالى : ﴿غافِرِ الذَّنب﴾ (غافر:٣) .

٢- وترقق إذا كانت ساكنة وقبلها كسرة لازمة ، أي من أصل الكلمة ، كما في " فرعون " و " أنذرهم " . وكذلك إذ كانت ساكنة وبعدها ياء كما في " مريم " ، و " قرية " . فإذا اجتمع الأمران كان ذلك ادعى لترقيقها وأقوى ، كالذي في " مرية "[٢]. ولكن يشترط ألا يأتي بعدها صوت مستعل كالقاف والصاد نحو " فرقة " و " إرصادا " ، فإن التغليظ يغلب عندئذ عليها ، بسبب وجود الحرف المستعلي المُفَخَّم[٣] ، لأن تفخيمها عندئذ ينسجم وإياه اتباعاً لقانون المماثلة، وهو الانسجام بين الأصوات ، الذي مرت علينا أمثلة منه في فصول سابقة .

٣- وتفخم إذا وقع قبلها كسرة عارضة[٤] أو قبلها لحرف زائد كالألف، كما في " لربهم " و " برازقين"[٥]؛ إذ أن كسرة اللام في الكلمة الأولى والباء في الكلمة الثانية ليست من أصل الكلمة، بل طارئة مع حرفي الجر هذين، فهي إذا عارضة، كما أن الألف وقعت بعد الراء في الثانية .

فإذا فتحت فخمت . وهو عند القراء — أي التفخيم — الأصل[٦]. أما الراء المضمومة أو الساكنة وقبلها ضم ، فحكمها غامض لا نكاد نهتدي فيه إلى رأي عام ينطبق على ما نسمعه من أفواه القراء في الوقت الحاضر[٧].

---

١ الكشف ١/ ٢٠٩

٢ الكشف ١/ ٢٠٩

٣ الكشف ١/ ٢١٠

٤ عارضة [illegible] الكلمة أو أصلها مثل كسرة اللام هنا .

٥ الكشف ١/ ٢١١

٦ الأصوات اللغوية ، ١٠

٧ الكشف ١/ ٢٠٩

وحكم هاتين الراءين ــ المفخمة والمرققة ــ في الرسم واحد . فهما في هــذه الناحيــة كاللام . غير أن موضع اللسان عند النطق بالمفخمة يتأخر قليلا عــن اللثــة باتجــاه الحنــك الأوسط. وكلاهما يمثل ما يسميه المحدثون " الراء الأمامية " . فإذا تأخر موضع اللسان أكثر بأن يتصل مؤخر اللسان بالحنك اللين ، حدث التكرار إذ ذاك في اللهاة بدلا من اللثة . وذلــك عند النطق بنوع من الراء يعرف في الفرنسية بــ " الراء اللثغاء " ، وهي كثيرة الانتشار فــي فرنسا وخارجها [1] ، وهي راء عرفتها العربية في بعض لهجاتها . وهي اليــوم فــي لــهجات الحضر من الموصليين معروفة ، وقد سبق أن ذكرنا لها أمثلة عند الكلام على اللهجات ، كما في شجغ ، أي : شجر . ويسميها المحدثون راء خلفية .

ج- النون: وهو صوت متوسط مجهور أغن ، يتذبذب معه الوتران الصوتيان . فعندما يتحد الهواء مجراه من الرئة إلى الحلق مارا بالحنجرة ، يلتقي طرف اللسان باللثة ، ويهبط الحنــك اللين فيسد بهبوطه فتحة الفم . وعن ذاك يتسرب الهواء من التجويف الأنفي محدثا في مروره نوعا من الحفيف لا يكاد يسمع . فالنون في هذه الصفة كالميم إلا أن مخرج الميم من الشــفتين كما تقدم .

وقد وصف القدامى النون بأنها صوت أغن[2] لحدوثها من الخيشوم ، أي الأنف [3]، أي بأن الهواء يخرج عند النطق بها من الأنف بدلا من الفم . ويمكن إجراء التجربة البسيطة التــي ذكرناها عند الكلام على الميم للتأكد من ذلك . كما وضع سيبويه طريقة يسيرة لتبيُّن الغنة في النون والميم ، وهي أنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت [4]. وهذا واضــح وســهل عنــد الاختبار .

---

[1]- مالمبرج : علم الأصوات ص ٩٧

[2]- الكتاب ٤/ ٤٣٥ ، والكشف ١/ ١٦٢ أسفل ، و ٢١٨

[3]- الكتاب ٤/ ٤٣٤ ، والكشف : المكان نفسه .

[4]- الكتاب : نفس المكان .

وتحدث هذه الغنة بأن يتخذ الهواء مجراه من طريقين : همـا الفراغ الأنفي والفم ، وهـو ما اصطلح المحدثون من علماء الأصوات على تسميته بـال " Nazalisation " ، ويمكـن أن يسمى بالصوت " الأنفمي "[1] بصيغة حديثة منحوتة .

وقد عنيت كتب القراءات عناية خاصة بالنون، فأفردت لها فصولا درست فيها أحكامـها وأحوالها المتعددة، من إدغام، وإظهار، وقلب، وإخفاء، سواء أكان ذلك في كلمة واحدة مثل: " ينْأوْن " و "ينْهوْن"، أم في كلمتين، كما في: ( أنْ غضب الله عليهم)، و "لئنْ آتانا من فضله" .

إظهار النون :

تظهر النون الساكنة ــ وكذلك التنوين ــ مع حروف الحلق الستة ، إذ أنها لا تتأثر بهذه الحروف إذا جاورتها، وربما كان ذلك لبعد مخرجها عن مخرج هذه الأصوات[2] التي هـي : الهمزة والهاء والعين والغين والحاء والخاء. فهي في عدم تأثرها بهذه الأصوات شبيهة باللام، التي هي حرف متوسط ــ كما قدمنا ــ مثلها [3]. ومن أمثلة إظهار النون مع أصوات الحلق ، ما ورد في التنزيل في قوله تعالى : ﴿صراطَ الذين أنعمت﴾ ( الفاتحة:٧) ، و ﴿مـنْ هـادٍ﴾ ( الرعد : ٣٣ ) ، ﴿ منْ علَق﴾ ( العلق:٢)، و ﴿ مِنْ غفورٍ ﴾ (فصلت:٣٢) و ﴿ المنْخنقة ﴾ [ المائدة:٣] ، و﴿ وانْحر ﴾ [الكوثر:٢] .

ويلحظ أن ذلك قد يكون في كلمتين كما في الأمثلة الأربعة الأولى ، أو في كلمة واحدة ، كما في المثالين الأخيرين . ففي جميع هذه الأمثلة يجب إظهار النون لوقوعها بجوار صوت حلقي ؛ وذلك بتقدمها عليه . قال مكي[4] في تعليل ذلك : " وذلك إجماع من القـراء . وعلة ذلك: أن النون الساكنة والتنوين بعد مخرجها من الحلق فلم يحسن الإدغام ؛ لأن الإدغام إنما يحسن مع تقارب المخارج . فلما تباعدت مخارجها ، لم يكن بُدّ من الإظـهار ، الـذي هو الأصل . وإنما يخرج عن الأصل لعلة تقارب المخارج . فإذا عُدم ذلك رجع إلـى الأصل .

[1] - الأصوات اللغوية ص ٧١ .
[2] الكشف ١/ ١٦١ ، والأصوات اللغوية ص ٦٨ .
[3] الأصوات اللغوية ص ٦٨ .
[4] الكشف ١/ ١٦١ .

وإنما يخرج عن الأصل لعلة تقارب المخارج . فإذا عُدم ذلك رجع إلى الأصل ، وهو الإظهار " . ونظراً لوجوب إظهار النون مع أصوات الحلق ، فقد عدّ القراء إدغامها لحناً ، وذلك لبعد جوازه [1] .

إخفاء النون :

الإخفاء حالة صوتية بين الإظهار والإدغام . ويراد به الحفاظ على النون وعدم فنائها ، وذلك بإطالتها تلك الإطالة التي أطلقوا عليها اسم الغُنّة. ويلحظ مع ظاهرة الإخفاء " ميل النون إلى مخرج الصوت المجاور لها " [2].

وتخفى النون مع خمسة عشر صوتا[3] هي : القاف ، والكاف ، والجيم ، والشين ، والسين ، والصاد ، والزاي ، والضاد ، والدال . والتاء والطاء . والذال ، والثاء ، والظاء ، والفاء . وقد جمعت في أوائل كلمات البيت الآتي تيسيرا لحفظها :

صِفْ ذا ثَنَاكَمْ جادَ شخصٌ قَدْ سَمَا     دُمْ طيّباً زِدْ في تُقًى ضعْ ظالِمَا [4]

فإذا تقدمت النون الساكنة ــ وكذلك التنوين ــ أحَد هذه الأصوات مجاورة له ، خفيت ، وتظهر غنّة النون عندئذٍ مع الإخفاء ، وذلك كما في : "من شاء " و " من جاء " ، " انزل " و " ينقُ " . ويلحظ أن ذلك قد يكون في كلمتين كما في المثالين الأولين ، أو في كلمة واحدة ، كما في المثالين الأخيرين .

إدغام النون :

وهو المرحلة الثالثة لحالة النون مع الأصوات ، وفيه تفنى النون[1] وإدغامها يكون في ستة أصوات تجمعها عبارة " يرملون " . وهذا الإدغام نوعان :

---

[1] الكشف ١/ ١٦١ .
[2] الأصوات اللغوية ص ٧١ .
[3] ابن القاصح : سراج القارئ المبتدئ ص ١٠٢ .
[4] التجويد وعلوم القرآن ص ٤٨ .

١- إدغام بغير غنة ، وذلك إذا وليها اللام والراء في كلمتين ، وهو أن تكون النون في كلمة ، واللام والراء في كلمة . كما في : ﴿من لدنه﴾ (النساء:٤٠) ، و﴿من ربهم﴾ (البقرة:٥) . ويترتب على إدغام النون في أحد هذين الصوتين تشديد الصوت بعد ذهاب وفنائها فيه . وتذهب بذلك الغنة التي في النون بذهابها نتيجة الإدغام . قال مكي[1]: "لما كان حق الإدغام دخول الحرف الأول في لفظ الثاني بكليته أدغمت الغنة التي في النون والتنوين معهما ، في الراء واللام ، ولم يبق للغنة لفظ " .

ويبدو أن النحاة كانوا يجيزون إظهار الغنة مع اللام خاصة ، على ما يذكر مكي . في حين يجمع القراء على إدغام الغنة في الراء واللام[3] وسبب إدغام النون في هذين الصوتين هو قرب مخرجها من مخرجهما ، إذ أنهن من أصوات طرف اللسان ، فحسن لذلك الإدغام .

٢- إدغام بغنة ، وذلك إذا أدغمت النون الساكنة في أربعة الأصوات الباقية من عبارة " يرملون " ، وهي الياء ، والواو ، والميم ، والنون ويجمعها قولك " ينمو " . فالغنة لا تزول مع هذا الإدغام ، بل تظهر . والقراء يرون أنها مع الميم إنما هي غنة النون بقيت غير مدغمة خارجة من الخياشيم[5]، كما في قوله تعالى : ﴿من نور﴾ (إبراهيم:٤٠) ، وقوله ﴿من ماء﴾ (البقرة:١٦٤) . على حين يرى الدكتور إبراهيم أنيس[6] أنها غنة الميم ، وأن النون لا غنة لها بعد الإدغام ؛ لأنها فنيت فناء تاما في هذه الأصوات . ولا خلاف بين القدامى والمحدثين في أنها إذا أدغمت بالياء والواو تركت وراءها غنة دالة عليها ، موضحة أنها مدغمة بالصوت الذي بعدها .

---

الأصوات اللغوية ص ٧١ .

الكشف ١/ ١٦٢

الكشف ١/ ١٦٢

الكشف ١/ ١٦١

الكشف ١/ ١٦٢

الأصوات اللغوية ص ٧٣ .

ويعد القراء النون صوتا ذا مخرجين : أحدهما : الأنف ، أو كما كانوا يسمونه : الخياشيم ، وهو الذي تخرج منه غنتها ، والآخر : طرف اللسان واللثة ، وهو الذي أشرنا إليه في بداية الحديث عنها . أي أن هذا المخرج من الفم ، والأول من الأنف ، فإذا أدغمت النون " أدغمت ما يخرج من الفم منه، وأبقيت ما يخرج من الخياشيم ظاهرا " . هذا مع هذه الأصوات الأربعة . وعلى حين انك إذا أدغمت النون مع اللام والراء ، أدغمت مخرجيه معا، ولم يبق منهما شيئا [1]. وعندئذ يتمكن التشديد ؛ إذ لم يبق من الحرف شيئا ، كما في " أنْ لا " إذ تقرؤها : " ألاّ " بعد الإدغام . ومن أمثلة إدغام النون في الباء ﴿ منْ يقْول ﴾ (البقرة : ٨)، و﴿ أنْ يضرب ﴾ (البقرة : ٢٦) ، وإدغام النون في الواو ﴿ أفمن وعدْناه ﴾ (القصص:٦١) ، هذا إذا سبقت النون الياء والواو . فان سبقتاها في كلمة كان لا بد من إظهارهما ، وامتنع الإدغام ، لأنك لو أدغمت لالتبس بالمضعف [2]، فتقول : الدنيا ، والبنيان ، ومنه قوله تعالى : ﴿ قنوانٌ دانيةٌ﴾ (الأنعام : ٩٩) وقوله تعالى: ﴿ أفمن أسّس بنْيانه ﴾ ( التوبة :١٠٩ ) ، فهنا لا بد من إظهار الواو والياء .

وواضح أيضا أن النون لا تدغم في هذين الصوتين في كلمة واحدة ، كما في الكلمات التي وردت آنفا ، بل لا بد من وقوعها في كلمتين ، وذلك بان تكون النون في كلمة والياء أو الواو في كلمة . على نحو ما رأينا سالفا في مثل قوله عزّ وجلّ : ﴿ منْ يقول ﴾ و ﴿ أنْ يضْرب ﴾ .

كما ينبغي أن تكون النون ساكنة لتجري عليها ظاهرة الإدغام في هذه الأصوات الستة التي ذكرنا . فان تحركت لم تدغم ، كما في قوله تعالى : ﴿ من الذين﴾ (المائدة:٢٣) . فالنون في " من " ، يجب إظهارها لعدم سكونها.

---

[1] الكشف ...

قلب النون :

تقلب النون الساكنة ميما إذا جاورت الباء مجاورة مباشرة ، بأن تسبقها كما في قوله تعالى: ﴿ أن بُورِكَ ﴾ ( النمل: ٨ ) ، وقوله: ﴿ أنْبِئهم بأسمائهم ﴾ (البقرة: ٣٣) ، فليحظ هنا أن النون تتأثر بالباء فتقلب إلى صوت انفي شبيه للباء في المخرج ، وهو الميم ، الذي هو صوت شفوي كالباء . أي أنها تفقد مخرجها ، وهو طرف اللسان واللثة ، ولا تفقد صفتها الأنفية [1] . وتبقى الغنة التي كانت في النون ؛ لأن الصوت الذي أبدلت منه النون ـ وهو الميم ـ صوت فيه غنة أيضاً . ويجمع القراء على إيقاع هذا الإبدال . وقد علله مكي [2] بقوله: " وعلة إبدال النون الساكنة ميما إذا لقيتها باء ، أن الميم مؤاخية للباء؛ لأنها من مخرجها ومشاركة لها في الجهر ، والميم مؤاخية للنون في الغنة وفي الجهر " .

ومن إبدال النون ميما إذا وقعت قبل الباء قولهم : قمبر ، وعمبر ، في : قنبر وعنبر. قال ابن جني [4] فان تحركت هذه النون لم تقلب ميماً ، تقول : عنابر قنابر " .

ويطلق المحدثون على قلب النون ميما إذا وليها باء اسم " التشابه الصوتي " التماثل الصوتي " ، كما سبقت الإشارة إليه في عدة مواضع من هذا الكتاب " Assimlation "، ولهذا التماثل عندهم سبب نفسي ، وهو تسهيل النطق على المتكلم يستغنى في هذا الإبدال عن حركة اللسان التي يوجبها النطق بالنون بمدة إلى اللثة ، أو سحبه إلى الوراء للنطق بالباء بإطباق والشفتين . فإذا قلبت النون ميما لم تكن ثم حاجة إلى حركة اللسان ومدة . وإنما هي حركة واحدة بإطباق الشفتين عند النطق بالميم والباء [5] . فهذا معنى التسهيل والتيسير في النطق . وقد احدثه التشابه ما بين الميم والباء من حيث أن كلا منهما صوت شفوي .

[1] الأصوات اللغوية ص ٧٣

[2] الكشف ١/ ١٦٥

[3] التعريف الملوكي ص ٤٠

[4] التعريف الملوكي ص ٤٠

[5] ينظر : التطور النحوي ص ٣٢ ــ ٣٤ .

## ٦- الأصوات الأسلية :

وهي ثلاثة أصوات تخرج من أسلة اللسان مع اللثة أو الثنايا . أول من أطلق عليها هذه التسمية الخليل ، وعللها بقوله : " لان مبدأها من أسلة اللسان، وهي مستدق طرف اللسان "[١] وسميت كذلك صفيرية ، كما بينا سابقا. إلا أن تسميتها " أسلية " هنا أولى كما يرى إبراهيم أنيس[٢]، إذ أنها هي الملائمة – في رأيه – لتقسيم الأصوات حسب مخارجها . وأما وصفها بالصفيرية فقائم على التقسيم الوصفي لها لا الموضعي . وهناك تباين لدى اللغويين العرب المعاصرين في الموضع الذي تعمل معه أسلة اللسان ، عند النطق بهذه الأصوات . فمنهم من جعله أسلة اللسان مع اللثة ، ومنهم من جعله أسلة اللسان مع الثنايا . ولذلك سماها بعضهم لثوية[٣] وبعضهم أسنانية لثوية[٤] وليس ثم فارق كبير بين الوصفين ، ولا نرى ضرورة لتكلف الفصل في ذلك ، بعد أن حصل تطور في مخارج بعض هذه الأصوات عبر العصور المختلفة. وكان سيبويه[٥] يحددها " مما بين طرف اللسان ، وفويق الثنايا " . وقد حدد القراء الثنايا ، بالسفلى منها فقط ، على نحو ما أشار إليه مكي بن أبي طالب[٦] .

وهذه الأصوات الثلاثة هي : السين ، والزاي ، والصاد .

أ- السين : وهي صوت مهموس يختلف باختلاف اللهجات العربية، والأفراد أحيانا . ففي بعض اللهجات يشتد صفيرها، وكذلك لدى عدد من الأفراد . بل إن وضع اللسان قد يختلف قليلا عند النطق بها . إلا أن هذه الفروق طفيفة ليست ذات أهمية من الناحية اللغوية . لذا فإن نطق اللهجات كلها حسن ومقبول[٧] فإذا وصفت لنا كتب القراءات القديمة السين بأنه من عرف

---

١- العين ١/ ٥٨ .

٢- الأصوات اللغوية ص ٧٤ – ٧٥ . وحكى برجشتراسر هذه التسمية عند بيان مخارج الأصوات في ... " هذا كله صحيح ما فيه شك من وجهة نظر علماء العرب " التطور النحوي ص ١٢ – ١٣

٣- السعران : علم اللغة ص ١٩٢ . وعبد الصبور شاهين في : علم الأصوات لمالمبرج ص ١١١

٤- أحمد مختار : دراسة الصوت اللغوي ص ٢٧٠ .

٥- الكتاب ٤/ ٤٣٣ .

٦- الكشف ١/ ١٣٩ .

٧- الأصوات اللغوية ص ٧٦ .

اللسان، فوق الثنايا السفلى [1]، كان هذا الوصف في جملته مقبولا في أن يكون نوعا من السين لا يراها العربي غريبة على سمعه . والكثرة الغالبة من الناس ينطقون السين اليوم من أول اللسان، وذلك حين يلتقي مشتركا مع طرفه أحيانا [2]، بأصول الثنايا العليا . وللسين كذلك صفة خاصة عند النطق بها، وهي اقتراب الأسنان العليا من السفلى . وفي أثناء ذلك يرتفع الحنك الأعلى ويضيق مجرى الهواء[3] ، ليحدث الصفير العالي الذي في هذا الصوت .

ب- **الزاي** : وهو صوت مجهور رخو، يناظر السين ولا يفترق عنه إلا في صفة الجهر . ويتكون بالتقاء أول اللسان (مشتركا مع طرفه عند فريق من الناس) بالثنايا العليا، وربما بالثنايا السفلى، على نحو ما مرّ من وصف النطق بالسين [4]. والسين من الأصوات ذات الجرس السلس الجميل، ولذلك ورد في نصوص القرآن الكريم في مشاهد الهدوء والهمس والخفاء، كقوله تعالى : ﴿ **والليل إذا عسعس** ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ **وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا** ﴾ [5]. وناسب هذا المعنى ما فيه من الهمس، على حين ناسب الجهر الذي في الزاي معاني أخرى فيها الوضوح والظهور في مواضع، كقوله تعالى ﴿ **تؤزهم أزا** ﴾ ، وقوله: ﴿ **قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى** ﴾ .

ج- **الصاد** : وهو صوت رخو مهموس مطبق . فهو شبيه بالسين إلا في صفة الإطباق . يكون اللسان عند النطق بالصاد مقعرا منطبقا على الحنك الأعلى ، وذلك بتصعيد طرفيه أقصاه نحوه ، مع رجوعه – أي اللسان – إلى الوراء قليلا كما هو الشأن في نطق الأصوات المطبقة كلها [6] . ومما تقدم يتبين أن النظير المهموس للصاد هو السين ، والنظير المجهور هو الزاي، إلا انه يفترق عنهما معا في صفة الإطباق [7].

1 الكشف ١/ ١٣٩ .

2 الأصوات اللغوية ص ٧٦ .

3 علم اللغة ص ١٩١

4 الأصوات اللغوية ص ٧٦ .

5 ينظر : الجرس والإيقاع في تعبير القرآن ، في مجلة آداب الرافدين العدد ٩ لسنة ١٩٧٨ .

6 الأصوات اللغوية ص ٧٦ .

7 علم اللغة ص ١٩٢

## ٧- أصوات وسط الحنك :

وهي ستة أصوات: اثنان منها صامتان، وهما الشين والجيم، وأربعة منها صائتة، وهي: الكسرة وياء المد، والياء التي ليست للمد، والألف والفتحة، ويسمى بعض الباحثين المعاصرين هذه الأصوات " غارية "[١]؛ لأنها تنتج من الغار، أي الحنك الصلب، الذي هو جزء غير متحرك من جهاز النطق [٢].

أ-الشين : وهي صوت رخو مهموس، يلتقي أول اللسان أو جزء من وسطه، بوسط الحنك الأعلى، عند النطق به، ويحدث فراغ ضيق عند التقاء العضوين مسببا نوعا من الصفير اقل من صفير السين. وذلك أن مجرى الهواء مع السين يكون أضيق. ويلحظ أن اللسان يرتفع كله نحو الحنك الأعلى، وان الأسنان العليا تقترب من السفلى، الا أن هذا الاقتراب اقل مما يحدث عند النطق بالسين [٣].

وللشين نظير مهموس يسمع عند نطق العراقيين والمصريين وغيرهم، في مثل كلمة " مشغول "، إذ ينطق عندهم بما يقرب من الجيم الكثيرة التعطش التي نسمعها في مناطق من جنوب العراق وعدد من الأقطار العربية كسوريا ولبنان، أي كالصوت الذي في كلمة " Measure "، الإنكليزية التي تعني المقياس.

ب- الجيم : لم يجمع المحدثون من الباحثين على صورة الجيم العربية الفصيحة، فمنهم من يرى أن الجيم التي نسمعها الآن من قراء القرآن المجيدين قريبة من الجيم الأصلية، أن لم تكن هي [٤]. فهي فيما يتبين لنا من سماعها، صوت مجهور شديد، يتكون عند التقاء وسط اللسان بوسط الحنك الأعلى التقاء يكاد يحبس مجرى الهواء. فإذا انفصلا انفصالا بطيئا سمع صوت يكاد يكون انفجاريا هو الجيم العربية الفصيحة. وهذه الجيم شائعة في أقطار الخليج العربي، وفي صعيد مصر، ولدى قبائل عربية سودانية. وهي ظاهرة لدى اكثر الحضر العراقيين

---

١- أحمد مختار : دراسة الصوت اللغوي ص ٢٧٠.

٢- المصدر نفسه ص ٨٤.

٣- الأصوات اللغوية ص ٧٦ – ٧٧، وعلم اللغة ص ١٩٣.

٤- الأصوات اللغوية ص ٧٧.

ونظرا لكون هذا الانفصال أبطأ مما هو في بقية الأصوات الشديدة، كانت الجيم أقل شدة منها .[1] وقد تطورت هذه الجيم بعد ذلك كما نلحظها في عصرنا هذا إلى أربع صور هي:

١ ــ الجيم المشربة بالشين ( ثــ) ، وهي المشــابهة لنطــق الصــوت الثــاني مــن كلمة " Measure " ، وهي جيم شائعة في أقطار ومناطق متعددة اليوم، ويذكر برجشتراسر[2] أن هذه الجيم معطشة عند أكثر العرب في العصر الحديث، مركبة من لفظي الدال والــزاي أي الــ " ge " الفرنسية . وليس الأمر كما ذكر هذا المستشرق، إذ أن النطق بها محــدود بثلاثة أقطار، هي: سوريا ولبنان والمغرب، وبمناطق ثلاث من محافظات العراق، هــي محافظة ميسان ومنطقة الغرّاف في محافظة ذي قار من المحافظات الجنوبيــة، ومحافظــة المثنى السماوة وما حولها، من المحافظات الوسطى، إذ أن سكان هذه المناطق في هذه المحافظــات يبالغون في تعطيش الجيم، فينطقون بها كما تنطق في لبنان وسوريا والمغرب . وهذه الجيم صوت قديم، فيما يبدو من كلام سيبويه، وقد حددها صوتيا بأنها " الجيــم التــي كالشين وعدها في جملة الأصوات التي لا تستحسن في قراءة القرآن، ولا في الشعر[3]، وبيّن أنها لا تبيّن إلا بالمشابهة "[4].

٢- الجيم المبدلة ياء : وهي الجيم العربية القديمة التي وردت في بعض لــهجات العرب ورواها اللغويون عنهم، وقد تقدم الحديث عنها في المبحث الخاص بالأصوات من اللهجات وهذه الجيم شائعة اليوم، كما ذكرنا هناك، في جنوب العراق ووسطه، ومناطق مــن ... كقبيلة زوبع في محافظة نينوى، كما أنها شائعة في أقطار الخليج العربي، كالكويت و... وغيرهما . فنحن نسمع مثلا كثيرا من أهل الريف وقليل من أهل المدن في جنــوب العراق ووسطه يقولون :

[1] الأصوات اللغوية ص ٧٧ ــ ٧٨
[2] التطور النحوي ص ١١
[3] الكتاب ٤/ ٢٣٢
[4] الكتاب ٤ / ٢٣٢

شيرة " بدلا من " شجرة " ، وهذه اللفظة التي وردت بهذه الصورة من الإبدال اللهجي في شعر عربي قديم . وفي بعض القراءات غير المشهورة، على ما بيناه في موضعه من فصل اللهجات .

- الجيم الشديدة الجهر : وهي التي تنطق دالا . وهي بهذا قد تقدمت في النطق إلى الأمام في مخرجها، فزالت شدتها، وزال تعطيشها [1]. وتسمع هذه الجيم في لهجة بعض أهالي صعيد مصر [2] .

- الجيم البالغة الشدة :

وهي التي تماثل القاف الثقيلة الشديدة والتي تنطق كما تنطق ال "g " في كلمة " **good**". وهي التي تسمى أيضا : الجيم القاهرية ، فأكثر المصريين ينطقون بهذه الجيم الشديدة التي لا يشوبها شيء من الرخاوة . ومخرجها في نطقهم هو أقصى الحنك .

وقد سببت هذه الجيم خلافا في رسم الحروف بين المصريين وغيرهم من أبناء الأقطار العربية؛ إذ أنهم لا يكتبون كلمة " **gold** " مثلا عند نقلها بلفظها إلى العربية، كما في أسماء الأعلام، يكتبونها : ( جولد ) . على حين يكتبها أبناء أقطار أخرى ( كولد ) بالكاف التي عليها خطان . وقد جرى نقاش حول ذلك بين مصطفى الشهابي، وأعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة، طالب فيه هذا اللغوي كتابة الأسماء التي تنطق فيها مثل هذه القاف الثقيلة على غير الصورة التي يكتبها بها المصريون، وهي الجيم . واقترح أن ترسم ( گ )[3] هكذا . وكان ذلك في سنة ١٩٦٥ ، إلا أن هذه الجيم غير المعطشة ما زالت ترسم في كتابات المصريين ( ج ) هكذا . وهذا ظاهر في الأعلام الأجنبية المكتوبة باللغة العربية، أو الكلمات والعبارات المنقولة إليها، بما فيه الصوت الأجنبي " g " . وهذا لا تتأتى قراءته لأبناء الأقطار الأخرى بهذه الصورة، لأنهم يقرأون الجيم عادة، بالصورة التي تلفظ بها معطشة .

[1] الأصوات اللغوية ص ٧٨ .

[2] الأصوات اللغوية ص ٧٨

[3] البحوث والمحاضرات، الدورة مجمع اللغة العربية بالقاهرة الحادية والثلاثين، لسنة ١٩٦٤ - ١٩٦٥ ، ص ١٣٣ — ١٣٤

ومعلوم أن القدامى قد وصفوا الجيم بالشدة، ولكن المحدثين وجدوا الجيم المعطشة البوم ما بين الشدة والرخاوة [1]. وهذا يعني أن صورتها الأولى الأصلية تغاير الصورة الحاضرة. ومع أن الدكتور ابراهيم أنيس لا يخفي القول بان من غير الممكن القطع بالصورة التي كانت عليها الجيم قبل تعطيشها، إلا انه مع ذلك يرى في ضوء الموسيقى القرآنيــة ـ كالتي في سورة البروج أنها أقرب إلى الدال، من أي صوت آخر . أي أنها قليلة التعطيش جدا. فقد قال تعالى في أول سورة البروج : ﴿ **والسماء ذات البـــــروج * واليـوم الموعـود * وشاهد ومشهود * قتل أصحاب الأخدود** ... ﴾ فختمت الفاصلة الأولى بجيم ، كما هــو واضح، وختمت ثماني فواصل بعدها بدال ، مما يرجح أن النطق بهذه الجيم كان أقرب ـ في رأيه ـ الى الدال، و أوثق اتصالا بها .

وفي ضوء هذه الملاحظة وملاحظات أخرى، بنى الدكتور إبراهيم أنيس رأيـــه فـــي ان الجيم الأولى الفصيحة كانت تنطق بما يقرب من الدال [2]. ولا يستبعد أن يكون هذا الاستنتاج صحيحا . إذا علمنا أنها لم ترد في القرآن فاصلة إلا حين ترد معها دال في فاصلة أخرى تقع في سياقها . ويتجلى ذلك في سورة ( ق ) أيضا ، إذ تكررت الجيم في عـــدة فواصل مع فواصل أخرى تنتهي بالدال ، وبعضها بالباء وهي اقل عـــدداً ، ووردت فاصلتـــان بـــالراء، وواحدة لكل من أصوات الإطباق : الطاء و الظاء والصاد .

وعلى أية حال لا ينبغي الوقوف عند هذا الحد من البحث عن الصورة الصوتية القديمة للجيم العربية الفصيحة ، بل ينبغي مواصلة البحث فيها ، والدرس لها من أجل الوصول إلى حقيقتها .

[1] الأصوات اللغوية ص ٧١ اسفل

[2] الأصوات اللغوية ص ٨٢ .

٨- أصوات أقصى الحنك :

وتخرج منه عدة أصوات هي : الكاف، والقاف، والضمة وواو المد، والـــواو الشبيهة بصوت المد .

أ ـ **الكاف** : صوت شديد مهموس ، يتكون باندفاع الهاء في مجراه ، فإذا وصل إلى أقصى الحنك انحبس انحباساً تاماً ، لاتصال أقصى اللسان بأقصى الحنك ، بحيث لا يسمح بمرور الهواء عند ذلك إلى الخارج ، ثم يطلق بعد ذلك سراح المجرى الهوائي ، بانخفاض اللسان وانفصاله فجأة من موضع الالتقاء بالحنك ، فيسمع عند ذلك صوت انفجاري هو الكاف .

وللكاف نظير مجهور هو القاف الثقيلة ، التي بين القاف والكاف. إلا أن الأخيرة أشد شدة من الكاف ؛ لأن انفصال العضوين عند النطق بها أكثر فجائية [١].

ب ـ **القاف** :

القاف كما ينطق بها الآن في العربية الفصحى ، ونسمعها من قراء القـــرآن المجيد صوت شديد مهموس [٢]. على الرغم من أن كتب القراءات وصفتها بأنها صـــوت مجهور ويتكون هذا الصوت بحبس الهواء الخارج من الرئتين حبسا تاما ، وذلك برفع أقصى اللسان ليلتقي بأدنى الحلق من الفم، بما في ذلك اللهاة ، ولهذا يسمى أيضا " لـــهويا " [٣]. ولا يسمح بمرور الهواء من الأنف، وذلك برفع الحنك الأقصى ( اللين ) . فيحصر الهواء لفترة وجيزة ثم يطلق مجراه بانخفاض أقصى اللسان فجأة ، منفصلا عن موضع اتصاله مما يجعل الهواء يندفع بقوة محدثا صوتا انفجاريا شديدا [٤].

ويرى برجشتراسر [٥] أن القاف كانت مهموسة في اللغة الجَزَرِية الأم ، أو كما سماها :

---

١- الأصوات اللغوية ص ٨٤ .

٢ الأصوات اللغوية ص ٨٤ ، والتطور النحوي ص ١٦ .

٣ الأصوات اللغوية ص ٨٤ ، وعلم اللغة ص ٢٠٠ ،ودراسة الصوت اللغوية ص ٢٧٢ .

٤ الأصوات اللغوية ص ٨٤ ، وعلم اللغة ص ١٧١ ، ودراسة الصوت اللغوي ص ٢٧٢ .

٥ التطور النحوي ص ٢٦ .

السامية الأم ، ثم صارت مجهورة في اللغة العربية، وذلك بفعل القوانين الصوتية التي كان اللغويون العرب يسمونها : " أصولا مطردة " ، ويسميها المحدثون : " قوانين صوتية " . وعلى هذا فإن ما هي عليه القاف من الهمس اليوم ، إنما هو عودة إلى ذلك الذي كانت عليه . وكنا قد أشرنا في مبحث الأصوات من فصل اللهجات، أن ابن خلدون يذكر أن البدو في عصره ينطقونها بصوت بين القاف والكاف، وان الذي يبدو هو أن معظم القبائل البدوية التي عاشت في المغرب في أيام ابن خلدون كانت من الحجاز، هاجرة في القرن الخامس للهجرة إلى تلك البلاد ، ناقلة معها هذا النطق الخاص بالقاف . ومن هنا رجح الدكتور إبراهيم أنيس أن هذا النطق قديم، وأنه ربما كان شائعا بين عدد من القبائل البدوية أيام النبي ( ﷺ ) وأما نطق القرشيين بعامة والنبي (ﷺ) بخاصة، فيرى أنه يحتاج إلى تحقيق [1]. وهذا تعليق منه مما ذكره ابن خلدون من أن هذه القاف الثقيلة قد تكون لغة مضر وأنها قد تكون لغة النبي (ﷺ) .

ومهما يكن من أمر، فأن النطق بالقاف على هذا النحو الذي تحدث عنه ابن خلدون قديم، وقد أشار إليه غير واحد من اللغويين مثل ابن فارس [2]، والسيوطي [3]. وقد يكون هذا النطق هو اصل القاف، وقد يكون لهجة من اللهجات، كما هو المحتمل . وكان الناس في عهد ابن مكية الصقلي ـ القرن الخامس للهجرة ـ ينطقون القاف بهذه الصورة هي بينَ بينَ ، وذلك في قولهم للقميص الذي لا كُمَّي له : " بكَيرة " ، والصواب فيما يذكر الصقلي: " بقيرة " بقاف محضة [4].

وهذه القاف شائعة في كثير من لهجاتنا العربية المعاصرة، وخاصة في أقطار الخليج العربي، وهي معروفي لدينا في العراق في أنحاء القطر المختلفة، إلا ما يسمع في مناطق من مدينة الموصل ، وتكريت ، وراوة ، وعنة ، من نطقها قافا خالصة ، ليست ثقيلة . بل أن هذه

---

[1]- الأصوات اللغوية ص ٨٥ .

[2]- الصاحبي ص ٥٤ .

[3]- المزهر ١/ ٢٢٢ .

[4]- لحن العامة ص ٢٣٧ .

القاف الثقيلة ينطق بها كثير من المصريين في الصعيد وغيره ، وهي لغة البدو بعامة ، وبلاد اليمن أيضا .

وإذا أردنا أن نصف القاف اليوم في كلام العرب الحديث وجدنا لها خمس صور هي :

١- **القاف المحضة الخالصة** ، وهي قاف العربية الفصحى ، وينطق بها في مناطق من العراق ، على ما بينا ، كما ينطق بها كثير من العرب عندما يتحدثون بالفصحى . وهذا ظاهر في وسائل الأعلام المسموعة والمرئية، كالمذياع والتلفاز ...

٢- **القاف الثقيلة** ، التي بين القاف والكاف ، وهي التي تستعمل في اللهجات العربية الحديثة في عدة أقطار عربية ، على ما بينا سالفا . وفيها يتقدم مخرج القاف نحو الامام منتقلا من أقصى الحنك إلى وسطه .

٣- **القاف التي تنطق غيناً**، وهي مسموعة اليوم في مناطق من ريف العراق في شماله ووسطه وجنوبه[1] فهناك ريفيون يبدلون من القاف غيناً ، فإذا أرادوا أن يقولوا : قريب . قالوا: غريب . وهي لهجة شائعة في السودان . وهذا في الواقع انتقال بالقاف من الهمس إلى الجهر . وهي صفة كانت تميل إليها قبائل عربية قديماً ، وذلك بإبدال صوت مجهور بصوت مهموس وقد مر علينا سالفاً في الفصل السابق ، قولهم : زقر بدلا من صقر .

وقد افترض الدكتور إبراهيم أنيس[2] أن القاف الأصلية تشبه هذا الصوت المجهور - الغين - ، ثم همست بمرور الزمن ، وأصابتها صفة الشدة ،

فأدى ذلك إلى ما نعهده اليوم من نطقها في كلامنا الفصيح .

٤- **القاف التي تنطق همزة** : وتطورت القاف تطورا غريبا في مصر وسوريا ولبنان إذ صارت تنطق همزة ، وهي التي يطلق عليها أحيانا اسم (القاف القاهرية) . وقد عزاه برجشتراسر[3] إلى ما سماه " ذوق العصر " . وعلله باستثقال أهل القاهرة النطق بالقاف

[1] وقد وهم الدكتور إبراهيم أنيس حين حددها بالجنوب فقط .
[2] الأصوات اللغوية ص ٨٥ .
[3] التطور النحوي ص ٢٨

والتحول منه إلى الهمزة . ثم انتقال هذه العادة الكلامية ، التي سادت بين العامة والخاصة منهم ، إلى غيرهم من أبناء المدن الكبيرة في خارج مصر ، كدمشق ، ثم إلى مدن أخرى كالقدس الشريف . وهذا عنده ينضوي تحت ما سماه : " انقلابات صوتية قانونية " ، هي جزء من " قوانين صوتية " ، كان اللغويون العرب يسمونها : أصولاً مطردة ، على ما أشرنا إليه آنفاً [1] ويحدث عند النطق بهذه القاف المنقلبة إلى همزة تحول في مخرجها ؛ إذ يرجع هذا المخرج إلى الوراء ، حتى ينطق من المزمار نفسه .

والحق أن الانتقال من صوت شديد إلى آخر أشد منه ، كالانتقال هنا من النطق بالقاف إلى النطق بالهمزة ، يحتاج إلى تعليل أقوى من مجرد ذوق العصر الذي أشار إليه برجشتراسر . إذ لا يخفى أن الهمزة أشد في الميزان الصوتي من القاف . إذ هي أشد الأصوات في العربية ، على ما بيناه في كلام سابق عند الكلام على الأصوات الشديدة .

فهذا الإبدال الغريب لم تعرفه العربية من قبل ظاهرة شائعة على نطاق لهجة ، ولا يعرف له سبب واضح أو أصل [2]. لأن اللغة تسير عادة في تطورها نحو التيسير والتسهيل ؛ إذ هي ظاهرة اجتماعية ، تخضع لما تخضع له بقية الظواهر الاجتماعية . فكان الانتقال من الهمز إلى غيره أولى ، لأنه انتقال من الصعب إلى ما دونه .

وقد تلمس الدكتور إبراهيم أنيس تعليلاً له مبنياً على علم الأصوات اللغوية ، وهو أن تطور الصوت اللغوي يتم بتغير مخرجه بالانتقال إلى الأمام أو الوراء ، باحثاً — أي الصوت — في انتقاله عن أقرب الأصوات . فلم يصادف القاف في الحلق — عند المصريين — من أصوات الحلق ما يشبهه غير الهمزة ؛ لوجود صفة الشدة في كل منهما . فهذا من تأخر الصوت إلى الوراء . وأما نطقه ما بين القاف والكاف ، فهو وليد الانتقال

---

[1] - التطور النحوي ص ٢٦ — ٢٩ .

[2] - محي الدين توفيق : أصول اللهجات الحديثة ، بحث في مجلة كلية الاداب لجامعة بغداد ، العدد ١٣ ص ٥٠٥ .
وانظر بحثنا : عاميتنا و الفصيح في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، بمجلة اداب المستنصرية ص ٨٥ العدد ١١ لسنة ١٩٨٥ .

بمخرجه إلى الأمام ، وهو انتقال من صوت مجهور إلى آخر مثله مجهور ، إذ أن الأصل في صفة القاف الجهر ، على ما بيناه آنفاً .

هـ- **القاف التي تنطق كافاً** : ونطقها شائع في كثير من بلاد الشام ، وفي نطق قسم من المصريين ، من الشباب والفتيات . وهو أمر يصفه الدكتور عبد الصبور شاهين بأنه (معيب)، ولكنه يرى أن " علاجه ليس صعباً"؛ إذا تعاهدت المؤسسات التعليمية ... المعلمون والمدرسون طلبتهم على النطق الصحيح للقاف . ويحدث هذا التغير الصوتي بتقدم مخرج القاف إلى الإمام.

ج- **الضمة وواو المد** : وفيهما يرتفع أقصى اللسان نحو أقصى الحنك. ولا اختلاف بينهما إلا في طول الزمن الذي يستغرقه كل منهما عند النطق به؛ إذ يبلغ في الواو ضعف ما يبلغ في الضمة ، بحسب ما وصل إليه المحدثون ، كما تقدم بيانه .

ويتذبذب الوتران الصوتيان عند النطق بهذين الصائتين ، مثلما يتذبذب عند النطق بالصوائت ؛ إذ إنها جميعاً ــ كما بينا في كلام سالف ــ مجهورة . إلا أن الشفتين تستديران عند النطق بالضمة والواو ، فتنضم إحداهما إلى الأخرى من دون أن تنطبقا انطباقاً كاملاً ... وهذا هو الفرق بين حالهما مع هذين الصوتين وحالهما مع الباء والميم .

وفي أثناء ذلك يندفع الهواء من الحلق ، ويرتفع أقصى اللسان نحو أقصى الحنك ، فيسد الطريق إلى الأنف ، فيخرج الهواء من الفم من غير أن يحدث احتكاكاً . وكان القدماء يصفون الواو بأنه صوت شفوي وكذلك عدد من المحدثين [4]، مع أن العمل في إخراجه ليس للشفتين وحدهما، بل للسان وحركته ارتفاعاً نحو الأعلى ، وللجزء الذي يرتفع إليه من الحنك [5]. وهو الأقصى ، كما بينا . ومن هنا يوصف الواو بأنه صوت حنكي قصي

الأصوات اللغوية ص ٨٦

علم الأصوات ص ١١٨

... كتاب سيبويه ٤/ ٤٣٣ .

... ١٠ ... عبد الصبور شاهين في علم الأصوات لمالمبرج ص ١٢٢ ، إذ وصفه بأنه شفوي طبقي ــ مزدوج

الأصوات اللغوية ص ٤٣ .

المصدر نفسه : المكان نفسه . والسعران : علم اللغة ص ١٩٨ ، ٢٠١ .

وأما جعل القدامى الواو صوتا شفويا، فيعود إلى ملاحظتهم استدارة الشفتين عند النطق به [1]. وذهب بعض المعاصرين مثل الدكتور محمود السعران [2]، إلى اعتبار الاثنين : الشفتين وأقصى الحنك، مخرجا للواو، وتسمّى الضمة صوتا شفويا ــ حنكياً قصياً .

د- شبه الصائت (الواو) : بينا في كلام سالف أن الواو يرد صائتاً ويرد شبيهاً بالصائت أيضاً . ويخرج هذا الصوت عند اقتراب أقصى اللسان من أقصى الحنك، وتستدير إذ ذاك الشفتان . وذلك كما في كلمتي (وادي) ، و (مورد) ونحوهما مما ترد فيه الواو شبيهة بالصائت، وليست صائتا .

## ٨- الأصوات الحلقية :

وهي ستة أصوات شخصها القراء واللغويون العرب القدامى، وسموها الحروف الحلقية، وهي: الغين والخاء والعين والحاء والهاء والهمزة. وتمتاز اللغات الجزرية من غيرها من اللغات بهذه الأصوات أو بمعظمها . وجميع الأصوات الحلقية ــ عدا الهمزة ــ رخوة، أي يسمع لها عند النطق بها حفيف .

أ ــ **الغين** : وهو صوت رخو مجهور مخرجه . في أدنى الحلق إلى الفم؛ إذ يتخذ الهواء مجراه إلى الحلق حتى يصل إلى أدناه من جهة الفم، وهناك يضيق المجرى فيحدث الهواء نوعا من الحفيف المسموع مكونا صوت الغين [3].ويعد الغين النظير المجهور للخاء [4].

ب ــ **الخاء** : وهو صوت رخو مهموس، يتكون باقتراب أقصى اللسان من أقصى الحلق، بحيث يكون بينهما فراغ ضيق يسمح بمرور الهواء محدثا احتكاكاً [5].

---

[1]- المصدر نفسه : المكان نفسه . والسعران : علم اللغة ص ١٩٨ ، ٢٠١ .

[2]- ينظر كتابه : علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي .

[3]- الأصوات اللغوية ص ٨٧ ــ ٨٨ .

[4]- علم اللغة ص ١٩٤ .

[5]- علم اللغة ص ١٩٤، والأصوات اللغوية ص ٨٨ .

ج ـ العين : وهو صوت مجهور يعد عند القدامى متوسطا بين الشدة والرخاوة . ولعل السر في هذا فيما يرى الدكتور إبراهيم ـ ضعف حفيفها، مما يقربها من الميم والنون ونحو ويجعلها من فئة هذه الأصوات التي هي أقرب في ذلك إلى طبيعة أصوات اللين .

ومخرج العين من وسط الحلق، حيث يندفع الهواء في مجراه حتى يصل إلى هذا الموضع، وعندئذ يضيق مجراه عند مخرجه، أقل من ضيقه مع الغين مما يجعل العين أقل رخاوة من الغين [1] .

ويعد العين النظير المجهور للحاء، إذ تصحبه نغمة موسيقية باهتزاز الوترين الصوتيين ولا تصحب الحاء هذه النغمة، لعدم اهتزازهما معه [2] .

د ـ الحاء : وهو صوت رخو مهموس، يناظر العين في المخرج من حيث إنه وسط الحلق أيضا ويخالفها ـ كما ذكرنا ـ في الصفة . إذ أن العين صوت مجهور .

هـ ـ الهاء : صوت رخو مهموس، تظل فتحة المزمار معه مفتوحة منبسطة، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان . وبذلك يمر الهواء خلال الانفراج الواسع الناتج عن انفتاح فتحة المزمار، أو قل: الناتج عن تباعد الوترين الصوتيين . غير أن اندفاع الهواء يحدث نوعا من الحفيف، يسمع من أقصى الحلق، أو داخل المزمار نفسه، ولذلك يصح وصف الهاء بأنه صوت حنجري [3] وعند النطق بالهاء يرفع الحنك اللين إلى أعلى [4] .

وقد يجهر بالهاء في ظروف لغوية خاصة، وعند ذلك يتذبذب الوتران الصوتيان ويرجع الجهر بها إلى اندفاع كمية كبيرة من الهواء من الرئتين، تفوق في كميتها تلك التي تندفع مع الأصوات الأخرى [5] .

[1] الأصوات اللغوية ص ١١ .
[2] علم اللغة ص ١٩٥
[3] علم اللغة ص ١٩٦
[4] علم اللغة ص ١٩٦
[5] الأصوات اللغوية ص ٨١ ـ ٨٩ .

و ـ الهمزة : الهمزة صوت شديد لا مجهور ولا مهموس [1]، كما سبق أن وصفنا عند الكلام على صفات الأصوات من هذا الفصل . ونظرا لشدتها فقد تعرضت لضروب من التغيير في العربية، إذ كانت تحذف في أحيان، وتسهل في أخرى، إما بإبدالها ألفا أو واواً أو ياء أو هاء أو بجعلها بين بين، أي بين نطقها ألفا وهمزة ويتجلى ذلك في القراءات القرآنية .

ومن هنا كانت الهمزة نوعان: مُحقّقة، وهي هذا الصوت الشديد (الانفجاريّ) الذي يسمع عند النطق بها . ومُسَهلة، وهي التي وصفنا بعد إحداث تغيير فيها . ومخرجها وهي محققة من المزمار نفسه [2]، أي من الفراغ المثلث المحاط بالوترين الصوتيين[3] في الحنجرة، فهي في هذا كالهاء . وهذه الهمزة هي التي يطلق عليها اسم " همزة القطع " : (ء) .

وقد ذكرنا عند الكلام على صفات الأصوات [4]، أن الهمزة أشد الأصوات في العربية، ولذلك مالت اللهجات العربية في العصور الإسلامية إلى تخفيفها، أو التخلص منها بالحذف . وهو ما نلحظه اليوم في كلامنا الدارج في الأقطار العربية كافة ، إذ نقول : بير ، وراس ، ونشا ، بدلا من بئر ورأس ونشاء . وترجع شدة الهمزة إلى أن فتحة المزمار تنطبق عند النطق بها تماما . بحيث لا تسمح للهواء بالنفوذ من الحنجرة خلال هذه الفتحة، فيحبس فيما دون الحنجرة، ثم تنفرج فتحة المزمار، أي الوتران الصوتيان، فجأة فيسمع صوت انفجاري هو الذي نعبر عنه بهمزة القطع .

وليس من شك في أن انحباس الهواء عند فتحة المزمار ثم انفراج هذه الفتحة فجأة، يحتاج إلى جهد عضلي، قد يزيد عما يحتاج إليه صوت آخر، مما يجعل الهمزة أشق الأصوات نطقا في العربية . وهذا هو الذي جعل اللهجات العربية في العصور الإسلامية وإلى يومنا هذا تتخلص منها بطريقة أو أخرى .. على نحو ما مر بنا من تخفيف أهل الحجاز لها تارة، بإبدالها بصوت لين، أو حذفها من الكلمة، كما في " نكِرَ " و " تَجزى " . وهي في لغة

---

[1]- الأصوات اللغوية ص ٩٠ ، وعلم اللغة ص ١٧١ .

[2]- الأصوات اللغوية ص ٨٧ .

[3] ينظر تعريف المزمار في كتاب : علم الأصوات لمالمبرج ص ٤٧ .

[4] ص ٣٧٢ من هذا الكتاب .

بني تميم: أنكر، وتجزئ، من أجزاء، إذا أغنى وكفى . وقد سقطت الهمزة في عدة قـراءات قرآنية تخفيفاً، كما في ( مستهزِئون)، إذ قرئت: (مستهزون) . وقد تبدل صوت لين ومد، وذلك بحسب حركة ما قبلها، فإذا كان ما قبلها مضموما مثلا قلبت واوا ، كما في ( يُؤْمِنون ) التي قرئت: (يُومِنون) [2]، وإذا كان ما قبلها مكسورا قلبت ياء كما في : (الذئب) التي قرئت : (الذيب) [3].

أما وصف الهمزة بأنها صوت لا مجهور ولا مهموس، فيرجع إلى أن الوترين الصوتيين لا يقتربان عند النطق بها بحيث يتذبذبان فيكون جهر، ولا يبتعدان فيمر الهواء من دون أن يعترضه شيء في الحنجرة فيكون همس، وإنما يحدث انطباق تـام ـ كما أشرنا ـ للمزمار، لا يسمح بمرور الهواء أولاً . أو بعبارة أخرى : إن الوترين الصوتيين ينطبقان تمام الانطباق [4].

وقد عقدت كتب القراءات القرآنية للهمزة أبوابا تحدثت فيها عن تحقيقها وتسهيلها واختلاف القراء في ذلك، كما تضمنت الكتب الخاصة بالاحتجاج للقراءات تعليلات صوتية للتحقيق والتسهيل، على نحو ما نجد في ما ألفه ابن خالوية وأبو علي ومكي .. كما عني بدراستها النحاة، فكانوا قد " وفوها حقها شرحا وتفصيلا " [5]. ففي كتاب " الكشف " لمكي ما يزيد على خمسين صفحة [6] في أحوال الهمزة، وما يتعلق بها من تحقيق وتخفيف في صورها المتنوعة، واختلاف القراء في ذلك كله، كاختلافهم عند اجتماع همزتين، من حيث وقوعهما معاً في كلمة واحدة أو في كلمتين، أو تحقيق الأولى وتخفيف الثانية، أو تخفيف الثانية وإدخال ألف بينهما، أو حذف الأولى منهما.

1 [illegible]: إتحاف فضلاء البشر في قراءات الأربعة عشر ص ٣٠ [illegible].

2 [illegible] كتاب السبعة ص ١٢٠ — ١٣١ .

3 [illegible]

4 الأصوات اللغوية ص ٨٩ — ٩٠ . [illegible]: تحبير التيسير لابن الجزري ص ٥٦ — ٥٧ .

5 [illegible] الحرمي [illegible] ٢٩

6 [illegible] — ١٢١

وقد تساءل مكي عن سرّ استثقال تكرير الهمزة في مثل: " أأنتم " وعدم استثقال تكريرها في سائر الأصوات، ثم أجاب عن ذلك بأن الهمزة " حرف بعيد المخرج، جلد صعب على اللفظ به، بخلاف سائر الحروف.. ولذلك استعملت العرب في الهمزة المفردة ما لم تستعمله في غيرها من الحروف، فقد استعملوا فيها التحقيق والتخفيف، وإلقاء حركتها على ما قبلها، وإبدالها بتغيرها من الحروف، وحذفها في مواضعها، وذلك كله لاستثقالهم لها، ولم يستعملوا ذلك في شيء من الحروف غيرها. فإذا انضاف إلى ذلك تكريرها كان اثقل كثيرا عليهم[1] " وبذلك أدرك اللغويون والقراء القدامى شدة الهمزة التي تربو على شدة الأصوات اللغوية الأخرى .

ويمكن تلخيص أهم أحكام الهمزة بما يأتي :

١- تحقق الهمزة إذا وقعت في أول الكلام، ويمتنع تخفيفها كما في همزات: " أساءت وأحيى " . و " أقام الصلوة " .

٢- أما إذا توسطت أو تطرفت فتخفيفها جائز حسن[2] . وتختلف أحوالها حسب حركتها. إذ أنها تقع ساكنة ومفتوحة ومضمومة ومكسورة، وذلك:

(أ) يجري تخفيف الساكنة بناء على حركة ما قبلها؛ لأنها عندهم لما سكنت ضعفت، فبقي الاعتماد في ذلك على حركة ما قبلها . فان كان ما قبلها مفتوحا أبدلت ألفا، على أساس أن الفتحة تشبع فتصير ألفا وهو المطل، كما أن الفتحة في رأيهم من الألف . وأما إذا انضم ما قبلها فتبدل واواً، لأن الضمة إذا أشبعت صارت واواً، ولأن الضمة من الواو . وذلك مثل " يُؤْمِنُ " و " تُؤْمِنُ " و " تُؤْتي " و " تُوتي " . وإذا كان ما قبلها مكسورا أبدلت عند التخفيف ياء، لأن الكسرة إذا أشبعت صارت ياء، ولأنها من الياء . كما في "الذئْب " و " الذيب " .

(ب) وإذا كانت الهمزة المتوسطة مفتوحة، أو قبلها الألف، جعلت بين بين، أي بين الهمزة والألف عند النطق بها . وهذه الصفة الصوتية للهمزة لا تظهر في الكتابة واللفظ، بل تظهر

---

[1] - الكشف ١/ ٧٢ .

[2] - مكي : الكشف ١/ ١٠٢ .

في النطق، وهذا من النوع الذي كان يسميه القراء القدامى ما " لا يضبطه الكتاب[1] "، أي لا تبينه وتوضحه الكتابة. وذلك مثل: " رأى " و " جاء " عند تخفيف همزة كل منهما بين بين.

فإن كانت المفتوحة مضموماً ما قبلها أو مكسوراً، أبدلت مع الضم واواً مفتوحة نحو: " يُؤاخِذُ " : و " يُواخِذُ "، ومع الكسر ياء مفتوحة، كما في : "مير " جمع " مئرة " [2]، وأصلها قبل التخفيف: " مئر " [3].

(ج) وإذا كانت الهمزة مكسورة أو مضمومة، كانت بين بين عند التخفيف إذا تحرك ما قبلها بأية حركة ، أو كان قبلها ألف، مثل: " سئم "، و " سائل "، و " قائم "، و " بإمام "، لا يوضحها الخط كما بينا، بل يوضحها النطق، ولذلك تسمع عن طريق المشافهة في أصول القراءات .

وتكون المضمومة بين الهمزة والواو الساكنة، مثل: " يؤوده "، " جاؤوا " و " يؤوس ".

٣- أما الهمزة المتطرفة فأحكامها عند التخفيف مثل أحكام الهمزة المتوسطة تقريبا، إلا في بعض التفصيلات والفروق الطفيفة، فهي مثلا لا تكون بين بين إلا في حال " الروم " للحركة [4]. أي إظهار بعض الحركة، وهو الذي يسميه القدامى اختلاس الحركة كما في " السوء "، في قوله تعالى : ﴿ أمطرت مطر السوء ﴾، إذ يوقف على همزتها بالسكون كما هو معلوم في أصول القراءات والتجويد، فإذا أريد الروم للحركة، أظهرت الكسرة غير تامة بل مختلسة . وقد تقدمت الإشارة إلى معنى الروم في المبحث الأول من هذا الفصل . ونحسب أن ما أوردناه عن الهمزة ومخرجها وأحوالها المختلفة، فيه كفاية توضحها، وتبين ما يطرأ عليها، ومدى عناية القدامى بدراستها .

[1] ابن مجاهد : السبعة في القراءات ص ١٠٦ .
[2] المئرة : العداوة والنميمة . و مأر بين القوم : أثار العداوة والبغضاء .
[3] الكشف ١/ ٥٠١ .
[4] الكشف ١/ ١١١ وما بعدها .

## الاختلاف بين الخليل وعلماء الصوت المحدثين في تعيين عدد من صفات الأصوات ومخارجها :

يعد جهد الخليل بن أحمد في علم الأصوات بعامة ، وتعيين مخارجها بخاصة جهدا رائدا فريدا ، إذا قيس بما كان في عصره . وقد أوضحنا ذلك بكفاية في المبحث الأول من هذا الفصل ، عند كلامنا على جهود العلماء العرب في علم الصوت . إلا أن جهده المبارك هذا لم يسلم من الهنات والآراء التي وجدها اللغويون المحدثون ليست صحيحة . وهذا أمر طبيعي، إذ كان الخليل أول من قام بهذا الجهد اللغوي الدقيق من جهة، ولأنه ـ كسائر القدامى ـ لم يكن يمتلك ما امتلكه المحدثون من أجهزة ومختبرات متنوعة متطورة، فتحت آفاقا جديدة في الدرس الصوتي . ولذلك فان رؤية المحدثين وما انتهوا إليه لا تقلل بحال من أهمية عمل الخليل ولا من قيمته العلمية . ويمكن أن نجمل هذه الخلافات في الآتي :

١ـ عدّ الخليل (الهمزة) و(الهاء) ضمن الصوامت الحلقية . فترتيب هذه الصوامت عنده : ء ، ع ، ح ، هـ ، خ ، غ . وهي حروف الحلق الستة التي عرفت بهذا الاسم لدى اللغويين والنحويين من بعده .

أما المحدثون من اللغويين فيرون الهمزة والهاء صوتين حنجريين ؛ لان موضعها عند النطق بها هو الحنجرة نفسها، أو على تعبيرهم : فتحة المزمار،وهي الفتحة التي بين الوترين الصوتيين . فهما إذا ابعد غورا من العين وما تلاها من حروف الحلق . وقد مر بنا إيضاح ذلك عند الكلام على مخارج الأصوات .

ويمكن أن يقال أن القدامى ربما عدوا الحنجرة ضمن منطقة الحلق، ولذلك قالوا عن هذين الصوتين انهما حلقيان . متابعين في ذلك الخليل .

وربما اوهم ترتيب الأصوات الذي أورده الخليل في بداية معجمه ــ العين ــ الناظر فيه. فظن أن الخليل يضع الهمزة في أواخر الأصوات، وذلك إذا وجد هذا الناظر أن الهمزة تقع في آخر هذه الأصوات، بعد الثلاثة التي سماها الخليل "هوائية" أو "جوفا " [1]. غير صحاح، وهي " و . أ . ي . همزة " . والحق أن الأمر ليس كذلك؛ إذ أن الخليل يعد الهمزة من حروف الحلق ــ كما بيّنا ، بل يضعها في أقصى الحلق ، وإنما آخّرها مع هذه الأصوات الثلاثة ؛ لأنه وجدها كثيراً ما تُسهّل وتليَّن بقلبها ألفاً أو ياء أو واواً. فوجد لها أحوالاً تغاير أحوال بقية الأصوات الصامتة، التي سمّاها "الصحاح" ، ولذلك وضعها مع هذه الأصوات الثلاثة . يقول : " وأما الهمزة ، فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة، فإذا رفّه عنها لانت ، فصارت الياء والواو والألف ، عن غير طريق الحروف الصحاح [2] " وقد حكى ذلك عن الخليل ــ رواية ــ ابن كيسان النحوي ( ت ٢٩٩ هـ ) ؛ وهذا يوثّق كون هذه الكلام للخليل ، ويعزّز نسبة الكتاب إليه .

وانتبه تلميذه سيبويه إلى ما قد يحدثه وضع الهمزة مع هذه الأصوات الثلاثة من لبس ووهم، فجعلها في أول الأصوات الحلقية، وأبعدها غوراً في الحلق جاعلا الألف بعدها، فالهاء، فالعين، فالحاء، فالغين، فالخاء : "ء . أ . هـ ، ع ، ح ، غ . خ " [3]. وواضح أنه لم يجعلها صوتاً حنجرياً، وقد نص على ذلك بعدئذ بقوله : " ولحروف العربية ستة عشر مخرجا فللحلق منها ثلاثة . فأقصاها مخرجاً : الهمزة والهاء والألف، ومن أوسط الحلق العين والحاء، وأدناها من مخرج الفم : الغين والخاء " [4].

ولما أخّر الخليل الهمزة في الترتيب وجعلها مع الأصوات اللينة ، جعل العين في أقصى الحروف من جهة الحلق ، وبها بدأ معجمه ، ولذلك سماه : العين وسبب ذلك أنه رأى العين أدخل الحروف في الحلق " [5]، ولذلك قال عنها بأنها " أقصى الحروف كلها " [6]، وذلك بعد

[1] العين ١ / ٥٧ .
[2] العين ١ / ٥٢ .
[3] الكتاب ٤ / ٤٣١ .
[4] الكتاب ٤ / ٤٣٣ .
[5] العين ١ / ٤٧ .

نقله الهمزة إلى الحروف "الجوف" ، كما سماها[1] ، على ما بيّناه آنفاً . كما أنه يعد العين أنصع الحروف[2] في العربية .

٢ ــ وعدّ الخليل الواو والياء في مواضعها كلها من الكلمة وأحوالها المختلفة، صوتين صائتين دائماً [3]، أي حركتين طويلتين . وهما لدى اللغويين المحدثين يردان صوتي مدّ في أحوال ، كما في : قِيْل ، وسُوْق ، وصوتين صامتين شبيهين بالأصوات الصائتة، أو كما سمّوا كلا منهما: نصف صائت: " Semi Vowel " في أحوال أخرى ، كما في : بَيْت ، مَوْرِد . وقد تقدّم بيان ذلك عند الكلام على الصوائت .

وقد علل ذلك أحد الباحثين[4] بأنه: " يبدو أن التمييز بين الهمزة والألف لم يكن واضحا في تصور الخليل، وبذا اختلط الأمر عليه ". ولا نحسب هذا التعليل مصيبا، وملائما لنظرة الخليل إلى هذه الأصوات الثلاثة ومنها الألف، إذ كان يميز بينها وبين الهمزة تمييزا واضحاً لا لبس فيه ؛ وذلك أنه ــ كما بينا ــ يجعل الهمزة صوتا صحيحا، إلا أنه جاء على غير طريقة الحروف الصحاح " [5]، من حيث أنه يسهل في كثير من الأحيان، ولذلك عدّه واحداً من هذه الأحرف " الجوْف " الأربعة : الواو والياء والألف والهمزة [6].

٣ ــ أغفل الخليل تميز الصوامت الشفوية الصرف من الصوامت الشفويّة الأسنانية ، وهي الفاء . فعدّ الفاء صوتاً شفوياً، مثله في ذلك مثل الباء والميم ، دون أن يشير إلى دور الأسنان في ذلك . وقد مر علينا عند الكلام على مخارج الأصوات[7] أن الفاء صوت شفوي أسناني ،

---

[1]- العين ١/ ٥٧ ، وكذلك ١/ ٦٠ .

[2]- العين ١/ ٥٣ .

[3]- خليل الحماش : دراسة مقارنة للنواحي الصوتية في كتاب العين ، والنظرية الحديثة في علم الصوت ص ٥١-٥٢ .

[4]- المصدر نفسه ص ٥٠٧ .

[5]- العين ١/ ٥٢ .

[6]- العين ١/ ٥٧ .

[7]- ص ٣٨١ من هذا الكتاب .

أو كما يسميه الغربيون اليوم : " Labio - dental sound " يقول الخليل [1] : " وثلاثة شفوية ف ب م ، مخرجها من بين الشفتين خاصة ، لا تعمل الشفتان في شيء من الحروف الصحاح إلا في هذه الحروف الثلاثة خاصة " .

٤ ــ لم يفرد الخليل قسما خاصاً بالأصوات الأسنانية الثلاثة ، وهي : الذال والثاء والظاء ، والتنبيه على أنها تخرج من أطراف الثنايا العليا ،

وإنما اكتفى بالقول بأنها تخرج من " حيز واحد " [2].

٥ ــ لم يُلحظ أن الخليل ميز اللام المفخّمة من المرققة، بل جعلهما لاماً واحدة، في كلا الموضعين اللذين أشار بهما إليهما، وهو قوله أولاً أنها من الحروف الذُّلْــق : ر ، ل ، ن [3]. وقوله بعد ذلك: " .. ثم الراء واللام والنون في حَيِّز واحد " [4]. ولم يزد على ذلك شيئاً في وصفها، مع أن اللام نوعان ــ كما بيّنا في الحديث عنها ــ مفخّمة ومرقّقة . ولعل سبب عدم بيانه أنهما أنهما معًا يقعان في حيزٍ واحد، أو قل : في مخرج واحد ، كما تقدم بيانه أيضـاً . وكانت عنايته ــ في كتابه العين ــ بمخارج الأصوات قد غلبت كثيراً على عنايته بوصفها . مع أن الذين تلوه بينوا أن اللام نوعان، وخاصة القراء الذين جعلوا لكل منهما ــ كما تقدم [5] ــ مواضع وأحوالاً .

٦ ــ ومثل هذا يصح أن يقال عن الراء ، إذ عدّها واحدة ، مع أن الذين تلوه أشاروا إلى الراء المرققة والراء المفخّمة ، ووصفت القراء أحوال كل منهما ومواضعهما من الكلام ــ على ما بيناه سالفاً [6]. ولا نحسب أن ذلك مما يخفى على الخليل ، ولكن الذي ورد في معجمه هو الذي بيّنا .

---

[1] - العين ١ / ٥١-٥٢ .

[2] - العين ١ / ٥٨ .

[3] - العين ١ / ٥١

[4] - العين ١ / ٥١

[5] - انظر ص ٣٨٧-٣٨٨ .

[6] - ص ٣٨٩ .

٧ ـ الظاهر من كلام الخليل أن الدال صوت أقل شدة من الدال ذلك انه قابله بالطاء ، ووصفه بأنه ليس له شدة الطاء ، أو على حد تعبيره : صلابتها وكزازتها . يقول : " .. الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها ، وارتفعت عن خفوت التاء[1] " . فهذا الكلام فيه وصف للدال بالشدة من جهة، ووصف لها بالجهر من جهة ثانية. إذ إن وصفه لها بالارتفاع ومقابلته بخفوت التاء ، يعني أنه أدرك فيها صفة الجهر ، الذي هو الوضوح في السمع ، كما بينا سالفاً، نتيجة الموسيقية والتنغيم الذي يحدثه اهتزاز الوترين الصوتيين . فلعله لاحظ إطباق الطاء ، وخلوّ الدال منه ، فعدّ الدال أقل شدّة من الطاء. وقد كان سيبويه مصيباً حين عدّ الدال صوتا شديداً[2]. وقد تقدم بيان أن الدال صوت شديد وكذلك الطاء .

٨ ـ كان الخليل يذوق الأصوات لمعرفة صفاتها ومخارجها بإدخال ألف وصل على كل منها بعد تسكينه . إذ " كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف بعد إسكانه نحو : ابْ ، اتْ ، احْ ، اعْ ، اغْ "[3]. فظن بهذه الطريقة أن "العين أدخل الحروف في الحلق ، فجعلها أول الكتاب ، ثم ما قرُب منها الأرفع فالأرفع ، حتى أتى على آخرها وهو الميم " .

وليست هذه الوسيلة سليمة في نظر المحدثين ؛ إذ أن إدخال هذه الألف قبل الصوت يعني النطق بصوتين لا صوت واحد . وبذلك لا يحدد مخرج الصوت ولا صفته بدقة . فينبغي أن ينطق الصوت مجردا منها بعد إسكانه ، مثل بْ[4]. وفي هذا يقول الدكتور إبراهيم أنيس[5] " ... ويجب الاحتراز من الإتيان قبله ـ يعني الصوت ـ بألف وصل كما كان يفعل القدماء من علماء الأصوات ؛ لأن الصوت حينئذ لا يتحقق فيه الاستقلال الذي هو أساس التجربة الصحيحة " .

---

[1] ـ العين ١/ ٥٣-٥٤ .

[2] ـ الكتاب ٤/ ٤٣٤ .

[3] ـ العين ١/ ٤٧ .

[4] ـ الأصوات اللغوية ص ٢٠ .

[5] ـ الأصوات اللغوية ص ٢٠ .

وهذا مما يقال في بيان الخلاف بين الخليل بن أحمد لغويّ العرب الأول، وعبقريّ من عاصرهم، وبين المحدثين من علماء الصوت . ولئن كان بعض ما جاءوا به وذهبوا إليه أصحّ ، فحسبه فخراً وعلماً أنه أدرك وحده وبوسائله الذاتية المبسّطة ، ما أدركوه هم محدثين بوسائلهم الناصعة المتطورة . وجاء مع ذلك بما لم يدركوه إلا في هذا العصر المكتشف . فرحم الله الخليل إماماً في اللغة ، وعالماً عبقرياً في علم الصوت .

بحمد الله

فهذا مما يقال في بيان الخلاف بين الخليل بن أحمد لغويّ العرب الأول، وعبقريّ من عباقرتهم ، وبين المحدثين من علماء الصوت . ولئن كان بعض ما جاءوا به وذهبوا إليه أصح ، فحسبه فخراً وعلماً أنه أدرك وحده وبوسائله الذاتية المبسَّطة ، ما أدركوه اليوم مجتمعين بوسائلهم الناضجة المتطورة . وجاء مع ذلك بما لم يدركوه إلا في هذا العصر المكشاف . فرحم الله الخليل إماماً في اللغة ، وعالماً عبقرياً في علم الصوت .

ـ بحمد الله ـ

# المصادر والمراجع


١ـ إبراهيم أنيس (الدكتور) : الأصوات اللغوية ، ط٥، مكتبة الانجلوـ القاهرة ١٩٧٥.

٢ـ إبراهيم أنيس (الدكتور) : دلالة الألفاظ ، ط٢، لجنة البيان العربي ـ القاهرة ١٩٦٣ .

٣ـ إبراهيم أنيس (الدكتور) : اللهجات العربية ، مطبعة الرسالة ـ القاهرة ـ بدون تاريخ.

٤ـ إبراهيم أنيس (الدكتور) : من أسرار اللغة ، ط٣، المطبعة الفنية الحديثة القاهرة ١٩٦٦ .

٥ـ ابن الأثير : مجد الدين : المبارك بن محمد : النهاية في غريب الحديث .

٦ـ احمد تيمور: لهجات العرب ، المكتبة الثقافية ـ مصر ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م .

٧ـ احمد مختار عمر (الدكتور) : دراسة الصوت اللغوي ،ط١ ، عالم الكتب ـ القاهرة ١٣٩٦ = ١٩٧٦م .

٨ ـ الازرقي : أبو الوليد محمد بن عبد الله ، أخبار مكة ، تحقيق : رشدي الصالح ، دار الأندلس ، مطابع مايتوكرومو ، بنتو ـ مدريد ، أسبانيا .

٩ـ أميل بديع (الدكتور) : فقه اللغة العربية وخصائصها ، دار العلم للملايين ، ط١، بيروت ١٩٨٢ .

١٠ـ ابن الأنباري : أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد : الاغراب في جدل الاعراب ، بتحقيق سعيد الأفغاني ، ط٢، ، دار الفكر ـ بيروت ١٣٩١هـ = ١٩٧١م .

١١ـ ابن الأنباري : أبو بكر محمد بن القاسم : إيضاح الوقف والابتداء ، تحقيق محيي الدين عبد الرحمن ، المجمع العلمي ـ دمشق ١٣٩١هـ = ١٩٧١ .

١٢ـ ابن الأنباري : الأضداد ، تحقيق أبي الفضل إبراهيم ، مطبعة الحكومة ـ الكويت ١٩٦٠ .

١٣ــ ابن الأنباري : الزاهر في كلمات الناس ، تحقيق د. حاتم الضامن ، دار الرشيد ــ بغداد ١٩٧٦ .
١٤ــ الأنطاكي : محمد ، الوجيز في فقه اللغة ، ط٣ ، دار الشرق ــ بيروت ــ بدون تاريخ .
١٥ــ أنيس فريحة : نظريات في اللغة ، دار الكتب اللبناني ، ط٢ ــ بيروت ١٩٨١.
١٦ــ البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل : صحيح البخاري ، بشرح ابن حجر العسقلاني ، مطبعة البابي الحلبي ــ مصر ١٣٧٨هــ = ١٩٥٩ م .
١٧ــ برجشتراسر : التطور النحوي ، تحقيق د. رمضان عبد التواب مكتبة الخانجي في القاهرة ، ودار الرفاعي في الرياض ، ١٤٠٢هــ = ١٩٨٢ م .
١٨ــ الباقلاني : أبو بكر محمد بن الطيب ؛ إعجاز القرآن ، بتحقيق السيد احمد صقر ، دار المعارف ــ مصر ١٩٦٣ م .
١٩ــ بعلبكي : رمزي (الدكتور) : الكتابة العربية السامية ، دار العلم للملايين ، ط ، بيروت ١٩٨١ م .
٢٠ــ البغدادي : نيل الفصيح ، طبع مع فصيح ثعلب بتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ــ القاهرة .
٢١ــ البيهقي : أبو بكر أحمد بن الحسين : الأسماء والصفات ، بتحقيق محمد زاهر الكوثري ، مطبعة السعادة ــ مصر ــ بدون تاريخ .
٢٢ــ تمام حسان (الدكتور) : الأصول ، ط١ ، دار الثقافة ــ الدار البيضاء ١٤٠١هــ = ١٩٨١
٢٣ــ توفيق محمد شاهين (الدكتور) : أصول اللغة العربية بين الثنائية والثلاثية ،ط١ ، مكتبة وهبة ــ القاهرة ١٤٠٠هــ = ١٩٨٠ م .
٢٤ــ الثعالبي : أبو منصور عبد الملك بن محمد : فقه اللغة وسر العربية ، مطبعة الاستقامة ــ القاهرة ١٣٧٨هــ = ١٩٥٩ م .
٢٥ــ ثعلب : أبو العباس احمد بن يحيى : مجالس ثعلب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط٣ ، دار المعارف ــ مصر ١٩٦٩ م .

٢٦ـ الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر : البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط٣ ، مكتبة الخانجي ـ القاهرة ، بدون تاريخ .

٢٧ـ الجرجاني : عبد القاهر : دلائل الإعجاز ، تعليق عبد المنعم خفاجي، مطبعة الفجالة الجديدة ، القاهرة ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م .

٢٨ـ الجرجاني : الرسالة الشافية ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، بتحقيق محمد خلف الله ، ومحمد زغلول سلام ، ط٢ ، دار المعارف مصر ـ ١٣٨٧هـ = ١٩٦٨ .

٢٩ـ جرجي زيدان : الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية ، مراجعة وتعليق د. مراد كامل ، ط ٢، دار الحداثة ـ بيروت ١٩٨٢.

٣٠ـ ابن الجزري : أحمد بن محمد بن محمد : طيبة النشر في القراءات العشر ، ط١، مطبعة الحلبي ـ القاهرة ١٣٦٩هـ = ١٩٥٠.

٣١ـ ابن الجزري : محمد بن محمد : تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة ، تحقيق عبد الفتاح القاضي ورفيقه ، ط١، مطبعة النهضة الجديدة ، القاهرة ـ ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢ .

٣٢ـ ابن الجزري : تقريب النشر في القراءات العشر ، تحقيق ابراهيم عطوة عوض ، ط١، مطبعة البابي ، القاهرة ١٣٨١هـ = ١٩٦١ .

٣٣ـ جمعية الكتاب المقدس : الكتاب المقدس ـ بيروت ١٩٦٢ .

٣٤ـ ابن جني : أبو الفتح عثمان : التصريف الملوكي ، ط٢، دار المعارف للطباعة ، بيروت ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠ .

٣٥ـ ابن جني : الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، صورة بالأوفست عن طبعة دار الكتب المصرية ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ، بدون تأريخ .

٣٦ـ ابن جني : المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف ورفيقه ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ـ القاهرة ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦ .

٣٧ـ الجواليقي : أبو منصور : المعرّب من الكلام الأعجمي ، بتحقيق أحمد محمد شـاكر ط١ ـ القاهرة ١٩٦١ .
٣٨ـ جواد علي (الدكتور) : المفصّل في تأريخ العرب قبل الإسلام ، ط١، بيروت ١٩٦٩.
٣٩ـ الجوهري : إسماعيل بن حماد : الصحاح ، تحقيق أحمد عبد الغفـور، مطـابع دار الكتاب العربي ـ مصر .
٤٠ـ أبو حاتم : سهل بن محمد السجستاني : فعلتُ و أفعلـتُ ، تحقيـق : د . خليـل إبراهيم العطية ، مطابع جامعة البصرة ١٩٧٩ .
٤١ـ حاكم مالك لعيبي : الترادف في اللغة ، دار الرشيد ـ بغداد ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠ .
٤٢ـ الحريري : القاسم بن علي : درة الغاص في أوهام الخواص بتحقيق أبي الفضـل ـ دار نهضة مصر ١٩٧٥ .
٤٣ـ حسن ظاظا (الدكتور): الساميون ولغاتهم ، مطبعة المصري ـ الإسكندرية ١٩٧١ .
٤٤ـ الحسني : عبد الرزاق : الصابئون في حاضرهم وماضيـهم ، مركـز الأبجديـة ـ بيروت ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢.
٤٥ـ الحطيئة : الديوان ، بشرح ابن السكّيت والسكّري والسجستاني ، تحقيق نعمان أميـن طه ، مطبعة البابي ـ مصر ١٣٨٧هـ ـ ١٩٥٨ .
٤٦ـ ابن خالويه : أبو عبد الله الحسين بن أحمد : إعراب ثلاثين سورة ، صورة لطبعـة دائرة المعارف العثمانية ـ الهند ١٣٦٠هـ ، دار الحكمة دمشق .
٤٧ـ ابن خالويه : القراءات وعللها ، صورة عن نسخة مكتبة مراد ملا المخطوطة ، معهد إحياء المخطوطات العربية ، برقم ٥٢ قراءات .
٤٨ـ ابن خالويه : مختصر في شواذ القرآن ، نشر ج . برجشتراسر ، صـورة لطبعـة المطبعة الرحمانية ـ مصر ١٩٣٤ هـ .
٤٩ـ الخطّابي : أبو سليمان حمد بن محمد : بيان إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، بتحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ط٢ ، دار المعـارف ـ مصر .

٥٠ـ ابن خلدون : عبد الرحمن : مقدمة ابن خلدون ، بتحقيق د. علي عبد الواحد وافي ، ط١ ـ القاهرة ١٩٥٨ ـ ١٩٦٢ .

٥١ـ الخليل بن أحمد : العين ، بتحقيق : د. مهدي المخزومي ، و د. ابراهيم السامرائي ، دار الرشيد ـ بغداد ١٩٨٠ ـ ١٩٨٦ .

٥٢ـ الداني : أبو عمرو عثمان بن سعيد : التيسير في القراءات السبع ، تصحيح أوتو ـ پرتزل ، صورته مكتبة المثنى ببغداد عن مطبعة الدولة باستانبول سنة ١٩٣٠.

٥٣ـ الداني : المحكم في نقط المصاحف ، تحقيق عزة حسن ـ دمشق ١٩٦٠

٥٤ـ ابن دريد : محمد بن الحسن : الاشتقاق ، تحقيق عبد السلام محمد هارون مطبعة السنة المحمدية ـ القاهرة ١٣٧٨هـ = ١٩٥٨ .

٥٥ـ ابن دريد : جمهرة اللغة ، صورته بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد للطبعة الأولى، بمطبعة مجلس دائرة المعارف بالهند ، ١٣٤٤ هـ .

٥٦ـ ابن درستويه : عبد الله بن جعفر : تصحيح الفصيح ، تحقيق د. عبد الله الجبوري ، مطبعة الارشاد بغداد ١٩٧٥ .

٥٧ـ الدسوقي : عمر ، في الأدب الحديث ، ط٣ ، دار الفكر العربي ، مطبعة الرسالة ـ بدون تاريخ .

٥٨ـ الدمياطي : أحمد بن محمد البناء : إتحاف فضلاء البشر في قراءات الأربعة عشر ، مطبعة عبد الحميد احمد حنفي ـ مصر ١٣٥٩هـ .

٥٩ـ الرازي : أبو حاتم ، الزينة في الكلمات الإسلامية ، تحقيق فيض الله الهمداني ، ط٢ ـ القاهرة ١٩٥٧ .

٦٠ـ الراغب : أبو القاسم الحسين بن محمد : معجم مفردات ألفاظ القرآن ، تحقيق نديم مرعشلي ، دار الكتاب العربي ، مطبعة التقدم ـ القاهرة ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م .

٦١ـ الراوي : طه ، نظرات في اللغة والنحو ، المكتبة الأهلية ـ بيروت، بدون تاريخ .

٦٢ـ ربحي كمال (الدكتور): التضاد في ضوء اللغات السامية ـ بيروت ١٩٧٢ .

٦٣ـ الرضي : محمد بن الحسين الموسوي : المجازات النبوية ، تحقيق طه محمد الزيني، مطبعة الفجالة ـ القاهرة ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧ .

٦٤ـ الرماني : أبو الحسن علي بن عيسى : الجامع لعلم القرآن ، ج١٢، ٤ من مصورات المكتبة الخالدية بالقدس الشريف ، معهد أحياء المخطوطات الغربية تفسير .
٦٥ـ رمضان عبدا لتواب (الدكتور) : فصول في فقه العربية ، ط١، دار الحمامي للطباعة ــ القاهرة ١٩٧٣ .
٦٦ـ الزجّاج : إبراهيم بن السري : معاني القرآن وإعرابه ، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي ، الهيئة العامة لشؤون المطابع ــ القاهرة ١٩٧٣.
٦٧ـ الزجّاجي : أبو القاسم عبد الرحمن ابن اسحٰق : اللامات ، تحقيق د. مازن المبارك ، المطبعة الهاشمية ــ دمشق ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩.
٦٨ـ الزرقاني : محمد عبد العظيم : مناهل العرفان في علوم القرآن، دار أحياء الكتب العربية ــ القاهرة ، بدون تاريخ .
٦٩ـ الزركشي : بدر الدين بن محمد بن عبد الله : في علوم القرآن، تحقيق أبي الفضل إبراهيم ، ط١، دار أحياء الكتب العربية ــ القاهرة ١٩٥٧ .
٧٠ـ الزمخشري : جار الله محمود بن عمر : الفائق في غريب الحديث ، تحقيق أبي الفضل والبجاوي ــ القاهرة ١٩٧١ .
٧١ـ الزمخشري : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ، مطبعة البابي الحلبي ــ القاهرة ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨.
٧٢ـ أبو زيد : سعيد بن أوس الأنصاري : النوادر في اللغة ، ط ٢ ، دار الكتاب العربي ــ بيروت ١٣٧٨ هـ = ١٩٦٧ .
٧٣ـ الزيدي : كاصد ياسر : الطبيعة في القرآن الكريم ، دار الرشيد ــ بغداد ١٩٨٠ .
٧٤ـ الزيدي : منهج الطوسي في تفسير القرآن الكريم ، رسالة دكتوراه من جامعة القاهرة، مطبوعة بالرونيو ــ القاهرة ١٩٧٦ .
٧٥ـ السامرائي : إبراهيم (الدكتور) : التطور اللغوي التاريخي، ط٢، دار الأندلس ــ بيروت ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ .
٧٦ـ السامرائي : التوزيع اللغوي الجغرافي في العراق ، معهد البحوث والدراسات العربية، مطبعة الجيلاوي ــ القاهرة ١٩٦٨ .

٧٧ــ السامرائي : العربية تواجه العصر ، دار الجاحظ ــ بغداد ١٩٨٢ .

٧٨ــ السامرائي : فقه اللغة المقارن ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٨ .

٧٩ــ ستيفن أولمان : دور الكلمة في اللغة ، ترجمة الدكتور كمال محمد بشـــير ، مكتبــة الشباب ــ القاهرة ١٩٧٥ .

٨٠ ــ السراج : أبو بكر محمد بن السري : الاشتقاق ، تحقيق محمد صالح التكريتي ، ط١، مطبعة المعارف ــ بغداد ١٩٧٣ .

٨١ ــ السعران : محمود (الدكتور) علم اللغة ، دار المعارف ــ مصر ١٩٦٢ .

٨٢ ــ ابن السكيت : يعقوب : الإبدال تحقيق د. حسين محمد محمد ، الهيئة العامة لشــؤون المطابع ــ القاهرة ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨ .

٨٣ ــ السمنودي : محمد بن حسن بن محمد ، شرح السمنودي على متن الـــدرّة المتممــة للقراءات العشر ، لابن الجزري . مطبعة المعاهد ــ مصر ١٣٤٢هـ .

٨٤ ــ سيبويه : عمرو بن بشر : الكتاب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط١ ، دار القلم ــ القاهرة ١٩٦٦ .

٨٥ ــ السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ، ط ٣ ، مطبعة الحلبي ــ مصر ١٣٧٠هـــــ = ١٩٥١ .

٨٦ ــ السيوطي : جلال الدين : الاقتراح في علم أصول النحو ، تحقيق د. أحمد محمـــد قاسم ، ط ١ ، مطبعة السعادة ــ القاهرة ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ .

٨٧ ــ السيوطي : المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق محمـــد أحمـــد جـــاد المولـــى ورفيقيه، مطبعة البابي ــ بدون تاريخ .

٨٨ ــ الشافعي محمد بن إدريس : الرسالة ، تحقيق احمد محمد شاكر ، مطبعة الحلبـــي ــ القاهرة ١٩٤٠ .

٨٩ ــ أبو شامة : عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي : المرشد الوجيز إلى علـــوم تتعلـــق بالكتاب العزيز ، تحقيق طيار آلتي قولاجي ، دار صادر ــ بيروت ١٣٩٥ هــــ = ١٩٧٥ .

٩٠ ـ الطبرسي : أبو علي الفضل بن الحسن : مجمع البيان في تفسير القرآن ، دار مكتبة الحياة ـ بيروت ١٣٨٠ هـ = ١٩٦١ .
٩١ـ الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير : جامع البيان في تفسير القرآن، طبعة بولاق ـ القاهرة ١٣٢٣ هـ .
٩٢ـ طه باقر : من تراثنا اللغوي ، ما يسمى في العربية بالدخيل ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ـ بغداد ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ .
٩٣ـ أبو الطيب : عبد الواحد بن علي : الأضداد في كلام العرب ، تحقيق عزة حسن ـ دمشق ١٩٦٣ .
٩٤ـ عائشة عبد الرحمن (الدكتورة) : الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ، دار المعارف ـ مصر ١٩٧١ م .
٩٥ـ ابن عباس (رضي الله عنه) : اللغات في القرآن ، رواية ابن حسنون المقرئ، تحقيق د. صلاح المنجّد ، ط ٢ ، دار الكتاب الجديد ـ بيروت ١٩٧٢ .
٩٦ـ عبد البديع صقر : التجويد وعلوم القرآن ، ط ٣ ، دمشق ١٣٨٩هـ .
٩٧ـ عبد العزيز مطر (الدكتور) : ظواهر نادرة في لهجات الخليج العربي ـ الدوحة ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ .
٩٨ـ عبد العزيز مطر (الدكتور) : لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، الدار القومية للطباعة ـ القاهرة١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ .
٩٩ـ أبو عبيد : القاسم بن سلام الهروي : غريب الحديث ، صورة لطبعة دائرة المعارف العثمانية في الهند سنة ١٩٦٤. دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦.
١٠٠ـ أبو عبيدة : معمر بن المثنى : مجاز القرآن ، تحقيق د. محمد فؤاد سزكين ، ط ٢ ، مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ .
١٠١ـ ابن عصفور : أبو الحسن الاشبيلي : الممتع في التصريف ، تحقيق فخر الدين قباوة، ط ٤ ، دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩ .
١٠٢ـ العياشي : أبو النضر محمد بن مسعود السلمي : تفسير العياشي ، تصحيح وتعليق : هاشم الرسولي المحلاتي ، المطبعة العلمية ـ قم ، بدون تاريخ .

١٠٣ـ عفيف عبد الرحمن (الدكتور) : الجهود اللغوية خلال القرن الرابع عشر الـــهجري ، وزارة الثقافة والإعلام ــ بغداد
١٠٤ـ الغزالي : أبو حامد : محمد بن محمد : المستصفي من علم الأصول، ط ١ ، المكتبة التجارية الكبرى ــ مصر ١٩٣٧ .
١٠٥ـ ابن فارس : أبو الحسن أحمد : الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامـــها ، تحقيق د. مصطفى الشويمي ، مؤسسة بدران ــ بيروت ١٣٨٢هـ = ١٩٦٣ .
١٠٦ـ ابن فارس : مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط٢ مطبعة الحلبي ــ القاهرة ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ .
١٠٧ـ الفراء : يحيى بن زياد : معاني القرآن ، تحقيق محمد علي النجار وآخريـــن ، ط١، مطبعة دار الكتب ، مصر ــ ١٣٧٤هـ = ١٩٥٥ .
١٠٨ـ الفراء : المنقوص والممدود ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، دار المعارف ــ مصـــر ١٩٧٧ .
١٠٩ ــ أ ــ فردينان دي سوسور : علم اللغة العام ، ترجمة د. يوئيل يوسف عزيـــز ، دار آفاق عربية ــ بغداد ١٩٨٥ .
١١٠ ــ ب ــ فندريس : اللغة ، ترجمة الدواخلي والقصاص ، لجنة البيان العربي ــ القاهرة ١٩٥٠ .
١١١ـ الفيروز آبادي : مجد الدين محمد يعقوب : القاموس المحيط ، دار العلم للجميـــع ــ بيروت لبنان ، بدون تاريخ .
١١٢ـ القاري : علي بن سلطان : المنح الفكرية على متن الجزرية ، دار الكتب العربيـــة الكبرى ــ القاهرة ١٣٣٥هـ = ١٩١٦ .
١١٣ـ القاصح : أبو القاسم علي بن عثمان البغدادي : ســـراج القـــارئ المبتـــدئ ، ط٣ ، مطبعة الحلبي ــ مصر ١٣٧٣هـ = ١٩٥٤ .
١١٤ـ القاضي : عبد الجبار الهمداني : فرق وطبقات المعتزلة ، تحقيق د. علي ســـامي النشار ، ورفيقه ، دار المطبوعات الجامعية ــ الإسكندرية ١٩٧٢ .
١١٥ـ القالي : أبو علي اسماعيل بن القاسم : الأمالي، دار الفكر بيروت ــ بدون تاريخ .

١١٦ـ ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم : أدب الكاتب ، تحقيق محي الدين عبد الحميد، ط ٤ ، مطبعة السعادة ـ مصر ١٣٨٢هـ = ١٩٦٣ .

١١٧ـ ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر ، ط ٢ ، مطبعة الحضارة العربية ـ القاهرة ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣ .

١١٨ـ ابن قتيبة : عيون الأخبار ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، المؤسسة المصرية العامة ـ القاهرة ١٣٨٣هـ = ١٩٦٣ .

١١٩ـ القزاز : عبد الجبار جعفر (الدكتور) : الدراسات اللغوية في العراق، دار الرشيد ـ بغداد ١٩٨١ .

١٢٠ـ ابن مالك : بدر الدين : تسهيل المقاصد وتكميل الفوائد ، تحقيق محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي ـ مصر ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧ .

١٢١ـ مالك بن نبي : الظاهرة القرآنية ، ترجمة د. عبد الصبور شاهين ، دار الفكر بيروت ، بدون تاريخ .

١٢٢ـ المبارك : محمد : فقه اللغة وخصائص العربية ، دار الفكر ، ط ٧ ، ١٤٠١هـ = ١٩٨١ .

١٢٣ـ المبرد : محمد بن يزيد : الكامل ، بتحقيق أبي الفضل ورفيقه ، مطبعة نهضة مصر ـ القاهرة ، بدون تاريخ .

١٢٤ـ المبرد : محمد بن يزيد : ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد ، تحقيق عبد العزيز الميمني المطبعة السلفية ، مصر ١٣٥٠هـ .

١٢٥ـ ابن مجاهد : أبو بكر أحمد بن موسى : كتاب السبعة في القراءات ، تحقيق د. شوقي ضيف ، ط ١ ، دار المعارف ـ مصر ١٣٩٢هـ=١٩٧٢ .

١٢٦ـ مجهول : كتاب المباني في نظم المعاني ، نشر آرثر جفري، مطبعة الصاوي ـ القاهرة ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢ ، ضمن ( مقدمتان في علوم القرآن) .

١٢٧ـ محمد حسين محمد حسن آل ياسين (الدكتور) : الاضداد في اللغة ، مطبعة المعارف ـ بغداد ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤ .

١٢٨ـ محمد حسين : محمد حسن آل ياسين (الدكتور) : الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث ، مكتبة الحياة بيروت ، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠ .

١٢٩ـ محمد خضر (الدكتور) : فقه اللغة ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ .

١٣٠ـ محمود تيمور: دراسات في القصة والمسرح ، المطبعة النموذجية ـ القاهرة ـ بدون تاريخ .

١٣١ـ محمود فهمي حجازي (الدكتور) : مدخل إلى علم اللغة ، ط ٢ ، دار الثقافة ـ القاهرة ١٩٧٨ .

١٣٢ـ مراد كامل (الدكتور) : اللهجات العربية الحديثة في اليمن ، معهد الدراسات العربية ـ القاهرة ١٩٦٨ .

١٣٣ـ المرادي : ابن أم قاسم : الجنى الداني في حروف المعاني ، مؤسسة دار الكتب ـ الموصل ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦ .

١٣٤ـ ابن المرتضى : أحمد بن يحيى : طبقات المعتزلة ، بتحقيق سوسنة ديفلد ـ فكزر ، المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ١٣٨٠هـ = ١٩٦١.

١٣٥ـ المرتضى : علي بن الحسين الموسوي : الأمالي ، تحقيق أبي الفضل، مطبعة الحلبي ـ مصر ١٩٥٤ .

١٣٦ـ مسلم بن الحجاج القشيري : صحيح مسلم ، بشرح النووي ، مطبعة محمد علي صبيح ـ مصر ١٣٣٤هـ .

١٣٧ـ مصطفى جواد (الدكتور) : المباحث اللغوية في العراق ، معهد الدراسات العربية ـ القاهرة ١٩٥٥ .

١٣٨ـ المطلبي : غالب فاضل (الدكتور) : في الأصوات العربية، دراسة في أصوات المد ، وزارة الثقافة والإعلام ـ بغداد ١٩٥٨ .

١٣٩ـ المعري : أبو العلاء : رسالة الملائكة ، ط ٢ ، المكتب التجاري للطباعة ـ بيروت ١٩٧٧ .

١٤٠ـ مكي بن أبي طالب : الكشف عن وجوه القراءات وعللـها ، تحقيـق محـي الديـن رمضان ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠١هـ = ١٩٨١ .

١٤١ـ مكي بن أبي طالب : الابانة عن معاني القراءات ، تحقيق الدكتور عبد الفتاح شلبي، مطبعة الرسالة ، القاهرة .

١٤٢ـ ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب ، صورة لطبعـة بـولاق ١٣٠٨هـ .

١٤٣ـ النجيرمي : إبراهيم بن عبد الله الكاتب: أيمان العرب في الجاهلية، تحقيـق محـب الدين الخطيب ، ط ٢ ، المطبعة السلفية ـ القاهرة ١٣٨٢هـ .

١٤٤ـ ابن النديم : محمد بن اسحق : الفهرست ، دار المعرفة ـ بـيروت ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨ .

١٤٥ـ النعيمي : حسام سعيد (الدكتور) : الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ـ دار الرشيد ١٩٨٠ .

١٤٦ـ الهذليون : ديوان الهذليين ، الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥ .

١٤٧ـ ابن هشام : أبو محمد : سيرة النبي ( ﷺ ) ، تحقيق محي الديـن عبـد الحميـد ، مطبعة المدني ـ القاهرة ١٩٧١ .

١٤٨ـ ابن هشام : جمال الدين عبد الله يوسف الأنصاري : أوضح المسالك على ألفية ابـن مالك ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، ط ١ ، مطبعة مصطفى محمـد ـ القـاهرة ١٣٥٤هـ .

١٤٩ـ ابن هشام : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، بـدون تاريخ .

١٥٠ـ أبو هلال العسكري : الفروق اللغوية ، ط ١ ، دار الآفاق الجديدة ـ بـيروت ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣ .

١٥١ـ الهمداني : أبو محمد الحسن الحائك : الإكليل تحقيق محب الدين الخطيب ، المطبعـة السلفية ـ ١٣٦٨هـ .

# فقه اللغة العربية

الأستاذ الدكتور

كاصد ياسر الزيدي

دار الفرقان للنشر والتوزيع

العبدلي - عمارة جوهرة القدس
هاتف: ++٩٦٢ ٦ ٤٦٤٠٩٣٧، ++٩٦٢ ٦ ٤٦٤٥٩٣٧
فاكس: ++٩٦٢ ٦ ٤٦٢٨٣٦٢
ص.ب ٩٢١٥٢٦ عمان ١١١٩١ الأردن
ص.ب ٩٢٧٦٢١ عمان ١١١٩٠ الأردن
إربد - مقابل جامعة اليرموك - تلفاكس: ++٩٦٢ ٢ ٧٢٧٦٥٠٦